

تَفْسِيرُ الْجَاكِمِيِّ
المُسَمَّى
تَخْلِصُ الدَّرَرِ

تَأَلَّفَ
عَبْدُ الْمُحَمَّدِ عَبْدُ الْمُحَمَّدِ الْحَامِلِي
(ت. بَعْدَ ٥١٤ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ

تَحْقِيقُ
أ. د. أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ السَّلُومِ
عَمَّا اللَّهُ عَنَّهُ

دار ابن حزم

تَفْسِيرُ الْحَاكِمِيِّ

المُسَمَّى

تَخْلِصُ الدَّرَرِ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م



ISBN: 978-9959-859-42-6

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم

بيروت - لبنان - ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس : 701974 - 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

تَفْسِيرُ الْجَاكِيمِيِّ

المُسَمَّى

تَخْلِيصُ الْمَذَاهِبِ

تَأَلَّفَ

عبد المحمّد بن عبد الحميد الحارثي

(ت: بعد ٥١٤ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ

تَحَقَّقَ

أ.د. أحمد بن فارس السّلم

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

المجلد الأول

(سورة الفاتحة - سورة الأنعام)

دار ابن حزم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، أما بعد:

فهذا تفسير الحاكمي، المسمّى: «تخليص الدرر»، خلّصه من عدة مصادر، ولخصه بأحسن عبارة، وأوسط منهج، جمع فيه أمّات الأقوال وأشهرها، ونثر فيه مرويات أهل التأويل دون أن ينسبها في الغالب، فجاء كتاباً وسطاً بين الوجيز والبسيط، وبين المطول والمختصر، فلا هو ممل بتطويله، ولا هو مخل باختصاره، خالٍ من الحشو، مقتصرًا على البيان، حاوٍ على المحاسن، فإن أردت معرفة أقوال أهل التأويل وجدتها فيه، وإن أردت أوجه الإعراب أتاكَ بأوجهها، وإن طلبت القراءات المتواترة أو الشاذة ألفت فيه أشهرها، كل ذلك على سبيل الاختصار، بعبارة بليغة، وأسلوب سهل، فهو بذلك يصلح لأن يكون متناً في التفسير، يعكف عليه المبتدئون، ويعول عليه المتهنون.

وقد يسر الله لي تحقيقه والتعليق عليه بقدر لا يخرج عن مراد المصنف، وبذلتُ جهداً مضنياً في تصحيحه، وإقامة نصوصه، فإن الناسخ - غفر الله له - كثير التصحيف، في المتشابهات وغير المتشابهات، ويصحف أحياناً على التوهم والحسبان، بمعنى أنه يصحف الكلمة على ما يتوهمها هو لأقرب صورة من الأصل المنسوخ منه، وهو أصل المؤلف، ولما يعنيه ذلك يسقط بعض الكلمة الذي لا يعرفه، ويثبت بعضها، وسترى في حواشي الكتاب التنبيه على بعض النماذج من الإسقاط، وما صححت دون أن أنبه عليه أكثر، وصعوبة ذلك أنه يسقط على غير قاعدة مستمرة، ولا منهج واضح، فربما كتب: فلان في موضع، وفي موضع آخر كتب: فلا، ويسقط النون، فإذا كان هذا الإسقاط في جملة كلام منفي أو إعراب عظم

الخطب، وهكذا في أمثلة أخرى، ليست بالقليلة.

وربما حمل التصحيف معنىً مستحسنًا، فيظنه القارئ لأول وهلة أنه صواب مراد، وليس كذلك.

فمثلاً: قال في تفسير سورة الإسراء: «يقال: قفوت الشيء إذا تبعت أثره، والقرب»، فقوله: والقرب تصحيف، لكنه في بداهة النظر قد يستحسن هذا، ويقال: القفو اتباع مع قرب، ومنه: قفوته أي اتبعته، ولكن الصواب: والقذف، فصحف في حرفين: الراء من الذال، والباء من الفاء، وهذا التصحيف مهيع واسع في مثل هذه الحروف، ولا سيما إذا كان الأصل المنقول منه غير موجود.

ولربما حسن التصحيف وهو ذميم، وما أشبه هذا بما قال شمر: «ما رأيتُ تصحيفاً أشبه بالصواب مما قرأ مالك بن سليمان الهروي في التفسير عن مجاهد في قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ أي: جديلتها، فصَحَّفَ، وقال: حَدَّ يَلِيهِ، وهو قريب بعضه من بعض»^(١).

ومن واجب المحقق تصحيح النص، والخروج به من مزالق التصحيف، ومطامن التحريف، إلى جادة الصحة والاستقامة، والضبط والصيانة، وتشتد المؤونة في ذلك إذا كانت النسخة فريدة، كحال تفسيرنا هذا، فكيف إذا كان الناسخ كثير التصحيف، مع عجمة تعتريه.

وهذه مقدمة مختصرة بين يدي الكتاب، فيها تعريف بالمؤلف، وبمصادره، ومنهجه، والله ولي التوفيق، والهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله أولاً وآخراً.



التعريف بالمصنف

هو الشيخ المفسر المصنف عبد الحميد بن عبد المجيد الحاکمي^(١).

مصادر ترجمته محدودة، لم تذكر شيئاً عن نشأته، ولكن من معرفة شيوخه يظهر أنه خراساني، بل هو نيسابوري أو بيهقي.

ولم يذكر السمعاني نسبة الحاکمي في كتابه الأنساب، ولذا فقد استدرك عليه في الباب هذه النسبة، وذكر أنها نسبة في مصر للحاكم بأمر الله العبيدي^(٢)، وسماهم: الحاكمية.

ولا شك أن المصنف ليس منسوباً للحاكم العبيدي ولا لطائفته، وليس هو من مصر أصلاً، وإنما هو خراساني الدار، وهذه النسبة في خراسان معروفة، بل وفي نيسابور على جهة الخصوص، فقد ذكر السمعاني عدة من المتسبين لها - وإن لم يفرد النسبة بالذكر - منهم:

أبو الفتح نصر بن الحسن الحاکمي^(٣)، وهو آخر من حدث عن أبي علي الروذباري، وأبو الفتح الحاکمي هذا نيسابوري طوسي^(٤).

وانشرت هذه النسبة في بيهق، فقد أفرد ابن فندق الحاكيمين بالذكر في تاريخ بيهق - لأنهم أجداده^(٥) - وقال: «والحاكميون والفندقيون، الذين هم أسلافي،

(١) مصادر ترجمته: هدية العارفين ١/ ٥٠٦، إيضاح المكنون ٣/ ٢٧٠، معجم المؤلفين

١٠٢/ ٥، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر ص ٢٥٩.

(٢) الباب في تهذيب الأنساب ١/ ٣٣٢، لب الباب ٧٥.

(٣) الأنساب ٦/ ١٨٧.

(٤) المنتخب من السياق ٥١٠.

(٥) تاريخ بيهق ٢١٧.

ينحدرون من خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مقرهم الأصلي قصبة سيوار، من نواحي وَالشْتان من توابع بست، ومنها قدم الحاكم الإمام أبو سليمان فندق بن الإمام أيوب بن الإمام الحسن إلى ولاية نيسابور للقضاء والفتوى بأمر السلطان محمود بن سبكتكين، ورعاية الوزير أحمد بن الحسن الميمندي الملقب بشمس الكفاة؛ وقد بقي في قضاء نيسابور بالأصالة مدة، وأخرى نيابة عن قاضي القضاة عماد الإسلام أبي العلاء صاعد بن الإمام الأديب أبي سعيد محمد بن أحمد، ثم طلب إعفائه، واشترى بناحية بيهق ضياعاً^(١).

فيحتمل أن يكون عبد الحميد من هؤلاء الحاكميين، وأنه بيهقي، ولعلنا نستأنس في هذا الباب بإكثاره الرواية عن شيخ القضاة إسماعيل بن الإمام البيهقي، والله أعلم.

نشأته وشيوخه:

نشأ الحاكمي في بيت علم وأدب، فأبوه وجده وجد أبيه أصحاب رواية وطلب علم، ولذا فقد بكروا به إلى الدرس والسماع، فسمع وهو ابن تسع، وقد ذكر ذلك في تفسير سورة الملك، فقال ما نصه: «قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له -: سمعت أبي رحمه الله يروي عن والده عن جده، بإسنادهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن من قرأ سورة الملك كل ليلة تدفع عنه عذاب القبر إذا مات، سمعت هذا الحديث وأنا ابن تسع سنين وضاع مني الإسناد».

وقد ذكر في هذا الكتاب جملة من شيوخه، وهم:

١- والده، كما ذكرناه آنفاً، وروى عنه الحديث.

(١) تاريخ بيهق ٢١٧-٢١٨.

٢- ناصح الدين أبو طاهر منبه بن محمد بن أحمد المخلصي الفرواني:

هكذا كناه المصنف، وهو تلميذه وأدرى به، وفي المصادر أن كنيته: أبو وهب.

وهو منسوب إلى فَرَوَان، قال السمعاني: «بفتح الفاء وسكون الراء وفتح الواو وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى فَرَوَان، وهي بليدة عند غزنة، كان في نصفها منبر، والنصف الآخر في أيدي الهند، ولهم هناك سوق الزواني مشهور، وليس يجوز للهند حكم في النصف الذي في أيدي المسلمين، ولا للمسلمين في النصف الذي في أيدي المشركين، هكذا وقع الصلح، وقد صارت كلها في أيدي المسلمين.

منها أبو وهب منبه بن محمد بن أحمد بن المخلص الفرواني، واعظ، زاهد، ورع، مليح الوعظ، سليم الجانب، له معرفة بالتفسير، سمع أبا حامد أحمد بن محمد الشجاعى، وحدث عنه بكتاب النوادر لمحمد بن علي بن حكيم، روى عنه أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم القهستاني بسرخس، وأبو محمد محمد بن محمد بن أحمد بن الحسن السانواجردي بمرو، وأبو بكر محمد بن الحسن الغزنوي بحلب وغيرهم.

وكانت وفاته في حدود سنة خمسمائة^(١).

قال الداودي: «منبه بن محمد بن أحمد بن علي بن ينال بن أبي سهل أبو وهب ابن أبي جعفر المُخلصي - من الإخلاص بسكون الخاء المعجمة وكسر اللام - الفقيه الحنفي، كان فقيهاً شاعراً واعظاً، مليح الوعظ، حسن المعرفة بالتفسير، قدم بغداد حاجاً سنة ست وتسعين وأربعمائة، وحدث بها عن أبي حامد أحمد بن محمد الشجاعى، وأبي نصر أحمد بن محمد بن حمدان الحداد، وروى عنه من أهلها أبو

(١) الأنساب ١٠ / ٢٠١.

عبد الله البيضاوي.

ولد سنة تسع وثلاثين وأربعمائة.

وإنما سمي المخلصي، لأن والده كان صادقاً مخلصاً فيما يقول للملوك والسلاطين، وكان ينفق من ماله على من يقرأ عليه، قاله الصفدي^(١).

٣- القاضي الإمام الزاهد سعد بن عمر بن أبي سهل الخالدي.

وهؤلاء خالديون في خراسان، منهم من هو في طالقان، ومنهم من هو في مرو، ومنهم من هو في نيسابور نفسها، وفيهم كثرة.

٤- علي بن عبد الرحمن الواعظ الزوزني.

وهو منسوب إلى زوزن، وهي بلدة كبيرة بين هراة ونيسابور^(٢).

٥- شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي.

وهو ابن الإمام أحمد البيهقي المصنف المشهور، مصادر ترجمة أبي علي كثيرة، ولد سنة ٤٢٨، وتوفي سنة ٥٠٧ في بهق^(٣).



(١) طبقات المفسرين ٢/ ٣٣٣.

(٢) الأنساب ٦/ ٣٤٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣١٤.

وفاته:

لم تسعفنا المصادر بشيء عن مولد الحاكمي أو وفاته، إلا أن المتأخرين ذكروا أنَّ وفاته سنة ٥١٤، والظاهر أنهم اعتمدوا على تاريخ تأليف هذا الكتاب، فقد ثبت آخر النسخة أنَّ الحاكمي أُلْفِه في هذا التاريخ، وعليه فالصحيح أنه توفي بعد هذا التاريخ، والله أعلم.



التعريف بتفسير الحاكمي

اسمه: «تخليص الدرر»، كذا ثبت في مقدمة المصنف، وورد في بعض المصادر تسميته: «تخليص الدرر في تفسير الآي والسور»^(١) ولم أجد هذه التهمة في التفسير نفسه، لا في المقدمة ولا في الخاتمة، ولذا لم أعتمدها، فالمعول على المشاهد المنظور، لا على السجع المذكور، والله أعلم.

سبب تأليفه: بينه المصنف في مقدمة التفسير، وأنه رغب في كتاب ملخص في التفسير يجعله مؤنس، فلما لم يجد شرع في تصنيف هذا الملخص، وجعله صالحاً للمبتدئ والمتنهي.

قال المصنف: «وقد كنت فيما سلف من عمري، وعنفوان أمري، أتمنى وقوفي على كتاب ملخص في معاني كلام الله جل ذكره لأجعله عزة لنفسي، عقيب درسي، وأتخذة مؤنساً في وحشتي، وصاحباً في وحدتي، فما وقفتُ على شيء نشبت فيه مخالب مُنيّتي، ولا رعت في روضه مطية رغبتني، فأحببتُ أن أجمع لنفسي في ذلك ما يطمئن إليه قلبي، ويتبرّد بنسيمه كبدي وخليبي، فالتقطت من درر علماء التفسير يتيّمتهم، وجلوت على عرش أوراقي بكرم الله كريمتهم، وأوردت من المعاني أزينها، ومن الأقوال أحسنها، ومن التأويل أنبذه، ومن اللفظ أوجزه، وجهدت في الإيضاح ما أطق، وبالغت في الإيجاز ما استطعت، ومعاذ الله أن أذكر مقدراً من رأيي كلمة أو حرفاً، أو أتصرف فيه إلا اكتفاء وحذفاً، وسميته: تخليص الدرر.

ليكون اسمه موافقاً لمعناه، ولقبه مطابقاً لمبناه، وهذا المجموع يصلح لكل مبتدئ ومتناهي، للمبتدئ هداية، وللمتتهي كفاية».

تاريخ الفراغ من تصنيفه: ذكره الحاكمي في آخر نسخته التي بخطه، وهو الرابع عشر من ذي الحجة سنة أربعة عشر وخمسمائة (١٤/١٢/٥١٤).



مصادر الحاكمي في تفسيره

يدلُّ عنوان هذا التفسير على أنه مستخلص من غيره، وهكذا أراد الحاكمي أن يكون تفسيره، فإنه التقط درر كتب التفسير وجمعها في تفسيره هذا، وقد صرح المصنف بمصادره، وذلك في آخر الكتاب، ومن هنا تظهر أهمية هذا الكتاب، فهو من جهة يعتمد على مصادر مفقودة في هذا العصر، ومن جهة أخرى دللنا على شيء من مناهج أصحابها.

ويمكن أن نجعل المصادر عند الحاكمي على درجتين: أصول، وتوابع.

فالأصول:

هي كتب التفسير الجامعة التي رواها وتلقاها عن الأشياخ، واعتمد عليها في التفسير ومعرفة الأقوال الواردة في الآية، وهي أربعة أصول:

الأصل الأول: «تهذيب جامع العلوم»

وهو المسمى كذلك: بـ«التفسير الكبير»، من تصنيف أبي بكر محمد بن الفضل بن محمد بن جعفر بن صالح الرواس البلخي (ت: ٤١٦هـ).

يعرف أبو بكر: بـ«المفسر الكبير»، وبـ«ميرك»، وبـ«الرواس».

وقد ترجمه السمعاني وعنه ابن الأثير والذهبي، وحاصل ما ذكروا في ترجمته: «صَنَّفَ التفسير الكبير.

وروى عن أبي الحسين أحمد بن محمد بن نافع الضرير، والحسين بن محمد بن الحسين، ومحمد بن علي بن عنبسة بن قتيبة الآجري، وأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسين الجباجاني، وطبقته. روى عنه علي بن محمد بن حيدرة، وغيره. توفي سنة خمس عشرة أو ستة عشرة وأربعمائة»^(١).

قلت: ومن الرواة عنه نوح بن نصر الفرغاني، حيث روى ابن عساكر من طريقه عنه حديثاً مسلسلاً^(٢).

لكن في تحديد سنة وفاته اختلاف، فقد شك السمعاني في أي سنة توفي، وفي كتاب فضائل بلخ أنه توفي سنة ٤١٣هـ، قطعاً بلا شك، وهو الصحيح^(٣).

وقد عده الحافظ عبد القادر وابن قطلوبغا من علماء الحنفية، وقالوا: «له كتاب

(١) الأنساب ١٧٨/٦، لباب الأنساب ٣٩/٢، تاريخ الإسلام ٢٧٤/٩. وانظر: طبقات المفسرين للسيوطي ١١٢، وطبقات المفسرين للدودي ٢٢٤/٢. وقد خلطا بين الرواس المفسر وآخر.

(٢) تاريخ دمشق ٨٦/١٨.

(٣) فضائل بلخ ص ٣٢٣، تأليف صفى الملة والدين عبد الله بن عمر البلخي، مطبوع باللغة الفارسية.

الاعتقاد صنفه لمحمود بن سبكتكين^(١)، وقد طبع هذا الكتاب، وهو مشهور باسم: «كتاب الخصال في عقائد أهل السنة»^(٢).

وأقدم التراجم التي وقفت عليها للرواس هي ترجمة صفى الدين البلخي في كتاب فضائل بلخ وهو كتاب باللغة الفارسية، وقد أعانني بعض الفضلاء على ترجمة النص الفارسي إلى العربية، وفيه ما ترجمته:

«الشيخ الرابع والخمسون هو:

محمد بن فضل بن أحمد بن محمد بن جعفر بن صالح - رحمهم الله -، من أكبر علماء بلخ وأقدمهم، وأعلمهم في ذلك الزمان، وخاصة في علم التفسير، وأشجعهم.

كنيته وتعريفه: أبو بكر بن أميرك الرواس البلخي رحمه الله، توفي سنة أربعمائة وثلاثة عشر، ودفن بباب بختي.

تولى قضاء بلخ مدة من الزمن، وكان آية من آيات الله في التفسير والحديث وتقرير مذهب أهل السنة والجماعة.

وله في التفسير: كتاب الكبير المبسوط، المروج: بجامع العلوم، ورتبه في أحسن ترتيب وزينه في أزين تزيين، ومن أول السورة عشرة آيات الأولى ذكر فيها الأصول وإعراب اللغة، ثم شرح سبب النزول، وبعدها بيّن تفسير المعاني، وشرح الإشارات والرموز، وبسط الكلام في قراءات وفوائد العشر آيات، ثم مشى على هذا النمط إلى آخره.

وأكثر مصنفاته وكتبه وجيزة، وصنف في الحديث كتاب: كرامة المؤمن وغيره،

(١) الجوهر المضية ٢/ ١١١، تاج التراجم ٢٧١.

(٢) كشف الظنون ٢/ ١٣٩٣.

وصنّف في تقرير مذهب أهل السنة والجماعة كتاباً سماه: كتاب الديانة، وكان ذلك على طلب من سلطان محمود غازي.

مصنفاته كثيرة، وكلها في غاية الجودة، وهذه بعض من تلك المصنفات، وعليه كل الاعتماد...

ودفن أخوه عبدالله بن الفضل بن أحمد المقرئ أيضاً بباب بختي^(١).

وهذه الترجمة نفيسة جداً فقد كشفت لنا عن منهجه في التفسير، فقد كان اعتماد المصنف عليه كبيراً جداً، وحسبك أن وصفه المصنف: بالركن الوثيق، والمعتمد عليه من كل وجه وطريق.

ثم ساق المصنف إسناده إلى هذا الكتاب، من طريقين:

أ- عن ناصح الدين الفرواني، عن محمد بن علي البروقاني، عن المصنف.

ب- عن القاضي الإمام سعد الخالدي عن أبي القاسم منصور بن محمد التميمي البلخي عن المصنف.

ومما يضاف إلى النص السابق في الكشف عن منهج الرواس في التفسير:

أنه كتاب اشتمل على رواية أقوال السلف في التفسير، والبناء عليها، يروي بالإسناد تفسير سعيد بن جبير، وعكرمة، ومقاتل بن سليمان، ومقاتل بن حيان، والكلبي، وغيرهم، واشتمل على أوجه من النحو والإعراب، واعتنى بالمعاني ونقل في سبيل ذلك عن أصحاب المعاني، كالزجاج وغيره، واختص بكتاب أبي سهل الأنماري المفسر^(٢).

(١) فضائل بلخ، صفى الملة والدين عبد الله بن عمر البلخي ص ٣٢٣.

(٢) عرفت بأبي سهل الأنماري وبكتابه فيه ما فيه في مقدمة كتاب المباني لنظم المعاني ١/ ١٠٧.

الأصل الثاني: «الموضح في التفسير»

تأليف الإمام المقرئ المفسر أبي نصر أحمد بن محمد بن أحمد السمرقندي الحدادي الغزنوي (ت: بعد ٤٠٠).

قال ابن الجزري: «إمام بارع ناقل رحال، قرأ على أبي يحيى محمد بن سليمان الخياط، وأبي القاسم محمد بن محمد الفسطاطي، وأبي سعيد جعفر بن محمد بن السجستاني، وأبي حفص الكتاني، وأبي نصر بن زاذان، وأبي القاسم الضرير، وأبي سعيد السيرافي، وأبي القاسم عبد الله بن الحسن، وأبي عمرو الأزدي، ومحمد بن العباس الخزاز، وأبي الحسن علي بن إبراهيم العطار البلخي، وأبي بكر أحمد بن نصر بن منصور الشذائي، وأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران وعلي بن عقبة. وألف كتاب «الغنية في القراءات».

وذكر أنه قرأ عليهم في بلاد متفرقة فدل على رحلته الواسعة، قال: «وإنما أتيت بذكر هؤلاء المشايخ افتخاراً بذكرهم، وترغيباً في الدعاء لهم، وإعلاماً لمن أراد أن يقتدي، بهم فيعلم أنني ما أخذتها من وجه أو طريق واحد، لأنه روي عن غير واحد من الأئمة أن من أخذ القراءة أو الرواية من طريق واحد فلم يشم رائحتها.

قرأ عليه ابنه نصر شيخ الهذلي.

وكان شيخ القراء بسمرقند، انتهى إليه التحقيق والرواية وبقي إلى بعد الأربعمائة»^(١).

وللحدادي ثلاثة كتب:

(١) غاية النهاية ١ / ١٠٥. وله ترجمة وافية في مقدمة كتاب المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى وكتاب: الموضح في التفسير، وهما مطبوعان ومنسوبان إليه.

الأول: كتاب «الغنية في القراءات».

وهو الذي ذكره ابن الجزري، والنقل الذي أورده يدل على أنه كتاب حافل، ولم أجد ذكرًا للكتاب في كتب فهارس المخطوطات التي بحثت فيها.

الثاني: «المدخل لعلم تفسير كتاب الله».

هكذا طبع هذا الكتاب، ويظهر أن التسمية من استنباط المحقق وليس من نص المؤلف^(١).

والكتاب مشتمل على مسائل في فقه اللغة وأسرارها.

وقد صرح في أوله أنه ألفه تحفة لابنه محمد، وابنه هذا هو راوي التفسير عنه، كما أن ابنه نصر راوي القراءات عنه.

الثالث: «الموضح في التفسير».

هكذا سماه المصنف، إلا أن الحدادي ذكره في أول كتاب المدخل، وقال: لما فرغت من تصنيف كتاب الموضح لعلم القرآن.. الخ^(٢).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن النسخة المطبوعة باسم: الموضح في التفسير للحدادي هي منتخب من التفسير، مقتصر على الشواهد الشعرية، بدليل قوله في آخر النسخة: تمت الأشعار والشواهد في التفسير الموضح للحدادي^(٣).

ويظهر أن أبا الفداء إسماعيل حقي الاستانبولي (ت: ١١٢٧) كانت عنده نسخة من تفسير الحدادي، فقد أكثر النقل عنه في تفسيره: «روح البيان»، والله أعلم.

(١) المدخل ص ٥١.

(٢) المدخل ص ٤٦.

(٣) موضح التفسير ص ١٣٦.

هذا، وقد روى المصنف هذا التفسير الحافل: عن ناصح الدين، عن الشيخ الزاهد محمد بن أحمد الحدادي، عن والده المصنف.



الأصل الثالث: «كتاب التنزيل»

وهو من تأليف الإمام أبي جعفر محمد بن شحمة الهروي.

وقد رواه المصنف من طريق علي الزوزني، عن أبي جعفر محمد بن أحمد بن إسماعيل الزوزني، عن أبيه عن جده أبي جعفر المصنف.

والعنوان يدل على أنه كتاب مختص بالتنزيل، أي معرفة المكي والمدني، والغالب على هذه الكتب اعتناؤها بالعدد، وبأسماء السور، وقد اعتنى الحاكمي في تفسيره هذه بعلم المكي والمدني، فيذكر اسم السورة وتنزيلها وعدد آياتها، والظن أن معتمده على هذا الكتاب.

ولكن الكتاب ليس مقتصرًا على التنزيل، بل هو كتاب تفسير، بدليل النقول التي صرح المصنف بنسبتها إليه، بل هو كتاب تفسير جامع، فإنه يذكر الخلاف ويرجح.

ولم أجد ترجمة لمصنف هذا الكتاب، ولا ذكرًا لكتابه، ولا عرفت رجال الإسناد.

وهذا شيء من العلم الذي كان في خراسان ولم يصلنا، فكم كان فيها من مصنفات في شتى العلوم، إلا أن كثيرا منها ضاع وذهب مع الأيام، ولم نقف له على خبر، والله المستعان.



الأصل الرابع: «معاني القرآن»

لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت: ٢٠٧)، وهو كتاب مشهور، ويعد من أهم كتب المعاني وأفضلها.

وقد رواه المصنف من طريق ابن البيهقي عن أبيه - الإمام البيهقي - عن أبي سعيد بن أبي عمرو، عن الأصم، عن محمد بن الجهم، عن الفراء.

وهذا إسناد نازل بالنسبة لأهل عصره، فقد كان يمكنه أن يعلو فيه درجة، فالغالب أن يكون بين أهل زمانه وبين الأصم رجلاً، والأصم معيار الطبقات في نيسابور، وقد بينت ذلك في كتابي عن «مشيخة الحافظ أبي القاسم الحسكاني».

وشيخ البيهقي: أبو سعيد بن أبي عمرو؛ هو: محمد بن موسى بن الفضل بن شاذان، وبقية رجال الإسناد معروفون^(١).



(١) ترجمته في المنتخب من السياق لعبد الغافر الفارسي ص ٢٣، وأرخ وفاته سنة: ٤١٢.

الفروع

والمقصود منها الراويات والنسخ التفسيرية وأقوال المفسرين التي لا ترجع إلى مؤلف بعينه، أو ترجع إلى مؤلف لكن نقل عنه الحاكم بواسطة.
فأولها: تفسير الكلبي:

وقد أطلت الحديث عن تفسير الكلبي في كتاب «قانون التفسير بالمأثور» وكتاب «مشيخة أبي القاسم الحسكاني»، إذ كان لتفسير الكلبي رواج كبير في خراسان، وكانوا يعتمدون عليه، ويقتدون بأسلوبه السردى، الذي يجمع بين الآيات وتفسيرها في نسق واحد.

وقد رواه المصنف عن ابن البيهقي، عن أبيه، عن ابن محبوب الدهان، عن الحسين بن محمد بن هارون عن أحمد بن محمد بن نصر، عن يوسف بن بلال، عن محمد بن مروان عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

وهذا هو إسناد البيهقي إلى تفسير الكلبي، يخرج منه في دلائل النبوة وغيرها.
والكلبي متروك، وما يرويه عن ابن عباس لا يصح عن ابن عباس، وغالب ذلك أشياء التقطها من مقاتل والضحاك وغيرهما فنسبها لابن عباس لتروج.

ثانيها: أبو سهل الأنماري:

وهو أبو سهل محمد بن محمد بن علي بن الأشعث الأنماري الطالقاني، وهو صاحب كتاب: «فيه ما فيه».

وأبو سهل من مصادر المصنف، ومن قبله الحاكم الحسكاني في كتابه: «شواهد التنزيل»، وابن محمشاد في تفسيره، والعاصمي في كتابه: «زين الفتى في تفسير سورة هل أتى»، و«كتاب المباني لنظم المعاني»، والواحدى في «البيسط»، وشيخه الثعلبي في

«الكشف والبيان».

وقد ترجمت له وعرفت به في مقدمة تحقيق: «كتاب المباني لنظم المعاني»^(١).

وقد رواه المصنف من طريق التفسير الكبير، بأسانيده إلى الرواس عن رجب بن أحميد الفرغاني عن أبي سهل الأنماري.

ثالثها: الزجاج.

والزجاج هو: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت: ٣١١)، صاحب كتاب: «معاني القرآن وإعرابه»، وكتابه من أحسن الكتب في بابه.

ورواية المصنف بإسناده إلى التفسير الكبير، عمن روى عن الزجاج عن المصنف. وقد أكثر عنه جداً، واعتمد عليه أكثر من اعتماده على معاني القرآن للفراء.

رابعها: أقوال أهل التأويل.

كمقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان والضحاك وسعيد بن جبير، فهذه ينقلها عن التفسير الكبير.

خامسها: الإشارات.

وهذه الإشارات ينقلها من إشارات: أبي عبيد الطوسي. ولعله: صخر بن محمد الحاكم الطوسي، المتوفى سنة ٤٥١، وليست كل الإشارات عن الطوسي، بل ينقل بعض إشارات الحكيم الترمذي، وينص على نسبتها إليه فيقول: قال محمد بن علي الحكيم^(٢).

(١) المباني لنظم المعاني ١/ ١٠١.

(٢) ألف الحكيم الترمذي في الإشارات الصوفية، قال الذهبي في ترجمته (تاريخ الإسلام ٦/ ٨١٤): «وذكره أبو عبد الرحمن السلمي فقال: نفوه من ترمذ وأخرجوه منها، وشهدوا عليه بالكفر، وذلك بسبب تصنيفه كتاب ختم الولاية، وكتاب علل الشريعة، وليس فيه ما

وغالبها إشارات قريبة المأخذ، وليست بالبعيدة، وفيها بعض ما لا تحتمله الآية، ولكنه بشكل عام ليس بمكثّر من الإشارات، مع أن المفسر الكبير قد ذكر في تفسيره بعض الإشارات، كما سبق التنبيه عليه..



يوجب ذلك، ولكن لُبْعِدَ فَهْمِهِمْ عَنْهُ. كذا قال السلمي، والسلمي له كتاب: حقائق التفسير، من هذا النَّمَطِ أشياء تنافي الحق، فما أدري ما أقول، أسأل الله السلامة من تخييطات الصُّوفِيَّةِ، وأعوذ بالله من كُفُريَّاتِ صُوفِيَّةِ الفلاسفة الذين تستروا في الظاهر بالإسلام، وعملوا على هدمه في الباطن وربطوا العوام برموز الصُّوفِيَّةِ وإشاراتهم المتشابهة، وعباراتهم العذبة، وسيرهم الغريب، وأسلوبهم العجيب، وأذواقهم الحلوة التي تجر إلى الانسلاخ والفناء والمحو والجمع والوحدة، وعن ذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣]؛ يعني طريق الكتاب والسنة المحمدية، ثم قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣]، والحكيم الترمذي فحاشى الله؛ ما هو من هذا النَّمَطِ، فَإِنَّهُ إِمَامٌ فِي الْحَدِيثِ، صحيح المتابعة للآثار، حُلُو العبارة، عليه مؤاخذات قليلة كغيره من الكبار، وكلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، إِلَّا ذَاكَ الصَّادِقِ الْمَعْصُومِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

فضائل القرآن في تفسير الحاكمي

اعتمد المصنف في ذكر فضائل القرآن على الحديث الطويل في فضائل القرآن، المروي عن أبي بن كعب، وهو حديث موضوع مشهور، نبه العلماء قديماً وحديثاً على وضعه، وحذروا من روايته إلا مع بيان ضعفه.

وقد نفق هذا الحديث على كثير من المصنفين، فرووه في كتبهم، واعتمدوا عليه، غرهم أنه شامل للسور كلها سورة سورة.

وقد أطلت الحديث عليه في مقدمة تحقيق: «فضائل القرآن» للحافظ المستغفري رحمه الله^(١).

وقد رواه المصنف من طريق المفسر الكبير الرواس، قال: نا الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حامد بن متويه الشاباذي، والشيخ أبو الحسن أحمد بن حمدان بن يوسف قالوا: نا أبو شهاب المعمر العوفي، نا أبو عصمة عصام بن يوسف البلخي، عن سلام بن سليم، عن محمد بن عبد الواحد، عن علي بن زيد، عن عطاء أبي ميمونة، عن زر، عن أبي.

وهو مغلد بن عبد الواحد، لكنه تصحف في النسخة إلى: محمد بن عبد الواحد، وهذا الإسناد بعينه مذكور في المقدمة المذكورة^(٢).

ومغلد بن عبد الواحد منكر الحديث جداً^(٣)، ويظهر أنه سرقه من غيره، وليس هو الواضع الأصلي له، والله أعلم.

(١) فضائل القرآن ١ / ٥٠ ط الأولى.

(٢) فضائل القرآن ١ / ٥٤.

(٣) لسان الميزان ٨ / ١٥.

وهذا الحديث مشهور في بلاد العجم، ونسخته في الشهرة تساوي نسخة تفسير الكلبي، وهذا شيء يعجب منه، أن يعتمد على تفسير الكلبي ومجلس أبي بن كعب في فضائل القرآن، أو على أحدهما.

فممن اعتمد عليهما أو على أحدهما من خراسان وما وراءها:

ابن حبيب المفسر، والثعلبي، والواحدي، والحسكاني، وأبو سهل الأنماري، والعاصمي، وأبو الليث السمرقندي، وابن محمّشاذ الكرامي في تفسيره، والسمعاني في تفسيره، والزمخشري.

ولذا إذا قيل في بعض كتب هؤلاء، كتفسير الثعلبي وأبي الليث السمرقندي والواحدي: قال ابن عباس، ثم لم تجده في الروايات المشهورة عنه، عند الجامعين للمأثور، كابن جرير، وابن أبي حاتم، فالأصل أن يكون ذلك من رواية الكلبي، والثعلبي لا ينص على ذلك في غالب الأحيان، والسمرقندي والواحدي يذكران ذلك أكثر منه، فيقولان: من رواية أبي صالح عنه، وهذه هي رواية الكلبي، والله المستعان.

ثم إن المصنف يذكر الفضائل آخر السورة لا أولها، وقد يكون هذا هو منهج من لخص تفسيره منهم، كالمفسر الكبير والحدادي والهروي، إلا أنه ينبغي أن يعلم أن هذا المنهج قديم، فإننا نرى أبا الليث السمرقندي (ت: ٣٧٣) يذكر حديث الفضائل في آخر السورة.

ولا يخفى أن هذا منهج الزمخشري في تفسيره، فإنه يذكر الحديث في آخر السورة، وقد تكلف المخرج لذلك لما سئل عنه فقال: لأنها صفات لها والصفة تستدعي تقديم الموصوف^(١).

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٣٢.

ولو أنه اعتذر عن ذلك بأنه منهج متبع في تلك الديار لكفاه، وحسبه أن البخاري رحمه الله قدّم كتاب التفسير على كتاب فضائل القرآن في صحيحه.

وقد وقع في النفس أن الزمخشري اعتمد على المفسر الكبير أو على الحدادي، وذلك لتشابه العبارات بين كتابي الحاكمي هذا وبين الكشف في مواطن كثيرة، وقد نبهت على بعضها في تفسير سورة البقرة وآل عمران، فلعل الزمخشري كانت عنده نسخة منهما أو من أحدهما فاعتمد عليها كثيرا، وإن لم يصرح بذلك، فإنه كان يخفي مصادره، ولا يكاد يبين بها.



منهج الحاكم في التفسير

يعد هذا التفسير من كتب التفسير المتوسطة، فلا هو مطول مبسوط، ولا هو موجز مختصر، وعنوانه يدل على أنه خلّصه من المصادر التي سبق ذكرها، لكنه تلخيص عالم أديب ذواق، يفهم الأقوال جيداً، ثم يصوغها بعبارة بليغة حسنة، فهدب ورتب، وجمع وأفاد، ونثر أقوال أهل التأويل فجعلها على هيئة المتن، دون أن يستدل لهذه الأقوال، أو يسندها إلى أصحابها؛ في الغالب.

فإذا أراد أن يضيف شيئاً من تلقاء نفسه ميزه بأن يقول: «قال عبد الحميد الحاكم غفر الله ذنوبه»، وهذا دلالة على الأمانة العلمية، والإخلاص في العمل، فرحمه الله وجزاه خيراً.

وهذه أهم الملامح عن منهجه باختصار، وقد تركت التمثيل لها، لأنك واجد مثال ذلك في تضاعيف ما تقرأ من هذا التفسير:

١- يذكر المصنف في الآية قولاً واحداً إذا لم يكن فيها خلاف، فإذا كان فيها خلاف فإنه يذكر الأقوال مصدراً إياها بـ«قل»، ولا يعني قوله «قل» تضعيفاً في الغالب، بل يريد أنه قول محكي وحسب، فانتبه لذلك.

٢- لا ينسب الأقوال لأحد من أصحابها في الغالب، وهذا ما يعلل قلة ذكر أسماء السلف في تفسيره، كابن عباس وعلي وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم، لكن المذكور في التفسير هو عين أقوال هؤلاء الأعلام المفسرين، فإن لم تكن أسماؤهم مذكورة فإن أقوالهم مسطورة، فكتابه هذا متن تفسيري، كمتون الفقهاء.

وهذا منهج مطروق عند المتأخرين الجامعين للأقوال، كالماوردي في كتابه: النكت والعيون، وابن الجوزي في كتابه: زاد المسير.

ولا يعني هذا أنه لا يسمي أحدًا ولا ينسب دائمًا، بل قد يسمي بعض أصحاب الأقوال، وينسبها لأصحابها، ولكن ذلك متفاوت في كتابه.

٣- يحرص كثيرًا على التنبيه على الناسخ والمنسوخ، ولأنه كتاب مختصر فإنه لا يطيل في الاستدلال على ذلك، لكنه يكثر من ذكر دعوى النسخ، ويكرر ما يذكره المقاتلين والكلبي دائمًا من أن كل آية فيها أمر بالصفح والمغفرة منسوخة بآية القتال، التي هي آية السيف، ولذا تجده يذكر ذلك دون مناقشة، إذ كان غرضه ذكر الأقوال دون تصحيح أو تضعيف.

٤- يعتني بذكر أسباب النزول، وإن تعددت، ويصوغها دون أن ينسبها إلى أصحابها، طلبًا للاختصار، وعمدته -في كثير من الأحيان- على المقاتلين وعلى الكلبي، ولذا فإن كثيرًا من الأقوال التي يذكرها لا نجدها في أمات كتب التفسير المأثور، كالطبري وابن أبي حاتم.

٥- يختلف ذكره للقراءات بحسب نشاطه، فمرة يطيل بذكرها ولا يفوت ما في الآية من قراءات صحيحة وشاذة، ومرة يطوي ذكر القراءات، إلا أنه مهما طوى ذكر بعضها فإنه لا يفوت ذكر القراءات التي يكون فيها الخلاف مؤثرًا.

٦- الغالب عليه أنه كان يفسر على قراءة أبي عمرو البصري، إلا أنني لم أستطع ضبط الآيات على هذا الحرف، فضبطتها على رواية حفص عن عاصم، وأشارت في الهامش إلى الخلاف في رسم الكلمات، وذلك حين يكون الخلاف في صورة الكلمة، أما حين يكون الخلاف في ضبطها بالشكل فإن النسخ لا يضبط في أحيان كثيرة.

٧- إذا ذكر الاختلاف في القراءات فإنه يشير إلى توجيهها باختصار شديد، لكن من غير إخلال، وهذا من محاسن هذا الكتاب، فإن توجيهه للقراءات متن بحد ذاته، مما ينبغي على طالب القراءات حفظه.

٨- إذا ذكر في الآية قراءة متواترة وشاذة، فإنه يبدأ القراءة المتواترة بقوله: «القراءة»، والشاذة قوله: «قرئ»، فإذا لم يكن فيها إلا متواترة أو شاذة فإنه يقول: «قرئ»، وقد نبهت في الهوامش على المتواتر والشاذ.

٩- يعتني بذكر الوقف بأنواعه، ويستعمل مصطلحات القوم، مثل التام والكافي والحسن، وينبه على الممنوع، ويبين حكم الوقف المترتب على أوجه الإعراب، ولا سيما في رؤوس الآي.

وكانت طريقته في أول التفسير أن يذكر رأس الآية ويتبعها بأول الآية التي تليها ثم يبين الحكم بحسب الإعراب، وهذه طريقة بديعة، وقد نبه أولاً أن رؤوس الآي يوقف عليها، واستغنى بهذا التنبيه عن الإعادة.

لكن نشاطه يختلف من سورة لأخرى، فربما أكثر من ذكر ذلك في بعض السور، وربما مرت سورة طويلة دون أن يتطرق للوقف، فربما أن ذلك بسبب المصادر التي اعتمد عليها، أو أنه اكتفى بالتنبيه على ما سبق، والله أعلم.

١٠- يبين فقه الآية بما دلت عليه، دون تعرض لمذاهب الفقهاء، إلا في مواطن يسيرة، والمصنف حنفي المذهب.

١١- يعرف المفردة القرآنية في أول وروها على جهة الاختصار، ويذكر الاشتقاق، دون تطويل، وقد سلك مسلكاً حسناً في تعريف المفردة القرآنية، فيذكر معناها في الآية، ثم يبين أصل وضع الكلمة، فجمع بين التفسير واللغة.

وذكره للمفردات مبني على كتب التفسير التي اعتمد عليها، وعلى كتاب تهذيب اللغة للأزهري.

١٢- يميز المصنف زياداته على الأصول التي لخص منها تفسيره بقوله: «قال عبد الحميد بن عبد المجيد الحاکمي».

١٣- يتبع المصنف أقوال المعتزلة وشبههم، فيذكرها باختصار ثم يفندها، ويقرر عقيدة أهل السنة، ويبالغ في الإنكار على المعتزلة، وفي لعنهم، ويستنبط من فقه الآية ما يرد عليهم، وقد أحسن في هذا الجانب جداً.

١٤- سلك المصنف مسلك أهل التأويل، فأول كثيراً من صفات الله عز وجل، فجانب الصواب، وخالف السلف، ولا أدري هل مسلك التأويل منه أصالة أم من أصله الذي اعتمد عليه، لأنه ينقل عن أبي منصور الماتريدي المتوفى سنة ٣٣٣، في هذا الباب فقط، مع أنه لم يذكره في مصادره، ولم يتبين لي هل النقل منه مباشرة أم بواسطة بعض مصادره الأربعة.

ومما جعلني أظن أن التأويل منه وليس من مصادره أنه أحياناً ينقل تفسير بعض الصفات على غير تأويل.

فمثلاً: أول الرحمة في أول ورودها، على ما هو مشهور من مذهبهم: بإرادة الخير بالعباد، ثم في تضاعيف الآيات إذا ورد: «غفور رحيم» فإنه يفسر الرحيم: بالمتحنن والمتشفق، وهذا غير هذا.

ويذكر تفسير استوى بمعنى استولى، وهو قول أبي منصور الماتريدي^(١)، وهو تفسير المعتزلة - مع شدة إنكاره عليهم في غير هذا الموضع - ويذكر أحياناً مذهب السلف، فهو في هذا الباب ناقل لا محرر.

وهكذا غالب المفسرين، إنما يحكم عليهم بالتأويل من خلال تفاسيرهم، وقد لا يكونوا محررين في باب الاعتقاد، ولا متضلعين فيه، إنما هم نقلة بحسب المصادر التي اعتمدوا عليها، فإن المفسرين في الغالب يعتمدون على كتب من قبلهم، ومن

(١) تأويلات أهل السنة ١/ ٤١١.

هنا يدخل عليهم الدخيل، وتغشاهم الشوائب، وهذا القاضي البيضاوي لما اعتمد على الزمخشري تابعه في بعض ما ذكره.

ومن المفسرين من هو متمرس في علم العقائد، فهذا الذي يحكم على عقيدته من خلال تفسيره، كأبي منصور الماتريدي في تفسيره: «تأويلات أهل السنة»، وكأبي عبد الله الرازي في تفسيره: «مفاتيح الغيب».



التعريف بالنسخة الخطية:

لهذا التفسير نسخة وحيدة من محفوظات مكتبة: نور عثمان.

ناسخها: هو محمد بن الفقير إلى كرم الله تعالى الشيخ رمضان السعودي الشافعي. هكذا ثبت اسمه في آخر المخطوط.

تاريخ نسخها: ثامن عشر ربيع الثاني، عام ٩٤٣ (١٨ / ٤ / ٩٤٣ هـ).

الأصل المنقول منه: بين الناسخ أنه نسخ الكتاب عن نسخة بخط المؤلف.

عدد ورقات المخطوط: (٤٣١)، في كل ورقة لوحتان.

وصف المخطوط: كتب بخط واضح مفصل جميل، كتب الآيات بالحمرة، والتفسير بالمداد الأسود.

في كل لوح: (٢٥) سطرا، اطلع أحدهم على النسخة فحشى على أولها من تفسير القاضي البيضاوي.

وهذا الأصل وإن كان واضحًا إلا أنه كثير التصحيف، وأحيانًا تشكل عليه الكلمة في الأصل المنقول منه، فیرسمها على هيئتها.

وللناسخ طريقة في الكتابة لا يتبع فيها أحيانا قواعد النحو.

ويظهر أنه اشترك فيه ناسخان، الناسخ الأصلي وقد نسخ معظم الكتاب، وناسخ آخر خطه رديء جدًا، كثير التصحيف، كتب آخر المخطوط، ثم عاد الناسخ الأول فكتب الخاتمة.

وقفية المخطوط: على أول ورقة من المخطوط وقفية صورتها ما يلي:

«وقف السلطان السعيد الأعظم، وتخليد الخاقان الأكرم الأفخم، مقرر العدل والإحسان، وموضح أحمال الأمور بالرشد والعرفان، السلطان بن

السلطان، السلطان أبو المحاسن والمكارم عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان، ثبت الله أساس دولته الطاهرة، وخلد خلافته الباهرة، وأنا الداعي لدولته الحاج إبراهيم حنيف المفتش بأوقاف الحرمين المحرمين غفر له^(١).

منهج التحقيق:

١- بعد نسخ المخطوط قابلته على أصله، ملتزمًا قواعد الإملاء المشهورة، ولا أنبه على ما خالف الناسخ في هذا الباب.

٢- كتبت الآيات بالرسم العثماني على رواية حفص عن عاصم، وأنبه على الحروف التي كتبها في الأصل مخالفة لرواية حفص، حيث إن المؤلف كان يفسر على حرف أبي عمرو بن العلاء البصري.

٣- كل ما بين الحاصرتين [] من زياداتي، وهي قليلة جدا، لكنها على نوعين: إما شيء لا بد منه لتصحيح الكلام، وإما كلمة من آية سقطت على الناسخ، حيث إن المصنف اتبع في تفسيره منهج دمج التفسير مع الآيات، وربما سقطت عليه كلمة من آية أو أكثر، فأستدركه بين تينك الحاصرتين، وربما أخطأ في كتابة آية، فأصححها دون تنبيه.

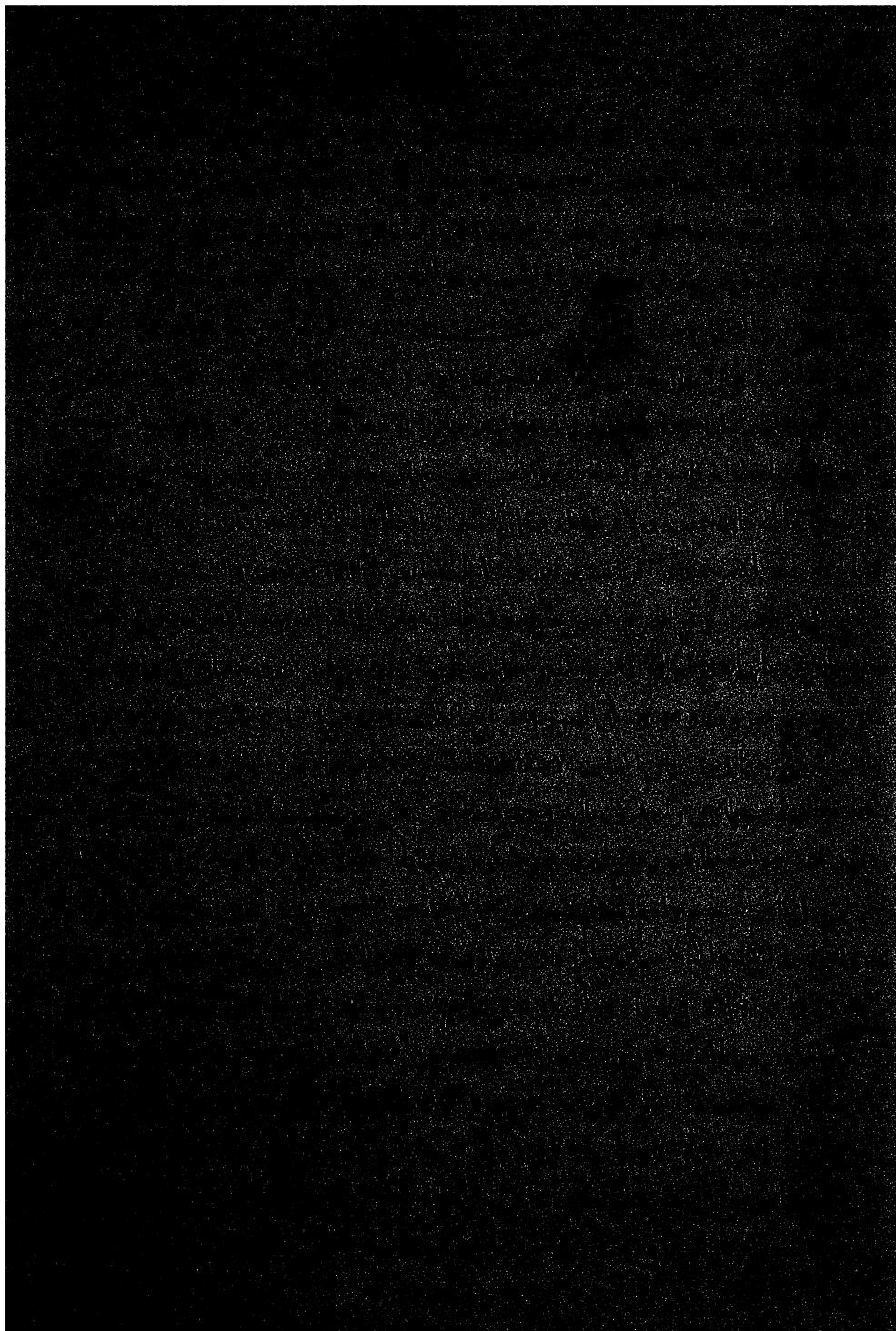
٤- اقتصر في التعليق على المهمات كي لا أطيل الكتاب، فإنه وُضع على الاختصار، فإذا علقت على كل آية خرجت عن غرض المصنف.

والتحشية التي تجدها في بعض الآيات هي للتوثيق، بمعنى أن هذا الكلام الذي ذكره المصنف مسطور نحوه في هذه المراجع.

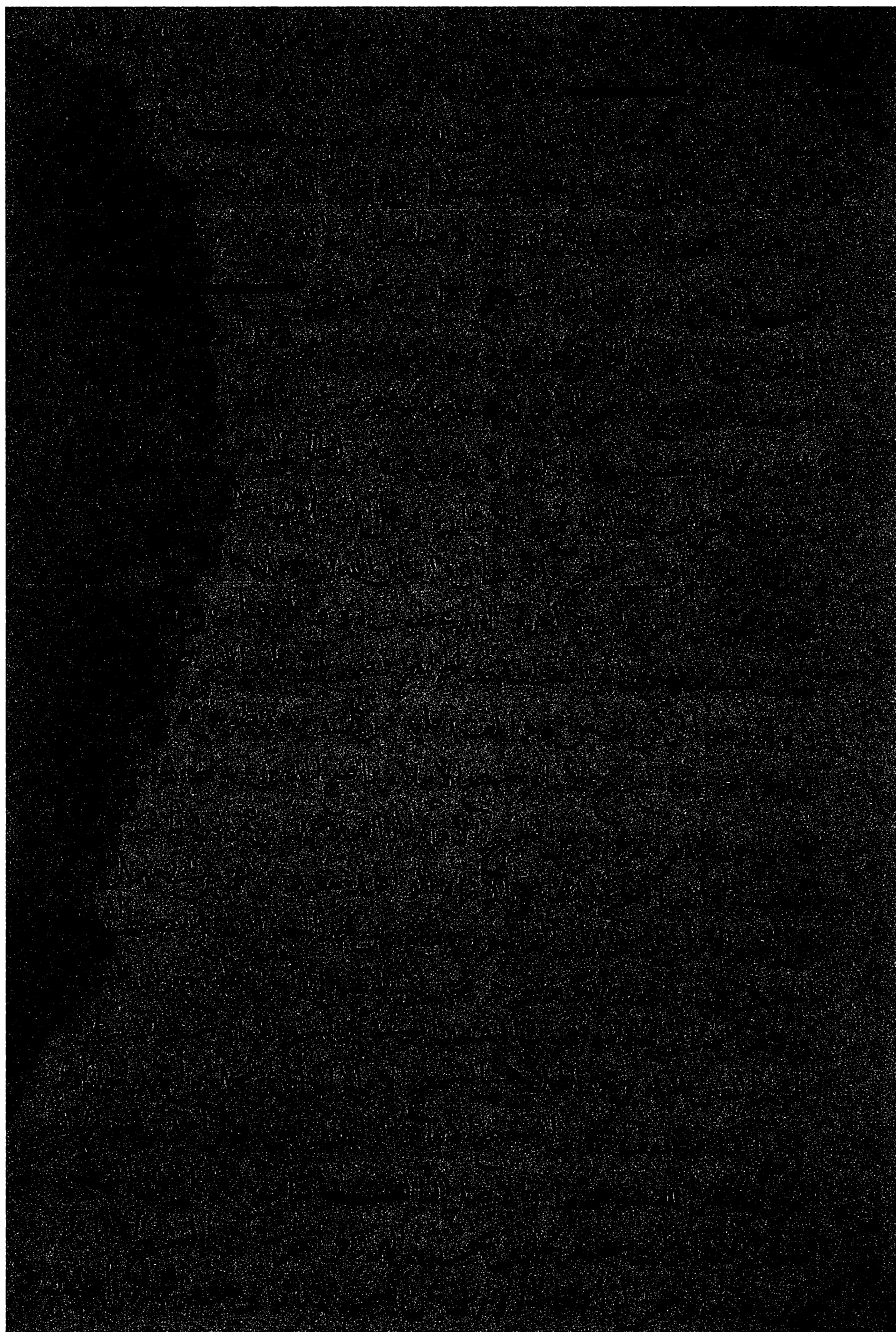
(١) توفي إبراهيم حنيف بن مصطفى الرومي سنة ١١٩٩ (الأعلام ٢٧/١)، وتوفي السلطان العثماني عثمان خان بن مصطفى خان عام ١١٧١.

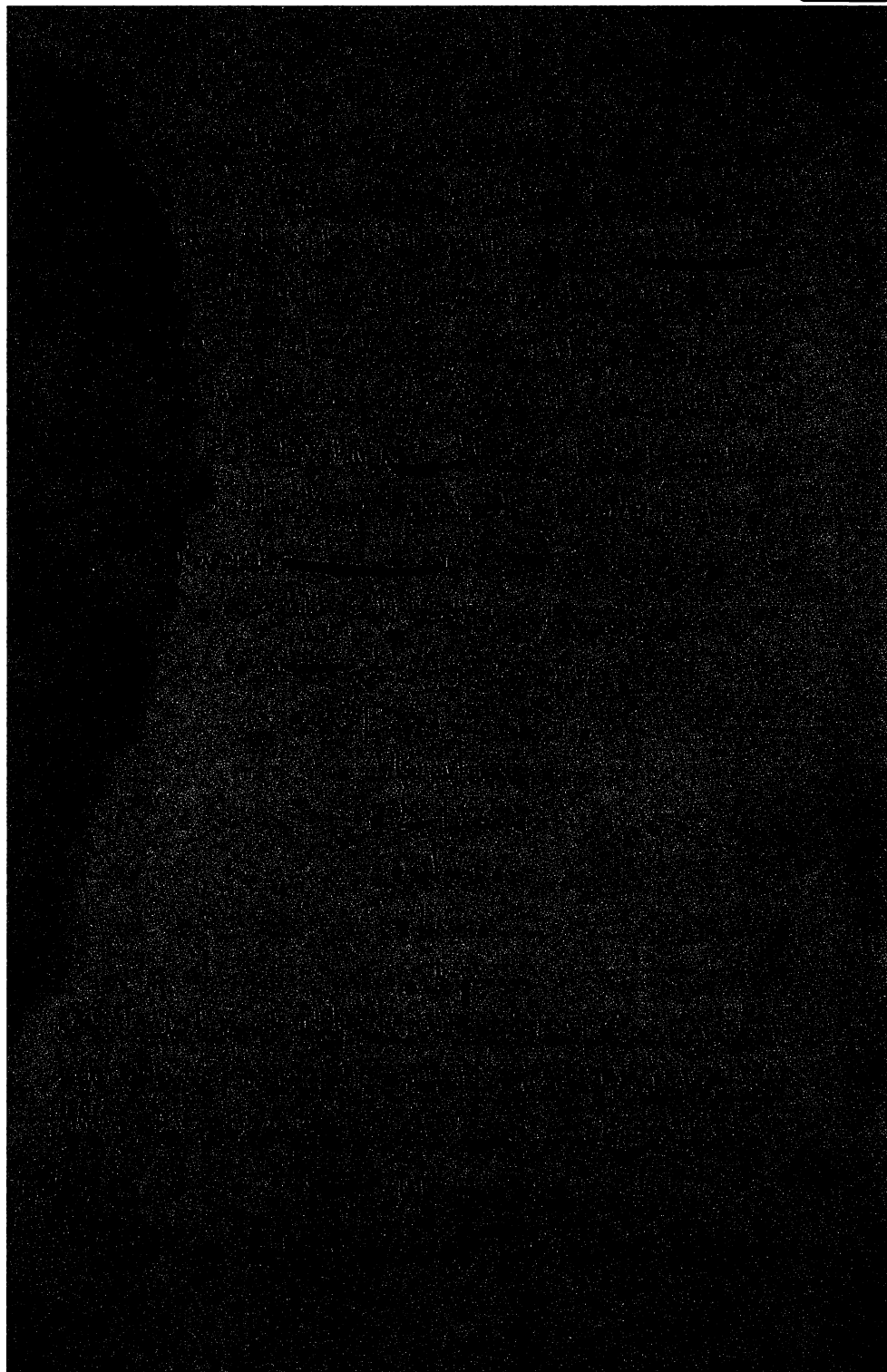
٥- اجتهدت في تصحيح النص، وحافظت على ما ثبت في النسخة الخطية، إلا مواطن تصحفت أو قلبت على النسخ، فأثبت ما أراه صوابا، وأنبه في الهامش على ما هو ثابت في الأصل.

٦- لم أطل في تخريج الروايات ولا القراءات، فالغرض من العزو التوثيق، وإلا فإن لتخريج الروايات وتوجيه القراءات موطنا آخر.
وهذه صورة من الأصل المعتمد في التحقيق:



[illegible]





تَفْسِيرُ الْجَاكِيمِيِّ

المُسَمَّى

تَخْلِصُ الدَّرَكِ

«النص المحقق»

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي .

الحمد لله مفتّح الأبواب، ومسبّب الأسباب، ومُخرِج الأنساب، من الترائب [والأصلاب] ^(١)، ذرأ الكوائن والمكان، والمعاش والأزمان، وأبرز الحجج والبرهان، وكل يوم هو في شأن، له الحمد والثناء، والمُلك والعلاء، والرفعة والثناء، والتقدير والقضاء، قادر على ما يشاء، بسط الأرض فدحاها، وأخرج ماءها ومرعاها، والجبال الشوامخ أرساها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، نور النهار، وسيرّ الأنهار، وأنزل الأمطار، وكل شيء عنده بمقدار، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، نحمد الله على السراء والضراء، ونشكره على البؤس والنعماء، ونستهديه في الظلمة والضياء، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه يرجعون، ونشهد أن لا إله غيره، وأنّ محمداً عبده ورسوله، خير الخلائق محتداً وأرومة ^(٢)، وأمثلهم طريقة وجرثومة ^(٣)، وأبينهم شريعة وحكومة، خاتم النبوة، ومعدن الفتوة، ومنبع المروّة، وناسخ الكتب المتلوّة، مبلّغ الكتاب المحكم، والخطاب المبرم، وسائق الجيش العرمرم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه عداد القطر في البحار، والرمل في القفار.

(١) في الأصل مطموسة وأثبتها تخميناً.

(٢) المحتد الأصل، وكذا المحفد والمحفد والمحكد كلها بالكسر (تاج العروس ٨/ ٥)، وكان في الأصل: محتذاً، بالذال المعجمة، وهو تصحيف، والأرومة: بالفتح في الهمزة وضمها:

الأصل، والجمع أروم (تاج العروس ٣١/ ٢٠٧).

(٣) الجرثومة بالضم أصل الشيء ومجتمعه (تاج العروس ٣١/ ٣٩٥).

يقول عبد الحميد بن عبد المجيد الحاكمي تجاوز الله عن سيئاته:

أما بعد: فَإِنَّ معرفة كلام الله تعالى أولى وأهم، والنفع بذخائرها أعلا وأعم، وقد تقاصرت هممنا عن ضبط ما طال من تأويل المتأولين، وضاق وسعنا عن الاقتفاء على أثر المتقدمين، لأنهم السابقون الأولون، طابت أكلتهم عن الريبة، وصفت ألسنتهم عن الغيبة، نشروا البدائع وضمهم اللحد الخراب، وأظهروا الجواهر وقد أخفاهم التراب، فنحن أبناء الزمان، وعرضة الحدثان، بنيل الحطام العاجل جلُّ سرورنا، ونبذنا أمور الدين وراء ظهورنا، فلا نتفرغ إلى العلم إلا فلة، ولا نقتبس كنوز الكتب إلا بغتة، وميلنا إلى القصار، والاختصار، ولا أرمي بهذا نفسي، ولا يعرض لقمتي مثل ضرسي، ولا يحك ظهري مثل ظفري، وكل امرئ بسلخته أعرف.

وقد كنتُ فيما سلف من عمري، وعنفوان أمري، أتمنى وقوفي على كتاب ملخص في معاني كلام الله جل ذكره؛ لأجعله عزة^(١) لنفسي، عقيب درسي، وأتخذة مؤنسًا في وحشتي، وصاحبًا في وحدتي، فما وقفت على شيء نشبت فيه مخالِب مُنيّتي، ولا رعت في روضه مطية رغبتني، فأحببتُ أن أجمع لنفسي في ذلك ما يطمئن إليه قلبي، ويتبرّد بنسيمه كبدي وخِلي^(٢)، فالتقطتُ من درر علماء التفسير يتيّمتهم، وجلوت على عرش أوراقي بكرم الله كريمتهم، وأوردتُ من المعاني أزينها، ومن الأقوال أحسنها، ومن التأويل أنبذه، ومن اللفظ أوجزه، وجهدت في الإيضاح ما أطق، وبالغت في الإيجاز ما استطعت، ومعاذ الله أن أذكر مقدّرًا من رأيي كلمة أو حرفًا، أو أتصرف فيه إلا اكتفاء وحذفًا.

(١) كذا في الأصل.

(٢) الخِلب - بالكسر -: حجاب القلب (تهذيب اللغة ٧/ ١٧٩).

وسميته: «تخليص الدرر».

ليكون اسمه موافقاً لمعناه، ولقبه مطابقاً لمبناه، وهذا المجموع يصلح لكل مبتدئ ومتناهي، للمبتدئ هداية، وللمتتهي كفاية، وإلى الله أرغب في تتميم ما قصدته، وأستهديه الصواب فيما شرعته، إنه الحكيم التواب، الهادي طرق الصواب.



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الكلام في إعرابه الذي لا بد منه على الإيجاز:

كسرت الباء لأنها حرف واحد، والحرف الواحد لا إعراب له، والإعراب للكلمة، والكلمة أقلها حرفان، فبقيت الباء ساكنة [ل]تعذر الابتداء بها، فكان الوجه في حركتها النصب، لأنَّ النصب أخف الحركات، كواو العطف وألف الاستفهام، ولكن كسرت فرقاً بينها وبين ما هو اسم الحرف، كما يقال: كاف حسنة، ولا م طويلة، فكان اسم الباء مضافاً إلى الاسم، فلهذا كسروها، فها هنا أضمر فيه الأمر، معناه: اقرأ بسم الله، وقيل: ابتدئ بعون الله وتوفيقه.

والباء حرف من حروف الصلة، تكسر الاسم، وترفع الخبر، وتقضي خبراً مقدماً أو مؤخراً، ظاهراً أو مضمراً، كقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسَلَهَا﴾ وقوله: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾.

وإنما سقطت الألف من «بسم الله» غير سائر الأسماء لأنها تقع في موضع معروف، وهو أوائل السور، وفواتح الكتب، فاستغنى القارئ عن قراءتها ومعرفتها، فاستخف طرحها، ومن شأن العرب الإسقاط فيما يكثر في كلامهم، كما يقال: إيش هذا، معناه: أي شيء، فحذفوا إعراب «أي»، وإحدى يائيّه، وحذفت الهمزة من «شيء»، وكسرت الشين وكانت مفتوحة، فهذا لكثرة استعمالهم ومعرفتهم به.

ولا يكون إسقاط الألف من الاسم إلا إذا ذكرت مع الله، حتى لو قيل: باسم السميع، و[ب]اسم العليم، لا يحذف.

ولا يحذف إلا مع حرف الباء، وإن كانت تلك الصفة حرفاً واحداً، كما يقال: لاسم الله حلاوة، ولا يحذف الألف، ولو قيل: ليس اسم كاسم الله لا

يحذف الألف، فافهم الكلام في معناه^(١).

وتأويله: قيل: «باسم» الباء بهاء الله وبركته وبلاؤه، وابتداء اسمه: باري، والسين: سناء الله وسموه، وابتداء اسمه: سميع، والميم: مجد الله وملكه وميته على عباد، وابتداء اسمه: مجيد^(٢).

﴿الله﴾ الذي أله الخلق عن درك ماهيته^(٣) والإحاطة بكيفيته.

(١) معاني القرآن للفراء ٢/١، معاني القرآن للزجاج ٣/١، الكشف والبيان للثعلبي ٢/٢٧٨،

الهداية لمكي ١/٩٣، البسيط للواحدي ١/٤٣٨، الكشف ١/٣٥.

(٢) هذا تفسير الكلبي بروايته عن ابن عباس، انظر: تنوير المقباس ٢. وهو تفسير موضوع على ابن عباس.

واستخراج المعاني من الحروف على هذه الطريقة التي سماها المصنف تأويلا هي من التفسير الإشاري، ولذا فقد ذكر مثل هذا التستري في تفسيره ٢٢، والقشيري (في لطائف الإشارات ١/٤٤).

وربما استدل بعضهم على ذلك بحديث مروي، وهو حديث أبي سعيد قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن عيسى ابن مريم أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه، فقال له المعلم: اكتب: بسم، فقال له عيسى: وما بسم؟ فقال له المعلم: ما أدري، فقال عيسى: الباء بهاء الله، والسين: سناؤه، والميم: مملكته».

رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ١/١٢١، والثعلبي في الكشف والبيان ٢/٢٨٤، وهذا حديث موضوع لا أصل له عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما هذا من رواية جوير عن الضحاك من قوله، كذا رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٥).

ثم هو غلط في التفسير، قال ابن جرير (في التفسير ١/١٢٢): فأخشى أن يكون غلطا من المحدث، وأن يكون أراد [ب س م]، على سبيل ما يعلم المبتدئ من الصبيان في الكتاب حروف أبي جاد، فغلط بذلك، فوصله، فقال: بسم، لأنه لا معنى لهذا التأويل إذا تلا بسم الله الرحمن الرحيم، على ما يتلوه القارئ في كتاب الله، لاستحالة معناه على المفهوم به عند جميع العرب وأهل لسانها، إذا حمل تأويله على ذلك.

(٣) في الأصل: ما بينه، وهو تصحيف لا معنى له.

ويقال: الله ممسك الأرواح في الأجسام، والأولاد في الأرحام.

واختلفوا في كونه مشتقاً أو غير مشتق:

قيل: اشتقاقه من أَلِه الرجل يَأْلُهُ إذا فزع إلى أحد من أمر نزل به؛ فَأَلَّهه أي: أجاره وأَمَّنه، فسمِّي إِلَهًا، كما يسمي الرجل إمامًا إذا أَمَّ الناس فأتَمَّوا به^(١).

قال الخليل: أصله وله يوله، والعرب تقلب الألف واوًا، كما يقال: وشاح وشاح، ووسادة وسادة، فالخلق واله إليه، وهو المولَّه إليه، وكل من صبا إلى شيء وغلب عليه حبه قيل: وآله^(٢).

وزعم المبرد وقطرب أنه غير مشتق، أي: مفزع إليه، وهو اسم علم وضع للرب جل ذكره، إذ لو كان مشتقاً من وَلِه لجاز أن يقال لكل من وُجِد منه ذلك المعنى إِلَهًا أو الله؛ فلما لم يَجْز دَلَّ أنه تفرَّد به الباري إشارة إلى عظمته وجلاله^(٣).

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ هما من الرحمة، والرحمة من الله تعالى إرادة الخير بعباده^(٤).

(١) زاد المسير ١٦/١.

وسعيد المصنف المسألة في آخر الكتاب، في تفسير سورة الإخلاص.

(٢) الكشف والبيان ٢/٢٩٥، البسيط ١/٤٤٨.

(٣) البسيط ١/٤٤٨.

(٤) تفسير الرحمن والرحيم بإرادة الخير بالعباد من تأويل هذه الصفة، ومن صرفها عن معناها الظاهر المعروف في لسان العرب إلى بعض لوازمها، وهذا هو مسلك المتكلمين، والمصنف جرى عليه في الغالب، وأهل السنة والجماعة على إثبات هذين الاسمين الجليلين، اللذين هما على زنة: فعلان وفعل من رَحِم، فهما اسمان مشتقان من الرحمة، يدلان على اتصافه بها، من غير تشبيه ولا تكييف ولا تأويل. وسيأتي عنه إثبات صفة الرحمة من غير تأويل.

فالرحمَنُ للمبالغة في الرحمة.

قال الفراء: الرحمَنُ ما رحم الله من الجبلَة الأولين الماضين، والرحيم ما يرحم الله البواقي من الأمم الجائية^(١).

وقال قطرب: هما اسمان جُمِعَا على جهة التوكيد، كما يقال: ندمان ونديم.

وقيل: الرحمَنُ: هو العاطف على البرِّ والفاجر، بإنزال الرزق عليهم، ودفع الآفات عنهم.

والرحيم: المتحنن على المؤمنين خاصة بالمغفرة لذنوبهم، وإدخالهم الجنة^(٢)، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

والفرق بين الرحمن والرحيم -في المشهور-: أنه تعالى بالتسمية بالرحمن موصوف بعموم الرحمة جميع خلقه، وأنه بالتسمية بالرحيم موصوف بخصوص الرحمة بعض خلقه، إما في كل الأحوال، وإما في بعض الأحوال (تفسير الطبري ١/ ١٢٨-١٢٩).

(١) في الأصل: جانبه، ولا معنى لها، والظاهر أن الذي أثبتته هو الصواب، وهذا القول عن الفراء لم أجده فيما بين يدي من مصادر.

(٢) وهذه المعاني التي ذكرها ترد على ما ذكره أولاً من تأويل الرحمة بإرادة الخير، فتأمل، وسيأتي تفسيره الرحمن بالعاطف، وذلك في سورة الفاتحة، وهو خلاف تأويله الذي قدم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفاتحة

سبع آيات^(١)، مدنية^(٢).

قوله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أدخل الألف واللام لمعنيين:

أحدهما: الجنس، أي: كل الحمد لله، وغيره لا يستحق الحمد.

والثاني: الإشارة إلى الحمد الذي حمد الله تعالى نفسه ذلك الحمد له كما حمد، فأمر العباد بموافقة نفسه، وبحسن^(٣) حمد نفسه من الله تعالى لأن المراد تعريف العباد، حتى يعرفوا كيف يحمدا الرب، ولو لم يعرفهم لا يعرفوا، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كمال فصاحته أقر بالعجز عند إرادة الشاء، فقال: «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»^(٤).

ويعني قوله «الحمد لله» أي: الشكر لله بنعمه السوابغ على المؤمنين أن هداهم للإسلام.

والحمد سبب دوام النعمة، وعلامة استحقاق المزيد، والأمر فيه مضمّن، معناه: قل الحمد لله، وقد بين في آية أخرى^(٥).

(١) بلا خلاف، كما في البيان في عد أي القرآن ١٣٩.

(٢) في نزولها اختلاف، فليل مكة وقيل مدنية، انظر: الكشف والبيان ٢/ ٢٥٥، البيان في عد أي القرآن ١٣٩، زاد المسير ١/ ١٧.

(٣) كذا في الأصل، ولعل الأولى: ويحسن حمد نفسه..

(٤) كما في حديث عائشة في صحيح مسلم (٤٨٦).

(٥) مثل قوله: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [سورة النمل: ٥٩].

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خالق كل زوج دبّ على وجه الأرض ومن أهل السماء، وواحد العالمين: عالم، ولا واحد لعالم في لفظه^(١).

وقيل: إنَّ الله تعالى ثمانية عشر ألف عالم سوى الإنس والجن^(٢).

ومعنى: العالم ما يُعلم به، كالخاتم ما يختم به، والطابع ما يطبع به، ومعناه: أن كل شيء نظرت إليه أو فكرت فيه تستدل به على الصانع^(٣).

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قيل: الرحمن العاطف بجميع الخلق والرحيم بأوليائه.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قاضي يوم الحساب والجزاء، ثم عدل عن المغايبة إلى المخاطبة فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: لك نوحده ولك نطيع ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: بك نستعين على طاعتك.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: عرفنا الدين المختار المرضي عندك^(٤)، وهو دين الأنبياء والمرسلين.

وقيل: ثبتنا، وقيل: أرشدنا إلى الإسلام.

الصراط المستقيم هو القرآن، يعني: اهدنا إلى حلاله وحرامه وبيان ما فيه.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: مننت عليهم بالنبوة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ غير دين اليهود الذين غضبت عليهم فلم تحفظ قلوبهم حتى تهودوا^(٥).

(١) كالأنام والرهط والجيش ونحوها، (الكشف والبيان ٢/ ٣٨٨).

(٢) وذلك مروي في حديث موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢/ ٣٨٩. ونقل الثعلبي عن بعض المفسرين أقوالاً أخرى في مبلغ عددهم.

(٣) الكشف والبيان ٢/ ٣٩٣، البسيط للواحد ١/ ٤٨٩، تفسير القرطبي ١/ ١٢١.

(٤) في الأصل: عنك.

(٥) في الأصل: تهودا.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ٧ أي: دين الذين ضلوا عن الإسلام، وهم النصارى.

وغضب الله على اليهود مرتين: مرة حين عبدوا العجل، والثانية حين كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم.

وهذه السورة فُتِحَتْ: بالحمد وخُتِمَتْ: بالضالين، فتكون مقبلة على الهدى، مدبرة عن الضلالة.

قال عبد الحميد بن عبد المجيد: بلغنا أنَّ إبليس لعنه الله رنَّ ثلاث رنَّات، أولها: حين أهبط آدم من الجنة.

والثانية: حين ولد عيسى من عُرَّاب.

والثالثة: حين أعطى هذه الأمة فاتحة الكتاب^(١)، فرنتاه الأوليان من الفرح، والثالثة من الغم والحسد، لما علم من لطف الله تعالى بهذه الأمة.

وقوله: «آمين»: دعاء للقارئ^(٢) حين سأل ربه الإجابة فقال: اللهم اسمع واستجب.



(١) روى ابن الضريس في فضائله (١٥٦) عبد الواحد بن زياد، عن الأعمش، عن مجاهد، قال: «لما نزلت الحمد لله رب العالمين شق على إبليس مشقة عظيمة شديدة، ورن رنة شديدة، ونخر نخرة شديدة». قال مجاهد: «فمن رن أو نخر فهو ملعون» وروى نحوه (١٥٨) عن عبد العزيز بن رفيع.

وروى أبو نعيم في الحلية (٢٩٩/٣) من طريق أخرى عن مجاهد قال: «رنَّ إبليس أربعاً: حين لعن، وحين أهبط، وحين بعث النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بعث على فترة من الرسل، وحين أنزلت الحمد لله رب العالمين وأنزلت بالمدينة، وكان يقال: الرنة والنخرة من الشيطان، فلعن من رن أو نخر».

(٢) في الأصل: لقارئ.

السورة التي تذكر فيها البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلها مدنية^(١)، وهي مائتان وست وثمانون آية^(٢).

قوله عز وجل: ﴿الرَّحْمٰنُ﴾ قال ابن عباس: أنا الله أعلم.

وقيل: إن لكل كتاب سرًّا وسر القرآن حروف التهجي في فواتح السور متفرقة^(٣)، فإذا جمعت صارت اسمًا من أسماء الله تعالى، مثل: الر، وحم، ونون، فإذا جُمِعَتْ صارت اسم الرحمن.

وقيل: قَسَمَ أقسم الله به، كأنه قال: بالأول اللطيف المجيد^(٤).

﴿ذَٰلِكَ أَلْكُتَبُ﴾ يعني: هذا الكتاب، و«هذا» و«ذلك» يتعاقبان، كقوله في آية أخرى ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ﴾ أي: ذلك الكتاب هو القرآن الذي وعدتك أنزل عليك^(٥).

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٣/ ٧، زاد المسير ١/ ٢٤.

(٢) في الكوفي، وسبع في البصري، وخمس في المدنيين والمكي والشامي، البيان في عد آي القرآن ١٤٠.

(٣) كذا وقع في الأصل، ويظهر أنه سقط على الناسخ شيء، فخلط قولين في قول، ذلك لأن في الحروف المقطعة عدة أقوال، منها قول: أن لكل كتاب سر وسر القرآن حروف التهجي، ومنها -وهو قول آخر-: أن هذه الحروف تدل على أسماء لأنها حروف من أسماء فإذا جمعت صارت اسما.. انظر: تفسير الماوردي ١/ ٦٣، زاد المسير ١/ ٢٥.

وعلى القول بأنها من الأسرار فتكون من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، انظر: تفسير الطبري ١٩/ ٢٠٥، الكشف والبيان ٣/ ١٩.

(٤) وهو قول ابن عباس في رواية علي (تفسير الطبري ١/ ٢٠٧).

(٥) معاني القرآن للفراء ١٠/ ١٠.

﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾ أي: لاشك، ولا ينبغي أن يشك فيه.

وقيل: أراد به النهي، أي: لا ترتابوا فيه^(١).

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: رشدًا للخائفين، والمتقي: الذي نزع من قلبه حب

الشهوات^(٢).

وقد فسرهم الله فقال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: يُقرُّون بغيب القرآن أنه من الله، فيؤمنون بحله وحرامه ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ المكتوبة في مواقيتها بشرائطها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم من المال ﴿يُنْفِقُونَ﴾ يتصدقون على المستحقين.

ثم زاد في وصف المتقين، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: عليك، يعني: القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ سائر الكتب كالطوراة والإنجيل والزبور ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾ التي فيها جزاء الأعمال ونعيم الجنة ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يصدقون.

﴿أُولَئِكَ﴾ أهل هذه الصفة ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ أي: رشد وبرهان ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الباقون أبدًا في الجنة والثواب، والفلاح في اللغة هو البقاء والظفر والنجاة والسعادة والأمن.

ثم وصف الكافرين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: كتموا نعتك وصدفتك في التوراة، وجحدوا نبوتك ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ أي: مستو عندهم الإنذار وترك الإنذار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يظهرون نعتك وصدفتك، وأراد به إيمان الحال، لأن بعضهم آمن بعد ذلك^(٣).

(١) ذكره أبو الليث في تفسيره ٢٢ / ١. وبهذا يجاب عن الإيراد الذي أورده بعضهم بأنه قد شك فيه أمم.

(٢) كلام أهل التأويل الذي رواه ابن جرير دائر على أن المتقي من تجنب الحرمات وأدَّى الفرائض (تفسير الطبري ٢٣٢ / ١).

(٣) وهذا بناء على قول الكلبي: إنها نزلت في رؤساء اليهود (تفسير أبي الليث ٢٤ / ١).

و«سواء»: مصدر أقيم مقام الفاعل.

والإنذار ضد البشارة، وهو مقدمة الوعيد^(١).

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بنياتهم الخبيثة، غطَّى عليها وطبع كي لا تعي الحكمة، والعبد إذا عصى ربه ركب على قلبه ظلمه كهيئة الدخان، كلما زاد معصية زيد في قلبه الظلمة، حتى يصير كأنه في غطاء^(٢).

﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةٌ﴾ أي: غطاء، فصاروا كمن لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر، ذكر السمع بلفظ الوجدان وأراد به الجمع، كقوله: ﴿وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾.

المعنى: لَمَّا لم ينظروا في آيات الله وخلقه وفي أنفسهم جازاهم بذلك، وقال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٧) أي: وافر شديد.

(١) معاني القرآن للزجاج ١/ ٧٧.

(٢) ودليله حديث ربي، عن حذيفة، قال: كنا عند عمر، فقال: أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل، قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سمع النبي صلى الله عليه وسلم يذكر التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم، فقلت: أنا، قال: أنت لله أبوك.

قال حذيفة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأى قلب أشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضربه فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز، مُجَحَّخًا لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه» الحديث.

قال أبو خالد: فقلت لسعد: يا أبا مالك، ما أسود مرباد؟ قال: «شدة البياض في سواد»، قال: قلت: فما الكوز مُجَحَّخًا؟ قال: «منكوسًا»، رواه مسلم ١٤٤.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ وَحَدَّ فَعَلَ الْجَمْعُ لِأَنَّهُ ذَكَرَ بِكَلِمَةِ «مِنْ»، وَأَنَّهَا تَصْلَحُ لِلتَّشْبِيهِ وَالْجَمْعِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَرُ إِلَيْكَ﴾ ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾^(١).

وَالْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ إِلَى ثَلَاثَةِ عَشَرَ آيَةً، الْمَعْنَى: مِنَ النَّاسِ نَاسٌ يَقُولُونَ صَدَقْنَا الرَّسُولَ بِقُلُوبِنَا بِمَا تَلَا عَلَيْنَا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ^(٢).

﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أَي: الْبَعْثُ، وَهُوَ آخِرُ أَيَّامِ الدُّنْيَا ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) أَي: لَيْسُوا بِمُصَدِّقِينَ.

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَكْذِبُونَ اللَّهَ^(٤).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قِيلَ: لَيْسَ أَحَدٌ يَقْصِدُ مَخَادَعَةَ اللَّهِ، وَلَكِنْ لَمَّا قَصَدُوا الْمَخَادَعَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ - وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ - أَضَافَ اللَّهُ الْمَخَادَعَةَ إِلَى نَفْسِهِ لِعَظَمِ قَدْرِهِمْ عِنْدَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنْ تَصُرُّوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ﴾ أَي: تَنْصُرُوا دِينَ اللَّهِ بِنَصْرَةِ أَوْلِيَائِهِ يَنْصُرْكُمْ، وَقَالَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾^(٥).

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٥) لِأَنَّ وَبَالَ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(٦) أَي: لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ مَطَّلَعٌ عَلَى سِرِّهِمْ.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أَي: شَكٌّ وَنِفَاقٌ، سَمَّى النِّفَاقَ مَرَضًا لِأَنَّ الْمَرِيضَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ، وَالْمُنَافِقُ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِسْلَامِ ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ عَلَى وَجْهِ الدَّعَاءِ.

(١) البسيط ١٢٧/٢.

(٢) تفسير الطبري ٢٦٩/١، تفسير أبي الليث ٢٦/١.

(٣) وذلك في تفسير الكلبي عنه، كما في تنوير المقباس ٤، تفسير أبي الليث ٢٦/١.

(٤) انظر: البسيط ١٣٤/٢.

(٥) في الأصل: «يُخَادِعُونَ»، وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو (النشر ٢٠٧/٢).

وقيل: على وجه الجزاء لأنه ذكر بالفاء^(١).

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مؤلم موجه ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^(٢) أي: بتكذيبهم الرسول والقرآن.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بتعويق الناس عن دين محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(٣) أي: هو مداراة منا، نأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، آمنا بالرسول ونحن على دين اليهود، ولا دين إلا دين اليهودية، فكذبهم الله تعالى فقال:

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ غير المصلحين ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤) أنهم كذلك، أو لا يشعرون أن الله تعالى يطلع رسوله على ذلك. «ألا»: كلمة تنبيه معناه اعلم^(٥).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ يعني: قيل لليهود تابعوا الرسول وصدقوا بنبوته كإيمان عبد الله بن سلام ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ استفهام بمعنى الجحد، أي: لا نقر به كفعل الجهال منا؛ عبد الله وغيره.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ اعلم أنهم السفهاء الأغبياء، والسفه: خفة الحلم. ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٦) أنهم كذلك وما يحل بهم في الآخرة.

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٩٧.

(٢) في الأصل: «يكذبون»، وعليها جاء التفسير، وهي قراءة من سوى الكوفيين (النشر ٢/ ٢٠٧). قال الزجاج (في معاني القرآن ١/ ٨٧): من قرأ بالتخفيف فإن كذبهم قولهم أنهم مؤمنون، وأما بالتثنية فمعناه بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) معاني القرآن للزجاج ١/ ٨٨، الكشف والبيان ٣/ ١٠٩، البسيط ٢/ ١٦٠.

«لكن»: مأخوذ من ثلاثة أحرف، «لا» للنفي، و«إن» للتحقيق، و«الكاف» للمخاطبة^(١).

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: عبد الله بن سلول وأصحابه، رأوا أبا بكر وعمر وعليًا.

﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ كإيمانكم سرًا وجهرًا ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ رؤسائهم وكهنتهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ على دينكم في السر ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ ساخرون بمحمد وأصحابه بإظهار الإيمان.

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ أي: يجازيهم جزاء استهزائهم، حين يُفتح لهم باب من الجنة في النار فإذا قصدوا إليه صُرفوا عنه^(٢).

﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ يتركهم في كفرهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون تردد الأعمى في طريقه^(٣).

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ اختاروا اليهودية على الإسلام. يقال لمن ترك شيئًا وتمسك بغيره: قد اشترى ذلك، وإن لم يكن هناك شراء.

﴿فَمَا رِيحَتِ تَجِدَرُهُمْ﴾ أي: لم يربحوا فيها، أضيف الربح إلى التجارة، كما يقال: فلان ليله نائم ونهاره صائم، أي: ينام فيه ويصوم فيه^(٤).

(١) البسيط ١٥٨/٢، وقال: «ومعناها: استدراك بإيجاب بعد نفي أو نفي بعد إيجاب»، ونوقش في بعض ذلك.

(٢) وهذا من تفسير الكلبي، كما في تفسير أبي الليث ٢٩/١. ولاين جريير كلام طويل في الرد على من قال إنه لم يكن منه تعالى استهزاء ولا مكر ولا خديعة بهم، وأن ذلك كان على وجه الجزاء، طالعه في تفسيره ٣٠٤/١.

(٣) البسيط ١٧٦/٢.

(٤) معاني القرآن للفراء ١٥/١، البسيط ١٧٦/٢.

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١٦) من الضلالة، أي: ما صابروا^(١).

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ أي: شبههم كشبه الذي كان في مفازة في ليلة مظلمة يخاف السباع، فأوقد نارًا ليأمن بها على نفسه، وهذا مثل إيمانهم برسول الله قبل خروجه والاستنصار به على أعدائهم.

﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ أي: بُعث محمدٌ بمكة وقدم المدينة ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أبطل الله منفعة إيمانهم به قبل مبعثه ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ اليهودية ﴿لَا يَبْصِرُونَ﴾ (١٧) الهدى.

وقيل: ظلمات ثلاث: ظلمة الكفر، وظلمة الشك، وظلمة الشهوات.

﴿صُمُّوا كُمُوعًا﴾ أي: صُم بأذان قلوبهم، وبكم باللسنة قلوبهم، لا يسمعون الحق ولا يعقلونه.

وقيل: يتصاممون ويتباكمون ويتعامون.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١٨) عن الضلالة.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ كلمة «أو» هاهنا للإباحة، لا للشك^(٢)، أي:

مثلهم كمثل من ابتلي بمطر في ليلة ظلماء.

﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ ثلاث، ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب، فالمطر

هو القرآن، إنَّ في المطر حياة الأرض، وفي القرآن حياة القلب.

﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ فالرعد: مثله تخويف الله تعالى إياهم، ووعيده على

كُفْرهم، والبرق: ما يتبين لهم من ظهور الإسلام وغلبة أهله^(٣).

(١) كذا في الأصل، ويظهر أنه مصحف، إذ لا معنى له، والمذكور هنا -مما يقرب من هذا

التصحيف-: مصيبين، أي ما كانوا مصيبين، كذا ذكر الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ١٣١.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ١٣، البسيط ٢/ ١٩٨.

(٣) تفسير أبي الليث ١/ ٣٢.

﴿يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ كما أَنَّ المسافر عند هذه الأفراع يجعل أصبعيه في أذنيه؛ كذلك المنافق عند نزول القرآن وتخويف الله وزجره يجعل إصبعيه في أذنيه؛ كي لا يميل قلبه إليه ﴿وَاللَّهُ يُحِيطُ بِالْكَافِرِينَ ۝١١﴾ أي: علمه وعذابه محيط بهم^(١).

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ أي: كما أَنَّ البرق في المطر يكاد يذهب بأبصار المسافرين؛ كذلك النور الذي يترأى في قلب المنافق كاد أن يخطف بصر قلبه؛ فيأخذه إلى الله عز وجل ليقبل دينه^(٢).

﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمُ الْبَرْقُ فِي سَفَرِهِمْ.

﴿مَشَوْا فِيهِ﴾ فكذلك المنافق؛ كلما سمع من القرآن أراد أن يؤمن به.

﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ أي: إذا سكت القارئ بقي المنافق متحيراً.

وقيل: أضاء لهم في الدنيا، فإذا مات بقي في ظلمة الكفر.

وقيل: إذا رأى نكبة المؤمنين مثل يوم أُحُد وغيره بقي المنافق متحيراً^(٣).

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ أي: بسمع رؤوسهم وأبصارها؛

كما ذهب بسمع قلوبهم وأبصارها.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قادر على إذهاب البصر والسمع

وغيره، حتى لا يغتروا بالمُهلة وصحة الأجسام.

(١) ونحو هذا في تفسير أبي الليث ٣٢ / ١ فقد قال: أي عالم بأعمالهم، والإحاطة هي إدراك

الشيء، والذي عليه أهل التأويل هو ما قال مجاهد: يجمعهم فيعذبهم، واختاره ابن جرير

وقال: أي: جامعهم، فمحل بهم عقوبته (تفسير الطبري ٣٥٦ / ١، تفسير السمعاني ٥٤ / ١).

(٢) وهذا النور هو حجج القرآن (البيضاوي ٢ / ٢١٢).

(٣) تفسير الطبري ٣٥٩ / ١، تفسير أبي الليث ٣٢ / ١.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: يا هؤلاء الناس وحدوا ربكم، وأطيعوا سيدكم بما أمركم ونهاكم^(١).

﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ في بطون أمهاتكم نطفًا وعلقًا ومضغًا، على اختلاف الاستكم والوانكم ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: تتقوا المعصية وتنجوا من السخط.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ مهادًا ومنامًا ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ أي: مبنيا، أقيم المصدر مقام المفعول^(٢).

(١) تفسير العبادة بالتوحيد والطاعة جادة عند المفسرين، وينقلون عن ابن عباس في كليات القرآن قوله: «كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد».

وهذا هو الموضع الأول الذي ذكر فيه ابن جرير الأمر بإفراد الربوبية والعبادة لله تعالى. فقال ابن جرير: أمر جل ثناؤه الفريقين... بالاستكانة، والخضوع له بالطاعة، وإفراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة، لأنه جل ذكره هو خالقهم وخالق من قبلهم من آبائهم وأجدادهم، وخالق أصنامهم وأوثانهم وآلهتهم، فقال لهم جل ذكره: فالذي خلقكم وخلق آباءكم وأجدادكم وسائر الخلق غيركم، وهو يقدر على ضرركم ونفعكم أولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم على نفع ولا ضرر، وكان ابن عباس -فيما روي لنا عنه- يقول في ذلك نظير ما قلنا فيه، غير أنه ذكر عنه أنه كان يقول في معنى «اعبدوا ربكم»: وحدوا ربكم، وقد دللنا -فيما مضى من كتابنا هذا- على أن معنى العبادة: الخضوع لله بالطاعة، والتذلل له بالاستكانة، والذي أراد ابن عباس -إن شاء الله- بقوله في تأويل قوله: «اعبدوا ربكم» وحدوه، أي: أفردوا الطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه.

(وانظر: تفسير أبي الليث ٣٣/١، تفسير السمعاني ٥٦/١، معالم التنزيل ٧١/١).

وقال أبو الليث: هذه الآية عامة، وقد تكون كلمة «يَأْتِيهَا النَّاسُ» خاصة لأهل مكة وقد تكون عامة لجميع الخلق، فها هنا «يَأْتِيهَا النَّاسُ» لجميع الخلق، يقول للكفار: وحدوا ربكم، ويقول للعصاة: أطيعوا ربكم، ويقول للمنافقين: أخلصوا بالتوحيد معرفة ربكم، ويقول للمطيعين: اثبتوا على طاعة ربكم، واللفظ يحتمل هذه الوجوه كلها، وهو من جوامع الكلم..

(٢) الدر المصون ١٩٢/١.

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: السحاب.

﴿مَاءٍ﴾ المطر ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ﴾ أي: بالمطر ﴿مِنَ الشَّجَرَاتِ﴾ بألوانها.

﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ طعامًا لكم ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أي: لا تصفوا لله أمثلاً من الأصنام ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه الخالق دون أصنامكم.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد، وتقولون: إنه اختلقه ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ أي: مثل القرآن^(١).

وقيل: من آدمي مثل محمد^(٢).

﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ استعينوا برؤسائكم على إتيان مثلها ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم أنه^(٣) يقول من ذات نفسه.

﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ ولم تقدرُوا على إتيان مثله في ماضي الزمان، وكنتم أعجز في مستقبل الزمان، فقد ثبت عندكم أن القرآن من عند الله تعالى؛ وجب عليكم الإيمان به.

﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ أي: احذروها وآمنوا، فإن لم تؤمنوا أدخلتم النار.

﴿الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ أي^(٤): حطبها بنو آدم وحجارة الكبريت، وإنما خص الكبريت فيه لسرعة وقوده، وبُطْءِ خموده، وتتن رائحته، وشدة حره والتصاقه بالبدن^(٥).

(١) وهو قول قتادة ومجاهد، ورجحه ابن جرير (تفسير الطبري ١ / ٣٧٤).

(٢) تفسير الطبري ١ / ٣٧٤، تفسير أبي الليث ١ / ٣٤.

(٣) في الأصل كرر أنه مرتين.

(٤) في الأصل: أن، وهو تصحيف.

(٥) وهو مروي عن ابن مسعود كما في تفسير الطبري ١ / ٣٨١.

﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٢٤) أي: هيات.

فلما خوفهم فلما يخافوا ولم يؤمنوا؛ وخاف المؤمنون؛ فبشّرهم الله تعالى فقال: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: فرّح يا محمد قلوب المؤمنين ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ تجري الأنهار من تحت أشجارها وظللها.

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾ أي: من الجنات ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا﴾ أي: أطعموا أبكاراً^(١) وعشياً ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ في أول النهار، ظنوا أن ما أتى إليهم هو الذي قد رُفع من بين أيديهم.

وقيل: الذي رزقنا في الدنيا قبل الموت^(٢).

﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ في المنظر، مختلفاً في الطعم.

وقيل: كلها جيد ليس فيها رديء^(٣).

﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ جوارٍ مهذبةٌ في الخلق والخلق، لا يحسدن ولا يغرن ولا ينظرن إلى غير أزواجهن، طهرت من كل عيب ودنس. ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٥) أحياء دائمون مع هذه الكرامات.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴿الاستحياء في هذا﴾^(٤) الترك، أي: أن الله لا يترك الحق حتى يصف له شيئاً ببعوضة^(٥).

(١) جمع صحيح لبكرة (كما في تاج العروس ٢٣٦/١٠).

(٢) وكلا القولين مرويين عن أهل التأويل (تفسير الطبري ٣٨٦/١، تفسير أبي الليث ٣٦/١).

(٣) أي يشبه بعضه بعضاً في الجودة، وليس فيه رديء (تفسير أبي الليث ٣٦/١).

(٤) في الأصل: هو، والصواب ما أثبت.

(٥) أي: أنه تعالى لا يمنعه الحياء فيترك لأجل ذلك ضرب الأمثال، والمعنى: لا يستنكف،

وقيل: لا يخشى أن يضرب مثلاً ما صغيراً كان أو كبيراً.

﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي: أكثر منها.

وقيل: ما فوقها أي: دونها، وهو اختيار الزجاج وأبي عبيدة^(١).

المعنى: كيف يستحي أن يضرب بها المثل، والخلق لو أجمعوا على أن يخلقوا بعوضة لا يقدروا عليها.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صدَّقُوا ﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أَنَّ المثل المضروب صدق من الله تعالى.
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من اليهود وغيرهم ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَا﴾ أي شيء ﴿أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا﴾ الذي ضرب ﴿مَثَلًا﴾.

وهذه الآية تفسر بمعرفة سبب نزولها، وحاصل ما رواه ابن جرير وغيره: أن الله عز وجل لما ضرب المثليين للمنافقين قالوا: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله هذه الآية (تفسير الطبري ١/ ٣٩٩).

(١) مجاز القرآن ١/ ٣٥، معاني القرآن للزجاج ١/ ١٠٤، لكنه جعل القولين مختارين.

وقال الفراء (في معاني القرآن ١/ ٢١): «فالذي «فوقها» يريد أكبر منها، وهو العنكبوت والذباب، ولو جعلت في مثله من الكلام «فما فوقها» تريد أصغر منها لجاز ذلك، ولست أستحسنه لأن البعوضة كأنها غاية في الصغر، فأحب إلي أن أجعل «فما فوقها» أكبر منها؛ ألا ترى أنك تقول: يعطى من الزكاة الخمسون فما دونها، والدرهم فما فوقه فيضيق الكلام أن تقول: فوقه فيهما، أو دونه فيهما.

وأما موضع حسنهما في الكلام فأن يقول القائل: إن فلاناً لشريف، فيقول السامع: وفوق ذاك يريد المدح. أو يقول: إنه لبخيل، فيقول الآخر: وفوق ذاك، يريد بكليهما معنى أكبر، فإذا عرفت أنت الرجل قللت: دون ذلك فكأنك تحطه عن غاية الشرف أو غاية البخل، ألا ترى أنك إذا قلت: إنه لبخيل وفوق ذاك، تريد فوق البخل، وفوق ذاك، وفوق الشرف، وإذا قلت: دون ذاك، فأنت رجل عرفته فأنزلته قليلاً عن درجته. فلا تقولن: وفوق ذاك، إلا في مدح أو ذم».

قلت: واختيار ابن جرير أن المراد فما هو أكبر منها، لأجل ما ورد عن أهل التأويل أن البعوضة أضعف خلق الله (تفسير الطبري ١/ ٤٠٥).

أجابهم الله تعالى، وقال: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ أي: يخذل به من الخلق كثيرًا ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين.

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ أي: لا يُحَرِّم من فهم هذا المثل إلا الناقضين للعهد من اليهود.

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ أمروا بأن يؤمنوا بجميع الأنبياء؛ فآمنوا ببعض وكفروا ببعض.

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ معنى صلة الأرحام التي بينهم وبين رسول الله، لأنهم من أولاد إسحق ورسول الله من أولاد إسماعيل^(١).
وقيل: أراد به صلة الإيمان.

﴿وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ هلك رأس مالهم وهو العمر.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ استفهام بمعنى التعجب، والتعجب من الله تعالى هو الإنكار لصنيعهم وهو الكفر بعد قيام الحجة عليهم^(٢).

(١) وهذا على أن الآيات نزلت في اليهود (تفسير الطبري ١/ ٤١٠، تفسير أبي الليث ٣٨/ ١) ورجح ابن جرير أن الآية نزلت في فساق الأحزاب الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ومن كان على شركه من أهل النفاق.

(٢) نص كلام الفراء (في معاني القرآن ١/ ٢٤): «على وجه التعجب والتوبيخ لا على الاستفهام المحض، أي: ويحكم كيف تكفرون، وهو كقوله: ﴿فَإِنَّ تَذَهُبُونَ﴾ [سورة التكويد: ٢٦]». واستطرد المؤلف هنا ففسر التعجب -الوارد في صفات الله- ببعض لوازمه، وهذه من الصفات التي ثبتت لله عز وجل بنص الكتاب، كما سيأتي في سورة الصفات، عند قوله تعالى ﴿بَلْ يَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [سورة الصفات: ١٢] وفُسِّر: بأنه تكبير الشيء وتعظيمه لدى المتكلم، فالمعنى: عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكا (تفسير الطبري ٢١/ ٢٣). ومعنى

﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ كنتم نطفًا فنفخ الروم فيكم.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث، فهما حياتان وموتتان ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٨) في القيامة للمحاسبة، فيجزئكم جزاء أعمالكم.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يعني: يحييكم ويجزئكم الذي خلق من أجلكم جميع الأشياء.

﴿ثُمَّ أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ﴾ الاستواء على أربعة أوجه: استقام، وقصد، واستولى، وصعد وعلا.

قال أهل التفسير: استوى أي: عمد وقصد إلى تخليق السماء^(١).

الآية هنا: عظم عندي كفركم بالله وهو الذي خلقكم، ولا شك أنه يلزم منه الإنكار، فالإنكار بعض لوازم التعجب، وليس كل ما يدل عليه.

قال ابن جرير: «قوله جل ذكره ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا﴾ [سورة البقرة: ٢٨] توبيخ مستعجب عباده، وتأنيب مسترجع خلقه من المعاصي إلى الطاعة، ومن الضلالة إلى الإنابة، ولا إنابة في القبور بعد الممات، ولا توبة فيها بعد الوفاة».

(١) هذا قول أهل اللغة لا أهل التفسير.

قال الفراء (في معاني القرآن ١/ ٢٥): «الاستواء في كلام العرب على جهتين: إحداهما أن يستوي الرجل وينتهي شبابه، أو يستوي عن اعوجاج، فهذان وجهان.

ووجه ثالث أن تقول: كان مقبلاً على فلان ثم استوى عليّ يشأمني وإليّ سواء، على معنى أقبل إليّ وعليّ فهذا، معنى قوله: «ثم استوى إلى السماء» والله أعلم.

وقال ابن عباس: ثم استوى إلى السماء: صعد، وهذا كقولك للرجل: كان قائماً فاستوى قاعداً، وكان قاعداً فاستوى قائماً، وكل في كلام العرب جائز.

وقال السمعاني (في تفسيره ١/ ٦٣): «قال ابن عباس وأكثر المفسرين من السلف: أي ارتفع وعلا إلى السماء».

والسما هاهنا السماوات لأنه قال: ﴿فَسَوَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ أي: خلقهنَّ. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ عالم بجميع ما خلق وأعمالهم. قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ إذ معناها الوقت.

المعنى: واذكروا ابتداء خلقكم حين قلنا للملائكة الذين كانوا في الأرض^(١).

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ سواكم، ورافعكم إلى السماء^(٢). ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾^(٣).

وأولى المعاني عند ابن جرير: «علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سماوات».

(١) هذا مما يتكرر في القرآن كثيراً، وفي سورة البقرة على جهة الخصوص. قال الزمخشري (في الكشاف ١/ ١٢٤): «إذ نصب بإضمار: اذكر، ويجوز أن ينتصب بقالوا». وقال البيضاوي (في التفسير ١/ ٦٧): «وَإِذْ: ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه أخرى، كما وضع إذا لزمان نسبة مستقبلية يقع فيه أخرى، ولذلك يجب إضافتهما إلى الجمل». وانظر بتوسع ما ذكره القرطبي في تفسيره (١/ ٢٦١) فإنه مفيد.

(٢) وذلك في قصة رويت عن إسكان ملائكة السماء الدنيا الأرض بعد أن هزموا الجن، وهي من قبيل الإسرائيليات المروية، انظر: تفسير أبي الليث ١/ ٤٠.

(٣) كتب فوقها: استفهام تعجب، وإنما عرفوا بإخبار من الله تعالى أو تلقى من اللوح. قاضي أهد وهو في تفسير القاضي البيضاوي ١/ ٦٨، ونصه: «تعجب من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها، أو يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية، واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاصد وألغتها، واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره.

وليس باعتراض على الله تعالى جلت قدرته، ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة، فإنهم أعلى من أن يظن بهم ذلك لقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٦] ﴿لَا يَسْفِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ وإنما عرفوا ذلك بإخبار من الله تعالى، أو تلقى

قال الزجاج: هي ألف إيجاب^(١)، وفيه استرشاد.

المعنى: إنك تخلق فيها خلقاً تعصيك ويسفكون الدماء المحترمة، فإيش الحكمة فيه؟ عرفنا وجه الحكمة؟ وقاسوا أمرهم بأمر الجن.

والسفك: يستعمل في كل دم حرام.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ نعظمك ونطهر أنفسنا لك ﴿قَالَ﴾ الله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أعلم أنه يكون من نسل هذه الخليفة من يسبح ويقدس لي.

من اللوح، أو استنباط عما ركز في عقولهم أن العصمة من خواصهم، أو قياس لأحد الثقلين على الآخر.

(١) ألف الإيجاب هي ألف الإثبات، ولكن الزجاج لم يقله في هذه الهمزة، بل في الهمزة الآتية في قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال الزجاج (معاني القرآن ١ / ١٠٩): أي أبتلي من تظنون أنه يطيع فيهديه الابتلاء، فالألف ههنا إنما هي على إيجاب الجعل في هذا القول. قلت: إيجاب الجعل الوارد أولاً في قوله: «إني جاعل» لا على قولهم «أتجعل فيها»، فإن المفسرين متفقين أن الهمزة في قولهم استعمال لا إيجاب، قال ابن جرير (في التفسير ١ / ٤٧١): «فإن قال لنا قائل: وما وجه استخبارها، والأمر على ما وصفت، من أنها قد أخبرت أن ذلك كائن؟

قيل: وجه استخبارها حينئذ يكون عن حالهم عن وقوع ذلك، وهل ذلك منهم؟ ومسألتهم ربهم أن يجعلهم الخلفاء في الأرض حتى لا يعصوه، وغير فاسد أيضاً ما رواه الضحاك عن ابن عباس، وتابعه عليه الربيع بن أنس، من أن الملائكة قالت ذلك لما كان عندها من علم سكان الأرض - قبل آدم - من الجن، فقالت لربها: أجاعل فيها أنت مثلهم من الخلق يفعلون مثل الذي كانوا يفعلون؟ على وجه الاستعلام منهم لربهم، لا على وجه الإيجاب أن ذلك كائن كذلك، فيكون ذلك منها إخباراً عما لم تطلع عليه من علم الغيب.

وغير خطأ ما قاله ابن زيد من أن يكون قيل الملائكة - ما قالت من ذلك - على وجه التعجب منها من أن يكون لله خلق يعصي خالقه.

قال يحيى بن أبي كثير: خرجت نار من الحُجُب فأحرقت منهم عشرة آلاف.

وفي الخبر: أعرض الرب عمن بقي منهم سبع سنين، حتى طافوا حول الكرسي يقولون: لبيك اللهم لبيك، اعتذاراً إليك، فمن هاهنا بدؤوا التلبية في الحج^(١).

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أي: بمعانيها، وقيل: أسماء ذريته، وقيل: أسماء كل شيء من الحيوان والعروض^(٢).

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أشخاص الأسماء، فلذلك لم يقل عرضها ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ فسألهم عنها ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ الأشخاص ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣) في مقالكم أنكم تعلمون ما يكون من هذا الخليفة، فلما قال: «أنبئوني» شغلهم بنفسه حتى تحيروا عن الجواب، ثم أمر آدم بإخبارهم، فلما عجزوا:

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾ تنزيهاً لك وبراءة لك عن السوء، لا علم لنا بالغيب ولا بمعلوماتك ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾^(٤) وليس هذا مما علمتنا.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ بخلقك ﴿الْحَكِيمُ﴾^(٥) في أمرك، الحكيم الذي يدرك الأشياء بحقائقها.

﴿قَالَ يَكَادُمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أي: بأسماء الأشخاص.

(١) هذه الأخبار من رواية محمد بن مروان السدي الصغير -المتهم بالكذب - عن جعفر بن محمد، وهي مروية في كتب الرافضة، انظر: تفسير العياشي ١/ ٢٩.

(٢) هذه الأقوال مروية في تفسير الطبري ١/ ٤٨٢، والجامع لها قول مجاهد: علمه اسم كل شيء.

(٣) في الهامش: اعتراف بالعجز، قاضي.

﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ ظهر فضله عليهم ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: سرهم ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ من الطاعة ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٣٣) أي: ما يكتُم إبليس من المعصية.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (١) ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ وكانت تلك السجدة سجدة تحية وتكرمة ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ أي: إلا الذي صار إبليس أبى عن السجود وتعظم ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٤) في علم الله. وقيل: صار من الكافرين (٢).

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ أي: اجعل الجنة مأواك ومأوى زوجك ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي: تأكلان من الجنة، واسعاً موسعاً عليكما، الرغد: الذي لا يعينيك طلبه (٣).

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ التي هي وسط الجنة بحذائكما، كما قال ابن عباس، كانت شجرة الكرم، وقيل شجرة السنبله، وقيل شجرة التين (٤).

(١) ذكر الخلاف في الملائكة المرادين بهذه الآية الواحد في البسيط ٢/ ٣٦١، والأرجح أنهم جميع الملائكة، لقوله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [سورة الحجر: ٣٠] انظر: تفسير الطبري ١/ ٥٠٨، تفسير القرطبي ٢/ ٦٣٢.

(٢) وفي هذه الآية يذكر الفسرون مسألة: هل إبليس من الجن أم من الملائكة، أم من حي من أحياء الملائكة يقال له الحن -بالحاء المهملة-، أم من قبيل منهم يسمى الجن -بالجيم المعجمة- وقد روى ابن جرير الآثار الدالة على اختلافهم في ذلك، ومال إلى أنه كان أصلاً من الملائكة (تفسير الطبري ١/ ٥٠٩).

(٣) تفسير الطبري ١/ ٥١٥، معاني القرآن للزجاج ١/ ١١٤.

(٤) وكلها أقوال مروية، تشبه أن تكون من أخبار الأبحار، انظر: تفسير الطبري ١/ ٥١٧، الهداية لمكي القيسي ١/ ٢٣٥، البسيط ٢/ ٣٨١. وقد روي في ذلك آثار عن ابن عباس وابن مسعود، وليس فيها إسناد يعتمد عليه.

وقيل: شجرة العَلم^(١)، وهي أحسن شجرة من أشجار الجنة عليها من كل لون من الأطعمة.

﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢٥) أي: إن أكلتما تصيرا من الظالمين لأنفسكما الضارين بها.

﴿فَازِلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ معناه: زلاً بإغواء الشيطان، أي: غرهما ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾^(٢٦) من رعد العيش وجوار الرب.

﴿وَقُلْنَا﴾ بوحى ﴿أَهْبِطُوا﴾ من الجنة^(٢٧) ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي: آدم وحوى وإبليس والحية، إذ دخل إبليس رأس الحية فوسوس إليهما.

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٢٨) وقرار الآدميين للعبودية، وقرار إبليس للغواية، وقرار الحية تلقى من الآدميين فتلدغ أعقابهم، ويلقون منها فيشدخون^(٢٩) رؤوسها.

﴿وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٣٠): إلى منتهى الآجال، يعني القيامة.

﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ أي: قبلها^(٣١) بفهمه، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾.

(١) كذا ضبطها في الأصل، وهذا قول الكلبي، كما في تنوير المقباس ص ٧.

(٢) هامش الأصل: أي من النعيم والجنة والكرامة. قاضي. (تفسير البيضاوي ١/ ٧٢).

(٣) هامش الأصل: أي انزلوا إلى دار بلية لا يخلدون فيها. قاضي.

(٤) في الأصل: يسدحرون، وهي مصحفة، والصواب ما أثبت، ففي تفسير القرطبي ١/ ٣١٣:

«يذكر أن الحية كانت خادم آدم عليه السلام في الجنة فخانته بأن مكنت عدو الله من نفسها

وأظهرت العداوة له هناك، فلما أهبطوا تأكدت العداوة وجعل رزقها التراب، وقيل لها: أنت

عدو بني آدم وهم أعداؤك وحيث لقيك منهم أحد شдох رأسك».

(٥) كتب فوقها: وأخذها أه وانظر تفسير القرطبي ١/ ٣٢٣.

وقيل: قوله: أسألك يا رب بحق محمد أن تغفر لي^(١).

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قَبْلَ التَّوْبَةِ مِنْهُ ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾ المجاوز عن الذنوب الرحيم بعباده.

وقوله: ﴿قُلْنَا أَهْطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ أي: من الجنة إلى السماء.

ويقال: من السماء إلى الأرض^(٢).

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ أي: متى ما يأتينكم يا ذرية آدم مني هدى: رسل وكتب ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ فمن آمن بكتبي ورسلي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلهم من العذاب.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ على ما خلفوا من أمر الدنيا.

قال محمد بن علي الحكيم^(٣): إذا رأوا أهوال القيامة وأشرفوا على تلك القناطر من النار؛ فلا خوف عليهم ولا يحزنون كحزن أهل النار. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ أي: دائمون.

﴿يَبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وهم أولاد^(٤) يعقوب، يهود المدينة^(٥).

(١) هذا قول يذكر بغير سند ولا إضافة إلى قائل، انظر: الكشف والبيان ٣/ ٢٥١، واستدل له بحديث موضوع، والقول الأول عليه الجمهور.

(٢) على أنهما هبوطان، تفسير السمعاني ١/ ٧٠، أنوار التنزيل ١/ ٧٣.

(٣) هو الحكيم الترمذي صاحب التصانيف المشهورة، توفي بعد سنة (٢٨٠)، انظر: تاريخ الإسلام ٦/ ٨١٤.

(٤) في الأصل: أولا.

(٥) أي أن المخاطبين هم يهود المدينة الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر النبي صلى الله عليه وسلم (تفسير الطبري ١/ ٥٥٤).

﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ احفظوا منّي التي مننتُ عليكم، أي: على أجدادكم فيما أنزلت عليهم^(١) من المن والسلوى، وظللتُ عليكم الغمام في التيه.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ يعني: أوفوا بما أمرتكم بطاعتي ونهيتمكم عن معصيتي في النبي صلى الله عليه وسلم؛ أوفِ بعهدكم: أرضى عنكم، وأدخلكم الجنة، وقد عاهدكم بذلك ﴿وَإِلَّيَّ فَارْهَبُونَ﴾ أي: خافوا مني.

﴿وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ على محمد ﴿مُصَدِّقًا﴾ موافقًا ﴿لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أي: بالقرآن وبمحمد عند نزول هذا الخطاب ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيَّتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: لا تستبدلوا بالكفر بمحمد وبالقرآن عرضًا يسيرًا ﴿وَإِلَّيَّ فَاتَّقُونَ﴾ ومن عذابي فاخشوا، فمن جحد محمدًا فله النار^(٢).

﴿وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ لا تخلطوا الصدق بالكذب.

وقيل: الحق ما هو المنزل من التوراة والباطل ما استبدلوه^(٣).

﴿وَتَكْتُمُوا﴾ أي: ولا تكتموا ﴿الْحَقَّ﴾ صفة النبي عليه السلام وبعثه ﴿وَأَنْتُمْ تَعَامُونَ﴾^(٤) إنه الحق.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أتموها في مواقيتها ﴿وَعَاتُوا﴾ أدّوا ﴿الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٥) صلّوا بالجماعات^(٤).

(١) في الأصل: عليه.

(٢) تفسير أبي الليث ٤٧/١.

(٣) وهما متلازمان (تفسير الطبري ٥٦٨/١).

(٤) وحمله ابن جرير على الخضوع، وفسر الركوع به، وهو أنسب، لأن الآية في سياق مخاطبة

أهل الكتاب (تفسير الطبري ٥٧٥/١).

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أَلْف استفهام، ومعناه التقرير، ومعناه: أنتم على هذه الطريقة.

ومعنى الكلام -والله أعلم-: أنهم كانوا يأمرُونَ أتباعهم بالتمسُّك بالقرآن وبالإيمان وهم يتركون التمسُّك به، فعيرهم تعالى بذلك^(١).

﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ أي: التوراة وتعرفون أنه الحق ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ثم حرَّضهم على الصوم والصلاة فقال:

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ أي: الصوم وسمَّى الصوم صبراً لأنه حبس النفس عن الطعام^(٢).

وقيل: استعينوا بالصبر على ما يذهب منكم من الرياسة بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم^(٣).

﴿وَالصَّلَاةَ﴾ أيضاً، لأنَّ الصلاة ترغَّب العبد فيما عند الله تعالى، وتزهده في الدنيا.

﴿وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: الصلاة ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ المتواضعين من المؤمنين^(٤).

ومن حمله على الصلاة، قال: صلاة اليهود لا ركوع فيها، ولذا أمرهم بالصلاة ذات الركوع، وهي صلاة المسلمين (تفسير السمعاني ١/ ٧٣).

في الأصل كتب بالحمرة: نصف حزب.

(١) ملخص من معاني القرآن للزجاج ١/ ١٢٥.

(٢) الصوم بعض معاني الصبر، كما قرر ابن جرير (في التفسير ١/ ١١)، والمراد العموم، فيدخل فيه الصوم وغيره.

(٣) من معاني القرآن للزجاج ١/ ١٢٥.

(٤) تفسير أبي الليث ١/ ٤٩.

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ﴾ أي: يوقنون. والظن هاهنا اليقين.

﴿مُلْقُوا رَبِّهِمْ﴾ أي: معانوا ثواب ربهم^(١).

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ إلى الله ﴿رَجِعُونَ﴾ فيجزئهم بأعمالهم.

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

أي: عالمي زمانهم، فضّلهم لكثرة ما أرسل إليهم من الرسل، وأنزل إليهم من الكتب، وذلك الفضل كان لأجدادهم، ولكن أضاف إليهم لأن فيما تُعطى الآباء شرف للأبناء^(٢).

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ﴾ أي: لا تغني نفس.

﴿عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ والآية في اليهود، والمؤمنون تنفعهم شفاعة الشافعين^(٣).

(١) هذا تأويل بعيد لمعنى الملاقة، إذ حمل ملاقة الله على ملاقة ثوابه، والصواب - كما قال

ابن جرير وغيره - أي: «الموقنون بلقائي والرجوع إليّ بعد مماتهم».

ولذا يقول المسلمون: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال السمعاني (في تفسيره ١/ ٧٥): أي صائرون إلى ربهم، وكل ما ورد في القرآن من اللقاء فهو بمعنى الصيرورة إليه، كذا قال المفسرون.

وقيل: هو اللقاء الموعود، وهو رؤية الله تعالى وقوله تعالى: «وأنهم إليه راجعون» أي: صائرون.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٥٠.

(٣) هذا قول الزجاج، فإنه قال: «يعني به يوم القيامة، وكانت اليهود تزعم أن آباءها الأنبياء تشفع لها عند الله فأبشسهم الله من ذلك» (معاني القرآن ١/ ١٢٨).

والمفسرون على أن المراد العموم، والمعنى: «هو أن أحدا اليوم ربما قضى عن ولده أو والده أو ذي الصداقة والقرابة دينه. وأما في الآخرة فإنه فيما أئتنا به الأخبار عنها - يسر الرجل أن يبرد له على ولده أو والده حق، وذلك أن قضاء الحقوق في القيامة من الحسنات والسيئات» تفسير الطبري ١/ ٢٨.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾ أي: من هذه النفس الكافرة ﴿شَفَعَةٌ﴾ ملكٌ ولا نبيٌّ ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي: فداء، وقيل: مثل^(١).

﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ يُمْنَعُونَ من عذاب الله.

﴿وَإِذْ فَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: أتباعه ومن كان على دينه ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يولونكم^(٢) شديد العذاب ويكلفونكم به.

وبين العذاب فقال: ﴿يُذَيِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ صغاراً ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ كباراً، أي: يتركونهن أحياء للخدمة ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿٤٩﴾ أي: فيما أنجاكم - من قتل الأبناء واستخدام النساء - نعمة من ربكم عظيمة^(٣).

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾ يقول: اذكروا نعمتي التي شققنا لكم البحر، وُضِعَ الباء مكان اللام^(٤)، تمرُّون في طريق يُّس.

﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ أهل دينه وأتباعه، وقيل: الال أصله أهله حولت الهاء همزة^(٥).

﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ بأعينكم بعد ما لفظهم البحر.

(١) وهما بمعنى، إلا أن عبارة المفسرين: العدل الفدية (تفسير الطبري ٣٥ / ٢).

(٢) تفسير أبي الليث ٥١ / ١، وفي الأصل قد كتب تحتها حاشية: يطلبونكم.

(٣) هاهنا حاشية من تفسير القاضي البيضاوي (٧٩ / ١): «وفي ذلکم بلاء محنة، إن أشير بذكلم إلى صنيعهم، ونعمة إن أشير به إلى الإنجاء، وأصله الاختبار، لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده تارة بالمنحة أطلق عليهما، ويجوز أن يشار بذكلم إلى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما».

(٤) تفسير الفرق بالشق جعله يحمل الباء على اللام، ومثله في معالم التنزيل ٩١ / ١. وكلمة المفسرين على أن الفرق هو الفصل، أي: فصلنا بكم البحر، لأنهم كانوا اثني عشر سبطا فسلك كل سبط منهم طريقا (تفسير الطبري ٥٠ / ٢، الكشف ١٣٨ / ١).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥٢ / ١.

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(١) إتيان الجبل لإعطاء التوراة، منها ثلاثون من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ﴾ إلهاً بعد ذهابه إلى الجبل.

﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٥١) صادّون بأنفسكم، كافرون بربكم.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: بعد عبادة العجل تركناكم [ولم]^(٢) نستأصلكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٥٢) لكي تشكروا الله على العفو.

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ في الآية إضمار، معناها: اذكروا إذ آتينا موسى التوراة ومحمد الفرقان^(٣) ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٥٣) بهما من الضلالة.

وقيل: الفرقان هي التوراة بعينها، ذكرها باللفظين تأكيداً كقوله ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً﴾^(٤).

والفرقان: ما يفرق بين الحق والباطل^(٥).

واذكروا^(٦): ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ بعد رجوعه من طور سيناء ﴿يَقَوْمُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ أسأتم بعبادة العجل ﴿فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾ أي: برأكم^(٧).

(١) هكذا بالأصل، وهي قراءة أبي جعفر وأبي عمرو ويعقوب، وقرأ الباقون: بالألف بعد الواو: واعدنا (النشر في القراءات العشر ٢/ ٢١٢).

(٢) ليست في الأصل، ولا بد منها لتصحيح السياق، وهي ثابتة في تفسير الكلبي.

(٣) وهو الوجه الأول عند الفراء في معاني القرآن ١/ ٣٧.

(٤) وهو الوجه الثاني عند الفراء، وهو الذي عليه أهل التأويل، انظر: تفسير الطبري ٢/ ٧١، تفسير أبي الليث ١/ ٥٢، تفسير السمعاني ١/ ٨٠.

(٥) البسيط ٢/ ٥٢٤.

(٦) فصل بين الواو وإذ بـ «اذكروا» ولا يمكن هذا في الرسم العثماني.

(٧) أي: خلقكم (تفسير الطبري ٢/ ٧٨، معاني الزجاج ١/ ١٣٥).

قالوا: وما توبتنا؟ قال موسى: ﴿فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: ليقتل الذين لم يعبدوا العجل من عبده ﴿ذَالِكُمْ﴾ القتل في رضى الله ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ من الحياة في سخطه ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ إذ لم يستأصلكم ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ الشفيق على التائبين خاصة.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ غير محتجب ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْقَةُ﴾ فأنزل الله ناراً من السماء فأحرقتهم، وقيل: الصاعقة مثل صوت الرعد ولمعان البرق^(١).

﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إليها حين نزلت من السماء.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أحييناكم ﴿مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ أي: هلاككم بالصاعقة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ﴾ في التيه.

قال ابن عباس: ليس ذلك سحب، ولكن غمام أتت فيه الملائكة يوم بدر، ولم يكن ذلك لغير بني إسرائيل^(٢).

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ المن: شيء حلوا مثل الطرنجبين^(٣).

(١) تفسير الطبري ٨٣/٢.

(٢) رواه ابن جرير (في التفسير ٩٠/٢) بإسناد منقطع، وجاء نحوه عن مجاهد.

(٣) كذا ثبت في الأصل بالطاء، وهو صحيح، ومثله ثبت في نسخ من الكشف والبيان ٣/٣١٦، وفي غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩.

ويقال فيه بالتاء: الترنجبين، كذا ذكره الفراء ٣٧/١، وابن جرير ٩٣/٢، وأبو الليث في تفسيره ١/١٥٤، والزجاج ١/١٣٨، وبعض نسخ الكشف والبيان، وزاد المسير ٦٧/١، وغيرها.

قال الواحدي (في البسيط ٥٤٦/٢): «والمن: الصحيح أنه الترنجبين، وكان كالعسل الجامس - أي الجامد - حلاوة، كان يقع على أشجارهم بالأسحار عفواً بلا علاج منهم، ولا مقاساة مشقة».

والسلوى: طير يشبه السماني^(١).

﴿كُلُوا﴾ أي: قلنا لهم كلوا ﴿مَنْ طَيَّبَتْ مَا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من غير تعب منكم، ولا ترفعوا الغد فعصوا ربهم فرفعوا فأخذهم به^(٢)، وقال: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ مِنْ ملكنا شيئاً ﴿وَلَكِنْ﴾ ظلموا به ﴿كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ حيث رفعوا الغد ففتن. ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ إيلياء، ويقال: أريحا^(٣).

أوحى الله إليهم بعد موت موسى على لسان يوشع بن نون ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعاً بغير تعب ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ أي: رُكَّعًا، وقيل: خاضعين لله متواضعين.

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي: قولوا لا إله إلا الله، وقيل: معناه حط عنا خطايانا، وقيل: قولوا مقالة هي حطة لخطاياكم^(٤).

﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ الذين لم يكونوا من أهل الخطيئة، قال: فتفرقوا فرقتين وافقوا أمر الله، فخالفوا.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: خالفوا ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا مكان كلمة حطة: «هطاً سمقائاً»، يعنون: حنطة حمراء^(٥).

(١) يضرب إلى الحمرة (تفسير أبي الليث ٥٤ / ١).

(٢) وجعلوا اللحم قديداً مخافة أن ينفد (تفسير أبي الليث ٥٥ / ١).

(٣) وهو قول الكلبي، كما ذكر ذلك السمرقندي في تفسير أبي الليث ٥٥ / ١، وافقه ابن زيد وقال: هي قرية من بيت المقدس (رواه الطبري في تفسيره ١٠٣ / ٢)، والجمهور على أن المراد بيت المقدس.

(٤) تفسير الطبري ١٠٣ / ٢، تفسير أبي الليث ٥٥ / ١.

(٥) انظر: تفسير الطبري ١١٤ / ٢، تفسير أبي الليث ٥٦ / ١، الكشف والبيان ٣٢٧ / ٣، تفسير السمعي ٨٤ / ١، معالم التنزيل ٩٩ / ١.

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: عذابًا، قيل: هو موت الفجأة أو الطاعون^(١).

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بخروجهم عن أمر الله وطاعته.

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ في التيه، إذ بقي فيه أربعين عامًا، فعطش قومه فسأل ربه الماء لقومه.

﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ أمره أن يضرب بعصاه الحجر، وكانت عصاه من آس الجنة^(٢)، وكان الحجر مربعًا مثل رأس الإنسان، فوضعه في المخللة وضربه بعصاه ﴿فَأَنفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ لكل سبط نهر ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ عرف ﴿كُلُّ أَنَاسٍ مَّشْرَبُهُمْ﴾ أي: كل سبط موضع شربه ﴿كُلُوا﴾ قيل لهم بالوحي: كلوا من المن ﴿وَأَشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ﴾ من ماء العيون.

وعينًا: نصب على التمييز^(٣).

﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ لا يعملوا في التيه بالمعاصي.

عتا يعثو، وعاث يعيث، لغتان في الفساد^(٤).

وكان ابن مسعود يقول: هطا سمقاثا ازبة هزبا، أي: حنطة حمراء مثقوبة فيها شعيرة سوداء كذا روى عنه ابن جرير في التفسير ١١٤/٢، وهو أقرب ترجمة للفظ النبوي، ففي صحيح البخاري (٣٤٠٣) عن أبي هريرة مرفوعا: «دخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة» وفي بعض الألفاظ: في شعيرة (تفسير الطبري ١١٣/٢).

(١) تفسير الطبري ١١٨/٢، تفسير أبي الليث ٥٦/١، وقيل: نزلت بهم نار فاحترقوا.

(٢) انظر: الكشف والبيان ٣/٣٢٩. وهذه الأخبار من قبيل الإسرائيليات التي تروى فلا تصدق ولا تكذب.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥٦/١.

(٤) تفسير أبي الليث ٥٧/١، البسيط ٥٧٩/٢.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسَىٰ لَنْ نَّصِيرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ يعنون به المن والسلوى،
لما دام أكلهم منهما صار كالطعام الواحد.

﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ سل الله من أجلنا ﴿يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثِثُ الْأَرْضُ مِنْ
بَقْلِهَا وَقِثَآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا﴾ من البقول والقثاء^(١) والبطيخ^(٢)، وفومها قيل:
الفوم الخبز، وقيل: هو الثوم.

﴿وَبَصَلِهَا﴾ فغضب موسى عليهم، و ﴿قَالَ اسْتَبَدُّوا الَّذِي هُوَ أَذَىٰ﴾
تختارون الذي هو أزرى وأقل قيمة ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ على الذي هو أفضل
﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾ قيل لهم بعد موت موسى وهارون ولأولادهم: اهبطوا مصرًا
من الأمصار، وقيل: مصر فرعون^(٣).

﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ بمعنى: النبات لا يكون في المفازة ويكون في
الأمصار.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ ألقي عليهم أي: على اليهود الذين عاندوا رسول
الله وكتموا نعته، الذلة: الجزية ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ الفقر، أي: فقر النفس وإن كان
موسرًا ﴿وَبَاءَ وَبِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ استوجبوا سخط الله ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك الذي
أصابهم من الذل والمسكنة إنما أصابهم ﴿يَا نَهْمُ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾
أي: بمحمد والقرآن.

(١) هاهنا كلمة مصحفة: والفثد، وهي نفسها القثاء، لكن تصحفت عليه.

والقثاء معروف، وهو الخيار أو الكبير منه. والبقل ما أنبتته الأرض من الخضر. والمراد به
أطياب البقول التي يأكلها الناس، كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهاها (الكشاف
١/١٤٥).

(٢) فسر القثاء كذلك بالفاكهة، ومنه البطيخ (تفسير أبي الليث ١/٥٧) وفيه غرابة.

(٣) القولان في تفسير الطبري ٢/١٣٦، تفسير أبي الليث ١/٥٨.

﴿وَكَانُوا يَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بْنَ بَعِثِ الْحَقِّ﴾ أي: الجرم^(١).

أضاف قتل الأنبياء إليهم لأنهم كانوا يفتخرون بذلك ورضوا به إذ سمعوا.

﴿ذَلِكَ﴾ الغضب على اليهود ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ باستحلالهم الصيد يوم السبت

وقد نهوا ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ بقتل الأنبياء، أي: يظلمون بقتل يحيى وزكريا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيَّةَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أنزلت الآية في قوم آمنوا بموسى وعيسى ولم يتهودوا

ولم ينتصروا ضلالة؛ حتى أدركوا رسول الله فآمنوا به، أثنى الله عز وجل عليهم

خيرًا، وبين ثوابهم وقال: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما

يستقبلون^(٢).

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فيما يخلفون من الأموال والأولاد.

الصائبون: صنف من النصارى المحلقة أنصاف^(٣) رؤوسهم.

وقيل: قوم يعبدون الملائكة ويصلون القبلة ويقرؤون الزبور^(٤)، وقيل:

تركوا اليهودية والنصرانية وصبوا عنهما أي: مالوا^(٥).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ أي: عهدكم المؤكد باليمين، حين خرجوا من

صلب آدم، في التوراة أيضًا ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ جبلاً من جبال فلسطين إذ

(١) في الأصل: الحرام، وهو تصحيف، وعلى الصواب ورد في تفسير أبي الليث ٥٨/١،

وكلاهما صدر عن تفسير الكلبي (تنوير المقباس ١٠).

(٢) البسيط ٦٢٠/٢.

(٣) في الأصل: أوصاف، وهو تصحيف، وهذا قول الكلبي، رواه عنه الثعلبي قال: يحلقون وسط

رؤوسهم ويجبون ذكورهم.

(٤) تفسير أبي الليث ٥٩/١.

(٥) الكشف والبيان ٣/٣٥٦. وفيهم أقوال أخرى، انظر: البسيط ٦١٨/٢.

لم تقبلوا التوراة ﴿حُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ أي: قيل لهم اعملوا بما أمرناكم في التوراة بجدٍّ فيه ﴿وَاذْكُرُوا﴾ احفظوا ﴿مَا فِيهِ﴾ من الثواب والعقاب واصلوا بالحلال والحرام ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ السخط والعذاب.

لعل من الله واجب، وهو إطماع، والله أكرم من أن يُطمع ثم يخيب.

ثم ذكر إعراضهم عن العهد فقال: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: بعد إظهار نبوة رسول الله أبيتم عن عهد الله وكفرتم بمحمد ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بتأخير العذاب ﴿لَكُنْتُمْ﴾ أي: صرتم ﴿مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بعقاب الدنيا والآخرة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ عرفتم اليهود الذين جاوزوا ما حدَّ لهم من ترك اصطياد الحيتان في السبت؛ فحبسوها في السبت وأخذوها^(١) في الأحد ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا﴾ أي: جعلناهم باعديهم.

﴿قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ مبعدين، والخسَاء^(٢) صغارٌ في بُعد.

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾ أي: عبرة، والهاء راجع إلى القرية^(٣)، والنكال أصله: نكول الحالف عن اليمين: امتناعه^(٤).

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ لمن شاهدها، ومن حولها من اليهود.

﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾ من الأمم.

(١) في الأصل: واحذروها. وهو تصحيف.

(٢) لم أجد هذا المصدر في المعاجم التي وقفت عليها، ولكن فيها: الخسَاء والخُسوء، يقال: خسأ الكلب، - كمنع - إذا طرده وأبعده، وَقَالَ اللَّيْثُ: رَجَرَهُ، خَسَأً - يَفْتَحُ فَسُكُونٌ - وَخُسُوءًا - كَقُعُودٍ - (انظر: البسيط ٦٣٨/٢، تاج العروس ٢١٠/١).

(٣) وفيها أقوال أخرى، كما في زاد المسير ٧٥/١.

(٤) أي: عبرة تنكل من اعتبر بها، أي تمنعه، الكشف ١٤٧/١.

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ لَأَمَّة محمد، بتقوى الله عز وجل.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ الآية، معناه: واذكروا إذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها، أي: اختلفتم في قتلها ومعرفة قاتلها، فسألتهم موسى أن يسأل ربه أن يبين قاتله، فقال موسى: إن الله يأمركم.

﴿أَن تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ فتضربوا بعضو من أعضائها على المقتول، وهو «عاميل»^(١) فيحيى فيخبركم بقاتله.

﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ يعنون: أفسخر بنا، لأن الهازئ جاهل لاجب، ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ ألوذ بالله وأمتنع بالله وألتجئ إلى الله ﴿أَن أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الهازئين.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ سل ربك ﴿يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ البقرة كبيرة أم صغيرة ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ أي: لا كبيرة ولا صغيرة ولكن: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ وسط ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ اذبحوا ما أمركم الله به، ولا تسألوا غيره فذهبوا ثم رجعوا.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ أي: خالكك ﴿يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾ أي شيء لونها ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ﴾ أصفر فاقع شديد الصفرة، قيل: صفراء حتى الظلف والقرن^(٢).

فذهبوا ثم رجعوا وسألوا: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ عاملة أم غير عاملة ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾ تشاكل أمرها علينا ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: واجدون الصفة، ولولا [أنهم] استثنوا لما وجدوها أبداً^(٣).

(١) هكذا سماه الكلبي (تنوير المقباس ١١، تفسير أبي الليث ١/ ٦٢).

(٢) وهو قول الحسن البصري (تفسير الطبري ١٩٩/ ٢)، وقيل: صفراء أي سوداء، ورده ابن جرير.

(٣) تفسير أبي الليث ١/ ٦٣.

﴿قَالَ﴾ نبيهم موسى ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ أي: ليست
بعاملة ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ أي: لم يسق عليها بالسواني للحرث ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾
سَلَّمَهَا الله من العيوب ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ أي: ليس فيها لون يخالف معظم لونها.
والشَّيْءُ: من الوشي كالصِّلَة من الوصل^(١).

﴿قَالُوا أَكُنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ بَيَّنَّتْ لَنَا صِفَةَ الْبَقَرَةِ الَّتِي كُنَّا نَطْلُبُ، وَالْآنَ
مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ وَالظَّرْفِ أَيْضًا^(٢).
﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ بعدما اشتروها بملءِ مَسْكهَا ذهبًا،
وَكَادُوا أَنْ لَا يَذْبَحُوهَا لَغَلَاءِ ثَمْنِهَا^(٣).

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ أي: تدافعتم واختلفتم وسألتم موسى
بيان أمرها ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ أي: مظهر ما كنتم من أمر القتل.
﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ أي: بعض أعضاء البقرة على القتل، قيل: هو
ذنبها، وقيل فخذها الأيمن، فلما ضربوه حيي وجلس فأخبر بقاتله^(٤).

﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ فِي الْآخِرَةِ كإِحْيَاءِ «عَامِلٍ» ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾
دلائل وحدانيته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ تستيقنون بالبعث.

(١) الوشي خلط لون بلون (معاني الزجاج ١/ ١٥٢).

(٢) الدر المصون ١/ ٤٣١.

(٣) وهذا مروي عن وهب بن منبه كما في تفسير أبي الليث ١/ ٦٣، قال: لم توجد تلك البقرة إلا
عند فتى من بني إسرائيل، كان باراً بوالدته وكان يصلي ثلث الليل، وينام ثلث الليل، ويجلس
ثلث الليل عند رأس أمه ويقول لها: إن لم تقدرني على القيام فسبحي الله وهلي، وكان ورث
عن أبيه بقرة، فلم يجد أهل تلك القرية على تلك الصفة إلا هذه البقرة، فاشتروها بملء
مسكها دنانير.

(٤) تفسير أبي الليث ١/ ٦٤.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ غلظت ونسيت، والقسوة في القلب: ذهاب الرحمة والركة منه ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: إحياء القتل ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ في الشدة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ثم بين منفعة الأحجار فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ كحجر موسى.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ﴾ أي: يتشقق ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ مثل العيون في الجبال ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ كالجبل الذي تجلى له ربه عند تكليم موسى فصار أرضاً دكا.

شبه قلوبهم بالحجر دون الحديد والصفير، لأن الحديد والصفير يُلَيِّنُهُما النار، وأما الحجر فلا يُلَيِّنُهُ النار^(١).

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٧٤ ﴿خرج الكلام على أبلغ الوعيد.

ثم قال: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ في الآية تعريف^(٢) للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من إيمان هؤلاء الرهط، معناه: أترجوا يا محمد أن تصدقك اليهود بعد هذا البيان ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ سبعين نفراً ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي: غيروا كلامه بعد ما فهموه

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ٧٥ ﴿ما حرفوا، وقيل: المراد بكلام الله التوراة ونعت^(٣) رسول الله وقد حرفوه.

(١) تفسير السمعاني ٩٥/١.

(٢) كذا في الأصل، ولا معنى له، ولعله: تعويق، وفي بعض كتب التفسير: في الآية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم (تفسير أبي الليث ٦٦/١) فلعله هكذا في الأصل، وصحف الناسخ. وفي معاني الزجاج ١٥٨/١: هذه الألف ألف استخبار، وتجرى في كثير من المواضع مجرى الإنكار والنهي إذا لم يكن معها نفي، كأنه أيُسهم من الطمع في إيمان هذه الفرقة من اليهود.

(٣) في الأصل: وبعث، والصواب ما أثبت.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ هم منافقوا أهل الكتاب آمنوا ثم نافقوا ﴿وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يحدثون بما عُدِّبَ آبَاؤُهُمْ ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾ أي: قال بعضهم لبعض ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ﴾ حكم الله ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وقيل: فتح الله عليكم من العلم بصفة الرسول المبشر به وقصَّ عليكم من قصته ﴿لِيَحْجُوكُم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ في القيامة أنه نبي ولا تتابعوه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ أن هذه حجة عليكم ^(١).

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ هؤلاء ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ فيما بينهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ من بعث رسوله. ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ أي: جُهَّال ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ قراءة التوراة ﴿إِلَّا آَمَانِي﴾ يعني: الكذب، وهو الذي أخبرهم به رؤسائهم، فيقبلونه على ظن أن ذلك حق، وهو كذب.

وقيل: الأمانى التلاوة، وقيل: أباطيل بلغة قريش ^(٢).

والأمي: الذي يكون على أصل الولادة منسوب إلى أمه ^(٣).

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ﴿٧٨﴾ وما السفلة إلا ظانين فيما يخبرهم الرؤساء ويقولون ^(٤).

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ الويل: كلمة تُسْتَعْمَلُ لمن وقع في هلكة ^(٥)، يعني: هلك من كتب بيده غير نعت النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ثُمَّ

(١) نحوه في تفسير أبي الليث ٦٦/١.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢/٢٥٩، تفسير أبي الليث ٦٧/١.

(٣) نحوه في تفسير الطبري ٢/٢٥٩، معاني القرآن للزجاج ١/١٥٩، وتفسير أبي الليث ٦٦/١.

(٤) في الأصل: وأما السلفه الاطانين فيما يخبرهم الروساء لا يقولون.

(٥) معاني القرآن للزجاج ١/١٦٠.

﴿يَقُولُونَ﴾ للسفهاء ﴿هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ليصيبوا بكتمانه عرضاً يسيراً ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ غير نعته ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ على تكذيب رسول الله، وهو ثلاث ويلات عليهم من الله عز وجل. وقيل: الويل واد في جهنم يهوي الكافر فيها أربعين خريفاً [قبل أن] يبلغ قعره^(١).

﴿وَقَالُوا﴾ اليهود ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ وهي: أربعون يوماً عدد ما عبد آباؤنا العجل، وقد قالوا سبعة أيام، ويقال: الدنيا سبعة آلاف سنة، فيعذب لكل ألف سنة يوماً^(٢).

وقال السدي: زعمت اليهود: أن الله تعالى يدخلنا النار فنمكث فيها أربعين ليلة حتى [إذا] أكلت النار ذنوبنا نادى منادٍ أن أخرجوا من النار كل مختون من ولد إسرائيل فيخرجوننا^(٣).

﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ هل عندكم بهذا خبرٌ أنه يعذبكم هذه الأيام، فإن كان كذلك ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ﴾ بل تقولون ﴿عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٧﴾.

﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ الفرق بين بلى ونعم: قال الفراء: إذا قال الرجل لصاحبه ما لك عليّ حق، فقال الآخر: نعم، كان كأنه صدّقه فقال نعم ليس لي عليك حق، ولو قال: بلى؛ فقد رد كلامه، وقال: لي عليك حق؛ فبلى جواب النفي ونعم جواب الإثبات^(٤).

(١) الزيادة من تفسير الطبري ٢/ ٢٦٩، والكشف والبيان ٣/ ٤٠٧.

(٢) تفسير الطبري ٢/ ٢٧٤، الكشف والبيان ٣/ ٤١٢.

(٣) رواه الطبري في تفسيره ٢/ ٢٧٥. والزيادة منه.

(٤) هذا معنى ما ذكره الفراء لا نصه، انظر: معاني القرآن ١/ ٥٢ وقد وقع في اختصاره إخلال، ونص كلام الفراء: «وضعت «بلى» لكل إقرار في أوله جحد، ووضعت «نعم» للاستفهام

ومعنى الآية: بلى لمن أشرك بالله ﴿وَأَخْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ مات على شركه ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون أبداً، رداً لكلامهم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أقروا بوحداية الله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فعلوا ما أمروا وانتهوا عما نهوا، ف ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ واذكروا يا بني إسرائيل حين عهدنا في التوراة على أولاد يعقوب أن: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ أي: أمرناهم ببر الوالدين والعطف عليهما ﴿وَزَى الْقُرْبَى﴾ وأمرناهم بصلة القرابة ﴿وَوَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ﴾ الذين لا شيء لهم، والذي قد أسكنه الفقر فعجز ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قولاً ذا حسن.

الذي لا جحد فيه، ف«بلى» بمنزلة «نعم» إلا أنها لا تكون إلا لما في أوله جحد، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [سورة الأعراف: ٤٤] ف«بلى» لا تصلح في هذا الموضع.

وأما الجحد فقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ [سورة الملك: ٩] ولا تصلح هاهنا «نعم» أداة، وذلك أن الاستفهام يحتاج إلى جواب بـ«نعم» و«لا» ما لم يكن فيه جحد، فإذا دخل الجحد في الاستفهام لم يستقم أن تقول فيه «نعم» فتكون كأنك مقر بالجحد وبالفعل الذي بعده، ألا ترى أنك لو قلت لقاتل قال لك: أما لك مال؟ فلو قلت «نعم» كنت مقراً بالكلمة بطرح الاستفهام وحده، كأنك قلت: نعم مالي مال، فأرادوا أن يرجعوا عن الجحد ويقروا بما بعده فاخترأوا بلى، لأن أصلها كان رجوعاً محضاً عن الجحد إذا قالوا: ما قال عبد الله بل زيد، فكانت «بل» كلمة عطف ورجوع لا يصلح الوقوف عليها، فزادوا فيها ألفاً يصلح فيها الوقوف عليه، ويكون رجوعاً عن الجحد فقط، وإقراراً بالفعل الذي بعد الجحد، فقالوا: «بلى»، فدللت على معنى الإقرار والأنعام، ودل لفظ «بل» على الرجوع عن الجحد فقط.

قيل: هو خطاب لرؤساء اليهود بإظهار نعت الرسول على سيفلتهم، وقيل: أمر بحسن القول لجميع الخلق من اليهود والمسلمين^(١).

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ وأقروا الزكاة بها ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن العهد الذي أخذ عليكم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ منكم إلا جماعة قليلة وهو عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ جاحدون هو تأكيد للأول.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ ذكر النون في تسفكون لحذف كلمة أن^(٢).

﴿وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ﴾ أي: لا تخرجوا بعضكم بعضاً من داره^(٣)، وإن يأتوكم أسارى تفادوهم تشتروهم بالفداء، وفي الآية تقديم وتأخير ﴿ثُمَّ أَقَرَّرْتُمْ﴾ بهذا كله ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تعلمون أنها كذلك في التوراة.

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ يا معشر بني قريظة والنضير ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ إخوانكم ﴿وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَارِهِمْ﴾ بمعاونة عدوهم عليهم ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ يتعاونون عليهم ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ وهو الإفراط في الظلم، والإثم: هو الجور ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى﴾ منكم أو من غيركم ﴿تُقَدِّدُوهُمْ﴾ تشترونهم.

(١) تفسير أبي الليث ٦٩/١، وحمل المعنى الأول على قراءة: حسناً، والمعنى الثاني على قراءة: حسناً.

(٢) قال الفراء (في معاني القرآن ٥٣/١): «رفعت تعبدون لأن دخول «أن» يصلح فيها، فلما حذف الناصب رفعت».

(٣) في الأصل غير محررة، وأقرب إلى: بلده، لكن غير منقوطة، وانظر: الكشف والبيان ٤٢٧/٣.

ثم قال: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ يعني: إخراجهم كان عليكم حراماً، فقد أخرجتموهم.

فقد ذكر الأمزاج مرة ثم كرّر ثم قال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ أي: تقرّون ببعض ما في التوراة وهو الفداء والعتق ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أي: تستحلّون القتل والأسر والإخراج من الديار، ثم أوعدهم فقال: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وهو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير من المدينة^(١) ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ عذاب جهنم ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٨٥) أي: لا يخفى على الله من قبيح أفعالكم.

ثم قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا﴾ اختاروا ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ الفانية على الحياة الباقية في الجنة.

﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ أي: لا يسهل عليهم العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٨٦) يمنعون مما يراد بهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أردفنا بعد موته بالرسل ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الآيات التي كانت معجزة له من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ شددناه وقوّيناه بجبريل، والروح جبريل، والقدس الرب ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾ أيها اليهود ﴿رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ﴾ لا يوافق مرادكم ﴿أَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تعظمت من أن تكونوا أتباعاً بعدما كنتم متبوعين فكفرتم ﴿فَفَرِّقَا كَذَبَتُمْ﴾ يعني: عيسى ومحمد ﴿وَفَرِّقَا نَقْتُلُونَ﴾^(٨٧) زكريا ويحيى، مستقبل بمعنى الماضي.

(١) انظر: الكشف والبيان ٣/ ٤٣٤، وفي الأصل: وإجلاء بني النضير من النضير من المدينة.

﴿وَقَالُوا﴾ أي: اليهود ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ جمع أَغْلَفٌ^(١)، أي: في أوعية عليها غطاء، فلا نفهم ما تقول.

وقيل: قالوا قلوبنا أوعية للخير ومعدن العلوم، فلا يحتاج إلى علمك يا محمد^(٢).

فأخبر الله تعالى أن الأمر بخلاف ما قالوا، فقال: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: طردهم وأبعدهم بجحدوهم محمداً ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣) يعني: المؤمن منهم قليل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ يعني: اليهود ﴿كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعني: القرآن، والكتاب في اللغة عبارة عن الجمع، وسمي الخرز كتبة لأن الخارز يجمعها، والقرآن يجمع الشرائع^(٤) ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ موافق للتوراة ﴿وَكَانُوا﴾ اليهود ﴿مِّن قَبْلُ﴾ مبعث رسول الله ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون على الأوس والخزرج برسول الله، فيقولون: بحق النبي المبعوث في آخر الزمان أن تنصرونا^(٥)

(١) كما أن حُمْرًا جمع أحمر.

(٢) فيه قراءتان: غُلْفٌ، وهي قراءة شاذة نسبت لابن محيصن، قالوا: إن المعنى على ذلك: قلوبنا أوعية للعلم.

والمتواتر: غُلْفٌ، بإسكان اللام، أي ذوات غلف، لا تعي ما تقول، وبكلا القولين قال أهل التأويل. فيتحصل من حمل المعنيين على بعضهما البعض أنهم قالوا قلوبنا أوعية لكل علم ولا تفقه ما تقول لأنك لا تأتي بعلم، فلو كنت نبياً لفقهت قولك.

(تفسير الطبري ٢/ ٣٢٥، تفسير أبي الليث ١/ ٧٢، البسيط ٣/ ١٣٣، الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٥٤).

(٣) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٧٠.

(٤) في الأصل: تنصرونا، وهو تصحيف لأنهم كانوا يستفتحون من الله على المشركين، والروايات تدل على ذلك، انظر: تفسير الطبري ٢/ ٣٣٣، الكشف والبيان ٣/ ٤٤٤.

عليهم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ [مَا عَرَفُوا]﴾ بعثه الله من العرب ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ وقد عرفوه بنعته ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ [عَلَى الْكَافِرِينَ]﴾ على الجاحدين لنعته وصفته.

﴿بِشْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: باعوا أنفسهم^(١)، أي: بس ما اختاروا لأنفسهم ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا﴾ ظلمًا وحسدًا ﴿أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ على ما ينزل الله النبوة على محمد ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ أي: احتملوا واستوجبوا ﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يهانون فيه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا﴾ صدقوا ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن ﴿قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ وهو التوراة ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ بما بعد التوراة من الإنجيل والقرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ أي: القرآن هو الحق ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فيما قلتم.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ التسع، ويقال: بالعجائب ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ إِلَهًا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ضارون بأنفسكم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يعني: العهد عليكم في التوراة على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به وتؤمنوا بالكتب والأنبياء فأبیتم ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ أي: فوق رؤوسكم الجبل حين لم تقبلوا التوراة، قلنا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجدٍّ ومواظبة منكم ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ واقبلوا ما في التوراة من الأحكام والشدائد ﴿قَالُوا﴾ لموسى ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ سمعنا قولك الذي خوفتنا، وعصينا أمرك، فلا نتبع ذلك.

(١) في الأصل: أنفسكم، وهو تصحيف.

وقيل: سمعنا قولك الآن وعصينا أمرك من قبل، ولولا الجبل لما أطعنا^(١).

﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أي: سقى قلوبهم بحب العجل وحلاوة عبادته^(٢) ﴿يَكْفُرُهُمْ﴾ أي: فعل ذلك بهم مجازاة على كفرهم ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣﴾ بئس الإيمان إيماناً يأمر العبد بالكفر^(٣).

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ صافية ﴿مِّنْ دُونِ النَّاسِ﴾ أي: المؤمنين على زعمكم ﴿فَتَمْنُوا الْمَوْتَ﴾ [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾] لَأَنَّهُمْ قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه فلا يعذبنا، والجنة خالصة لنا، فقال الله مُجِيبًا: فتمنوا الموت وقولوا: اللهم أمتنا.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فيموت» فأبوا أن يقولوا^(٤)، فنزل:

(١) وقال الحسن: سمعنا بالأذن وعصينا بالقلوب، قال أهل المعاني: إنهم لم يقولوا هذا بألستهم ولكن لما سمعوه وتلقوه بالعصيان فنسب ذلك إلى القول اتساعا (انظر: الكشف والبيان ٣/ ٤٤٨، البسيط ٣/ ١٥٩، معالم التنزيل ١/ ١٢٢).

(٢) قال الزجاج (في معاني القرآن ١/ ١٧٥): أي سقوا حب العجل، فحذف حب وأقيم العجل مقامه.

والإشراب في اللغة: خلط لون بلون، يقال: أبيض مشرب بحمرة (البسيط ٣/ ١٦٠).

(٣) البسيط ٣/ ١٦٢.

(٤) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٢٧٤، من طريق تفسير الكلبي عن أبي صالح عن أبي هريرة. تنبيه: قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٧٥) وروى البخاري في صحيحه... فذكر حديث: لو فعل لأخذته الملائكة ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا.

والحديث في الصحيح (في كتاب التفسير ٤٩٥٧) ليس فيه: ولو أن اليهود، بل هي من زيادات المستخرجات، قال ابن حجر (في فتح الباري ٨/ ٧٢٤): وزاد الإسماعيلي في آخره

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مخافة ما سلف من كفرهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ يعني: بمجازاتهم.

ثم ذكر حرصهم على البقاء في الدنيا، وقال: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ﴾ على بقاء في الدنيا ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ هم أحرص من مشركي مكة على الحياة. وقيل: أراد به المجوس^(١).

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يتمنى أن يُعَمَّر في الدنيا ألف سنة ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍهُ﴾ أي: ما التعمير بمُنَحِيهِ ومُبْعِدِهِ ﴿مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ عالم بهم وبعقوبتهم.

قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ وكانت اليهود زعموا ذلك، قال الله تعالى: من كان له عدوًّا فليكن ﴿فَإِنَّهُ﴾ أي: جبريل ﴿نَزَّلَهُ﴾ القرآن ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ حتى حفظته ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ومشيتته ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مصدق الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧﴾ أي: هدى القرآن، هاديًا ومبشرًا للمصدقين.

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ فهم كفار ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٨﴾ فجبريل وميكائيل من الملائكة وخصهما لفضلهما^(٢).

من طريق معمر عن عبد الكريم الجزري: قال ابن عباس: لو تمنى اليهود الموت لماتوا، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً.

(١) وهو تفسير الكلبي، وأورد عليه السمرقندي: كيف يصح والمجوس ليسوا بمشركين، قال: لأنهم قالوا بالهين اثنين: النور والظلمة (تفسير أبي الليث ١ / ٧٥).

(٢) قال الطبري (في التفسير ٢ / ٣٩٥): فإن قال قائل: أو ليس جبريل وميكائيل من الملائكة؟ قيل: بلى. فإن قال: فما معنى تكرير ذكرهما بأسمائهما، وقد مضى ذكرهما في الآية في جملة

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا﴾ أي: ما يجحد بها [﴿إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾] إلا الخارجون عن أمر الله، يعني اليهود.

ثم أوعدهم فقال: ﴿أَوْ كَلَّمَا عَلَيْهِمْ عَهْدًا تَبْذَرُهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: نقضه ورماه^(١) طائفة من اليهود ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بمحمد والقرآن.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعني: محمداً ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة ﴿تَبَذَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: علماؤهم ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ تركوه فلم يعملوا به، واتخذوا سحر هاروت وماروت ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ نعتك وصفتك في كتابهم، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ وهم اليهود الذين كانوا في عصر رسول الله، وقيل: كانوا في عصر سليمان^(٢).

أسماء الملائكة؟ قيل: معنى أفراد ذكرهما بأسمائهما، أن اليهود لما قالت: «جبريل عدونا، وميكائيل ولينا» - وزعمت أنها كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم، من أجل أن جبريل صاحب محمد صلى الله عليه وسلم - أعلمهم الله أن من كان لجبريل عدواً، فإن الله له عدو، وأنه من الكافرين، فنص عليه باسمه وعلى ميكائيل باسمه، لئلا يقول منهم قائل: إنما قال الله: من كان عدواً لله وملائكته ورسله، ولسنا لله ولا لملائكته ورسله أعداء؛ لأن الملائكة اسم عام محتمل خاصاً، وجبريل وميكائيل غير داخلين فيه؛ وكذلك قوله: «ورسله»، فليست يا محمد داخلاً فيهم؛ فنص الله تعالى على أسماء من زعموا أنهم أعداؤه بأعيانهم، ليقطع بذلك تلبسهم على أهل الضعف منهم، ويحسم تمويههم أمورهم على المنافقين.

(١) في الأصل: ورمى.

(٢) وكلا القولين مروي عن السلف (تفسير الطبري ٢/ ٤٠٥).

فإذا كان المقصود هم اليهود الذين كانوا في المدة النبوية، فمعنى اتباعهم ما تتلوا الشياطين: أنهم لما خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة؛ وجدوا التوراة للقرآن موافقة، تأمر من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه، بمثل الذي يأمر به القرآن، فخاصموا بالكتب التي كان الناس اكتبوها من الكهنة على عهد سليمان.

«يتلو»: يتبع لأنَّ التالي تابع.

﴿عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾ بعد ذهاب مُلكه، قيل: تقولت الشياطين والسحرة من النيرنجات^(١) وكنموه تحت كرسيه، ثم استخرجوه بعد موته، وزعمت أنَّ سليمان كان يشدُّ ملكه بذلك^(٢).

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ أي: لم يكتب سليمان السحر ولا كتبه فكفر به ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ اليهود كتبوا السحر وكنموه ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ ثم علّموا الناس.

وقيل: أراد به الشياطين الذين استولوا على مُلك سليمان أربعين يومًا، فعاقبه الله به فكتبوا السحر ودفنوه تحت كرسيه، نسبوه إليه^(٣).

﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ﴾ والذي أنزل عليهما وكتبانه^(٤) من الأخذ^(٥) والتهيج والسحر ﴿بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمُرُوتَ﴾ يعلمون الناس أيضًا كذلك.

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ أحدًا ذلك ﴿حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ بلية ابتلينا به ليزاد في عذابنا ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ أيها المتعلم بتعليمه ولا تستعمله فتكفر.

(١) في شرح القاموس (٢٣٦/٦): «النَّيرُنْجُ - بِالْكَسْرِ - هكذا في سائر النسخ، وَالْمَنْقُولُ عَنْ نَصِّ كلام اللَّيْث: النَّيرُنْجُ، بِإِسْقَاطِ النُّونِ الثَّانِيَةِ: أَخْذٌ - بضم ففتح - كالسَّحَر، وَكَيْسَ بِهِ، أَيْ لَيْسَ بِحَقِيقَتِهِ وَلَا كَالسَّحَر، إِنَّمَا هُوَ تَشْبِيهُ وَتَلْيِيسٌ، وَهِيَ النَّيرُنْجِيَّاتُ».

(٢) المفسرون مجمعون على أنَّ على بمعنى في، أي: ما تتلوا الشياطين في ملك سليمان، ومن ذلك ما ذكره المصنف، وهو قول الكلبي وطائفة (تفسير الطبري ٤١١/٢).

(٣) تفسير أبي الليث ٧٧/١.

(٤) لعلها هكذا، فإنها في الأصل مصحفة.

(٥) الأخذ نوع من السحر تحبس به المرأة زوجها عن جماع غيرها، والعامة تسميه: الرباط والعقد (تاج العروس ٣٦٦/٩). وأما الكلمة التي تليها فهكذا هي في الأصل، ولم أتبين صحتها.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ الأخذة والسحر من غير رضاهما، لأن فتنتهما أنهما يتذاكران [ال]زهرة وحبّها في كل عام، ويعاد [ل]هما ذلك، فيلهمهما الله كلاماً يبغضانهما به، ويكون الشيطان حاضراً^(١) ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ﴾ ما يوقعون بسببه ﴿بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ العداوة والفرقة ﴿وَمَا هُمْ بِصَّارِينَ﴾ بالسحر والأخذة أحداً من خلق الله ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ومشيتته وعلمه وقضائه.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ﴾ يعني: اليهود السحر من الملكين ﴿مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ في الدنيا وإن تعجلوا به نفعاً.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ الذي اختار السحر على الإيمان ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ من نصيب إذ لا دين له.

﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: بئس الشيء الذي باعوا بسببه ورهنوا أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١٢) يصدقوا بثواب الله.

﴿لَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ أي: اليهود صدّقوا ﴿وَأَتَّقُوا﴾ السحر ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ لثوابهم^(٢) ﴿مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ من اختيارهم السحر ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١٣) يوفون العلم حقه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ المراعاة: المراقبة والتفقد^(٣)، أي: راعنا سمعك حتى نفهمك.

(١) حاصل قصة الزهرة - وهي امرأة - مع الملكين أنها فتنتهما فمُسخت كوكبا، وهي من قبيل الإسرائيليات (انظر الروايات في: تفسير الطبري ٤٢٧/٢، تفسير أبي الليث ٧٩/١) وهذه القصة يذكرها من حمل «ما» على معنى الذي، ومن جعل «ما» نافية لم يحتج إلى ذلك. والراجح عند ابن جرير أنها بمعنى الذي، وقد أطلال في ذلك.

(٢) تفسير الطبري ٤٥٨/٢.

(٣) البسيط ٢١٥/٣.

وقيل: هذا بلسان اليهود سبّ قبيح، فكانوا يقولون ذلك^(١).

﴿وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ انتظرنا^(٢) ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما يأتيكم به الرسول
﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ أي: اليهود ﴿عَذَابٌ﴾ [أَلِيمٌ] ﴿مُؤْلَمٌ﴾.

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ تهودوا وتنصروا ولا مشركي
العرب ﴿أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ النبوة والإسلام ﴿وَاللَّهُ
يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ﴾ يختار لدينه ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٣)
على محمد وأمته.

[﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ
اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾]^(٤).

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ معناه: أيما آية نرفع حكمها^(٥) ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾
نُزِّلْ جبريل بما هو خير منها، أنفع للأمة وأهون عليهم وأعظم ثواباً ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾
من السهولة والثواب.

﴿أَوْ نُنسِهَا﴾^(٦) نتركها غير منسوخة، وفيه تقديم وتأخير.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الناسخ والمنسوخ ﴿قَدِيرٌ﴾^(٧).
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ أَلَمْ «ألم» للتوقيف^(٨).

(١) تفسير الطبري ٢/ ٤٦٠، معاني القرآن للزجاج ١/ ١٨٨، تفسير أبي الليث ١/ ٨٠.

(٢) البسيط ٣/ ٢١٧.

(٣) كتابة الآية من زياداتي كما علمت عليها، لأنه في التفسير غير في سياق الآية.

(٤) كتب هذا في الأصل بعد سطر، بعد قوله: والثواب.

(٥) في الأصل كتبها: ننسأها، وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير، وقرأ الباقر كما أثبت (النشر
٢/ ٢٢٠).

(٦) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٩١، البسيط ٣/ ٢٣٥. ومراده من التوقيف: التقرير.

﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: خزائنها؛ خزائن السماء الرزق والمطر، و خزائن الأرض النبت والجوهر.

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ أيها اليهود ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ [وَلَا نَصِيرٍ] ١٧﴾ قريب ينفعكم ولا ناصر ينصركم.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ معناه: أتريدون ﴿أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ قيل: إنهم سألوا أن يأتيهم الله عز وجل فيروه جهرة^(١).

وقيل: سألوا أن يجعل الصفا ذهباً^(٢).

﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: يختار اليهودية على الإسلام ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [١٨] ﴿أَخْطَأَ قَصْدَ الطَّرِيقِ﴾.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ أي: يصرفونكم عن توحيد الله من بعد إقراركم به ﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ من غير أن يؤمروا به ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ في التوراة أن محمداً رسول الله، ثم قال: ﴿فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ اتركوهم أيها المؤمنون واصفحوا عن مكافأتهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرٍ﴾ يقض الله بحكمه.

ثم حكم في بني قريظة القتل، وفي بني النضير الجلاء، فصارت الآية منسوخة بآية السيف^(٣).

(١) رواه ابن جرير في التفسير ٢/ ٤٩٠ عن السدي وقتادة.

(٢) البسيط ٣/ ٢٣٨ منسوباً لابن عباس، ولعله من تفسير الكلبي. وروي عن مجاهد الجمع بين السببين (تفسير الطبري ٢/ ٤٩٠).

(٣) وهو مروي عن ابن عباس، من طريق علي بن أبي طلحة، (تفسير الطبري ٢/ ٥٠٣، البسيط ٣/ ٢٤٢). ومثل هذا لا يحمل على النسخ على الحقيقة.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٠٩) أي: قدر الأعمال (١).

ثم قال ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَمَلْتُمْ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ﴾ ﴿تَجِدُوهُ﴾ ثوابه يوم القيامة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ [إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] ﴿عَالِمٌ بِهَا وَيَخْلَصُهَا وَنَفَاقَهَا﴾ (١١٠).

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ يعني: يهود المدينة ونصارى نجران (١١١)، كل طائفة قالوا: نحن أهل الجنة خاصة، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ أباطيلهم وأكاذيبهم ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: حجتكم. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١١٢) في زعمكم.

قوله: ﴿بَلَى﴾ ردٌ عليهم، معناه: ولكن ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ [من أخلص دينه ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ ثوابه في الآخرة ﴿عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ بالخلود في النار ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١١٣) بفوت الجنة.

ثم وصف خصومة أهل الكتاب: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: على دين، ولا دين إلا دين اليهودية ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [كذلك ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ لليهود التوراة، وللنصارى الإنجيل ولا يؤمنون بهما.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل مقالة اليهود والنصارى ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من مشركي العرب ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ أي: ليست اليهود والنصارى والمسلمون على

(١) كذا في الأصل، والكلمة الأولى غير واضح، وقدير من القدرة وليس من القدر، فهو سبحانه قادر على كل شيء.

(٢) تفسير أبي الليث ٨٤ / ١. وعدَّ هذا الكلام من جوامع الكلم فقال: هذا من جوامع الكلم وهذا كلام على وجه الاختصار، فكأنه يقول: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا. وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا.

دين ولا دين إلا الشرك ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ يريهم من يدخل الجنة والنار عياناً.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ [أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ]﴾ أي: منع المؤمنين عن إظهار توحيد الله في بيت الله المقدس، قيل: نزلت في بختنصر وأصحابه^(١).

ذكر المساجد بلفظ الجمع لأن كل موضع منه مسجد^(٢).

﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ بطائفته.

﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي: يدخل الأرض المقدسة بعد بعث رسول الله إلا متكرين مخافة القتل ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ قتل وسبي وغارات وجزية ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١١٤﴾ النار الكبرى.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يعني: هو مالك الشرق والغرب ﴿فَأَيْنَمَا تُؤَلُّوْا﴾ تتوجهوا للصلاة ﴿فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أي: قبله الله، لأن المصلي يواجه القبلة فسمي وجهاً^(٣).

(١) وذلك أن النصاري كانوا يطرحون الأذى في بيت المقدس، وقيل: النصاري أعانوا بختنصر على اليهود فخرّب بيت المقدس (تفسير الطبري ٢/ ٥٢٠).

(٢) أي: مكان للسجود (تفسير الطبري ٢/ ٥١٩).

(٣) وهو أحد قولين في التفسير، وهو مروي عن قتادة (تفسير الطبري ٢/ ٥٣٠، تفسير السمعاني ١/ ١٢٩).

والقول الثاني: نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم، إذنا من الله عز وجل له أن يصلي التطوع حيث توجه وجهه من شرق أو غرب، في مسيره في سفره، وفي حال المسافقة، وفي شدة الخوف، والتقاء الزحوف في الفرائض. وأعلمه أنه حيث وجه وجهه فهو هنالك، وهو مروي عن ابن عمر وغيره (تفسير الطبري ٢/ ٥٣٠).

﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ جواد محسن يقبل اليسير ويعطي الجزيل^(١).

وقيل: واسع أي: غني عن صلاة المخلوقين، ولكن يطلب منهم النية الخالصة^(٢).

﴿وَقَالُوا أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قالت اليهود: عُزِيرًا، وقالت النصارى: مَسِيحًا، وقال مشركو العرب: الملائكة بنات الله، فنزه الله نفسه وقال ﴿سُبْحَنَهُ﴾ أي: طهارة وتنزيها له.

﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الملائكة والآدميين عبيده ﴿كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ مقرون بالعبودية^(٣).

﴿يَبْدِئُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلقهما من غير شيء كانا ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أراد خلق شيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ﴾ فيقول للشيء الكائن في علمه ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: يكون كما أراحه^(٤).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد ربهم من كفار مكة ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ أي: هلا يخاطبنا الله بأنك رسوله فنؤمن بك ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةً﴾ هلا تأتينا بعلامة على نبوتك؛ يدا كيد موسى وعصا كعصاه.

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قوم موسى ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ أرنا الله جهرة ﴿تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في القسوة والكفر ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾ أي: العلامات في

وعدها السمعي من آيات الصفات، وقال في تفسيره ١/ ١٢٩: وقد ذكر الله تعالى الوجه في أحد عشر موضعا، وهو صفة الله تعالى، وتفسيره قراءته والإيمان به.

(١) تفسير الطبري ٢/ ٥٣٧، تفسير السمعي ١/ ١٣٠، معالم التنزيل ١/ ١٣٩.

(٢) ذكر الواحدي (في البسيط ٣/ ٢٦١) ثلاثة معانٍ في الواسع، ليس هذا منها.

(٣) وهو معنى ما روي عن السلف: مطيعون (تفسير الطبري ٢/ ٣٥٩).

(٤) تفسير الطبري ٢/ ٥٣٧، تفسير السمعي ١/ ١٣٠، معالم التنزيل ١/ ١٣٩.

التوراة والقرآن ﴿لَقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿١١٨﴾ يميزون الحق من الباطل^(١).

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: الدعوة إلى الحق وهو التوحيد ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ بالجنة والنار ﴿وَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿١١٩﴾ الزم دينك وطاعتك، فإنك لا تُسأل عن أصحاب النار.

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ﴾ [الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ] يهود المدينة ولا نصارى نجران ﴿حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ تتوجه في الصلاة نحو قبلتهم ﴿قُلْ إِنِّ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ أي: دين الله ﴿هُوَ﴾ [الْهُدَىٰ] الإسلام.

وقيل: قبة الله الكعبة^(٢).

﴿وَلَيْنِ أَتَبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ صليت قبلتهم ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: البيان في تحويل القبلة ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: دون الله ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ قريب ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١٢٠﴾ مانع يمنعك من عذابه، الخطاب لرسول الله وأراد به أمته.

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿يَتْلُونَهُ﴾ يتبعونه ﴿حَقًّا﴾ [تِلَاوَتِهِ] إيتباعه، ولا يحرفونه، هم أربعون رجلاً من أهل الحبشة قدموا مع جعفر بن أبي طالب مسلمين^(٣).

(١) نحوه في تفسير أبي الليث ٨٨ / ١.

(٢) تفسير أبي الليث ٨٩ / ١.

وقال ابن جرير (في التفسير ٥٦٣ / ٢): الهدى هدئ الله أي بيان الله هو المقنع.

(٣) في الأصل: مسلماً، وهذا الخبر منقول عن ابن عباس -من طريق لا يثبت- قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانوا أربعين رجلاً، اثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا.

انظر: الكشف والبيان ٦٩ / ٤، البسيط ٢٨٧ / ٣، معالم التنزيل ١٤٤ / ١.

﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: يصدقون به ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿١٦﴾

المغبونون بحرمان الجنة ودخول النار.

﴿يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٧﴾
[وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ] ﴿١٨﴾^(١) تقدم تفسيره.

﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ اختبره الله بأمور أمره بها^(٢) ﴿فَاتَّمَعْنُ﴾ أي: وفى بهن.

قيل: عشر خصال، خمس في النفس، وخمس في الرأس^(٣).

وقيل: مناسك الحج.

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يقتدى بك وبدينك، ويقصدون قصدك
﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أولادي اجعلهم أئمة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾
﴿١٩﴾ أي: لا يُصَبَّ عهدي الذي عهدت إليك الظالمين من ذريتك، والعهد
الإيمان.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ معادًا لهم يعودون إليه كل عام، والهاء في
المثابة للمبالغة^(٤) ﴿وَأَمَّا﴾ أي: جعلنا البيت مأمنا لمن دخله حتى يخرج.

(١) كتب في الأصل بدل الآية الثانية: إلى قوله «ولا هم ينصرون».

(٢) في الأصل كلمة مصحفة، صورتها: أمر اه.

(٣) روى ابن جرير (في تفسيره ٩/٢): من طريق معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: ابتلاه الله بالطهارة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد. في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس. وفي الجسد: تقليم الأظفار، وحلق العانة، والختان، ونتف الإبط، وغسل أثر الغائط والبول بالماء، وإسناده صحيح. وانظر: الكشف والبيان ٧٧/٤، البسيط ٢٨٩/٣.

(٤) معاني القرآن للفراء ٧٦/١، معاني القرآن للزجاج ٢٠٤/١.

وقيل: أمنا من النار^(١).

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ [مُصَلًّى]﴾^(٢) وهذا العطف على معنى ثوبوا إليه واتخذوا، وقيل: معطوف على قوله: اذكروا نعمتي واتخذوا، والحرم كله مقام إبراهيم، والمعروف أنه حجر^(٣).

﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: أمرناه ﴿وَأَسْمَعِيلَ أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي﴾ الكعبة من الأوثان والشرك والخنا ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ حوله ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ من أهل مكة ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٤) الراكعين الساجدين.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ يأمن فيه أهله أن يسبى أو يؤذى ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أطعمهم ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ﴾ أي: صدق ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بالبعث.

﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ سأرزقه^(٥) قليلاً في الدنيا ﴿ثُمَّ أَصْطَرُّهُ﴾ إلى عَذَابِ النَّارِ ﴿أُلْجِئَهُ وَأَرَدَّهُ إِلَىٰ جَهَنَّمَ إِنْ مَاتَ كَافِرًا﴾.

﴿وَبِئْسَ [الْمَصِيرُ]﴾^(٦) المرجع النار، قيل: علّم الله السخاوة لخليله بهذه الآية.

(١) أي: أمنا من النار لمن حجه وتعبد فيه، وهذا القول لم أجده، وقريب منه قول ابن الأنباري: معناه وأمنا أن يُخس القاصد له من الثواب الذي يوعده أمثاله، فهو واثق آمنٌ أَنْ أَجَرَهُ لَا يَضِيعُ عِنْدَ رَبِّهِ (البسيط ٣/ ٣٠١).

(٢) في الأصل: وَاتَّخِذُوا، على الفعل الماضي، وهي قراءة نافع وابن عامر، وقرأ الباقر كما أثبت (النشر ٢/ ٥٦٣) ويظهر لي أن هذا الضبط من الناسخ لا من المؤلف، لأن المؤلف جرى على قراءة أبي عمرو، ولأن التفسير التالي للآية ليس على هذه القراءة، وعادة المؤلف أن يجعل التفسير الأول للقراءة التي يشبها أولاً.

(٣) وهو الراجح، من بين أقوال قيلت في مقام إبراهيم (انظر: زاد المسير ١/ ١٠٩).

(٤) في الأصل: سَأَرْزُقُ.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ قيل: أنشأه إبراهيم، وقيل: آدم، إلا أنه عفا أثره فجده إبراهيم^(١)، ومعناه: وقد رفع إبراهيم ذلك ﴿وَأَسْمِعِلْ﴾.

والقواعد من البيت أساسه، والملائكة يناولونهما الحجارة، فلما فرغا من البيت قالوا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ بناء بيتك بأمرك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٧﴾ بنياتنا.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ من الفريق الذين ينقادون لك، ويخضعون لأمرك، والإسلام الانقياد لأمر الله ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ اجعلهم ﴿أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ أي: مخصصة بالتوحيد ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ عرّفنا معاملات ديننا في حجبنا ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ تجاوز عن ذنوبنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ أَلْوَابُ الرَّحِيمِ﴾ المتجاوز المتحنن على الحجاج.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يعني: محمداً ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ ظاهر القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ باطن القرآن، وقيل: الحكمة الفقه.

﴿وَيُزَكِّهِمْ﴾ يأخذ زكاة مالهم.

(١) وهذا الثاني قول عطاء، ويشهد له ما صح عن ابن عباس قال: القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك (رواه الطبري ٥٨/٣).

وعن أبي قلابة عن عبد الله بن عمرو قال: لما أهبط الله آدم من الجنة قال: إني مهبط معك - أو منزل - معك بيتاً يطاف حوله كما يطاف حول عرشي، ويصلي عنده كما يصلي عند عرشي، فلما كان زمن الطوفان رفع، فكانت الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه، حتى بوأه الله إبراهيم، وأعلمه مكانه، فبناه من خمسة أجبل: من حراء وثبير ولبنان وجبل الطور وجبل الخمر. (رواه الطبري ٥٨/٣، وإسناده صحيح، ورواه بعضهم عن أبي قلابة من قوله، ليس فيه ذكر عبد الله بن عمرو).

وقال محمد بن علي^(١): ينميهم، فأنماهم الله تعالى بمحمد حتى صاروا أئمة الهدى، بليت أجسادهم وبقيت آثارهم^(٢).

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ المنيع في سلطانك ونقمتك ممن لا يقر بوحدانيتك.

﴿الْحَكِيمُ﴾^(٣) إذ حكمت ببعث رسولك من العرب بمكة.

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ استفهام خرج مخرج الوعيد، أي: لا يكفر بدين إبراهيم ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ خسر نفسه.

والسفة: غلبة الجهل والطيش، والملة: اسم لكل طريق سلك وبان أثره^(٣).

ثم أثنى على إبراهيم فقال: ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾^(٤) بالنبوة والإسلام، وقيل بالخلة والسخاء ﴿وَوَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٥) مع آبائه المرسلين^(٥)، ويقال: من الفائزين.

(١) هو الحكيم الترمذي. وهذا النقل لم أجده عنه، وفي نوادر الأصول ٣/ ١٥٠ كلام حول هذه الآية.

(٢) وقال ابن عباس: ويرشداهم إلى أفضل عبادتك، وقال ابن جريج: يطهرهم من الشرك، ويخلصهم منه. وقيل: يأخذ زكاة أموالهم، وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ (البسيط ٣/ ٣٢٦).

(٣) البسيط ٢/ ١٦٣.

(٤) تصحفت: ولقد إلى وهذا.

(٥) كذا في الأصل، وهو قول أبي صالح عن ابن عباس من رواية الكلبي، ولو قال: مع أبنائه المرسلين لكان صحيحاً كذلك، لأنه أبو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (الكشف والبيان ٤/ ١٣٥، البسيط ٣/ ٣٣٦).

قال ابن جرير (في التفسير ٣/ ٩١): والصالح من بني آدم: هو المؤدي حقوق الله عليه، فأخبر تعالى ذكره عن إبراهيم خليله، أنه في الدنيا صفي، وفي الآخرة ولي، وأنه وارد موارد أوليائه الموفين بعهده.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ﴾ استقم على ما أنت عليه من كلمة الإخلاص ﴿قَالَ أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٣٦﴾ قال: أخلصت لله مقالة لا إله إلا الله.

ثم قال: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ لبنيه الإثني عشر، خصّ بالذكر وصية إبراهيم، ألا ﴿يَبْنِيَنَّ إِنَّا اللَّهُ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ﴾ المرضي ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٣٧﴾ فاثبتوا على الإسلام.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ يعني: أكنتم يا يهود ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ أي: لم تكونوا حضوراً فلماذا تشهدون بالباطل، لأنهم قالوا: أوصى يعقوب بدين اليهودية^(١).

ثم ذكر وصيته ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾ امتحاناً لهم، فأجابوا جواب العقلاء ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَالِلَّهِ عَابَايَكَ﴾ إبراهيم ﴿الْخَلِيلُ﴾ ﴿وَأِسْمَاعِيلُ﴾ الصادق ﴿وَأِسْحَاقُ﴾ الحكيم ﴿إِلَهِهَا وَحْدًا﴾ لا شريك له ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾ مسلمون معترفون بالعبودية.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ يعني: الأنبياء عصبة قد مضت لسبيلها^(٢) ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من خير ﴿وَلَكُمْ﴾ جزاء ﴿مَّا كَسَبْتُمْ﴾ من شر ﴿وَلَا تَسْأَلُونَهَا﴾ أيها اليهود ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٣٩﴾ إنما تسألون عن أفعالكم.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ الآية [فيها] إضممار، وإنما قالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النصارى: كونوا نصارى^(٣) ﴿تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ بل تكون على ملة إبراهيم الحنيف الذي مال عن ملة اليهودية

(١) تفسير الطبري ٩٧/٣، تفسير أبي الليث ٩٥/١.

(٢) البسيط ٣٥٠/٣.

(٣) تفسير الطبري ١٠١/٣.

والنصرانية، ونصب ملة على إضمار تتبع ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٣٥﴾ ثم علم المؤمنين جوابهم فقال:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ بجميع القرآن المنزل على نبينا ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ من الصحف التي عمل بها أولاده ﴿[وَأَسْمَعِيلَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ] وَالْأَسْبَاطَ﴾ وسمى أولاد يعقوب أسباطاً^(١)، وأولاد إسماعيل^(٢) قبائل ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أقررنا بأنه حق ﴿لَا نَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ لا نفرق بين الأنبياء بالإيمان ببعض والكفر ببعض ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٣٦﴾ مخلصون.

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ يعني اليهود ﴿فَقَدْ أَهْتَدَوْا﴾ من الضلالة. ﴿وَأَنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا وأبوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ وضلال وخلاف ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ هذا ضمان من الله لنبية بالنصرة، ومعناه: يرفع الله عنكم مؤونة اليهود ويكفيك شرهم. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لمقاتلتهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٣٧﴾ بعقوبتهم.

﴿صَبْغَةَ اللَّهِ﴾ أي: دين الله، والصبغة: الإسلام^(٣).

قال محمد بن علي الحكيم: أراد الله هداية الموحد بغمس قلبه في ماء

(١) انظر بيان الأسباط في تفسير الطبري ١١٢/٣.

(٢) في الأصل يعقوب، وهو سبق قلم منه، انظر: تفسير أبي الليث ٩٧/١، البسيط ٣٥٦/٣.

(٣) تفسير الطبري ١١٧/٣. وقال: وذلك أن النصراني إذا أراد أن تنصر أطفالهم، جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس، بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنه صبغة لهم في النصرانية، فقال الله تعالى ذكره - إذ قالوا لنبية محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين به: «كونوا هودا أو نصارى تهتدوا» - قل لهم يا محمد: أيها اليهود والنصارى، بل اتبعوا ملة إبراهيم، صبغة الله التي هي أحسن الصبغ، فإنها هي الحنيفية المسلمة، ودعوا الشرك بالله، والضلال عن محجة هداة.

الرحمة فيغسله، فالصبغة هي ماء الرحمة^(١).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ حيث صبغ قلب المؤمن في ماء الرحمة ﴿وَنَحْنُ لَهُ عِيدُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾ موحدون. وقيل: ومن^(٢) أحسن من دين الإسلام.

و«صبغة الله» منصوبة على قوله: «بل نتبع»^(٣).

﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ استفهام في معنى توبيخ^(٤)، أي: لم تحاجونا، أي: تخصموننا ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ لنا ديننا الإسلام، ولكم اليهودية، ثم نسخ بآية السيف^(٥).

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ ﴿١٣٩﴾ أي: قولوا ذلك.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾^(٦) قل لليهود والنصارى: أنتم أعرف بدين إبراهيم [و] أولاده أم الله، ثم أوعدهم فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ

(١) نحوه في كتابة رياض النفوس له ص ٣٤، وللحكيم كلام على تفسير هذه الآية في نوادر الأصول ٣٠٩/١.

(٢) في الأصل: دين، وهو تصحيف أحال المعنى. وانظر: تفسير السمعاني ١٤٦/١.

(٣) أي: بل نتبع صبغة الله، معاني القرآن للزجاج ٢١٥/١. وفيها أوجه أخرى، انظرها في تفسير الطبري ١١٧/٣، الدر المصون ١٤٢/٢.

(٤) التوبيخ والتقريب (كما في البسيط ٣/٣٦٣).

(٥) قال ابن الجوزي: قال أكثر المفسرين: هذا الكلام اقتضى نوع مساهلة، ثم نسخ بآية السيف (زاد المسير ١١٧/١). قلت: لم أقف عليه إلا عند المصنف وابن الجوزي، والظن أنه من تفسير الكلبي، لاعتماد المصنف عليه في باب النسخ وغيره، والآية تحمل معنى البراءة ولذا لا معنى للنسخ فيها، قال ابن كثير: أي برآء منكم كما أنتم برآء منا (تفسير ابن كثير ١/٤٥١).

(٦) في الأصل: على الغيبة في يقولون، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء: تقولون (النشر ٢/٢٢٣).

شَهَدَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ﴿فِي كِتَابِهِمْ مِنْ نِعْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَتِهِ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤٠﴾ أَيُّهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا﴾ ثَوَابٌ ﴿مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ﴾ ثَوَابٌ ﴿مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤١﴾.

وقوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ الْجُهَالُ مِنَ الْيَهُودِ أَوْ أَهْلُ مَكَّةَ ﴿١٤١﴾ ﴿مَا وَلَهُمْ﴾ صَرْفُهُمْ ﴿عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ صَلُّوا إِلَيْهَا، وَهُوَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، قَالَتِ الْيَهُودُ: رَجَعَ مُحَمَّدٌ عَنْ قِبَلَتِنَا وَقِبْلَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَالَ أَهْلُ مَكَّةَ: رَجَعَ مُحَمَّدٌ إِلَى قِبَلَتِنَا الْكَعْبَةِ ﴿١٤٢﴾.

[﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٤٣﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾] ﴿١٤٤﴾.

(١) تفسير أبي الليث ٩٩/١.

(٢) تفسير الطبري ١٢٩/٣، تفسير أبي الليث ٩٩/١.

(٣) سقط على الناسخ من انتقال النظر، فذهب تفسير هاتين الآيتين، وهذا تفسيرهما من تفسير السمعاني ١٤٨/١ للفائدة:

﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يُوْجِهُ الْعِبَادَ إِلَى أَيُّهُمَا شَاءَ ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٤٣﴾ أَيُّ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ. وَالطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ: هُوَ الْمَوْصِلُ إِلَى الْمَقْصُودِ.

ونزلت الآية في اليهود؛ حيث عيروا المسلمين على تحويلهم من بيت المقدس إلى الكعبة. قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ﴾ يعني: كما اخترنا الأنبياء، واختارنا بني إسرائيل من الخلق، فكذلك اخترناكم من الأمم ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عدلا خيارا الذي ليس فيه غلو ولا تقصير، وذلك دين الإسلام؛ لأن النصارى غلوا في دينهم، واليهود قصروا، وأما المسلمون أخذوا بالنمط الأوسط ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وذلك يوم القيامة، حين يسأل الأمم عن إبلاغ الرسل، فينكرون تبليغهم الرسالة، فيسأل الرسل فيقولون: بلغنا، فيقال لهم: ومن يشهد لكم؟ فيأتون بهذه الأمة فيشهدون لهم بالبلاغ، فتقول الأمم: إنهم أتوا بعدنا فكيف يشهدون

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ لنختبر^(١) ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾ أي: لشك في دينه أو يرجع إلى كفره ﴿وَإِنْ كَانَتْ [لَكَبِيرَةً]﴾ صَرَفَ القبله ثقيله شديده على اليهود ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أي: المؤمنين الذين أرشدهم الله لدينه ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ﴾ اللام لام الجحود، يعني صلاتكم نحو بيت المقدس ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢) بالمؤمنين شفيق بار.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ إدامة نظرك في السماء ﴿فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ﴾ لنحولنك ﴿قَبْلَةَ [تَرْضَاهَا]﴾ تهواها وهي الكعبة ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: نحوه، ومعنى الشطر النحو، فانصرف رسول الله إلى الكعبة في خلال صلاته بعدما صلى ركعتين ومضى عليها^(٣).

ثم قال: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ أينما^(٤) كنتم في بر أو بحر تحولوا إلى الكعبة ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الصدق منه ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^(٥) أي ساه عن عمل اليهود في كتمان

بذلك؟ فيسأل هذه الأمة، فيقولون: أرسلت إلينا رسولا، وأنزلت علينا كتابا، وأخبرتنا فيه ببلاغ الرسل، وأنت صادق فيما أخبرت، فبذلك نشهد لهم بالبلاغ ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ على أعمالكم. وقيل: معناه مزكيا مصدقا على شهادتكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ أي: ما حولنا القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة.

(١) تفسير أبي الليث ١/ ١٠٠.

(٢) في الأصل: رؤف على وزن: فَعْلٌ، بقصر الهمزة من غير واو، وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي وخلف وشعبة، وقرأ الباقون بزيادة واو بعد الهمزة زنة: فعول، وذلك حيث وقع في القرآن (النشر ٢/ ٢٢٣).

(٣) يشير إلى قصة مسجد القبلتين، ذكرها الواحدي في البسيط ٣/ ٣٩١.

(٤) في الأصل: أي، وهو سبق قلم.

نعت محمد^(١).

ثم ذكر عنادهم فقال: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: لو جئت إلى رؤساء اليهود ﴿بِكُلِّ آيَةٍ﴾ ودلالة وعلامة على نبوتك ﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ ما صلوا إلى الكعبة ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ بعد انصرافك عنها ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ ليس اليهود بتابع قبة النصارى ولا النصارى تابع قبة اليهود، ثم حذره فقال: ﴿وَلَيْنَ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ صليت إلى قبلتهم، خاطبه والمراد به غيره^(٢).
﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ إِنَّكَ إِذَا لِمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٥﴾ الضارين بأنفسهم^(٣).

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ أي: كما يعرف أحدكم ولده بين الصبيان. وقيل: يعرفون أمر القبة^(٤).
﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ وهو صفة رسول الله وأمر القبة ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾^(٥) أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَّ الْكُفْرَ قِبْلَةُ^(٥).

(١) تفسير الطبري ٣/ ١٨٤.

(٢) وكل ما كان من هذا القبيل من الخطابات فالخطاب له ولأمته (معاني القرآن للزجاج ٢٢٤/١).

(٣) يفسر الظلم: بضرر العبد نفسه، وهذا تفسير الكلبي (كما في تنوير المقباس ٢١)، وقد تكرر من المصنف، وتكرر من أمثاله الذين اعتمدوا على تفسير الكلبي، كأبي الليث السمرقندي في تفسير أبي الليث والثعلبي في الكشف والبيان والسمعاني في تفسيره.

(٤) القولان في معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٢٥، والذي ذكره ابن جرير عن أهل التأويل - كابن عباس والربيع والسدي وابن زيد - هو أمر القبة لا غير (تفسير الطبري ٣/ ١٨٨) وهو المناسب مع السياق.

(٥) وهذا تفسير الكلبي، وقد سلك في تفسيره هذا المسلك، فيحمل كل معرفة وكتمان من قبل أهل الكتاب على صفة النبي النبي صلى الله عليه وسلم، سواء ساعده النظم أم لا.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: هذا حق من ربك ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي: الشاكين.

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةً هُوَ مُوَلِّيَهَا﴾ لكل نبي وجهة واحدة وهو طريق الإسلام، وإن كانت الأحكام مختلفة^(١). والتولية هاهنا: الإقبال^(٢).

﴿فَاسْتَقِمْ إِلَى الْخَيْرَاتِ﴾ بادروا إلى الصلوات الخمس. وقيل: إلى قبول أمر الله^(٣).

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ في أي موضع تموتون يحشركم الله جميعاً الأول والآخر^(٤).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الخلق والبعث والجزاء.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ من مكة والمدينة ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ حَوْل وجهك في الصلاة ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: أمر القبلة صدق من الله عز وجل ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: الكعبة ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ تلقاءه ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ أي: اليهود

(١) المفسرون على أن المراد: لكل أهل ملة، ولا شك أن الأنبياء قادة أهل مللهم، فلا تناقض بين هذا الذي ذكره المصنف وما يذكره المفسرون (تفسير الطبري ٣/ ١٩٢).

(٢) هذا قول الفراء (معاني القرآن ١/ ٨٥)، والمعنى: قبله هو مستقبلها، ووافقه ابن جرير (٣/ ١٩٤). وبعض أهل التفسير على أن التولية هنا الانصراف، والمعنى: قبله مصروف إليها، (الكشف والبيان ٤/ ١٩٤).

(٣) وحمل ابن جرير المعنى على العموم، أي: سارعوا إلى الخيرات، وأولها القبلة التي حولتم إليها، وهذا قول قتادة، وقال ابن زيد: الأعمال الصالحة (تفسير الطبري ٣/ ١٩٦).

(٤) تفسير الطبري ٣/ ١٩٧.

﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قيل هذا استثناء منقطع، يعني: ولكن الذين ظلموا يحاجونك بالباطل^(١).

وقيل: والذين ظلموا^(٢) ﴿مِنْهُمْ﴾.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ بانصرافكم إلى الكعبة ﴿وَأَخْشَوْنِي﴾ في تركها ﴿وَلَا تُتْرَعِمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ بهدایتكم إلى قبله إبراهيم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ من الضلالة.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ معناه: نعمتي عليكم كما أرسلنا محمداً إليكم رسولا منكم آدمي مثلكم^(٣).

﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ كتابنا ﴿وَيُزَكِّيْكُمْ﴾ يطهركم بالتوحيد ويصلحكم بأخذ الزكاة.

(١) معاني القرآن للفراء ٨٩ / ١.

(٢) في الأصل: بدون واو، وهذا قول حكاه الفراء وزعم أنه صحيح في التفسير ضعيف في اللغة، وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٦٠ / ١، قال: «موضع «إلا» هاهنا ليس بموضع استثناء، إنما هو موضع واو الموالاة، ومجازها: لثلا يكون للناس عليكم حجة، وللذين ظلموا» وقد رده ابن جرير وغيره.

واختار ابن جرير أنه استثناء متصل غير منقطع، وأن الذين ظلموا هم أهل الشرك، وروى ذلك عن بعض أهل التأويل، قال (في التفسير ٢٠١ / ٣): «معنى الكلام: لثلا يكون لأحد من الناس عليكم خصومة ودعوى باطل غير مشركي قريش، فإن لهم عليكم دعوى باطلا وخصومة بغير حق، بقبلهم لكم: «رجع محمد إلى قبلتنا، وسيرجع إلى ديننا». فذلك من قولهم وأمانيتهم الباطلة، هي الحجة التي كانت لقريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

ومن أجل ذلك استثنى الله تعالى ذكره: الذين ظلموا؛ من قريش من سائر الناس غيرهم، إذ نفى أن يكون لأحد منهم في قبلتهم التي وجههم إليها حجة، وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

(٣) تفسير الطبري ٢٠٨ / ٣.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ [الْكِتَابَ]﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: الفقه، وقيل: السنة
 ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (١٥١) قبل محمد من صلاح دينكم.
 ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ اذكروني بالطاعة أذكركم بالرحمة (١).

وقيل: اذكروني في الرخاء أذكركم في الشدة (٢).

﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ أي: نعمتي عليكم بإرسال الرسل ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٢)
 أي: لا تجحدوا هذه النعمة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ استرفقوا على طلب
 الآخرة وتمحيص الذنوب بالصبر على أداء الفرائض والصلاة، يعني: خمس
 صلوات ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٣) بالمعونة والنصرة لهم.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ﴾ كانوا يقولون لقتلى بدر وأحد:
 مات فلان ومات [فلان]، فكره الله ذلك، وأنزل الآية (٣).

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ عند ربهم في الجنة ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١٥٤) حياتهم بعد زوال
 أرواحهم (٤).

(١) وهو مروي عن سعيد بن جبیر (تفسير الطبري ٣/ ٢٢١).

(٢) معالم التنزيل ١/ ١٦٧.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٤/ ٢٢٠، والواحدي في البسيط ٣/ ٤٢٣، وأسباب النزول
 ص ٤٧، وهذا يعرف من تفسير الكلبي عن ابن عباس (تنوير المقباس ٢١).

(٤) وهاهنا مسألة بديعة عن الإمام الطبري، فقد قال في تفسيره ٣/ ٢١٦: إن قال لنا قائل: وما في
 قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١٥٤) من خصوصية
 الخبر عن المقتول في سبيل الله الذي لم يعم به غيره؟ وقد علمت تظاهر الأخبار عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أنه وصف حال المؤمنين والكافرين بعد وفاتهم، فأخبر عن
 المؤمنين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبواب إلى الجنة يشمون منها روحها، ويستعجلون الله
 قيام الساعة، ليصيروا إلى مساكنهم منها، ويجمع بينهم وبين أهاليهم وأولادهم فيها، وعن

الكافرين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبواب إلى النار ينظرون إليها، ويصيبهم من نبتها ومكروها، ويسلط عليهم فيها إلى قيام الساعة من يقمعهم فيها، ويسألون الله فيها تأخير قيام الساعة، حذارا من المصير إلى ما أعد الله لهم فيها، مع أشباه ذلك من الأخبار.

وإذا كانت الأخبار بذلك متظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما الذي خص به القتل في سبيل الله، مما لم يعم به سائر البشر غيره من الحياة، وسائر الكفار والمؤمنين غيره أحياء في البرزخ، أما الكفار فمعدبون فيه بالمعيشة الضنك، وأما المؤمنون فمنعمون بالروح والريحان ونسيم الجنان؟

قيل: إن الذي خص الله به الشهداء في ذلك، وأفاد المؤمنين بخبره عنهم تعالى ذكره، إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في برزخهم قبل بعثهم، ومنعمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر، من لذيذ مطاعمها الذي لم يطعمها الله أحدا غيرهم في برزخه قبل بعثه.

فذلك هو الفضيلة التي فضلهم بها وخصهم بها من غيرهم، والفائدة التي أفاد المؤمنين بالخبر عنهم، فقال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٩-١٧٠]، وبمثل الذي قلنا جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم روى حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشهداء على بارق، نهر باب الجنة، في قبة خضراء -وقال عبدة: في روضة خضراء- يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا.

ثم قال أبو جعفر: فإن قال قائل: فإن الخبر عما ذكرت أن الله تعالى ذكره أفاد المؤمنين بخبره عن الشهداء من النعمة التي خصهم بها في البرزخ غير موجود في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ وإنما فيه الخبر عن حالهم، أموات هم أم أحياء.

قيل: إن المقصود بذكر الخبر عن حياتهم، إنما هو الخبر عما هم فيه من النعمة، ولكنه تعالى ذكره لما كان قد أنبأ عباده عما خص به الشهداء في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٩]، وعلموا حالهم بخبره ذلك -ثم كان المراد من الله تعالى ذكره في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ نبي خلقه عن أن يقولوا للشهداء أنهم موتى- ترك إعادة ذكر ما قد بين لهم من

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ أي: خوف العدو ﴿وَالْجُوعِ﴾ قحط السنين ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ﴾ بذهاب الأموال والأمراض ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ أي: الزروع، قيل موت الأولاد^(١). ﴿وَيُبَشِّرُ الصَّابِرِينَ﴾ الثابتين على البلاء^(٢).

ثم نعتهم فقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ نقر بالعبودية لله ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ نقر بالبعث، وقيل: إن عشنا فعليه أرزاقنا، وإن متنا فإليه مآبنا^(٣).

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ مغفرة ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ ترحم وتحن ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخِرُونَ﴾ الموفقون للاسترجاع.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أي: السعي بين الصفا والمروة من متعبدات الحج، والشعائر: المعالم، وأصله شعرت أي: علمت، وشعائر الله: ما جعله مواطن عبادته يعلم العباد ذلك^(٤).

﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ قصد البيت أو زاره للعمرة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ أي: لا إثم عليه ﴿أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ يسعى بين الصفا والمروة، وكانوا يكرهون ذلك لمكان الصنمين بينهما وهما إساف ونائلة، فرفع الله الكراهية^(٥).

خبرهم، وأما قوله: ﴿أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فإنه يعني به: ولكنكم لا ترونهم فتعلموا أنهم أحياء، وإنما تعلمون ذلك بخبري إياكم به.

(١) قال الثعلبي: لأن ولد الرجل ثمرة قلبه (الكشف والبيان ٤/ ٢٢٥).

(٢) في الأصل: النداء، وأراها مصحفة.

(٣) نحوه في تفسير أبي الليث ١٠٦/ ١.

(٤) تفسير أبي الليث ١٠٦/ ١، البسيط ٣/ ٤٣٤.

(٥) في صحيح البخاري (١٦٤٣) وصحيح مسلم (١٢٧٧) قال عروة: سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: أ رأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾، فوالله ما

﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: زاد في الطواف بعد طوافه الفريضة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ اليسير من عمله ﴿عَلِيمٌ﴾^(١٥٨) بنيته، والشكر من الله المجازاة والثناء^(١).
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ وهو القرآن بالأمر والنهي ﴿وَالْهُدَى﴾ صفة محمد ﴿مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّاهُ﴾ أوضحناه ﴿لِلنَّاسِ﴾ لبني إسرائيل ﴿[فِي الْكِتَابِ] أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ يعذبهم في القبور، وقيل يطردهم عن رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾^(١٥٩) الخلائق كلهم إلا الإنس والجن.

على أحد جناح أن لا يطوف بالصفاء والمروة، قالت: بئس ما قلت يا ابن أخي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه، كانت: لا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهل يتخرج أن يطوف بالصفاء والمروة، فلما أسلموا، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتخرج أن نطوف بين الصفاء والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية قالت عائشة رضي الله عنها: «وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما»..

ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال: إن هذا لعلم ما كنت سمعته، ولقد سمعت رجلا من أهل العلم يذكرون: أن الناس - إلا من ذكرت عائشة - ممن كان يهل بمناة، كانوا يطوفون كلهم بالصفاء والمروة، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت، ولم يذكر الصفاء والمروة في القرآن، قالوا: يا رسول الله، كنا نطوف بالصفاء والمروة وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفاء، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفاء والمروة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية.

قال أبو بكر: «فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما، في الذين كانوا يتخرجون أن يطوفوا بالجاهلية بالصفاء والمروة، والذين يطوفون ثم تخرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام، من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت، ولم يذكر الصفاء، حتى ذكر ذلك، بعد ما ذكر الطواف بالبيت»

(١) ذكر السمعاني والبغوي وابن كثير وغيرهم أن الشكر من الله هو: أن يعطي فوق ما يستحق العبد بأن يثيب على القليل الكثير (تفسير السمعاني ١/ ١٦٠، معالم التنزيل ١/ ١٧٥، تفسير ابن كثير ١/ ٤٢٧).

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ رجعوا ووجدوا ربهم ﴿وَبَيَّنُوا﴾ نعت رسول الله ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أتجاوز عنهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ﴾ المتجاوز ﴿الرَّحِيمُ﴾ (١٦٠) على من مات على التوبة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ [وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ]﴾ (١٦١) والمؤمنين.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ دائمين في العذاب واللعة ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ لا يرفع ولا يهون ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (١٦٢) أي: لا يؤجلون ساعة حتى يستريحوا.

﴿وَالْهَكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له ولا ولد ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا يستحق الألوهية (١) إلا هو، ثم وصف نفسه بالرحمة فقال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦٣) العاطف المتحنن (٢).

ثم ذكر آية وحدانيته فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ في ذهابهما ومجيئهما ونقصانهما ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ وهو السفن في البحر لمعاش بني آدم ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ [مِنَ السَّمَاءِ]﴾ أمطر الله من السحاب ﴿مِنَ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يسها وذهب النبات منها ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ أي: خلق في الأرض من الهوام وفرقهم في البلاد ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ يميناً وشمالاً في الرحمة والعذاب ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ المذلل في الهواء ﴿[بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هذه كلها أعلام على وحدانية الله ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١٦٤) يصدقون.

(١) يفرق المصنف أحياناً بين الألوهية والربوبية كما هنا، ويعبر أحياناً عن الربوبية: بالوحدانية.

(٢) سبق له أن أول صفة الرحمة، وهنا فسرهما على غير ذاك التأويل، مما يجعل -احتمالاً- أن أصله الذي اعتمد عليه -وهو المفسر الكبير- لم يكن من المؤولة، وأن مرجعه في التأويل هو الأستاذ أبو منصور الماتريدي، والله أعلم.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ أي: أعدالاً من الأصنام، وقيل: أشكالا من الرجال أطاعوهم في معصية الله^(١) ﴿يُجْبُونَهُمْ كَحَبِّ اللَّهِ﴾ أي: يحبوا الأنداد كحب المؤمنين الله ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ أي: أَدوم محبة لله من عابد الوثن، لأنَّ عابد الوثن يعبد في الرخاء لا في الشدة، فإنهم في الشدائد يَفزعون إلى غير الأوثان^(٢).

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أشركوا ﴿إِذْ يَرْوَى الْعَذَابُ﴾ في الآخرة، متروك الجواب^(٣).

ثم قال ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ لأنَّ القوة لله جميعاً ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾^(٤). وقيل: ولو يرى الذين ظلموا العذاب في الآخرة لآمنوا في الدنيا^(٥).

(١) الأول قول الجمهور، والثاني قولٌ للسدي، وهما متقاربان، إذ يمكن أن يقال: الأنداد كل ما نصب عدلاً لله عز وجل فعبد بأي نوع من أنواع العبادة ومنها: الطاعة في معصية الله والشرك. (تفسير الطبري ٣/ ٢٧٩، تفسير أبي الليث ١/ ١١٠، البسيط ٣/ ٤٦٦).

(٢) تفسير الطبري ٣/ ٢٧٩.

(٣) تفسير الطبري ٣/ ٢٨٣، معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٣٨.

(٤) في الباء من قوله: «ولو يرى» قراءتان، بالتاء وبالياء، وتقدير المحذوف على القراءتين:

من قرأ بالتاء فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والجواب تقديره: ولو ترى أي تبصريا محمد الذين ظلموا أي أشركوا إذ يرون العذاب لرأيت أمراً عظيماً أو لعلمت ما يصيرون إليه أو لتعجبت منه.

ومن قرأ بالياء: فمعناه: ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب لعلموا أن القوة لله جميعاً أو لآمنوا أو لعلموا مضرة الكفر (تفسير الطبري ٣/ ٢٨٣، الكشف والبيان ٤/ ٢٧٣). وأما الحكمة في حذف جواب لو، فقد قال أصحاب المعاني: وحذف جواب لو في مثل هذا الآي يكون أفخم وأبلغ؛ لذهاب المخاطب المتوعد إلى كل ضرب من الوعيد، ولو ذكر له ضرب من الوعيد لم يكن مثل أن يبهم عليه؛ لأنه يوطن نفسه على ذلك المذكور، ومن وطن نفسه على شيء لم يصعب عليه صعوبته على من لم يوطن عليه نفسه (البسيط ٣/ ٤٧٢).

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ عامل الإعراب: شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا وقت تبرأ هذا من هذا؛ عند معاينة العذاب؛ إذ تبرأ السادة من الأتباع، والقادة من السفلة، والشياطين من الكفرة^(١).

﴿وَرَأَوْا﴾ كلهم ﴿الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ أي: انقطع وصلهم، والأسباب الوصلات^(٢).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي: سفلتهم عند براءة الرؤساء منهم ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ الساعة.

﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾ عقوبة آثامهم ﴿حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ ندامات على قلوبهم حيث يريهم مكان المطيعين في الجنة ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ أبدأ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا﴾ كلوا مما في الأرض من الزروع والأنعام حلالاً طيباً.

الحلال: ما أطلق الشرع أخذه^(٣)، والطيب: ما استلذه الطبع^(٤).

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ هي: جمع خطوة وهو ما بين القدمين، وأراد به: تزيينه ووسواسه ﴿إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهر العداوة إذ لم يسجد لأبيكم. ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ السوء: الإثم، والفحشاء المعاصي، ويقال: الزنا.

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ١٣٧، الدر المصون ٢/ ٢١٧.

(٢) أي الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا (الكشف والبيان ٤/ ٢٧٥).

(٣) انظر في الحلال: تفسير الطبري ٣/ ٣٠٠، البسيط ٣/ ٤٨٣، المفردات ١/ ٢٥١.

(٤) انظر في الطيب: تفسير الطبري ٣/ ٣٠١، البسيط ٣/ ٤٨٣، المفردات ١/ ٥٢٧.

﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦٦) ما لا علم لكم به من الحل والحرمة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لِمُشْرِكِي الْعَرَبِ﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿مِنْ أَحْكَامِهِ﴾ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴿أَي: وجدناهم عليه من الدين والمنهاج وتحريم البحيرة والسائبة﴾ (أُولَؤْكَانَ آبَاؤُهُمْ) هذا واو عطف دخل عليها ألف التوبيخ، فلهذا فتحت (١).

يعني: أيتبعون آباءهم ولو كانوا جهالاً (٢) ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ من الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١٧٠) إلى السنة.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ أي: مثل الكفار في دعائهم كمثل الراعي في دعائه البهائم، يدعوها ولا تفهم الدواب ذلك.

وقيل: كمثل الذي ينادي في الجبل فيجيبه الصدى بما لا يسمع منه ﴿إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ إذا قال: يا زيد يجيبه الصدى: يا زيد، وليس وراءه شيء، فكذا الكافر لا يسمع من دعاء رسول الله إلا صوته.

(١) سواء قلت هنا: ألف التوبيخ أو ألف الاستفهام. لأنها في الأصل ألف استفهام أفادت التوبيخ، معاني القرآن ١/ ٩٨، معاني الزجاج ١/ ٢٤٢، البسيط ٣/ ٤٩٠، البحر المحيط ١/ ٤٨٠. قال الواحدي: «وإنما جعل ألف الاستفهام للتوبيخ؛ لأنه يقتضي ما الإقرار به فضيحة كما يقتضي الاستفهام الإخبار عن المستفهم عنه. وفي هذا حجة عليهم، كأنه قيل: إذا جاز لكم أن تتبعوا آباءكم فيما لا تدرون أعلى حق هم فيه أم باطل؟ فأنتم كمن قال: نتبعهم وإن كانوا على باطل، وهذا غاية الفضيحة.

والآية تضمنت النهي عن التقليد؛ لأن الله تعالى أنكر عليهم متابعة آبائهم، وأمر بمتابعة العقل والهدى».

(٢) البسيط ٣/ ٤٨٩.

﴿صُمُّ﴾ عن صوت الخير^(١) ﴿بُكْرُ﴾ عن التكليم بالخير ﴿عُمَى﴾ عن الحق ﴿فَهْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ التوحيد^(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي: من الحلالات في وقت الحاجة ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ على نعمه وأطيعوه ﴿إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ إن كانت عبادة الله عليكم واجبة.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِرِ﴾ الميتة التي ماتت حتف أنفها، والدم دم مسفوح ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ أي: حرم عليكم أكل بهيمة ذكر عند ذبحها غير اسم الله تعالى ﴿فَمَن أَضْطَرَّ﴾ في المجاعة إلى كل شيء من هذه المحرمات ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ أي: غير متجاوز قدر حاجته وغير مقصر عن ما يقيم حياته.

وأصل البغي: الطلب لغة^(٣).

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في أكله مقدار ما يسكن به رmqه ولا يتزوّد منها ﴿إِنِ اتَّ اللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوب العباد ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم إذ رخص لهم في أكلها عند الاضطرار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ من نعت النبي صلى الله عليه وسلم عليه ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ في التوراة ﴿وَيَشْتَرُونَ﴾ أي: يختارون ﴿بِهِ﴾ بكتمان ذلك ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرضًا يسيرًا وهي الدنيا بأسرها ﴿أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي: ما يجعلون في بطونهم ﴿إِلَّا النَّارَ﴾ يعني الحرام، سمى الحرام نارًا لأن عاقبته إلى النار، وقيل يأكلون في جهنم جزاء على عملهم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ﴾

(١) كأن رسمها في الأصل: صوب الخبر، وما أثبتته أشهر في كتب التفسير، والله أعلم.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ١١٣، تفسير السمعاني ١/ ١٦٨، معالم التنزيل ١/ ١٨٢.

(٣) البسيط ٣/ ٥٠١.

اللَّهُ [يَوْمَ الْقِيَمَةِ] أَصْلًا^(١)، كما قال في آية أخرى: ﴿فَلَسَّكُنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ والملائكة تسألهم أيضًا.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يبرئهم من الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٧٤).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ أي: استبدلوا الكفر بالإيمان ﴿وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(٧٥) ما أجراهم، بمعنى التعجب، وقيل: ما استفهام، أي: ما الذي صبرهم عليها^(٢).

﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ لأن الله ﴿نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ والتوحيد ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا﴾ من اليهود في التوراة والنصارى في الإنجيل ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(٧٦) خلاف طويل.

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أيها اليهود إلى بيت المقدس وأيها النصارى نحو الشرق، وكانوا يقولون: البر هو الصلاة إلى قبلتنا.

ثم بين البر فقال: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ يعني: ^(٣) البار هو من آمن بالله ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أقر بالبعث ﴿وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ﴾ أي: بكتب الله وأنبيائه ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ تصدق بماله الذي هو محبوب عنده ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ على أقربائه ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الضيف النازل به.

﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ على بابيه.

(١) قال ابن جرير (في التفسير ٣/ ٣٣٠): «وأما قوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يقول: ولا يكلمهم بما يحبون ويشتهون، فأما بما يسوءهم ويكرهون، فإنه سيكلمهم، لأنه قد أخبر تعالى ذكره أنه يقول لهم إذا قالوا: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾^(٧٧) قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ^(٧٨) [سورة المؤمنون: ١٠٨].

(٢) القولان مرويان عن السلف (تفسير ابن جرير ٣/ ٣٣٣).

(٣) هنا زيادة في الأصل: وقيل، وهو اقحام لا معنى له.

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ المكاتبين يعينهم على بذل الكتابة^(١).

ثم ذكر الفرائض فقال: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ المفروضة ﴿وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾ المقرونة ﴿وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ أي: يتموا عهودهم^(٢).

ثم مدحهم فقال: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ نصب على المدح. وقيل: نصب على تطاول الكلام^(٣).

والبؤس: الفقر والضر المرض^(٤).

﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ أي: الصابرين عند القتال.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿عَمَّا نَهَا عَنْهُ الْمُؤْتَمِرُونَ بِمَا أَمَرُوا﴾.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ أي: فرض عليكم القصاص على من قتل منكم عمداً، والقصاص من أصله: المساواة^(٥).

﴿الْحُرِّ بِالْحُرِّ﴾ وفاءً ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ وفاءً ﴿وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ فَمَنْ عَفِيَ [لَهُ] أي: ترك عليه، أي: على القاتل ﴿مِنْ﴾ حق ﴿أَخِيهِ﴾ المقتول ﴿شَيْءٌ﴾ وجب عليه فصولح بالدية أو غيرها ﴿فَاتَّبَعُوا بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: فعلى الطالب مطالبته من

(١) في الأصل: يغنيهم على بدل، وهو تصحيف، صوابه ما أثبت.

(٢) وفي رفع المؤفون ثلاثة أوجه، انظرها في الدر المصون ٢/ ٢٥٠.

(٣) هذه من المسائل المشهورة في التفسير وعلوم القرآن، والمصنف ذكر القولين المشهورين، انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ١٠٥، تفسير الطبري ٣/ ٣٥٢، معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٤٧، البسيط ٣/ ٥٢٥.

(٤) وهو مروى عن ابن عباس وغيره (تفسير الطبري ٣/ ٣٤٩، البسيط ٣/ ٥٢٨).

(٥) لابن جرير مباحث نفيسة على هيئة السؤال والجواب حول هذه الآية، انظرها في: تفسيره ٣/ ٣٥٨.

غير غيظ.

ثم حثَّ المطلوب على الأداء فقال: ﴿وَأَدَّاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾ أي: بلا مماطلة ومشقة ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تهوين وتسهيل ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ وتحنُّن ﴿فَمَن أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ من أولياء المقتول على القاتل بعد العفو فقتله ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عقاب وجيع في الآخرة والدنيا.

وفيه دليل أنَّ العبد لا يكفر بالذنب لأنَّ أعظم الذنب سفك الدماء، والله تعالى سمَّى القاتل في الابتداء مؤمناً، وفي وسط الآية سمَّاهم إخواناً، [و] في آخرها قال ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ وعد لهم الرحمة^(١).

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ بقاء، وهو أن يحجز القاصد إلى القتل عن القتل خوف القتل فيبقى حياً والمقصود بقتله حياً ﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ يا ذوي العقول ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تمنعون من الدماء خوف القصاص^(٢).

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: قرب ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي: مالا بلغة جرهم^(٣) ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ﴾ الصلة لهما ﴿وَالْأَقْرَبِينَ﴾ الأقرباء ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالقصد من غير سرف.

﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ أي: حقيقاً على المؤمنين.

(١) تفسير السمعاني ١/ ١٧٤.

(٢) قال الواحدي (في البسيط ٣/ ٥٤١): «قال عَظُمُ أهل التأويل: معناه: أن سافك الدم إذا أُقيد منه ارتدع من كان يهْمُ بالقتل، فكان في القصاص بقاء؛ لأنه إذا علم أنه إن قُتل قُتِلَ أَمْسَكَ وارتدع عن القتل، ففيه حياةٌ للذي همُّ بقتله، وحياةٌ للهام أيضاً..أخذه المتمثلون فقالوا: بعض القتل أحياء للجميع، وقالوا: القتل أقل للقتل».

(٣) اتفق المفسرون أن الخير هنا المال، انظر: تفسير القرطبي ٢/ ٢٥٩، وكونه بلغة جرهم نقله السامري في اللغات في القرآن ٢١، والسيوطي في الاتقان ٢/ ١١٤.

وهذه الآية منسوخة بآية المواريث^(١).

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ أي: بدل المعروف من الوصية، الهاء راجع^(٢) إلى شرط الوصية [﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾] أي: بعدما سمع ذلك من الموصي ﴿فَإِثْمًا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ وزر التبديل على مُغَيِّرِ الوصية ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لوصية الموصي من العدل أو الحيف ﴿عَلَيْهِ﴾^(٣) بما يفعله الموصي.

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا﴾ أي: علم من موص جنفًا أي: ميلاً [﴿أَوْ إِثْمًا﴾] أو قصدًا إلى الجور^(٣) [﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾] أصلح بين الورثة ورد الوصية إلى الثلث بعد موت الموصي.

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ على الموصي فيما بدل ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للموصي ﴿رَحِيمٌ﴾^(٤) حين رخص له ذلك.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ في شهر رمضان ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني: أهل الإنجيل، وقيل: على سائر الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ هاهنا ترجي ﴿تَتَّقُونَ﴾^(٥) الأكل والشرب والإفشاء.

﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ ثلاثين يومًا من أيام الشهر ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ

(١) على قول بعض العلماء، وقال السمعاني: والأصح: أنه صار منسوخًا في حق الكل، وبقي الاستحباب في حق الأقربين الذين لا يرثون (تفسير السمعاني ١/ ١٧٥).

(٢) في الأصل كلمة مصحفة صورتها هكذا: الـ رافع.

(٣) في الأصل: وقصدًا.

فرقوا بين الجنف والإثم بالقصد، فقالوا: الجنف الميل عن الحق خطأ والإثم الميل عنه عمدًا، وهو مروى عن طائفة من السلف كابن عباس والسدي وعكرمة والربيع، (انظر: تفسير مقاتل ١/ ١٦٠، تفسير الطبري ٣/ ٤٠٣، البسيط ٣/ ٥٥٢، معالم التنزيل ١/ ١٩٤، تفسير القرطبي ٢/ ٢٧٠).

﴿مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ فَأَفْطَرَ ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ عدد ما أفطر من أيام أُخَرَ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ يستطيعون الصوم ولا يكونوا مرضى ولا سفراً فأفطروا ﴿فَذِيَّةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ لكل يوم مُدًّا من حنطة لكل مسكين، ثم صارت منسوخة بقوله ﴿فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(١).

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ أي: من أعطى مسكينين طائعاً من قبل نفسه فهو خير له عند ربه^(٢).

﴿وَأَن تَصُومُوا﴾ شهر رمضان في حال الصحة ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أن تفطروا وتطعموا ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ثواب الصائمين عند الله.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ يعني: كتب عليكم الصيام في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ، في كل عام في كل ليلة القدر في عشرين شهراً إلى سماء الدنيا، ونزل به جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة^(٣).

(١) تفسير أبي الليث ١/ ١٢٢.

(٢) أي بدل أن يعطي مسكيناً يعطي مسكينين، وهذا تفسير مقاتل، فقد قال: فزاد على مسكين فأطعم مسكينين أو ثلاثة مكان كل يوم.

وهذا القول مروى عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما (تفسير الطبري ٣/ ٤٤١).

وقيل: التطوع هو أن يصوم مع الفدية، وهو قول ابن شهاب الزهري، وقيل التطوع في الزيادة في قدر إطعام المسكين، ورجح ابن جرير العموم (تفسير الطبري ٣/ ٤٤٣) ..

(٣) لا خلاف عند العلماء أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ جملة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، فوضع في بيت العزة، ثم نزل منجماً بعد ذلك في ثلاث وعشرين سنة وبعضهم يقول كما قال المصنف: في عشرين سنة (تفسير السمعاني ١/ ١٨٣، معالم التنزيل ١/ ١٩٨، تفسير القرطبي ٢/ ٢٩٧).

وهذا الذي ذكره المصنف هو بنصه قول مقاتل في تفسيره ١/ ١٦١، وقد أورده القرطبي، ثم قال: وقول مقاتل خلاف ما نقل من الإجماع.

﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ نصب على الحال^(١)، أي: أنزلنا القرآن هاديًا للناس، ودليلاً على الحق لمن أقرَّ به ﴿وَيُنَبِّتُ مِنَ الْهُدَى﴾ وآيات واضحة من الحلال والحرام ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ أي: المخرج من الشبهات، سُمِّيَ فرقاً لأنه يفرِّق بين الحلال والحرام.

وسمي القرآن قرآنًا: لأنه حروف منظومٌ بعضها إلى بعض، يقال قرأتُ الماء في الحوض أي: جمعتُ^(٢).

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾ أي: من كان حاضراً شهر رمضان وهو صحيح العقل والبدن فليصم الشهر بتمامه ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يصومها مكانه ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ بما رخص من الإفطار في السفر والمرض ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ المشقة عليكم ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ أمر مواجهة، أي: أكملوا عدة الشهر^(٣) ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ أي: تعظموه ﴿عَلَى مَا هَدَيْكُمُ﴾ أي: بما هداكم شرائع رسوله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ عن إجابتي ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ بالإجابة ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ دنيا أو ديناً، بعد أن لا يعجل ولا ييأس، ولا يدعوني عن قلب غافل.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٩٦/١.

(٢) البسيط ٥٧٤/٣.

(٣) عظم المفسرين على أن اللام هنا هي لام كي، وليست لام الأمر (البسيط ٥٩٠/٣)، وعلامة لام كي أنها لو أُلقيت كان صواباً، قال الفراء (في معاني القرآن ١/١١٣): «والعرب تدخلها في كلامها على إضمار فعل بعدها. ولا تكون شرطاً للفعل الذي قبلها وفيها الواو. ألا ترى أنك تقول: جئتُك لتحسن إليّ، ولا تقول جئتُك وتحسن إليّ، فإذا قلته فأنت تريد: وتحسن إليّ جئتُك، وهو في القرآن كثير» وصوبه ابن جرير (في التفسير ٤٧٨/٣).

قال الصادق رضي الله عنه: إن للدعاء أركاناً وأجنحةً وأوقاتاً وأسباباً؛ فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار إلى السماء، وإن وافق مواقيته استجيب، وإن وافق أسبابه أنجح، فأركانه: حضور القلب، والرقعة، والاستكانة، والخشوع، وتعلق القلب بالله تعالى، وقطع الأسباب، فإنه موضع الإجابة، وأجنحته: الصدقة فإنها ترفعه، وهي تطفئ غضب الرب، وأسبابه: أن لا يكون السؤال محالاً، ومواقيته: أوقات الأسحار، وأدبار الصبح، وبين الأذان والإقامة، وبعد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم^(١).

﴿فَلَيْسَ تَجِيبُوا لِي﴾ بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ وليصدقوا رسولي ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٧٦) لكي يهتدوا.

﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ أي: رخص في ليلة الصيام ﴿الزَّفْتُ﴾ [إِلَى نِسَائِكُمْ] الجماع مع نسائكم ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ وإنما سمي لباساً لأن كل واحد منهما يتحصن ويتعفف بصاحبه فلا يظهر لهما في الناس عورة^(٢).

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ﴾ تظلمون ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بالجماع في ليلة الصيام قبل حله، وأراد به عمر رضي الله عنه^(٣).

(١) نقله القرطبي في تفسيره (٢/ ٣١١) منسوباً إلى ابن عطاء.

(٢) أو لأنهما يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه فشبهه باللباس المشتمل عليه (الكشاف ١/ ٢٣٠) وهو مستفاد من الزجاج في معاني القرآن ١/ ٢٥٦.

(٣) رواه ابن جرير في التفسير ٣/ ٤٩٣، وأحمد في المسند ١٥٧٩٥ من طريق ابن لهيعة، وهو ضعيف الحديث، لكنه من رواية عبد الله بن المبارك، وقيل: إن رواية العبادة عنه جيدة، فهذا منها.

وله شاهد من حديث ابن أبي ليلى عن عمر، ومن حديث علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، رواهما ابن جرير في التفسير ٣/ ٤٩٦.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ أي: ترككم ولم يعاقبكم ﴿فَأَلَّكْنَ﴾ أحللت لكم ذلك، ف ﴿تَبَشَّرُوهُنَّ﴾ المباشرة: المباشعة، وهو أمر إباحة^(١) ﴿وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: بالنية الخالصة عند المجامعة أن يكون لي بهذا ولد صالح يسبحه ويذكره.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ في الليل ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ أراد به الصبح وطلوع الفجر المعترض بعد ذهاب الليل ﴿ثُمَّ اتَّمَوْا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ﴾ إلى وقوع قرص الشمس ﴿وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ﴾ ليلاً ولا نهراً ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ﴾ معتكفون ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: شرط الله، وقيل معصية الله^(٢) ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ يعني المجامعة ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾ نبيه عن الجماع في الاعتكاف ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الجماع.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ أي: لا يأكل بعضكم مال أخيه المسلم بالظلم ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ أي: ولا تلجئوهم إلى المرافعة إلى الحكام.

وفي صحيح البخاري (١٩١٥) عن البراء رضي الله عنه، قال: كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائماً، فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتى امرأته، فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رآته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

(١) تفسير الطبري ٥٣٩/٣، البسيط ٦٠٣/٣.

(٢) وكلا القولين مروى عن بعض السلف، والأول أكثر (تفسير الطبري ٥٤٧/٣).

وقيل: لا تحتجوا بشهادة الزور إلى الحكام لينظروا ما يجعل لكم من الحكم، كمن أدلى دلوه في البئر لينظر ما يخرج له منها^(١).

و«تدلوا» جزماً على النهي أي: لا تدلوا^(٢).

﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا﴾ أي: طائفة ﴿مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ أي: بالظلم والجور ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطلون في دعواكم.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ تبدو دقيقة ثم تشق^(٣) ثم تنتقص ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ أي: جعلت ذلك لمواقيت الناس، لحل ديونهم وصومهم وفطرمهم وعدة نساءهم وغير ذلك ﴿وَالْحَجِّ﴾ أي: يعرفون وقت الحج.

ثم ابتداء وقال: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ كانوا في الجاهلية إذا أحرموا وفي ابتداء الإسلام ينقبون ظهور بيوتهم، أي: خلفها، فيدخلون منه ويخرجون، وبعضهم يتسور من كوة بيته بسلم، إلا قريشاً ومن تبعهم من كنانة وخزاعة فإنهم يدخلون ويخرجون من الباب، فقال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ ليس التقوى في باب الإحرام أن تدخلوا بيوتكم من ظهورها، أي: خلفها^(٤).

قال الشيخ الحداد: ذكر في بعض التفاسير أن البيوت هاهنا النساء نهى^(٥)

(١) والأول أشهر، تفسير الطبري ٣/ ٥٥٢، تفسير أبي الليث ١/ ١٢٦.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٩٨.

(٣) كذا في الأصل، والمشهور في كتب التفسير: تبدو دقيقة ثم تمتلى نورا ثم ترجع دقيقة (تفسير السمعي ١/ ١٩١، معالم التنزيل ١/ ٢١١).

(٤) والروايات عنهم في ذلك مخرجة في تفسير الطبري ٣/ ٥٥٦، منها قول البراء: كانت الأنصار إذا حَجَّجُوا وَرَجَعُوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظُهورها، قال: فجاء رجل من الأنصار فدخل من بابه، فقيل له في ذلك، فنزلت هذه الآية..

(٥) لعلها هكذا فإنها في الأصل مصحفة غير واضحة.

عن إتيانهم عن الأدبار^(١).

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ لكن الطاعة طاعة مَنْ اتقى الله في الإحرام من الرفث والجدال والفسوق ﴿وَأَتُوا الْبَيْوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ رخص لكم ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ ولا تعصوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾ لكي تفوزوا بثوابه وتنجوا من عقابه.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ﴾ أي: حاربوا أعداء الله بأمر الله في الحل والحرم ﴿الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ﴾ بعدما عاهدوا أن يخلوا لكم مكة في عمرة القضاء بعد عام الحديبية ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: لا تبدؤوهم بالقتال إن لم يقاتلوكم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾ أي: لا يرضى^(٢) من ﴿الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿١٨٩﴾ الاعتداء.

ثم قال: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ﴾ إن بدؤوكم بالقتال ﴿حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم في الحل والحرم ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ يعني مكة ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ أي: الشرك الذي هم فيه أعظم وزراً عند الله من قتلكم آباءهم في الحرم ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ﴾ أي: لا تبدؤوهم بالقتال في الحرم ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ أي: يبدؤوكم بالقتال ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾ بدؤوكم بالقتال ﴿فَأَقْتُلُوهُمْ﴾ حينئذ ﴿كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٩٠﴾ إن يبدؤوا بالقتال.

﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا﴾ عن قتالكم وآمنوا بكم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما مضى في جاهليتهم ﴿رَحِيمٌ﴾ ﴿١٩١﴾ لهم بعد توبتهم.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ إن بدؤوكم بالقتال ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: لا يبقى شرك

(١) ما أحرى هذا القول أن يعد من بدع التفاسير، فإنه لا أثر يدل عليه، ولا سياق، ولا يحتمله الظاهر من لسان العرب.

(٢) المصنف يأول - أحياناً - الحب بالرضى، وبينهما فرق، وقد سبق التنبيه على ذلك.

﴿وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ في جزيرة العرب ﴿فَإِنْ أَنْتَهَوْا﴾ عن قتالكم ودخلوا دينكم ﴿فَلَا عُدُونَ﴾ أي: لا سبيل لكم في قتالهم ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١١٣) الناقضين للعهد المبتدئين للقتال.

ثم قال: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ أي: ذو القعدة، الذي (١) دخلت مكة لعمرة القضاء بذى القعدة الذي صدوك عن مكة عام أول ﴿وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ﴾ أي: حُرْم هذه السنة بدل عن حُرْم السنة الماضية (٢).
﴿مَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ من بدأكم بالقتال ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ أي: قاتلوه وكافئوه بمثله ولا تجاوزوا.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في كل ما أُمِرْتُمْ وَنُهَيْتُمْ ﴿وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١١٤) في النصرة لهم والدفع عنهم.
﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أيها الأغنياء على الفقراء إذا خرجتم إلى عمرة القضاء ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أي: لا تهلكوا أنفسكم بالإقامة في الأهل.
وقيل: بالإمساك عن النفقة.

(١) في الأصل في الموضعين: التي.

(٢) وذلك سنة (٦) من الهجرة (تفسير الطبري ٥٧٥/٣).

وجَمَعَ الحرمات لأنه أراد: الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الإحرام، ومعنى القصاص فيها: الاستيفاء، وذلك أن قريشا فخرت بصددها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، العام الماضي، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة هذا العام.
قال ابن جرير (في التفسير ٥٧٩/٣): فقال جل ثناؤه لنبيه محمد والمؤمنين معه: دخولكم الحرم، بإحرامكم هذا، في شهركم هذا الحرام، قصاص مما منعتم من مثله عامكم الماضي، وذلك هو «الحرمات» التي جعلها الله قصاصا، وقد بينا أن «القصاص» هو المجازاة من جهة الفعل أو القول أو البدن، وهو في هذا الموضع من جهة الفعل.

وقيل: هو الرجل يذنب ذنبًا عظيمًا فيأْس من^(١) رحمة الله ثم ينهمك في المعاصي ويقول: لا توبة لي^(٢).

﴿وَأَحْسِنُوا﴾ أي: أحسنوا الظن بالله، وقيل: أحسنوا إلى الفقراء^(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤) إلى الفقراء وحسن الظن به.

﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي: حجوا واعتمروا لله بشرائطها؛ من ترك

الفسوق والرث.

وقيل: لا تخالطوهما بشيء من الشرك في التلبية.

وكانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك،

فنهاهم الله عن ذلك^(٥).

ثم بيّن حكم الإحصار ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ أي: حُبِسْتُمْ بعدو أو مرض ﴿فَمَا أَسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ أي: عليكم ما تيسر من الهدى، وهو ما يساق إلى البيت للقربات من البدنة والبقرة والشاة، يقال: هَدَيْتُ وَهَدَيْتُ كما يقال مَيِّتَ وَمَيِّتٌ^(٥).

﴿وَلَا تَخْلُقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾^(٦) منحره بمكة ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾ لا يستطيع الإقامة إلى بلوغ الهدى محله ﴿أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ أي: قمل رأسه، فخلق قبل بلوغ الهدى ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾ ثلاث أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ يتصدق على ستة أنفس ﴿أَوْ نُسْكَ﴾ أي: شاة.

(١) في الأصل: في.

(٢) تفسير الطبري ٣/ ٥٨٦، تفسير أبي الليث ١/ ١٢٩، زاد المسير ١/ ١٥٨.

(٣) تفسير السمعاني ١/ ١٩٥.

(٤) زاد المسير ١/ ١٥٨.

(٥) أهل الحجاز يخفون الهدى، وتميم تثقله، فيقولون: هديّة وهديّ، مثل مطيّة ومطيّ (البسيط

﴿فَإِذَا أَمِتُمْ﴾ من العدو وبرأتكم من المرض، والآية على الاختصار معناه: فاقضوا ما كنتم أحرمتكم له قبل الإحصار حجاً كان أو عمرة.

ثم قال: ﴿فَمَنْ تَمَسَّ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ التمتع: هو أن يحرم الرجل بالعمرة في أشهر الحج، فلما قضى عمرته أحل من الإحرام بلبس مخيط، أو تطيب بطيب، أو غير ذلك، ثم يحرم بالحج في عامه قبل رجوعه إلى أهله حلالاً، فهذا متمتع وبين حكمه فقال: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الهدى ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ بعد فراغه من العمرة في أي يوم شاء بعد أن يكون آخره يوم عرفة ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهاليكم أو في الطريق ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ أي: مكملة، و ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الفداء ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ﴾ وعياله ﴿حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: لم يكن من أهل الحرم، ومن كان مكياً فلا متعة له ولا فداء عليه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقوبته ولا تستحلوا في الحج والعمرة ما لا يحل لكم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿١٦٦﴾ لمن استحل محارمه.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ وقت الإهلال^(١) بالحج والتلبية في أشهر معلومات: شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة^(٢).

﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِ رَبِّ الْحَجِّ﴾ أي: أحرم ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ أي: لا يجامعن ولا يسنن ولا يمارين صاحبه حتى^(٣) يغضب، ولا يغضب غيره ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: تتركوا من رفث وفسوق ﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ يجازيكم عليه ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ أي: العمل بطاعة الله ﴿وَاتَّقُوا يَأْتُوا لِيِ الْآلَبِ﴾ ﴿١٦٧﴾ أطيعوني يا ذوي العقول.

(١) في الأصل: الهلال.

(٢) وهو المهور عن ابن عباس وأصحابه، وفيه أقوال أخرى، تفسير الطبري ١١٥/٤.

(٣) كذا في الأصل، ولها وجه، ولعله: حين.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ﴿تطلبوا رزقاً من الله بالتجارة قبل الحج وبعده﴾ ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾ ﴿رجعتم منها، والإفاضة: انحدار بتفرق كانحدار الماء، سمي إفاضة^(١)﴾.

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ﴿سبحوه وهللوه﴾ ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ ﴿تلك الليلة بالمزدلفة﴾ ﴿وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَانَكُمْ﴾ ﴿اشكروه كما هداكم للإسلام، ورزقكم الحج﴾ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ﴾ ﴿من قبل أن هداكم لدينه﴾ ﴿لِمَنِ الصَّالِينَ﴾ ﴿عن الهدى﴾.

وقيل: وما كنتم من قبله إلا ضالين، إن بمعنى «ما» النفي، واللام في «لمن» بمعنى إلا^(٢).

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ ﴿أي: ارجعوا من حيث رجع الناس، وكان الحمُّس - وهم قريش وخزاعة وكنانة - لا يأتون عرفات، وكانوا يفيضون من جَمْع - وهي المزدلفة -، فأمرهم الله بإتيان عرفات﴾ ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ ﴿بِالموقف﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ ﴿لذنوبكم﴾ ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿بعد توبتكم﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ﴾ ﴿إذا فرغتم من أمر حجكم﴾ ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ﴿بلسانكم، وأثنوا عليه في الإسلام كما كنتم تذكرون آبائكم في الجاهلية بالخير﴾ ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ ﴿بل أكثر ذكراً﴾ ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿وهم كفار، ويسأل الله الدنيا في حجه، يقول: أكثر مالي وأنزل الغيث وأنبأ المرعى لدوابي﴾ ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ ﴿أي: نصيب﴾.

(١) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٧٢، البسيط ٤/ ٤٤.

(٢) تفسير الطبري ٤/ ١٨٤، معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٧٣، البسيط ٤/ ٥٢.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ﴾ في دعائه ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ فحسنة الدنيا العلم، وحسنة الآخرة الجنة، وقيل: حسنة
الدنيا العافية، وحسنة الآخرة خلوص الطاعة.

وقيل: في الدنيا المرأة الصالحة، وفي الآخرة رضوان الله^(١).

﴿وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي: نجنا من النار.

﴿أَوَّلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ وافر ﴿مِّمَّا كَسَبُوا﴾ من الطاعة والدعاء ﴿وَاللَّهُ
سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ إذا حاسب لا يحتاج إلى حظ وعقد.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ أيام التشريق المعلومات عشر ذي
الحجة، معناه: أثنوا على الله أيها الموحدون في أيام التشريق أدبار صلاتكم
﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ بالرجوع من منى إلى أهله ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: بعد ما رمى يومين،
وترك في اليوم الثالث بعد يوم النحر من أيام التشريق بعد المغرب ﴿فَلَا إِثْمَ
عَلَيْهِ﴾ أي: لا ذنب ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ إلى يوم الثالث من أيام التشريق ﴿فَلَا إِثْمَ
عَلَيْهِ﴾ بتأخيره.

قال ابن عمر: إن رجع رجع مغفوراً وإن تأخر تأخر مغفوراً^(٢).

﴿لَمَنْ أَتَقَى﴾ الصيد في الحرم والحرام، وقيل: في قابل من عمره^(٣).

(١) تفسير الطبري ٢٠٣/٤، تفسير أبي الليث ١٣٤/١، زاد المسير ١٦٨/١.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ٢١٨/٤، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان ضعيف الحديث.

(٣) هذا بعض ما ورد عن السلف في تفسير الآية، وقال ابن جرير: «وأولى هذه الأقوال بالصحة قول من قال: تأويل ذلك: فمن تعجل في يومين من أيام منى الثلاثة فنفر في اليوم الثاني فلا إثم عليه، لحط الله ذنوبه، إن كان قد اتقى الله في حجه، فاجتنب فيه ما أمره الله باجتنابه، وفعل فيه ما أمره الله بفعله، وأطاعه بأدائه على ما كلفه من حدوده، ومن تأخر إلى اليوم الثالث منهن فلم ينفر إلى النفر الثاني حتى نفر من غد النفر الأول؛ فلا إثم عليه: لتكفير الله له ما سلف من

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولا تستحلوا الرث والفسوق ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٣) في الآخرة، فيجزئكم بأعمالكم.

﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ يفرح بكلامه ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ﴾ أي: يحلف بالله على ما في ضميره ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٤) شديد الخصومة.

قال الزجاج: الخصام جمع خصم^(١)، أي: هو أشد المخاصمين.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾ أي: مشى فيها^(٢) ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ في الأرض بالدعوة إلى غير عبادة الله ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ بحرق الكُدس^(٣) ويعقر الدواب، وقيل: الحرث النساء لأنهن محل زراعة الولد، والنسل والولد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (٢٥) أي: لا يرضى به، والآية نزلت في الأخنس بن شريق وكان منافقاً حلو المنطق^(٤).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ أَخَذَتْهُ عُقُوبَتُهُ ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ الحمية

آثامه وإجرامه، وإن كان اتقى الله في حجه بأدائه بحدوده، وإنما قلنا أن ذلك أولى تأويلاته بالصحة، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ومن حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وأنه قال صلى الله عليه وسلم: تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة.

(١) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٧٧.

(٢) وتولى هنا بمعنى: خرج وأدبر من عندك غاضباً (تفسير الطبري ٤/ ٢٣٨).

(٣) الكُدس بالضم: الحب المحصود المجموع، وهو العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك، وجمعه أكداس (تاج العروس ١٦/ ٤٣١).

(٤) قيل نزلت في الأخنس لأنه قدم المدينة وأظهر الإسلام فلما خرج مر بزرع من المسلمين فأحرقه وعقر دوابهم، وقيل: بل نزلت في قوم من المنافقين تكلموا في السرية التي أصيبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجيع (تفسير الطبري ٤/ ٢٣٠).

بالمعصية، أي مكر وازداد معصية، وقال^(١): لمثلي يقال هذا! ﴿وَحَسْبُهُ﴾
يكفيه نار ﴿جَهَنَّمُ﴾ مكافأة ﴿وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي [نَفْسَهُ]﴾ أي: يختار نفسه ودينه بجميع ما
يملكه، نزلت في صهيب وعمار^(٢) وغيرهما ﴿أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ طلب
رضى الله ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٣) يرضى عنهم ويرحمهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ أي: في شرائع الإسلام
كلها، والكافة من الكف وهو المنع على لفظ العاجل، يعني: ادخلوا في السلم
بحيث يكفكم عن عدد و[أحد]^(٣) لم يدخل فيه.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ تزيّن الشيطان وآثاره ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الشيطان
﴿لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٤) ظاهر.

السّلم الإسلام، والسّلم الصلح^(٤).

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ أي: ملّتم عن الإسلام ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ على
لسان محمد ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ منيع في سلطانه بالانتقام ممن مال عن دينه
﴿حَكِيمٌ﴾^(٥) في أمره وقضائه.

(١) في الأصل: ويقال.

(٢) وهو مروي عن ابن عباس من طريق الكلبي (تفسير أبي الليث ١/١٣٦، البسيط ٤/٨٦، الدر
المشور ١/٥٧١).

وهو قول عكرمة، وقال مجاهد: نزلت في المهاجرين والأنصار (تفسير الطبري ٤/٢٤٨).

(٣) في الأصل: «وا» لم يتمها، والزيادة من معاني القرآن للزجاج ١/٢٧٩، وبها يستقيم المعنى.

(٤) تفسير أبي الليث ١/١٣٧، ويجوز في سين السلم بمعنى الصلح الكسر والفتح (تاج العروس
٣٢/٣٧١).

وقد قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير والنسائي بفتح السين، وقرأ الباكون بكسرها (النشر
٢٢٧/٢).

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: لا ينتظر أهل مكة في جحودهم محمداً إلا أن يأتيهم الله، قيل: يأتيهم أمر الله وهو قيام الساعة^(١)، وقيل: في الآية تقديم وتأخير، معناه: لا ينتظرون إلا قيام الساعة - وهو أمر الله - وإتيان الملائكة من السماء إلى الأرض^(٢).

﴿فِي ظِلِّ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ وهو السحاب الأبيض، وقال الكلبي: هذا من المكتوم الذي لا يفسر^(٣)، وطائفة من أهل التفسير سلكوا مسلكه.

(١) نسب الزجاج هذا القول إلى أهل اللغة (معاني القرآن ١ / ٢٨٠).

(٢) الصحيح هو القول الأول الذي بدأ به المصنف، والقولان الأخيران من مسالك أهل الكلام، فإنهم قدروا محذوفاً ثم اختلفوا فيه، فمنهم من قال: أمر الله، أو عقوبة الله، أو قيام الساعة وهذه التقديرات لا يدل عليها دليل، بل تذهب بالمراد من الآية، ذلك لأن الآية توعد وتهدد هؤلاء الذين لم يدخلوا في السلم، وأي وعيد أعظم من أن يقول الملك سبحانه وتعالى: سأتيهم مع الملائكة، فأولوا وقالوا: بل يأتي أمره، فذهبوا بأعظم ما يوعد الله به ويهدد، وهو مجيئه هو سبحانه وتعالى، فإن مجيئه أعظم من مجيء أمره، وأي فائدة في مجيء أمره مع ذكر الملائكة، فإن الملائكة موصوفة بأنها تنزل بالعذاب والعقاب، وهذا هو أمره، فيكون على هذا التأويل تكرار في الآية، غير معهود في أسلوب القرآن ونظمه.

والصواب في ذلك أن يقال - كما قال ابن جرير وغيره - يعني بذلك جل ثناؤه: هل ينظر المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة، ثم روى عن أبي أنه قرأ - قراءة تفسيرية في الغالب - : «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام»، قال: تأتي الملائكة في ظلل من الغمام، ويأتي الله عز وجل فيما شاء (تفسير الطبري ٤ / ٢٦١) ..

ولا يقال بعد ذلك: كيف يأتي الله في ظلل من الغمام، فإن ذلك مما لا يعمله إلا الله، ومن ثم قال العلماء: إن هذه الآية من المتشابهات، أي: لا يعلم تأويلها إلا الله، والتأويل هو الكيفية، وأما التفسير فمعلوم، فإن لفظ الايتان معروف في لسان العرب.

(٣) في تنوير المقباس ٢٨: يأتيهم الله بلا كيف يوم القيامة.

﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: فرغ من الحساب، وقيل: ذبح الموت وأدخل الفريقان منازلهم الجنة والنار ﴿وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٣٧) أي: عواقبها.

﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ هو سؤال توبيخ، يعني: سل يهود المدينة ﴿كَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ في وقت موسى فكفروا به، مثل عصي موسى، ويده، وفلق البحر، والمن والسلوى في التيه ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ ومن يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ هذه النعمة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٣٨) أي: العقوبة.

﴿رُزِّقَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا [الْحَيَاةُ الدُّنْيَا]﴾ أي: لأبي جهل وأصحابه ما بسط لهم من الدنيا وفنون أموالها ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ أي: بفقراء المسلمين يستهزئون بهم (١).

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: الذين وحدوا ربهم فوق المشركين يعني في الجنة، والكفار في النار ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ [مَنْ يَشَاءُ] الْمُؤْمِنَ عَلَىٰ قَدَرِ عَمَلِهِ، ثُمَّ يُفَضِّلُ عَلَيْهِ فَيُضَاعِفُهُ لِأَنَّهُ كَرِيمٌ فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿يَغْيِرُ حِسَابَ﴾ (٣٩) وقيل: يقول الله: ليس ملك فوقي يحاسبني فأخاف منه، فأعطي من شئت بغير حساب (٢).

الكلبي: بغير قوت ولا هنداز (٣).

يقول عبد الحميد بن عبد الحميد الحاكمي: الهندزة في اللغة التقدير معناه بلا مقدار (٤).

(١) تفسير أبي الليث ١/ ١٣٩.

(٢) تفسير مقاتل ١/ ١٨١، البسيط ٤/ ١٠٩.

(٣) تصحف في تنوير المقباس ٢٩ وغيره من المصادر، والصواب ما أثبت وسيشرحه المصنف.

(٤) انظر: تاج العروس ١٥/ ٣٩١، وقال: «الهنداز بالكسر ووجد في كتاب الأزهري في غير موضع تقييده بالفتح من غير ضبط: الحد، فارسي معرب وأصله أندازه، بالفتح. يقال: أعطاه

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً﴾ أي: كانوا أهل ملة واحدة وهو الكفر، فبعث الله الأنبياء هداة معلمين، وقيل: كانوا على الإيمان حين عرضوا على آدم ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ﴾ بالجنة ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ من النار ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ﴾ أي: إليهم ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي: العدل ﴿لِيَحْكُمَ﴾ الكتاب ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ اليهود من كتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي: أعطوا علمه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ الواضحات ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ حسداً وتطاولاً أثاروه فيما بينهم ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: أرشد المؤمنين في كل عصر حتى استقاموا على ما جاءت الرسل به من الإخلاص فيه وعبادته ﴿لَمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: إلى الطريق الواضح الذي أنكروه ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده الذي يكون أهلاً ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني: طريق الإسلام.

الأمة في اللغة على وجوه: الدين، والقامة^(١)، والقرن، والإمام، والحين،

بلا حساب ولا هنداز. ومنه: المهندس، لمقدر مجاري القني والأبنية، وإنما صيروا الزاي سينا فقالوا: مهندس لأنه ليس في كلامهم زاي قبلها دال.

قلت: يستفاد من هذا النص ضبط هذه الكلمة في تفسير الكلبي، فإنها في جل ما وقفت عليه من كتب التفاسير مروية بالمعنى لا بالأصل، ففي تنوير المقباس والبسيط ١٠٨/٤: بلا فوت ولا مقدار.

وفي بعض نسخ الثعلبي الكشف والبيان ٣٦٣/٥: هندام، والصواب ما ثبت في تفسير الحاكمي.

وها هنا قاعدة كلية عن أبي الليث في تفسيره ١٣٩/١، فإنه قال: كل ما في القرآن «بغير حساب» فهو على هذه الوجوه الأربعة: أي يرزق من يشاء رزقاً كثيراً لا يُعرف حسابه، ويقال: أي يرزقه ولا يطلب منه حسابه بما يرزقه، ويقال: بغير حساب أي: ليس له أحد يحاسبه منه بما يرزقه، ويقال: بغير حساب أي بغير احتساب..

(١) ومنه قولهم: فلان حسن الأمة أي القامة، كذا في معاني القرآن للزجاج، ولم يرد هذا المعنى في القرآن، ولذا قيده في اللغة، وما سواه فقد ورد في القرآن، ومما لم يذكره: الجماعة، وبها

والصنف، ومعلم الخير^(١)، قيل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ أي: معلماً للخير.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أظنتم، وقيل: بل ظننتم أيها المؤمنون من أهل أحد أو الخندق^(٢) ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من غير أن يحل بكم من البلاء ما أحل بغيركم من قبلكم، ثم بين البلاء فقال: ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ البأساء: الفقر، والضراء: البلاء والشدة، وقيل: البأساء الجوع والضراء المرض ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ أي: زعزعوا بالمخافة من العدو، وقيل: خوفوا.

﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ كل نبي بعث إلى أمته مع أمته أجهدوا^(٣) حتى قالوا ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ ظفر الله على الأعداء، ثم قال الله تعالى لنبيه: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ لَكَ وَلَأَمْتُكَ﴾ ﴿قَرِيبٌ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُفْقُونَ﴾ أي: يسألك عمرو بن الجموح الأنصاري: كم ننفق؟ [وعلى من ننفق؟]^(٤) ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: من مال ﴿فَلِلَّهِ الدِّينُ

فسروا قوله تعالى ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٨]، انظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال ٣٢، نزهة الأعين النواظر ١٤٢.

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٨٢/١.

(٢) قال قتادة والسدي: إنها في أهل الخندق، ونسبه ابن جرير لأهل التأويل (تفسير الطبري ٢٨٩/٤، البسيط ١١٦/٤).

(٣) كذا في الأصل، والمراد: كل نبي بعث إلى أمته -أمة الدعوة-، أجهد هو ومعه أمته -أمة الإجابة- حتى قالوا: متى نصر الله. وهذا تفسير الكلبي، ونصه: هذا في كل رسول بعث إلى أمته، واجتهد في ذلك، حتى قال: متى نصر؟ قال الله: إن نصر الله قريب.

وأما مقاتل فقال: الرسول هو شعيب وهو اليسع (تفسير أبي الليث ١٤١/١).

(٤) سقط على الناسخ من انتقال النظر، وهو في تفسير مقاتل ١٨٣/١، ويدل عليه قوله الآتي. وهذا الخبر هو من رواية الكلبي عن ابن عباس، كما في تفسير أبي الليث ١٤١/١، والبسيط ١٢٥/٤. ولذا فقد خلا منه تفسير الطبري.

وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ ﴿٦٤﴾ فهذا جواب قوله: «على من ننفق»، وجواب قوله: «كم» في آية أخرى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: صدقة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ﴿٦٥﴾ يجازيكم به. ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهُ لَكُمْ﴾ أي: كره إليكم القتال ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ وهو الجهاد ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ تجدون السفر والغنيمة في الدنيا، والمغفرة والرحمة في الآخرة ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ وهو القعود عن الجهاد ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ تفوتكم الغنيمة والدرجة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أَنَّ الجهاد خير لكم من الجلوس ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ ذلك.

وعسى قد يكون في واجب وقد يكون في غير واجب، وهذا في غير واجب، لأنه ليس كل ما يكره المؤمن فهو خير له، وليس كل ما يحب شر له ^(١).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ﴾ يا محمد ﴿﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾﴾ القتال فيه كثير إثم، وعظيم جرمة.

والآية منسوخة بآية السيف ^(٢) وذلك حين عير المشركون أصحاب رسول الله بقتل ابن الحضرمي في رجب ^(٣)، فقال الله تعالى: ﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

(١) للواحد في البسيط ١٣٤/٤ مبحث نفيس حول عسى، فراجع.

(٢) تفسير أبي الليث ١٤٣/١، والكشاف ٢٥٩/١. حيث عده الزمخشري أكثر أقاويل المفسرين. والكلبي قائل بعدم النسخ، كذا روى عنه أبو يوسف القاضي.

(٣) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية وأمر عليهم عبد الله بن جحش، فلقوا عمرو بن الحضرمي فقتلوه، وهم يظنون أنه آخر يوم من جمادى الآخرة، وهو أول يوم من رجب، فغيرهم المشركون بذلك، وقالوا: ألستم تزعمون أنكم تحرمون البلد الحرام والشهر الحرام، فقد قتلتم في الشهر الحرام، هذا ملخص ما ورد في ذلك، وقد استوعب رواية الأخبار ابن جرير في التفسير ٣٠٩/٤، وانظر: الكشف والبيان ٤١٢/٥، البسيط للواحد ١٣٧/٤، أسباب النزول ٦٩، زاد المسير ١٨٢/١.

وَكُفِّرْ بِهِ ۖ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ۚ أَي: صَدُّ وَصَرْفٌ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿وَإِخْرَاجُ [أَهْلِهِ]﴾ أَهْلُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿مِنْهُ أَكْبَرُ﴾ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ قَتَلَ ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أَي: الشَّرْكَ أَعْظَمُ جَرَمًا مِنْ قَتْلِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ، ثُمَّ أَخْبَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ عِزِّ الْمَشْرِكِينَ فَقَالَ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَتِّلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ الْإِسْلَامَ ﴿إِنْ أَسْتَطَعُوا﴾ إِنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ حَذَرَهُمْ فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ «فِيْمَت» فَأَمَّا الْعُطْفُ لَا فَأَمَّا الْجَوَابُ ^(١) ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بَطُلَ ثَوَابُ إِيْمَانِهِمْ ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لَا يُجَازُونَ عَلَيْهَا ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٧﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَي: فِي طَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ أَي: مَغْفِرَتَهُ وَجَنَّتَهُ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لَمَّا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَأَخَذَ الْغَنِيمَةَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ لِلْعَقْلِ ^(٢) ﴿رَحِيمٌ﴾ ﴿٢٨﴾ يَتَجَاوَزُ عَنْهُمْ ^(٣).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ وَذَلِكَ حِينَ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْخَمْرَ مَذْهَبٌ [لِلْعَقْلِ]، مَهْلِكَةٌ لِلْمَالِ، أَدْعَى اللَّهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَنَا فِيهِ رَأْيَهُ، فَنَزَلَتْ ^(٤).

(١) معطوف على: يرتدد، وفاء الجواب في: فأولئك (التبيان في إعراب القرآن ١/ ١٧٥، الدرر المصون ٢/ ٤٠٠).

(٢) كذا في الأصل. ولعل الصواب: للفعل، أي لما فعلوا.

(٣) والغفور: ستور، والرحيم: عطوف (تفسير السمعاني ١/ ٢١٨).

(٤) انظر: الكشف والبيان ٥/ ٤٢٧، البسيط ٤/ ١٤٦، أسباب النزول ٧٣.

وروى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب، قال: لما نزل تحريم الخمر، قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء. فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ٢١٩] قال: فدعي عمر، فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء، فنزلت الآية التي في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ اللعب بالقمار، والميسر أخذ من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه، والياسر هو الواجب بقداح أو غيرها^(١).

﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ أي: ذنب عظيم ﴿وَمَنْ لَفَعُ لِلنَّاسِ﴾ قبل التحريم للتجارة وأثمائها، واللذة بالخمر في شربها قبل تحريمها^(٢).

﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ أي: إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: شيء يعطون من الصدقة ﴿قُلْ أَلْعَفْوُ﴾ أي: الفضل من أقواتهم، الذي يسهل إعطاؤه، والآية منسوخة بآية الزكاة^(٣).

﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ تتأملون.

وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴿[سورة النساء: ٤٣]، فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادى: أن لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء. فنزلت الآية التي في المائدة، فدعي عمر فقرئت عليه، فلما بلغ ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ ﴿[سورة المائدة: ٩١] قال: فقال عمر: انتهينا، انتهينا.

وهو حديث رجاله ثقات، رواه أبو داود (٣٦٧٠) والترمذي (٣٠٤٩)، وقال: «وقد روي عن إسرائيل هذا الحديث مرسلًا» حدثنا محمد بن العلاء قال: حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل، أن عمر بن الخطاب، قال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء فذكر نحوه «وهذا أصح من حديث محمد بن يوسف» أهد قلت: لم يتفرد محمد بن يوسف بوصله عن إسرائيل، بل تابعه خلف بن الوليد، وإسماعيل بن جعفر، فالحديث صحيح، والله أعلم.

(١) الكشف والبيان ٥/ ٥٤٥، البسيط ٤/ ١٥٠. وفي الأصل: غيره.

(٢) تفسير السمعي ١/ ٢٢٠.

(٣) كذا قال بعضهم، وهذا القول ذكره أبو الليث ١/ ١٤٥، والسمعي ١/ ٢٢٠. وهذا قول السدي، ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (تفسير الطبري ٤/ ٣٤٤)، ورده ابن جرير في مبحث تنفيس، فطالعه.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي: في أمرهما^(١)، وقيل: في الدنيا بأنها دار بلاء وفناء، وفي الآخرة بأنها دار جزاء وبقاء^(٢).

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَلْمِزُ﴾ ومخالطتهم حين نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الَّتِي تَلْمِزُ﴾ الآية، خوفاً عن حكم الآية، وسألوا: هل يصلح لنا مخالطتهم في الطعام والشراب والمبيت، فلا نأخذ شيئاً من مالهم إلا نرد عليهم بأفضل منه، فنزل قوله: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: ما كان فيه بقاء مالهم خير لهم^(٣) ﴿وَإِنْ تَخَالَطَوْهُمْ﴾ في الطعام والشراب وركوب الدابة ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ في الدين، فاحفظوا الإنصاف.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ أي: المصلح بمال اليتيم من مفسده ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ أي: يؤثمكم ويحرّم عليكم مخالطتهم، وقيل لأعتكم: كلّفكم ما يشتد عليكم، والعنت المشقة^(٤).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ منيع قوي لا يمانع من الفعل ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يفعل من غير علم.

قوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ لا تتزوجوهنّ حتى يؤمن بالله ويتبرأن من الشرك ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ ذميمة مسلمة ﴿خَيْرٌ﴾ لكم ﴿مِنْ﴾ نكاح حرة

(١) وهو قول الزجاج في معاني القرآن ١/ ٢٩٤.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ١٤٥.

(٣) روى ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٤٩/٤) عن ابن عباس قال: عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [سورة الإسراء: ٣٤] عزلوا أموال اليتامى، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت: ﴿وَإِنْ تَخَالَطَوْهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٠] فخالطوهم. وانظر: الكشف والبيان ٥/ ٦، البسيط ٤/ ١٥٩.

(٤) مجاز القرآن ١/ ٧٣، معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٩٤، تفسير أبي الليث ١/ ١٤٥.

حسنة ﴿مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ المشركة بحسنها وجمالها.

﴿وَلَا تُكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ أي: لا تزوجوا نساءكم المشركين حتى يؤمنوا: يقرأ بوحداية الله ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ﴾ أي: تزويجكم العبد المملوك المؤمن ﴿خَيْرٌ [مَنْ مُّشْرِكٍ]﴾ من تزويجكم الحر المشرك ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ الحر المشرك.

﴿أُولَئِكَ﴾ المشركون والمشركات ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ يأمرونكم بالشرك ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ﴾ بالتوحيد ﴿[وَالْمَغْفِرَةِ]﴾ والتوبة^(١) ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي: بعلمه الذي علم أن إيمانكم وصلة لكم إلى مغفرته ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ﴾ أمره ونهيه ﴿لِلنَّاسِ﴾ للمؤمنين ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣١﴾ في آيات الله فيتعظون بها^(٢).

﴿وَيَسْتَلُونَاكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ عن وطئ النساء^(٣) وقت المحيض ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾ قدر ونجس^(٤)، وقيل: أذى في حق المرأة قد يؤلمها، ويمنع الزوج عن غشيانها، ويمنعها من الصوم والصلاة.

(١) تفسير المغفرة بالتوبة هو نص تفسير الكلبي الذي تبعه المصنف في هذه الآية، ولذا زدت ما بين الحاصرتين لإكمال السياق.

(٢) ولم يذكر المصنف سبب النزول على عادت، وفي الآية سبب رواه ابن جرير في تفسيره ٣٦٩/٤، وذكر أبو الليث سببا آخر في تفسيره ١٤٦/١.

(٣) في الأصل: الناس، وهو تصحيف. وقيل المعنى: عن النساء إذا حضن (تفسير أبي الليث ١٤٦/١). وهذان القولان على تقدير محذوف، والطبري لا يصير إلى مثل ذلك إلا في أضيق السبل، ولذا قال: يسألك يا محمد أصحابك على الحيض (تفسير الطبري ٣٧٢/٤).

(٤) قال الطبري (في التفسير ٣٧٤/٤): الأذى: هو ما يؤذى به من مكروه فيه، وهو في هذا الموضع يسمى أذى لنتن ريحه وقذره ونجاسته، وهو جامع لمعان شتى من خلال الأذى، غير واحدة، وقد اختلف أهل التأويل في البيان عن تأويل ذلك، على تقارب معاني بعض ما قالوا فيه من بعض..

﴿فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ أي: امتنعوا عن مباضعتهن في الفرج في أيامها ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ إلى أن ينقطع الدم عنهن ويغتسلن.
 ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ اغتسلن من المحيض ﴿فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: من حيث أمركم الله بتجنبه في الحيض، وهو الفرج، وقيل: أمركم الله إتيانها قبل الحيض^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ من الأنجاس.
 ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أي: مولدكم^(٢) كما تحرث الأرض فتزرع ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾ [أَيَّ] كيف ﴿سِدَّتُمْ﴾ مقبلة ومدبرة، والمأتى الفرج الذي هو موضع الحرث.

وقال ابن عمر: ﴿أَيَّ سِدَّتُمْ﴾ إن شاء عزل وإن شاء لم يعزل^(٣).
 ﴿وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ﴾ وهو التسمية عند الجماع عن ابن عباس ومجاهد وعطاء^(٤).

وقيل: النية الصالحة عند الجماع بأن يكون له ولد يعبد الله^(٥).

(١) أي من الوجه الذي أمر إتيانها منه قبل الحيض، وهو الطهر، ويحتمل أن يريد طريق النكاح، وهذا قول ابن الحنفية (الكشف والبيان ٦/ ٦٤، تفسير السمعاني ١/ ٢٢٥).

(٢) كذا في الأصل، أي منبت الولد، وعبرة المفسرين: مزدركم، ولعلها كانت هكذا فتصحفت على الناسخ (تفسير الطبري ٤/ ٣٩٧).

(٣) قول ابن عمر رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦٩٤١)، وفي تفسير الطبري (٤/ ٤٠٨) عن ابن عباس مثله.

(٤) وإسناده إلى ابن عباس ضعيف، رواه الطبري في تفسيره ٤/ ٤١٧.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٤/ ٤١٧، زاد المسير ١/ ١٩٣.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ احذروا عقوبته، واجتنبوا محاش النساء؛ إتيانهن في الأدبار وفي حال الحيض ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَفُّوهُ﴾ عند المحاسبة حفاة عراة يجزيكم بأعمالكم ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ بأمر الله ونهيه.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ يقال: نزلت في أبي بكر الصديق حلف أن لا يصل ولده عبد الرحمن ما لم يسلم، فنزلت الآية^(١)

والعرضة: العلة، أي: لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة لكم من البر والتقوى حتى تعتلوا بها؛ وتقولوا: قد حلفنا بالله^(٢).

﴿أَنْ تَبْرُوا﴾ أي: أولى بكم أن تبروا ﴿وَتَتَّقُوا﴾ أي: افعلوا الذي هو خير، ولا تحتجوا بما سلف من اليمين، وقوله: ﴿أَنْ تَبْرُوا﴾ قيل: أن لا تبروا، ولا مضمر في الكلام، وقيل: لأن تبروا على معنى الإثبات وتتقوا قطيعة الرحم^(٣) ﴿وَتُضْلِحُوا﴾ بين المتشاجرين ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لا يمانكم ﴿عَلَيْمٌ﴾ ﴿٣٤﴾ بنياتكم. وأصل العرضة: ما عرض لك في طريقك ويمنعك عن القصد وسلوكه^(٤).

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ واللغو: يمين الرجل «لا والله» و«بلى والله» من غير قصده اليمين^(٥).

(١) وهذا قاله المقاتلان، انظر: تفسير مقاتل ١١٦/١، الكشف والبيان ١٢٣/٦، زاد المسير ١٩٤/١.

وأما الكلبي فقال: نزلت في شأن عبد الله بن رواحة إذ حلف بالله أن لا يحسن إلى أخته وختنه، ولا يكلمهما ولا يصلح بينهما، فنهاه الله عن ذلك.

(٢) البسيط ١٨٥/٤.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢٩٨/١، البسيط ١٨٨/٤، الكشف ٢٦٧/١.

(٤) انظر: تهذيب اللغة ٢٨٨/١.

(٥) وعليه أكثر الناس، فقد صح عن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما (تفسير الطبري ٤٢٨/٤).

وقيل: هو يمين الغضبان^(١).

وقيل: يمين الظان^(٢).

لا يؤاخذكم الله بكفارتها ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ﴾ يعاقبكم ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾
بما عقدت عليه قلوبكم ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لمن تاب من اليمين الغموس ﴿حَلِيمٌ﴾^(٣٥)
بالحالف لم يعجل عقوبته.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ يحلفون أن لا يطؤوا نساءهم ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ لهم مدة أربعة أشهر من يوم الحلف^(٣).

﴿فَإِنْ فَأَوْ﴾ رجعوا عن ذلك بالجماع قبل تمام أربعة أشهر، فعليه الكفارة
﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ بحنثه ﴿رَّحِيمٌ﴾^(٣٦) إذ أمره بالكفارة.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ أي: حققوه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ ليمينه ﴿عَلِيمٌ﴾^(٣٧) به.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ التربص: الانتظار ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ القروء
من الأضداد، واحدا قرؤ، وأصله في اللغة الوقت، فيقع على الحيض والطمهر
جميعاً؛ لأن الوقت يعتبر فيهما^(٤).

(١) وهو مروي عن ابن عباس بإسناد غريب (تفسير الطبري ٤/٤٣٨).

(٢) وهو قول أبي هريرة، ورواية العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس (تفسير الطبري ٤/٤٣٢). وفيه أقوال أخرى تركها المصنف.

(٣) والتربص: النظر والتوقف (تفسير الطبري ٤/٤٥٦).

(٤) ممن قال إن القراء هو الحيض: ابن عباس في رواية عطاء الخراساني، وأبو موسى، ومجاهد، والربيع، وقتادة، والحسن، والأسود، والضحاك، وعمرو بن دينار، وعكرمة والسدي.
ويروى عن ابن مسعود وعمر. لأنهما قالوا: هو أحق بها مالم تغتسل، فدل أنهما اعتبرا القراء الحيض، وبذلك قضى أبو موسى (تفسير الطبري ٤/٥٠٣).

فعلى هذا القول: يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، ثم تحيض ثم تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم تحيض، فإذا اغتسلت حلت.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ﴾ أي: يسترن من أزواجهن ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الحيض والولد ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ﴾ يصدقن بالله ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ البعث بالقيامة.

﴿وَيُعَوِّلُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ برجعتهن في العدة وفي الحبل، وذلك أراد به الحبل الذي في رحمها ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ الموافقة ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي: النساء على الأزواج ﴿مِثْلُ [الَّذِي]﴾ ما للأزواج ﴿عَلَيْهِنَّ [بِالْمَعْرُوفِ]﴾ من حقوق وحسن صعبة ومعاشرة.

ثم بين فضيلة الرجال فقال: ﴿وَالرِّجَالُ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ فضيلة ورتبة في الميراث والشهادة^(١) والدية.

وضابط الغسل بينه معبد الجهني فقال: إذا غسلت فرجها من الحيضة الثالثة بانت منه وحلت للأزواج (تفسير الطبري ٤/ ٥٠٥).

وممن قال إن القرء الطهر: عائشة وزيد وابن عمر، وأبو بكر بن عبد الرحمن وسالم وأبان بن عثمان، وهو مذهب أهل الحجاز إلا سعيد بن المسيب فقد خالف أهل الحجاز، وتابعهم أهل الشام إلا الأوزاعي، (تفسير الطبري ٤/ ٥١١، تفسير السمعاني ١/ ٢٢٩، معالم التنزيل ١/ ٢٦٦).

فعلى هذا القول: يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، ثم تحيض فتطهر، ثم تحيض فتطهر، ثم تحيض فتطهر، فإذا دخلت في الحيضة الثالثة فقد بانت.

قال بغوي: وفائدة الخلاف تظهر في أن المعتدة إذا شرعت في الحيضة الثالثة تنقضي عدتها على قول من يجعلها أطهارا، وتحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرءا، قالت عائشة رضي الله عنها: إذا طعنت المطلقة في الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه وبرئ منها. ومن ذهب إلى أن الأقراء هي الحيض يقول لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة (معالم التنزيل ١/ ٢٦٦).

(١) في الأصل: الشهرة، وهو تصحيف، والتصحيح من كتب التفسير.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ بالنقمة ممن عصاه وترك حق صاحبه ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٣٧﴾ حكم على الزوج: الإمساك بالمعروف، وعلى المرأة: طاعة الزوج. ثم قال: ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ﴾ يعني: الذي يملك الزوج فيه الرجعة تطليقتان، وقيل: الطلاق المسنون مرتان^(١).

﴿فَإِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ﴾ يمسكها بحسن الصحبة بعد تطليقتين ﴿أَوْ تَرْيُحٍ﴾ لها ﴿بِإِحْسَنِ﴾ منه يؤدي حقها، ويطلقها بأكثر^(٢) ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ من المهر ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ يعلما ويتيقنا ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أن لا^(٣) يمكنهما إصلاح ذات البين، فحينئذ لا جناح أي: لا حرج على الزوج والمرأة فيما افتدت المرأة نفسها، فذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ وإذا كان النشوز في جانبها، فإن كان في جانبها فلا يأخذ شيئاً ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ فرائضه وأحكامه ﴿فَلَا تَعْدُوهَا﴾ أي: لا تجاوزوا حدوده ﴿وَمَنْ يَعْصِ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ لأنفسهم.

ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الثالثة - كانت حُبْلَى أو لم تكن - ﴿فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِهَا التَّطْلِيقُ﴾ الثالثة ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ووطئها.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ بمهر جديد ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: يعلما^(٤) ويتيقنا أن يقدرنا على إقامة أحكام الله

(١) تفسير الطبري ٤/ ٥٣٨، تفسير أبي الليث ١/ ١٥٠.

(٢) كذا في الأصل: ويطلقها بأكثر، وهو تصحيف لا معنى له، أظن أن الصواب: ويطلقها الثالثة، وهو قول عطاء ومجاهد ومقاتل (زاد المسير ١/ ٢٠٢) ولا سيما أنه يعتمد على تفسير مقاتل.

(٣) في الأصل: الا ان لا، وهو تصحيف جرى عليه قلمه في مواطن في كتابة: أن لا.

(٤) في الأصل: علما.

بينهما ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ ما أمر بالطلاق والمراجعة وحسن الصحبة بالمعروف ﴿يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أمره.

ثم قال: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ واحدة أو ثنتين ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضت عدتهن قبل أن يغتسلن^(١) ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: راجعوهن بحسن الصحبة والمعاشرة ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن بمعروف، أي: بإحسان في غير ضرر ﴿وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ أي: بتطويل العدة عليهن بالمراجعة والتطليق ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ يمسكها للضرار ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ أضمر نفسه، أي: عرّضها لعذاب الله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا عَآيَتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ كان الرجل يطلق امرأته فإذا سئل عن ذلك قال: طَلَّقْتُ وأنا أَلْعَبُ، فنزلت الآية^(٢).

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: القرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تعصوه ﴿وَأَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ من أعمالكم ويجزيكم.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ طلقة أو طلقتين ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ فلا تمنعهن ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أَنْ يرجعن إلى أزواجهن.

﴿إِذَا تَرَضَوْا﴾ أي: توافقوا ﴿بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ بمهر ونكاح جديد وشهود ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكر من النهي ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ذَلِكَ أَرْكَى لَكُمْ أي: ذلك الائتمار ﴿وَأَظْهَرَ﴾ لقلوبكم وقلوبهن من الرية ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ حب كل واحد من الزوجين لصاحبه ﴿وَأَنْتُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ والآية نزلت في معقل ابن يسار منع أخته عن زوجها أبي الدحداح ابن عاصم^(٣).

(١) على قول من قال: القرء الحيض.

(٢) انظر الروايات في تفسير الطبري ١٣/٥.

(٣) في صحيح البخاري (٥١٣٠) عن معقل بن يسار، أنها نزلت فيه.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ لفظه خبر ومعناه الأمر^(١) ﴿لِمَنْ أَرَادَ﴾ من الآباء والأمهات إتمام ﴿الرَّضَاعَةِ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أي: الوالد ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ نفقتهن ﴿وَكُسُوتَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: على قدر طاقة الرجل.

﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: لا تطلب من النفقة إلا بقدر اليسار ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ أي: لا ينزع الولد من الأم إذا كانت الأم ترضعه بمثل أجره غيرها ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ أي: لا تطرح الأم ولدها إلى الأب بعدما عرف الولد الأم ولا يقبل ثدي غيرها^(٢).

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ أي: وارث الصبي، وقيل: وارث الوالد^(٣).

قال: زوجت أختاً لي من رجل فطلقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك وفرشتك وأكرمتك، فطلقتها، ثم جئت تخطبها، لا والله لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَلَا تَعْصُلُوهُنَّ﴾ فقلت: الآن أفعل يا رسول الله، قال: «فزوجها إياه».

(١) نحوه في تفسير السمعاني ٢٣٦/١، ولكن ليس ذلك على جهة الإيجاب (تفسير الطبري ٣١/٥).

(٢) وهذا النهي للتحريم بإجماع المسلمين (تفسير الطبري ٤٨/٥).

(٣) والقولان مشهوران عند أهل العلم، وبكل قول قال بعض الفقهاء، والاختلاف في أمرين: أي وارث هو، ووارث من هو (تفسير الطبري ٥٤/٥).

وقال السمعاني (في تفسيره ٢٣٧/١): قال عمر: أراد به على غير الوالدين مثل ذلك النفقة، وهذا قول أبي حنيفة، فإنه يوجب نفقة القرابة على الإخوة والأعمام، والقول الثاني: أراد بمثل ذلك: ترك المضارة. وهو قول ابن عباس، ولم ير النفقة على غير الوالدين، وهذا مذهب مالك والشافعي، وفيه قول ثالث: أراد بالوارث هذا: الولد، عليه نفقته من ماله إن كان له مال.

وأما الشيخ ابن جرير فقال: وأولى الأقوال بالصواب في تأويل قوله: «وعلى الوارث مثل ذلك»: أن يكون المعني بالوارث المولود، وفي قوله: «مثل ذلك» أن يكون معنياً به: مثل الذي كان على والده من رزق والدته وكسوتها بالمعروف، إن كانت من أهل الحاجة، ومن

﴿مِثْلُ [ذَلِكَ]﴾ ما على الوالد من النفقة والكسوة وترك الضرار.

﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ الأبوان ﴿فَصَالَا﴾ أي: فطامًا ﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾ وموافقة ﴿مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ ويكون التشاور فيما بين الحولين^(١).

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَدَكُمْ﴾ أخذتم لهم ظئرًا ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: سلمتم أجرة المراضع على ما ضمنتهم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أخشوه في ترك الضرار بالأم^(٢) ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من العدل والجور في أولادكم ﴿بَصِيرٌ﴾ عالم يجزيكم به.

﴿وَالَّذِينَ يَتُوفَوْنَ مِنْكُمْ﴾ يموتون من الرجال عن أزواجهن ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: ينتظرن في عدة أزواجهن ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ ليال، فلهذا لم يقل عشرة^(٣) ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ﴾ انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت في تركهن.

هي ذات زمانة وعاهة، ومن لا احترام فيها، ولا زوج لها تستغني به، وإن كانت من أهل الغنى والصحة، فمثل الذي كان على والده لها من أجر رضاعه (تفسير الطبري ٦٥/٥) وهذا الموضع مشكل في التفسير، وقول ابن جرير حسن.

(١) أي: قبل الحولين (معالم التنزيل ٢٧٨/١).

(٢) في الأصل: للأم.

(٣) وإنما خص الليالي لأن كل أجل يبتدئ بالليل (تفسير السمعاني ٢٣٩/١).

قال ابن جرير: فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: «يتربصن بأفسهن أربعة أشهر وعشرا»، ولم يقل: وعشرة؟ وإذ كان التنزيل كذلك: أقبال الليالي تعدد المتوفى عنها العشر، أم بالأيام؟ قيل: بل تعدد بالأيام بلياليها.

فإن قال: فإذا كان ذلك كذلك، فكيف قيل: وعشرا؟ ولم يقل: وعشرة؟ والعشر بغير الهاء من عدد الليالي دون الأيام؟ فإن أجاز ذلك المعنى فيه ما قلت، فهل تجيز: عندي عشر، وأنت تريد عشرة من رجال ونساء؟

قلت: ذلك جائز في عدد الليالي والأيام، وغير جائز مثله في عدد بني آدم من الرجال النساء، وذلك أن العرب في الأيام والليالي خاصة، إذا أهتمت العدد، غلبت فيه الليالي، حتى إنهم

وفي حرف ابن مسعود: «فلا جناح عليهن»، أي: لا ذنب عليهن^(١).
 ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من الزينة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ للتزويج ﴿وَاللَّهُ بِمَا
 تَعْمَلُونَ﴾ من الخير والشر ﴿خَبِيرٌ﴾^(٢) عالم يجازيكم.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ والتعريض أن يقول
 لها: إن كان لي امرأة مثلك أحسن إليها كذا وكذا، أو يقول: أريد أن تكون لي
 زوجة مثلك، وأشبه ذلك من غير تصريح^(٣).

﴿أَوْ أَكَنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أو تسرون في قلوبكم تزوجهن وهن في العدة
 ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ أي: علم الله بما يكون منكم قبل خلقكم
 وخلقهن ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: لا تواعدوهن بالنكاح تصريحاً في
 السر وهن في العدة، وقيل: لا تتعتوا لهن جماعاً من أنفسكم.

وقيل: السر الزنا^(٣).

فيما روي لنا عنهم ليقولون: صمنا عشرا من شهر رمضان، لتغليهم الليالي على الأيام،
 وذلك أن العدد عندهم قد جرى في ذلك بالليالي دون الأيام؛ فإذا أظهروا مع العدد مفسره
 أسقطوا من عدد المؤنث الهاء، وأثبتوها في عدد المذكر، كما قال تعالى ذكره: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ
 سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [سورة الحاقة: ٧] فأسقط الهاء من سبع وأثبتها في الثمانية (تفسير
 الطبري ٩٢/٥).

(١) لم أقف عليه.

(٢) البسيط ٢٦٨/٤. قال المفسرون: ومعنى التعريض بالخطبة: أن يقول لها وهي في العدة: إنك
 لجميلة، وإنك لصالحة، وإنك لناقفة، وإن من عزمي أن أتزوج، وإني فيك لراغب، وما أشبه
 هذا من الكلام، هذا في عدة المتوفى عنها، فأما الرجعية فلا يحل التعريض بخطبتها في العدة؛
 لأنها في معاني الأزواج، وأما المختلعة والمطلقة ثلاثاً فالصحيح أن التعريض بخطبتها جائز،
 كجوازه في عدة الوفاة (البسيط ٢٧١/٤).

(٣) وهذا رواية الكلبي عن ابن عباس (البسيط ٢٧٣/٤)، وهو قول أبي مجلز والحسن (تفسير
 الطبري ١٠٦/٥) ورجحه ابن جرير الطبري.

﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ كناية غير إفصاح ﴿وَلَا تَعْزَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ أي: لا تحققوا النكاح ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ حتى ينتهي الأجل المذكور في كتاب الله ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من الوفاء للنساء وغيره ﴿فَأَحْذَرُوهُ﴾ [فاحذروا أن تخالفوا أمره].

والحذر: هو إعداد ما يُتَّقَى به الضر في العاجل.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمواعدة السر منكم ﴿حَلِيمٌ﴾ ﴿٢٣٥﴾ لم يعجل بعقوبتكم فيما تركتم من الأدب.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ لم تجامعوهن ﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي: لم تبنوا لهن مهراً ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ متعة الطلاق ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ﴾ ^(١) على الغني مقدار غناه، وعلى الفقير مقدار فقره، أعلاها خادم في قول ابن عباس، وأدناها الكسوة: درع وخمار وملحفة ^(٢).

﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٣) واجباً على المؤمنين.

﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ أي: سرّحتموهن من قبل المسيس ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ بيّتم لهن مهراً ﴿فَنَصَفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أي: عليكم نصف ما أوجبتم من المهر ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾ أي: يتركن ما يجب لهن من نصف الصداق ^(٤).

﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ أي: الزوج، يترك المهر على المرأة المطلقة كاملاً، وقيل: الولي ^(٥).

(١) ضبطها في الأصل بإسكان الدال: قدره، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو ويعقوب ورواية هشام وشعبة، وقرأ الباقر: بفتح الدال، وهم أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان وحفص (النشر ٢/ ٢٢٨). وهما لغتان في جميع معاني القدر (البسيط ٤/ ٢٨١).

(٢) انظر: تفسير الطبري ٥/ ١٢١، البسيط ٤/ ٢٨٢.

(٣) تفسير الطبري ٥/ ١٤١.

(٤) والقولان مشهوران في كتب التفسير، تفسير الطبري ٥/ ١٤٦، تفسير أبي الليث ١/ ١٥٦.

والألف واللام في النكاح يدل على الإضافة، أي: نكاحها، كقوله: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (١٤) أي: مأواه.

﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: التفضل والعفو أقرب للمتقي إلى التقوى ﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: لا تتركوا الإفضال بعضكم على بعض ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الفضل والإحسان ﴿بَصِيرٌ﴾ (٣٢) عالم.

قوله: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ واطبوا ولازموا عليها خصوصاً ﴿الْوُسْطَىٰ﴾ قيل: هي العصر، وقيل: الظهر، وقيل: الغداة، وقيل: المغرب^(١).

﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾ في صلاتكم ﴿قَلِيلَيْنِ﴾ (٣٨) خاضعين قائمين^(٢) مطيعين.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا﴾ أي: خفتم من العدو والسباع فمشاة بالإيماء، ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ على الدواب على الرجال [إن] أمكنكم ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ أي: زال عنكم الخوف ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي: صلوا لله ﴿كَمَا عَلَّمَكُمُ﴾ للمقيم أربعاً وللمسافر ركعتين ﴿مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٩) قبل نزول الآية.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ أي: يموتون وتُقبض أرواحهم ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ أي: نساء ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ﴾ على الأمر بالنصب، وبالرفع على الحكاية، أي: لأزواجهم وصية^(٣).

﴿مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ أي: لهن نفقة العدة إلى تمام الحول ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ أي: لا يخرجن من مسكن أزواجهن.

(١) والمرجح أنها: صلاة العصر، والله أعلم (تفسير الطبري ٥/ ١٦٨، تفسير ابن كثير ١/ ٦٤٥).

(٢) في الأصل: قانتين، وهو تصحيف، صوابه ما أثبت، يوافق ما في كتب التفسير.

(٣) ضبطها بالأصل بالنصب، وبذلك قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص، وقرأ الباقر بالرفع (النشر ٢/ ٢٢٨).

ثم صارت منسوخة بآية المواريث: الربع والثمن^(١).

﴿فَإِنْ خَرَجَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: خرجن من قبل أنفسهن، أو تزوجن قبل حَوْلَانِ الحول؛ فلا جناح عليكم يا أولياء الميت في منع نفقتهن وتركهن في التزويج والتزئين.

ونسخت عدة الحول بعدة أربعة أشهر وعشرًا^(٢).

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ بالانتقام ممن خالف أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿حَكَمَ عَلَى الزَّوْجِ النِّفْقَةَ وَالْمَتْعَةَ﴾.

﴿وَالْمُطَلَّاتِ﴾ المدخولات بهن ﴿مَتَّعَ﴾ أي: متعة الطلاق ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ على قدر ميسرة الرجل ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ المؤمنين، وهذا مستحب وليس بواجب^(٣).

(١) وهو قول عظم المفسرين، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة والضحاك وعطاء والربيع وغيرهم (تفسير الطبري ٢٥٥/٥، تفسير أبي الليث ١٥٨/١).

(٢) وهذا محل إجماع، قال الواحدي (في البسيط ٣٠٠/٤): «كان الأمر في ابتداء الإسلام على هذا، إذا مات الرجل لم يكن لامرأته من الميراث شيء إلا السكنى والنفقة سنة، ما لم تخرج من بيت زوجها، وكان المتوفى يوصي بذلك لها، فإن خرجت من بيت زوجها لم يكن لها نفقة، وكان الحول عزيمة عليها في الصبر عن التزوج، ولكن كانت مخيرة في أن تعتد إن شاءت في بيت الزوج، وإن شاءت خرجت قبل الحول، على أنها إن خرجت سقطت نفقتها، هذا جملة حكم هذه الآية. ثم ورد النسخ على هذه الآية من وجهين: أحدهما: أن العدة صارت مقدرة بأربعة أشهر وعشر، وقد تقدمت الآية الناسخة، والوجه الثاني: أن الميراث ثبت لها، وسقطت نفقة العدة».

(٣) هو مستحب للمدخل بها، وعلى هذا جري المصنف، وهو قول أكثر المفسرين، أن الآية في المدخول بها، وأما غير المدخول بها ففيه تفصيل، فإن لم يسم لها مهرًا فقد قال قوم بوجوب المتعة لهن، على ما سبق من الآيات. واختار ابن جرير القول بعموم المتعة لكل مطلقة، وأنه حق على المتقين (تفسير الطبري ٢٦٣/٥).

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ أمره ونهيهِ؛ كما بيّن لكم أحكام النساء ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢٤٢) أي: تفهمون.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ وهم سبط [من] بني إسرائيل، ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ قيل: ثمانية آلاف، وقيل: بضعا وثلاثين ألفاً^(١).

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ فرّوا من الطاعون ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ فأماهم الله ثمانية أيام ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ بدعاء نبيهم حزقيل^(٢)، ورجعوا إلى بلادهم وأقاموا وتوالدوا.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: ذو منّ عليهم حين أحياهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٢٤٣) نعمه، ثم قال لهم بعدما أحياهم: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لمقاتلكم إذ قلتم: لا ندخل أرضاً فيها طاعون ﴿عَلِيمٌ﴾ (٢٤٤) بنياتكم.

وقيل: هذا الخطاب للمؤمنين من أمة محمد كي لا يكونوا كبني إسرائيل^(٣).

(١) وهذان القولان من رواية الضحاك والكلبي عن ابن عباس (كما في تفسير أبي الليث ١٥٩/١، وانظر: تفسير السمعاني ٢٤٥/١، معالم التنزيل ٢٩٣/١).

(٢) تفسير أبي الليث ١٥٩/١، تفسير السمعاني ٢٤٦/١، معالم التنزيل ٢٩٣/١.

(٣) القول الأول: هو رواية الكلبي عن ابن عباس (كما في تفسير أبي الليث ١٥٩/١، معالم التنزيل ٢٩٤/١) ولا وجه له، فإن عادة القرآن أن يستخلص العبر -لهذه الأمة- بعد القصص، ويذيل بها عليها، ولذا قال ابن جرير (في التفسير ٥/٢٨١): «ولا وجه لقول من زعم أن قوله «وقاتلوا في سبيل الله»، أمر من الله الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف بالقتال، بعد ما أحياهم».

ثم أطال النفس في الرد عليه في مبحث نفيس على طالب العلم أن يطلع عليه، فمثل هذه المباحث تعلم النقد في التفسير.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قيل: إقراض الله أن يتصدق بصدقة اكتسبها من حلال محتسباً في ذلك من قلبه، مطمئنة بها نفسه، لا يمنُّ بها على السائل ولا يؤذيه ﴿فِيضْلَعْفُهُ لَهْ﴾^(١) أضعافاً كثيرة، قال السُّدي: لا يعلم أحد ما هو^(٢)، وقال جماعة: سبعمائة ضعف.

وقوله ﴿فِيضْلَعْفُهُ﴾ قرئ بالنصب والرفع^(٣).

فمعنى النصب: أنه جواب الاستفهام بالفاء، ومعنى الرفع: أنه عطف على قوله: ﴿يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ قال المفسر الكبير: الرفع هو الاختيار؛ لأنه في معنى الشرط والجزاء، وما بعد فاء الشرط مرفوع، كقوله ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾^(٤).

ومن حق ﴿يُقْرِضُ﴾ أن يكون مجزوماً بكلمة ﴿مَنْ﴾، ولكن دخل بينه وبين الشرط اسم وهو كلمة ﴿الَّذِي﴾ فانقطع حكمه^(٥).

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ أي: يقتّر ويوسع ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾^(٦) في الآخرة فيجزئكم بأعمالكم.

قال محمد بن علي: القرض^(٦) في اللغة القطع، معناه: اقطعوا حب ذلك المال وذكره من قلوبكم وأعطوا^(٧).

(١) ضبطها بالأصل بالضم في الفاء، وهي قراءة من سوى ابن عامر وعاصم ويعقوب، حيث قرأ الثلاثة بالنصب فيها (النشر ٢/ ٢٢٨).

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ٢٨٦/٥.

(٣) قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بالنصب، وقرأ ألباقون بالضم (النشر ٢/ ٢٨٨).

(٤) الحجة لأبي علي ٢/ ٣٤٤، الدر المصون ٢/ ٥٠٩.

(٥) التبيان في إعراب القرآن ١/ ١٩٤.

(٦) تصحفت في الأصل إلى القرضي، ثم كرر القرض مرة أخرى بعد كلمة.

(٧) وهذا من الإشارات التي اشتهر بها الحكيم الترمذي.

وقوله: ﴿لَمْ تَر إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: جماعة منهم ﴿مِنْ﴾ [بَعْدَ] وفاة ﴿مُوسَى﴾ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ﴿شَمْعُون، وَقِيلَ: أَشْمُوِيل بِالْعِبْرَانِيَةِ وَإِسْمَاعِيل بِالْعَرَبِيَّةِ﴾^(١).

﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ أرسل معنا قائدًا ﴿نُقَاتِلَ﴾ بأمره ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي: لعلكم إن فرض عليكم القتال مع عدوكم العمالقة ﴿أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا﴾ أي: ليس لنا ﴿أَلَّا نُقَاتِلَ﴾ [فِي سَبِيلِ اللَّهِ] عدونا ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَيْنَا﴾ وقد أجّلونا من منازلنا وسبّوا ذرارينا ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ نصب على الاستثناء^(٢).

وهم ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً^(٣).

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ المخالفين الذين كرهوا القتال.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ تجاهدون عدوكم معه ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ أنكروا ملكه؛ لأنه ليس من سبط الأنبياء ولا من سبط المملكة، وكانت النبوة في سبط لاوي، والمُلْك في سبط يهوذا^(٤).

(١) الأول قول السدي، والثاني قول وهب وابن إسحاق، وقيل: شموئيل، وقيل يوشع، تفسير الطبري ٢٩١/٥.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٢٧/١.

(٣) عدة أصحاب بدر، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري (٣٩٥٧) عن البراء قال: حدثني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرا، أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت، الذين جاوزوا معه النهر، بضعة عشر وثلاث مائة، قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن.

(٤) تفسير أبي الليث ١٦٢/١. وقد روى الطبري في ذلك خبراً إسرائيلياً طويلاً ٣٠٩/٥.

﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لَأَنَّ مَنَّا الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُلُوكَ، وَمَعَ هَذَا لَمْ يَوْتِ طَالُوتُ غَنًى مِنَ الْمَالِ لِيَنْفِقَ عَلَيْنَا ﴿قَالَ﴾ نَبِيَّهُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ﴾ اخْتَارَهُ بِالْمُلْكِ ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ أَي: فَضِيلَةً ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ قِيلَ: هُوَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ، وَقِيلَ: عِلْمُ الْحُرُوبِ لِأَنَّهُ يَطُولُهُمْ بِمَنْكِبِيهِ^(١).

﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ أَي: جَوَادٌ بِعَطِيَّتِهِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِالْعِبَادِ مَن كَانَ أَهْلًا لِعَطِيَّتِهِ، [ف]طَلَبُوا عَلَى ذَلِكَ عِلَامَةً:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ مِنَ اللَّهِ عِزُّ وَجَلُّ ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمْ﴾ التَّابُوتُ ﴿الَّذِي قَدْ أَخَذَ مِنْكُمْ عِدْوَكُمْ قَوْمَ جَالُوتَ﴾ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿طَمَآنِينَةَ، وَقِيلَ: تَسْكُنُونَ إِلَيْهِ إِذَا أَتَاكُمْ.

ابن عباس: «السكينة طست من ذهب يغسل فيه قلوب الأنبياء»^(٢).

وقال علي: «شيء لها وجه كوجه الإنسان، ولها جناحان، فإذا حاربوا قومًا قدموها فإذا صوتت^(٣) عرفوا أن النصر لهم»^(٤).

(١) أي أطول من بني إسرائيل بمَنْكِبِيهِ، وهذا قول وهب بن منبه (تفسير الطبري ٣١٣/٥).

(٢) من رواية الحكم بن ظهير وهو متروك، وهو قول السدي نسبة الحكم لابن عباس (تفسير الطبري ٣٢٨/٥).

(٣) في الأصل: تصوبت، وهو تصحيف، والصواب ما أثبتته، وهو مشهور في كتب التفسير (تفسير أبي الليث ١٦٣/١).

(٤) المروي عن علي أنه قال: ريح هفهاقة.. والباقي نحوه، رواه ابن جرير (تفسير الطبري ٣٢٦/٥).

قال الواحدي (في البسيط ٣٢٦/٤): «قال قتادة والكلبي: هي فعيله من السكون، أي: طمأنينة من ربكم. وفي أي مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا. وهذا اختيار الزجاج. قال: أي: فيه ما تسكنون به إذا أتاكم.

﴿وَبَقِيََّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ ابن عباس: «كان قفيزاً من منّ وهو الترنجيبين الذي يأكله بنو إسرائيل في التيه، ورضاض الألواح، وعصا موسى، وعمامة هارون، وكان التابوت من عمود الشمشار»^(١).

﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: تسوقه الملائكة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: في رد التابوت ﴿لَايَةً﴾ علامة ﴿لَكُمْ﴾ بأن ملك طالوت من الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين لذلك فاقروا إذا أتاهم.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ﴾ يعني: سار بجنوده في قفرة من الأرض وشدة الحر أصابهم العطش، فشكوا ذلك، فقال لهم طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ من الماء ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: لا يعينني على قتال عدوي ويصير جباناً ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ أي: لم يشرب ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ يعينني على القتال ﴿إِلَّا مَنْ أَغْرَفَ غُرْفَةً﴾^(٢) قال مقاتل: الغرفة يشرب منها الرجل وخادمه ودابته، ويملاً به قربته، وقيل: هو المملأ بالكف^(٣).

والسكينة: مصدر وقع موقع الاسم، نحو القضية والعزيمة، وهذا معنى قول الحسن، قال: جعل الله لهم في التابوت سكينة لا يفرون عنه أبداً وتطمئن قلوبهم.

(١) وهذا من رواية الكلبي، انظر: تفسير الطبري ٣٣١/٥، تفسير أبي الليث ١٦٣/١، البسيط ٣٢٦/٤. والشمشار شجر عندهم صنعوا منه أشياء، انظر: البداية والنهاية ١٩٦/٢، وليست في المعاجم.

(٢) ضبطها في الأصل: غُرْفَةٌ، وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقر: غُرْفَةٌ (النشر ٢/٢٣٠).

(٣) وهو الصحيح، لأنه الذي تدل عليه اللغة، وقول مقاتل لا دليل عليه، بل هو من قبيل الإسرائيليات.

قال الواحدي: الاغتراف: الأخذ من الشيء باليد أو بالة كما يغترف من الماء، والمِغْرَفَةُ: الآلة التي يغرف بها، وكذلك الغَرْفُ مثل الاغْتِرَافِ، واختلف القراء في فتح الغين من (غرفة) وضمها، فمن فتح الغين عدَّى الفعل إلى المصدر، والمفعول محذوف في قوله، والمعنى:

فلما رأوا الماء ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ ثلاث مائة وثلاث عشر عدد صحب رسول الله يوم بدر^(١) ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ طالوت ﴿هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ أي: لم يشربوا الماء إلا غرفة ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ [بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ]﴾ أي: العصاة الذين شربوا، قالوا ذلك ولم يقطعوا النهر، وقيل: جاوزوا ثم قالوا ذلك^(٢).

﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يتيقنون ﴿أَنَّهُمْ مُّلْكُوا اللَّهَ﴾ في الآخرة، أي: معاينوه بالبعث ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ عددهم ﴿غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ من الكافرين ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بنصرة الله ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالمعونة والنصرة.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ﴾ أي: خرجوا لمحاربتة وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وصافوا للقتال ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي: أنزل علينا صبراً ﴿وَوَثِّبْتَ أَقْدَامَنَا﴾ كيلا نهزم ﴿وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: على جالوت وجموعه، فاستجاب دعاءهم.

﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: كسروا جنوده بنصرة الله ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿جَالُوتَ﴾ اللعين ﴿وَوَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ يعني: داود، جعله ملكاً على بني إسرائيل ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: النبوة ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ أي: علم داود ما أراد داود من صنعه الدروع، فالآن له الحديد حتى صنع الدروع.

إلا من اغترف ماءً غَرْفَةً. ومن ضم الغين عدَّى الفعل إلى المفعول به، ولم يعده إلى المصدر؛ لأن الغَرْفَةَ بالضم: الشيء المُغْتَرَفُ، والماء المغروف، فهذا بمنزلة: إلا من اغترف ماء (البسيط ٤/ ٣٣٢).

(١) انظر الروايات في تفسير الطبري ٣٤٦/٥ قد أطل في ذكرها.

(٢) والأخير هو المرجح عند ابن جرير (تفسير الطبري ٣٥٠/٥).

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي: لولا دفع الله شر جالوت
بداود ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ أي: خربت وفسد أهلها بفسادها، وقيل: يغلب
المشركون على مساجد المسلمين وصوامع الرهايين^(١).

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٥١﴾ بالظفر لهم على الكافرين
وبالحكم عليهم.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ أي: القرآن ﴿تَتْلُوهَا﴾ حال من آيات الله ﴿عَلَيْكَ
بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٢٥٢﴾.]

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ تام^(٢) إن استأنفت^(٣).

﴿مِنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ أي: موسى عليه السلام، وإن نصبت ﴿مِنْهُمْ﴾ بدلاً من
موضع ﴿فَضَّلْنَا﴾ لم تقف على بعض^(٤).

وقرئ: «كَلَّمَ الله» نصباً، وقرئ: «كالم الله» من المكالمة، وكليم يدل عليه^(٥).

(١) وليس المقصود داود عليه السلام فقط، بل يدخل في الآية كل المؤمنين في كل زمان ومكان،
قال ابن جرير (في التفسير ٣٧٢/٥): ولولا أن الله يدفع ببعض الناس - وهم أهل الطاعة له
والإيمان به - بعضاً؛ وهم أهل المعصية لله والشرك به، كما دفع عن المتخلفين عن طالوت
يوم جالوت من أهل الكفر بالله والمعصية له - وقد أعطاهم ما سألوا ربهم ابتداء: من بعثة
ملك عليهم ليجاهدوا معه في سبيله - بمن جاهد معه من أهل الإيمان بالله واليقين والصبر،
جالوت وجنوده لفسدت الأرض، يعني: لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم، ففسدت بذلك
الأرض، ولكن الله ذو من على خلقه وتطول عليهم، بدفعه بالبر من خلقه عن الفاجر،
وبالمطيع عن العاصي منهم، وبالمؤمن عن الكافر.

(٢) في الأصل: تا.

(٣) وهو الوجه، وفيها وجه آخر وهو: حال من المشار إليه (الدر المصون ٢/٥٣٥).

(٤) التبيان ١/٢٠١، الدر المصون ٢/٥٣٦.

(٥) وهاتان قراءتان شاذتان، لم يذكرهما ابن جني.

﴿وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ﴾ أي: محمدًا صلى الله عليه وسلم ولم يصرح باسمه تفخيماً له ﴿دَرَجَتٍ﴾ حسن^(١)، نصب حال، أي: زاد درجات، وحسن الوقف هنا، لأن^(٢) ما بعده جملة مستأنفة، المعنى: أنه عليه السلام ساوئ الأنبياء عليهم السلام في فضلهم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين؛ وفضل عليهم بأشياء كثيرة، وأكثرها القرآن الثابت إعجازه على مرور الأزمان، قال عليه السلام: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه^(٣) البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ»^(٤).

وقال عليه السلام: «فُضِّلْتُ على الأنبياء بست، أوتيت جوامع الكلم، ونُصِرْتُ بالرعب، وأُحِلَّت لي الغنائم، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأُرْسِلْتُ إلى الخلق كافة، وخُتِمَ بي النبون»^(٥).

﴿وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَيَذْنُبُنَا يُرِجِحُ الْقُدُسَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ مشيئة قهر^(٦) ﴿مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: بعد الرسل ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا﴾ في

وفي الكشف للزمخشري (١/ ٢٩٧): «وقرئ (كلم الله) بالنصب، وقرأ اليماني: كالم الله، من المكالمه، ويدل عليه قولهم: كلم الله، بمعنى مكالمه» وانظر: التبيان ١/ ٢٠١، الدر المصون ٢/ ٥٣٦.

(١) أي وقف حسن.

(٢) في الأصل: لا، وهو تصحيف.

(٣) في الأصل: ما آمن عليه مثله البشر.

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (٤٩٨١)، والبخاري (١٥٢).

(٥) رواه مسلم في الصحيح (٥٢٣).

(٦) سبق تفسيرها، ولذا لم يفسرها، وقال الزجاج (في معاني القرآن ١/ ٣٣٤): «أي أعطيناها.

والبيانات الحجج التي تدل على إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى والإنباء بما غاب عنه».

(٧) في الأصل: مشيئة قشر، وهو تصحيف.

دينهم ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي: الذين بقوا بعد الرسل ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ من ثبت على الإيمان ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ﴾ ارتدوا وكفروا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا﴾ تأكيداً ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٢٥٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا﴾: مفعول ﴿أَنْفِقُوا﴾ محذوف، أي: شيئاً^(١) ﴿مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ هي الزكاة ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ﴾ لا فداء ﴿وَلَا خَلَّةٌ﴾ لا صداقة ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ بغير إذنه.

القراءة هنا، وإبراهيم: ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَلٌ﴾ (٢٦)، والطور: ﴿لَا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ (٢٧) فتحاً في السبعة^(٢) بلا تنوين يبنى على ما بعدها على الفتح، كأن قائلًا قال: هل من بيع؟ فجيء بالجواب عاماً على وفق السؤال، فقيل: لا بيع، وغير الاسم بالبناء، ومحل «لا» مع الاسم رفع ابتداءً، خبره «فيه». وبالرفع: على جعل «لا» بمعنى «ليس»، تلخيصه: تأهبوا للحساب قبل الموت^(٣). ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٥٤).

قال صلى الله عليه وسلم يوماً لأبي: «أبا المنذر، أية آية في كتاب الله أعظم؟ قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فضرب في صدري وقال: ليهنك العلم، والذي نفسي بيده إن لها للساناً وشفعتين تقدس الملك عند ساق العرش»^(٤).

(١) التبيان ١/ ٢٠٢.

(٢) أي الكلمات السبعة: بيع، خلّة، شفاعّة، بيع، خلال، لغو، تأتيم. وهكذا ضبطها في الأصل. وقد اختلف القراء في هذه الحروف، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب هذه السبعة بالفتح - كما ذكر المصنف -، وقرأ الباقون بالرفع والتنوين (النشر ٢/ ٢١١).

(٣) هذا وجه قراءة النصب بلا تنوين، وعلى القراءة الأخرى -الرفع والتنوين-: «أنه جعله جواباً لقول قائل: هل عندك رجل؟ فقال لا رجل، فلم يعمل «لا» لأن هل غير عامله». انظر: الحجة لابن خالويه ٩٩، الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣٥٤ / ٢.

(٤) رواه مسلم في الصحيح (٨١٠) إلى قوله: ليهنك العلم، ورواه تامة كما ذكره المصنف: أحمد في المسند (٢١٢٧٨).

«ومن قرأها حين يأوي إلى فراشه وكل الله به حافظاً، ولا يقربه شيطان حتى يصبح»^(١).

ثم وصف الله تعالى فقال: ﴿الْحَيُّ﴾ خبر مبتدأ، أي: هو الذي لا يلحقه الفناء ولا يموت ﴿الْقَيُّومُ﴾ فيَعُول بناء مبالغة^(٢)، وهو القائم دائماً بتدبير خلقه، وقرئ «القيَام» و«القيَم» بمعناه^(٣).

ثم بين ذلك وأكده بقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ وزيدت «لا» هنا مع الواو لنفي السِنَّة والنوم عنه بكل حال، ولولا «لا» هنا لاحتمل أن يقال لا تأخذه سِنَّة ولا نوم في حال واحدة.

والنوم: غشية ثقيلة تقع على القلب فيمنعه معرفة الأشياء. والسِنَّة: ما يتقدمه من النعاس^(٤)، فعلى هذا لم يكتف بقوله ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾ دون ذكر النوم لنفي وهم أن السِنَّة إنما لم تأخذه لضعفها، ولتوهم أن النوم قد يأخذه لقوته، فجمع بينهما لنفي التوهمين، السِنَّة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب. تلخيصه: هو منزّه عن جميع التغيرات^(٥).

- (١) هذا جزء من حديث أبي هريرة وقصته مع الشيطان، وهو في صحيح البخاري معلقا (٢٣١١)، وانظر فضائل القرآن للمستغفري (٧٣٨) حيث خرجنا هذه الروايات وغيرها.
 (٢) وزنه فيَعُول، وأصله: قَيُّوْمٌ، فلما اجتمعت الياء والواو، والسابق ساكن جُعِلَتْ ياءٌ مشددة، ولا يجوز أن يكون على (فَعُول)، لأنه لو كان كذلك لكان قووماً (البسيط ٣٤٧/٤).
 (٣) الأولى نسبت لعمر وابن مسعود، والثانية لعلقمة، انظر: الكشف والبيان ٨١/٧، تفسير السمعي ٢٥٧/١، معالم التنزيل ٣١٢/١، الكشاف ٣٠٠/١.
 (٤) البسيط ٣٤٨/٤.

(٥) وتلخيصه كذلك: أنه لا يغفل عن تدبير الخلق، سبحانه وتعالى (البسيط ٣٤٩/٤).

وفي صحيح مسلم (١٧٩) عن أبي موسى، قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات، فقال: إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه،

ثم أكد نفي السِّنة والنوم المشار إليه بقوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لأنه خلقهما بما فيهما، والمشاركة إنما تقع فيما فيهما؛ ومن يكن له ما فيهما فمحال نومه ومشاركته، إذ لو وجد شيء من ذلك لفسدتا بما فيهما، ثم أكد الوجدانية المنزهة عن صفات المحدثات بقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾ لأنَّ أحدًا لا يقدر على الكلام يوم القيامة ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ حال^(١)، بأن يأذن في الكلام والشفاعة لمن شاء فيمن شاء.

ثم بين أنه لا يغيب عنه شيءٌ ما بقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بين أيدي ما فيهما، والمراد: ما وجد قبل خلق ما فيهما كالملائكة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما يوجد بعد ما فيهما^(٢).

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ مما علم.

وقوله: ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ كإخبار الرسل، بدل من «شيء».

ثم دلَّ على عظمته ومُلْكه بقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ أي: علمه ومُلْكه ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والعلم يسمى كرسياً، والعالم أيضاً، ومنه الكرّاسة لما فيها من العلم، والمعنى: أحاط قدرة وعلمًا بهما.

أو الكرسي: شيء إلى جنب العرش^(٣)، في الحديث: «السموات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في

يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور - وفي رواية أبي بكر: النار - لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٠٤.

(٢) ضمير التشية فيما مضى عائد للسموات والأرض.

(٣) أتى المصنف على القولين المشهورين في الكرسي، وهما: العلم، ومخلوق قدام العرش، على هيئة الكرسي المعروف وهو موضع القدمين، وعن الحسن: أن الكرسي هو العرش

فلاة»^(١).

﴿وَلَا يَتَّوَدُّهُ﴾ لا يثقله ولا يشق عليه ﴿حَفِظُهَا وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ المتعال عن أن يحيط به وصف واصف أو معرفة عالم عارف ﴿الْعَظِيمُ﴾^(٢٥٥) الذي ليس شيء أعظم.

ونزل فيمن كان له أولاد في الكفار وأراد عودهم إلى الإسلام^(٢): ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. ابن مسعود: هذه الآية منسوخة بآية السيف^(٣).

﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ﴾ الإيمان ﴿مِنَ الْغَيِّ﴾ الكفر، المعنى: ظهر الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الشيطان، والأصنام، وكل من أطيع في معصية الله طاغوت، ووزنه بعد التغيير والقلب فلغوت عند بعضهم، وهو من الياء من طغى يطغى، يدل عليه الطغيان، أو من طغا يطغو، والياء أكثر فحملة عليها أولى، فأصله «طغيوت»، ثم قدمت اللام فصارت «طيغوت»، فتحركت الياء فقلبت ألفاً. ويذكر ويؤنث ويُفرد ويُجمع^(٤).

نفسه، وهذا قول شاذ (تفسير الطبري ٣٩٧/٥، الكشف والبيان ١٠٤/٧، البسيط ٣٥٣/٤، تفسير السمعاني ٢٥٨/١، معالم التنزيل ٣١٣/١).

(١) رواه ابن جرير في التفسير ٣٩٩/٥، وابن حبان في الصحيح (٣٦١) وأبو نعيم في الحلية ١٦٦/١، والثعلبي في الكشف والبيان ١٠٩/٧.

(٢) قال ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاتا، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده. فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، رواه ابن جرير ٤٠٨/٥ بإسناد صحيح.

(٣) تفسير الطبري ٤١٢/٥، البسيط ٣٥٩/٤.

(٤) تفسير الطبري ٤١٩/٥، البسيط ٣٦٢/٤، تاج العروس ٤٩٥/٣٨.

تخليصه: ظهر الإيمان فمن آمن ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ﴾ أي: تمسك واعتصم ﴿بِالْعُرْوَةِ﴾ بالعقد الثابت والحُجَّة ﴿الْوُثْقَى﴾ المحكمة الموصلة إلى رضى الله تعالى، وأصل العروة الثبات واللزوم، والوثقى العقد والأحكام ﴿لَا أَنْفَصَامَ لَهَا﴾ لا انقطاع، وأصل الفصم: انصداع من غير فصل^(١).

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١٥١) أي: سميع لقولهم عليم بهم.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ﴾ أي: ناصر ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي: الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان، [﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾] واليهود وليهم الطاغوت: كعب بن الأشرف وأصحابه ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ﴾ الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، لأنهم كانوا يعرفونه في كتبهم ويستفتحون به ﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر به، بأن أنكروه ومنعوا من اتباعه، والمراد جميع الكفار، ويكون الإخراج عن الإيمان المنع عن الدخول فيه، لقول يوسف عليه السلام ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

﴿[أُولَئِكَ أَصْحَابُ]﴾ فلهم ﴿التَّارُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١٥٢).

ثم عجب نبيه صلى الله عليه وسلم وسأله^(٢) بمجادلة إبراهيم نمرود الجبار المدعى الربوبية: ﴿الْمَرَّ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ] والعامل في «أن»: حاج، فمحل أن والمتصل بها نصب أو جر، تقديره:

(١) تفسير الطبري ٥/ ٤٢٢، البسيط ٤/ ٣٦٦.

(٢) قال ابن جرير (في التفسير ٥/ ٤٣٠): «وهذا تعجيب من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، من الذي حاج إبراهيم في ربه، ولذلك أدخلت «إلى» في قوله: ﴿الْمَرَّ إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾ وكذلك تفعل العرب إذا أرادت التعجيب من رجل في بعض ما أنكرت من فعله، قالوا: «ما ترى إلى هذا» والمعنى: هل رأيت مثل هذا، أو كهذا». وانظر: معاني القرآن للزجاج

حاج لأن أعطاه المُلْك، فكانت المحاجة من نظر الملك قالوا أنه ملك الأرض فتنة له، أو الهاء لإبراهيم فالملك على هذا النبوة.

أي: حاج نمروود إبراهيم لأن أعطي النبوة^(١).

ومحل ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ نُصِبَ بحاج ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فثم نمروود ﴿قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ فعمد إلى رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر، فجعل ترك القتل إحياءً.

القراءة: بحذف الألف من أنا، وإثباتها إذا كان بعدها من همزة مضمومة أو مفتوحة^(٢).

وكان لإبراهيم أن يقول: أحيي مَنْ أَمَاتَ، ولنمروود أن يقول: فليحيي ربك من أمت، ولكن صُرف عن ذلك معجزة لإبراهيم.

فانتقل إبراهيم إلى حجة واضحة بأن: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ أي: تحير ودُهِش ﴿الَّذِي كَفَرُ﴾ وانقطعت حجته.

وقرئ: «فَبُهِتَ» أي: فبهت إبراهيم الكافر^(٣).

وقرئ: «فَبُهِتَ» كقرب، وبُهِتَ كعلم وزناً، لغتان^(٤).

(١) قال الزجاج: أي أتى الكافر الملك، وهذا هو الذي عليه أهل التفسير وعليه يصح (معاني القرآن ١/ ٣٤٠).

(٢) وهذه قراءة أبي جعفر ونافع (النشر ٢/ ٢٣١).

(٣) وهي قراءة ابن السميع، شاذة (انظر: تفسير الطبري ٥/ ٤٣٢، الكشف والبيان ٧/ ١٤٧).

(٤) وهي قراءات شاذة، ذكرها ابن جني في المحتسب ١/ ١٣٤، وذكرها الواحدي على أنها لغات لا قراءات (البسيط ٤/ ٣٧٨).

وفي انتقال إبراهيم دليل على جواز الانتقال من دليل إلى دليل أخف وأوفى. [وَلَلَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾].

﴿أَوْ كَاذِبٍ﴾ كاف في ﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾^(١)، والكاف منصوبة محلاً بمحذوف: أو رأيت مثل الذي، وحذفت رأيت لدلالة ألم تر عليه، لأنهما للتعجب، أو زائدة أي: ألم تر إلى الذي حاج وإلى الذي ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سقوفها.

وأصل الخوى: الخلاء^(٢)، وأصل العرش: أن يستعمل لكل بناء مرتفع، ثم استعمل في كل سقف كالسرير، أي: سقطت السقوف؛ ثم سقطت عليها الحيطان، أو «على» بمعنى «مع»^(٣).

والمارُّ: عزيزٌ، أو كافر شك في البعث، أو أرمياء بن حلقيا^(٤).

والقرية: بيت المقدس، أو قرية العنب قريب منها^(٥).

وذلك لأنه لما كثرت المعاصي في بني إسرائيل وعظهم أرمياء فلم يتعظوا، فخرج من بينهم وخالط الوحوش يتعبد، ودخل بختنصر بجنوده بيت المقدس

(١) يعني مثلها.

(٢) انظر لكلمة خوى: تفسير الطبري ٥/ ٤٤٤، معاني القرآن، للزجاج ١/ ٣٤٢.

(٣) كذا في الأصل: مع، وهو صحيح، ومثله في الدر المصون ٢/ ٥٥٩، والمعنى: مع عروشها، فيكون المراد بالعروش الأبنية، أي قرية خالية والأبنية كذلك.

وقيل: إنها بمعنى عن، أي خاوية عن عروشها، قال الواحدي (في البسيط ٤/ ٣٨٣): وقال بعضهم أي: خالية عن عروشها لتهدمها، جعل على بمعنى عن كقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [سورة المطففين: ٢] أي: عنهم.

(٤) هذه الأقوال الثلاثة مذكورة في كتب التفسير، انظر: تفسير الطبري ٥/ ٤٣٩، الكشف والبيان

٧/ ١٥٠، البسيط ٤/ ٣٨٠، تفسير السمعاني ١/ ٢٦٣، معالم التنزيل ١/ ٣١٧.

(٥) تفسير الطبري ٥/ ٤٤٢.

وخربه، وملاه ترابًا، وقتل من فيه، وسبى ذراريهم، فلما ذهب رجع أرمياء بحماره وعصير عنب وتين فوجده خرابًا، فقال -ليزداد بصيرة- وكذلك إن قيل المار هو العزيز: ﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

وإن قيل: السائل كان كافرًا؛ فإنما سأل شكًا في البعث.

إن جعلت «أَنِّي» بمعنى متى نصبتها: يُحْيِي.

وبمعنى كيف نصبتها: حالًا من هذه^(١).

﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ﴾ أي: ألبثه ميتًا ﴿مِائَةَ عَامٍ﴾ ولا يكون ظرفًا لأماته لأنَّ الإماتة تقع في أيسر زمان^(٢) ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ أحياه ثم قال له ملك: ﴿كَمْ لَيْتُ﴾ ميتًا ﴿قَالَ لَيْتُ يَوْمًا﴾ لأنه قد كان مات أول النهار ثم رأى بقية من الشمس، فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قَالَ بَلْ لَيْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ التين أو العنب ﴿وَشَرَابِكَ﴾ العصير أو اللبن ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتسنه هاء، كقولهم: ساهت فلانًا عاملته سنة، أي: لم يتغير من مر السنين.

أو واو^(٣)؛ لقولهم: سنوات، فحذفت الواو وجيء بهاء السكت كحسابيه.

أو نون، من الحمى المسنون؛ فقلبت نونه حرف علة، كيتمطى^(٤).

ولم يثنه ردًا للضمير إلى أقرب المذكورين^(٥).

(١) التبيان ٢٠٨/١، الدر المصون ٥٦٠/٢.

(٢) أي أدناه وأقله، انظر: التبيان في إعراب القرآن ٢٠٩/١، الدر المصون ٥٦٠/٢.

(٣) معطوف على قوله: هاء، أي لام الفعل يتسن هاء أو واو.

(٤) وذلك أن أصله تمطط، ومثله قولهم: تقضى البازي، أصله: تقضض، فلما اجتمعت ثلاث طاءات في تمطط وثلاث ضادات في تقضض قبلوا إحداهن ياءً، فقالوا: تمطى، تقضى. وقد رد الزجاج هذا الوجه وقال: «وهذا ليس من ذاك لأن مسنون إنما هو مَصْبُوب على سنة الطريق» (معاني القرآن ٣٤٤/١).

(٥) قال الثعلبي: «فإن قيل: أخبر عن شيئين اثنين ثم قال: لم يتسنه ولم يثنه؟ قيل: لأن التغير راجع إلى أقرب اللفظين وهو الشراب، واكتفى بذكر أحد المذكورين عن الآخر لأنه في

القراءة: بإثبات الهاء وصلًا، لأنها لام الكلمة، وبحذفها فصلًا على أنها للسكت، وإثباتها وقفًا للكل^(١).

وقرى: «وهذا شراك لم يتسن»^(٢) وقرى: «يسنّه» بإدغام التاء في السين^(٣). وتلخيصه: ما معك باق بحسنه.

قالوا: كان حماره قد مات وبقي عظامًا فليل له: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ أو لم يكن قد مات، وهذا أبلغ في القدرة، فنظر فرآه قائمًا كهيتته أول يوم، ثم عطف ما بعد على محذوف تقديره: أريناك ذلك لتعلم قدرتنا ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أو زائدة، أي: فعلنا ذلك للدلالة على البعث ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِطَامِ﴾ أي: عظام الحمار أو عظام الموتى ﴿كَيْفَ نُنْشِرُهَا﴾^(٤) وناسب كيف نشرها، القراءة: بضم النون من أنشر الله الموتى فُشروا وأظهروا، وبفتحها من نشر الله الموتى بمعنى أنشرهم، أو من النشر ضد الطي، وبضم النون والزاي^(٥) من النشور: التحرك والارتفاع، أي: نحركها ونرفعها^(٦).

معنى الثاني... ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود: (فانظر إلى طعامك وهذا شراك لم يتسنه). الكشف والبيان ١٦٩/٧.

(١) قرأ بحذف الهاء لفظًا في الوصل وإثباتها في الوقف اتباعًا للرسم حمزة والكسائي ويعقوب وخلف، وأثبتها الباقون في الحالين (النشر ٢/ ٢٣١).

(٢) الكشف والبيان ١٦٧/٧، البسيط ٣٩٢/٤.

(٣) الكشف والبيان ١٦٥/٧، تفسير القرطبي ٢٩٣/٣.

(٤) ضبطها في الأصل: «نُنْشِرُهَا» وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وكلام المصنف على هذه القراءة، وقرأ الكوفيون وابن عامر بالزاي كما أثبت (النشر ٢/ ٢٣١)، وروى أبان عن عاصم: نُنْشِرُهَا (السبعة ١٨٩).

(٥) في الأصل: والراء، وهو تصحيف.

(٦) انظر: الكشف والبيان ١٧١/٧، البسيط ٣٩٦/٤.

﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فعادت العظام كهيتها حية ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾
إحياء الموتى، لأن فاعل تبين مضمَر.
وقرئ: «تبين» مجهولاً^(١).

القراءة: ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ بقطع الهمزة رفعًا إخبارًا عن نفسه، وبوصل الهمزة
جزمًا أمرًا لنفسه أو من الله تعالى له بالعلم اليقين^(٢) ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ﴾ وقرئ: «قيل اعلم»^(٣).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ لأزداد بصيرة، وإذا
سئلت: هل رأيت إحياء الموتى فأقول نعم ﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ﴾ مع علمه بإيمانه،
ليظهر إيمانه لكل سامع بقوله ﴿قَالَ﴾ بلى ولكن واللام بعد^(٤) متعلقة
بمحذوف تقدير سألتك ﴿لِيُظْمِنَ﴾ أي: ليسكن ﴿قَلْبِي﴾ ويصير علم اليقين
بالاستدلال عين اليقين بالمشاهدة، وليس ما يصل إلى القلب بالخبر كالذي
يصل إليه بالنظر، لأن الكذب في الخبر ممكن، وفي النظر غير ممكن، لأن حاسة
السمع مخبرة وحاسة البصر مازجة، ولو كان الجواب بنعم لكان كفرًا، لأن
الاستفهام أكد معنى النفي، وبلى لإيجاب المنفي سواء أكان مع النفي استفهام
أو لم يكن.

تلخيصه: آمنت وأريد مشاهدة ذلك لإيمان غيري.

(١) أي على البناء للمفعول، انظر: الكشف ١/٣٠٨.

(٢) فقرأ حمزة والكسائي بالوصل، وإسكان الميم على الأمر، وإذا ابتداء كسرا همزة الوصل.
وقرأ الباقون بقطع الهمزة والرفع على الخبر (النشر ٢/٢٣٢).

(٣) نسبت هذه القراءة للأعمش، انظر: معاني القرآن للفراء ١/١٧٤، تفسير الطبري ٥/٤٨٣،
الكشف والبيان ٧/١٨٧، البسيط ٤/٣٩٧.

(٤) أي في: ليظمن، (البيان في إعراب القرآن ١/٢١١).

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ طاوِسًا وديكًا وحمامةً وغرابًا^(١) ﴿فَصُرُّهُنَّ إِلَيْكَ﴾^(٢) ضَمًّا للصاد قطعهنَّ، وكسرًا أملهنَّ.

أو لغتان: صريته وصروته^(٣) أملتة وقطعته.

أو: صرهن صِحْ بهنَّ.

الخليل: «عصفور صَوَّار» للمجيب إذا دُعِيَ^(٤).

وقرئ: «فَصُرُّهُنَّ» بضم الصاد وكسرها من صرَّه يصُرُّه ويصُرُّه؛ جمعه؛ كصرَّه يصرُّه ويصُرُّه من الضرر.

و«فَصُرُّهُنَّ» من التصرية الجمع^(٥)، و«فَصِرُّهُنَّ» من الصرير الصوت؛ أي: صَحْ بهن، وجميع المستعمل من: (ص ر ر) يشمله معنى الميل^(٦).

(١) انظر الروايات في ذلك في تفسير الطبري ٤٩٤/٥.

(٢) قرأ أبو جعفر وحمزة وخلف ورويس بكسر الصاد، وقرأ الباقون بضمها (النشر ٢/٢٣٢).

(٣) في الأصل: صرية وصرته، وهو تصحيف.

ومن قال: إنهما لغتان قال إحداهما: صار يصور، والأخرى: صار يصير (انظر: تفسير الطبري ٤٩٩/٥).

(٤) العين ١٤٩/٧، ونص كلام الخليل: وعُصفورٌ صَوَّارٌ: وهو الذي يُجيب الدَّاعي. وقوله تعالى: ﴿فَصُرُّهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي فشَقَّقَهُنَّ اليك، قال: فقال له الرحمن: صَرَّها فإنَّها تأتيك طوعاً عند دعوتك الشفع.

(٥) الكشف والبيان ٢٠٨/٧، الكشف ٣١٠/١، التبيان في إعراب القرآن ٢١٢/١، الدر المصون ٥٧٦/٢.

قال أبو البقاء: «ويقرأ بضم الصاد وتشديد الراء، ثم منهم من يضمها، ومنهم من يفتحها، ومنهم من يكسرها مثل مدهن، فالضم على الإتيان، والفتح للتخفيف، والكسر على أصل التقاء الساكنين، والمعنى في الجميع من صره يصره إذا جمعه».

(٦) الكشف والبيان ٢٠٨/٧، البسيط

وأمر بضمها إليه بعد الأمر بأخذها ليتأملها ويعرف أشكالها، لئلا يلتبس عليه بعد عودها إليه، والمعنى: أملهن إليك واعتبرهن ثم قطعهن ثم أخلط لحمهن بعضه ببعض ثم أمسك رؤوسهن ثم جزّهن أجزاء.

﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾ من جبال أرضك وكانت سبعة ﴿مِّنْهُنَّ جُرُءًا﴾ القراءة: بضم الزاي وإسكانها، ومنهن: صفة لجزء، فلما قدمت عليه نصبت حالاً^(١).

﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ﴾ قل لهن تعالين بإذن الله ﴿يَأْتِيَنَّكَ﴾ ففعل، فعاد كل جزء إلى جزئ، ثم أتين إلى رؤوسهن ﴿سَعِيًّا﴾ سريعاً، أو مشياً، لئلا يتوهم أنها غير تلك الطير^(٢)، أو أنها غير سليمة الأرجل، فاتصلت برؤوسهن فعادت كما كانت، وانتصاب سعيًا مصدر مؤكد، أو في موضع الحال أي: ساعيات ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣).

لما كانت هذه الأشياء تدل على قدرة الله تعالى حث على النفقة بعد لأنه قادر على الخلف والثواب قال:

﴿مَثَلُ [الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ]﴾ مبتدأ، وفي الكلام حذف أي: مثل نفقات المنفقين، خبره ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ وقدر في الكلام حذف لأن الذين ينفقون لا يشبهون الحبة، لأنه لا يشبه الحيوان بالجماد، بل نفقاتهم تشبه الحبة^(٣).

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢١٢.

(٢) في الأصل: عرينك الطين، وهو تصحيف عجيب، والتصحيح من الكشف والبيان ٧/ ٢١٨، معالم التنزيل ١/ ٣٢٤.

(٣) الكشف والبيان ٧/ ٢٢٢، البسيط ٤/ ٤٠٧، الكشف ١/ ٣١٠.

ومحل: ﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾ جزاء صفة حبة، وإسناد الإنبات إلى الحبة مجاز.

المعنى: فتشعبت من أصلها سبع شعب في كل شعبة سنبله ﴿فِي كُلِّ سُنْبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾.

قري: «مائة» نصباً بدلاً من سبع^(١)، والتاء في مائة بدل من لامها^(٢).

﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ﴾ يزيد الثواب ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من المنفقين إلى سبع مائة ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾.

ونزل في المنفقين في طاعة الله ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾^(٣) لا يمن على المنفق عليه ﴿وَلَا أَذًى﴾ لا يؤديه بأن يقول: قد أعطيتك فما شكرت، وإلى كم تؤديني.

تلخيصه: لا يعيره بشيء من إحسانه إليه.

ولا وقف هنا لأن خبر الذين ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [عِنْدَ رَبِّهِمْ] ولم يجيء بالفاء في ﴿لَهُمْ﴾ هنا وجيء بها في ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ بعد لأن الموصول هنا لم يتضمن معنى الشرط، وضمنه ثم، ولأن الفاء فيها دلالة لأن الإنفاق به استحق الأجر وطرحها عارٍ من تلك الدلالة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤).

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ رد جميل أو عدة حسنة، مبتدأ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ يغفر خلته ولا يهتك ستره أو يجاوز عن الفقير إذا استطال عطفاً عليه، وخبر المبتدأ:

(١) وهي قراءة شاذة (التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢١٣).

(٢) لأن أصل الكلمة: م أي، فلامها الياء (تاج العروس ٣٩/ ٥٠٦).

(٣) في الأصل: كتب كلمتين من أول الآية، ثم قال: إلى «ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا».

(٤) البحر المحيط ٢/ ٦٥٩.

﴿خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَذًى﴾ من وتعبير ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقة من يُمْنُ ﴿حَلِيمٌ﴾ (٢٣) عن معالجته بالعقوبة وهذا وعيد، ثم أكد بقوله:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ﴾ أي: أجورها ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي﴾ ومحل الكاف نصب صفة محذوف، أي: إبطالاً مثل إبطال المنفق ﴿مَالَهُ رِثَاءٌ﴾ مفعول له، أي: لأجل ﴿التَّاسِ﴾ ليقال كريم، ورياء مصدر مضاف إلى المفعول هنا.

وقرى: «رياء» بقلب الهمزة ياء^(١).

ثم جاء بالفاء لتربط ما بعدها بما قبلها فقال: ﴿فَمَثَلُهُ﴾ أي: مثل نفقة المرائي بها ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أملس، وجمعه صُفي، أو واحده صفوانة، وقرى: «صفوان» كغليان^(٢)، أي: كمثال حجر قد استقر ﴿عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ مطر شديد ﴿فَتَرَكُهُ صَلْدًا﴾ نقيًا لا تراب عليه، المعنى: مثل الفريق المان والمنافق في صدقتهما يوم القيامة كحجر عليه تراب أزاله عنه المطر ﴿لَا يَقْدَرُونَ﴾ أي: المراءون ﴿عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٦) قال صلى الله عليه وسلم: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء»»^(٣).

[﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾]...^(٤) المنفقين رياء فذكر المنفقين: ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ﴾ أي: طلب رضوان ﴿لِلَّهِ وَتَنَبَّيَاتٍ﴾ معطوف، على المفعول

(١) قراءة شاذة، ذكره في التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢١٤.

(٢) قراءة شاذة نسبت للزهري، انظر المحتسب ١/ ١٣٧، الكشف والبيان ٧/ ٢٤٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٣٦٣٠)، وهو حديث صحيح.

(٤) هاهنا كلمة في الأصل صورتها: بلث، وهي مصحفة، والمعنى واضح أي أنه لما ذكر المنفقين رياء ذكر المنفقين ابتغاء مرضات الله.

له، أي: للابتغاء وللتثيت أين يضعون النفقة، فمحل ﴿مَنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ نصب مفعول المصدر^(١).

أو المعنى: تثبتاً لأنفسهم على إخراج النفقة، لأن المال شقيق النفس، وتثبتاً لها على الإيمان بالجزاء^(٢).

ف﴿مَنْ﴾ على هذا تبعيض، نحو: هَزَّ مِنْ عَظْفِهِ^(٣).

أو ابتدائية كقوله: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: تثبتاً صادراً من عند أنفسهم^(٤).

أو بمعنى اللام نحو: فعلت ذلك^(٥) كسراً من شهوتي. وقرئ: تثبتاً^(٦).

والمعنى: مثل نفقة هؤلاء ونموها عند الله ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ أي بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ هي المستوى من الأرض لا يعلوه الماء ولا يعلو عن الماء، فيكون نبتة حسن. القراءة: بضم الراء وفتحها^(٧).

(١) وعلى هذا ورد قول بعض السلف كعطاء ومجاهد والحسن، حيث قالوا: يتثبت في صدقته في أهل الصلاح والعفاف (تفسير الطبري ٥/ ٥٣٢، البسيط ٤/ ٤١٦)، وضعفه ابن جرير لبعده عن ظاهر التلاوة.

(٢) وهذا عليه جماهير المفسرين (تفسير الطبري ٥/ ٥٣١، الكشف والبيان ٧/ ٢٥٣).

(٣) ونحو حرك من نشاطه، «فإن قلت: فما معنى التبعيض؟ قلت: معناه أن من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها» الكشف ١/ ٣١٣.

(٤) نحوه في الكشف ١/ ٣١٣، ومنه ومن البحر المحيط أقيمت بعض الخلل في الأصل.

(٥) في الأصل أسقط الذال، والتصحيح من البحر المحيط ٢/ ٦٦٦.

(٦) نسبت لمجاهد، انظر: الكشف والبيان ٧/ ٢٥٥، الكشف ١/ ٣١٣.

(٧) قرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء والباقون بضمها، (النشر ٢/ ٢٣٢) وقد ضبطه الآية في الأصل بالضم.

وَقُرئ: بكسرها^(١)، وبضمها وبفتحها وكسرها مع الألف لغات كلها^(٢).

﴿فَقَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ أي: حملت في سنة ما يحمل غيرها في سنتين.

القراءة: «أكلها» و«أكله» و«أكل خمط» حيث وقع بسكون الكاف وضمها،

لغتان^(٣).

﴿فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ رفع بمحذوف، أي: كالذي يصبها طل،

وهو المطر الضعيف، أو الندى، والطل إذا دام عمل عمل الوابل.

المعنى: أن هذه الجنة تربع قلل المطر أو كثر، كذلك صدقة المؤمن

المخلص فيها تنفعه قلت أو جلّت ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٤).

إن لم تجعل ﴿يَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ متصلاً بقوله ﴿يَتَأَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ ومحل: ﴿مَنْ نَخِيلٍ﴾ - جمع

نخل، أو نخل ونخيل واحد وهو من جنس - ﴿وَأَعْنَابٍ﴾ رفع صفة جنة

﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ له فيها ﴿رِزْقٌ أَوْ ثَمَرَةٌ﴾ من كل الثمرات

وخصّ النخيل والأعناب بالذكر وإن كان في الجنة غيرهما تفضيلاً لهما.

والواو للحال في: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾.

ومحل: ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ﴾ أي: أولاد ﴿ضِعْفَاءُ﴾ صغار حال من الهاء في

أصابه، أو عاطفة على ﴿يَوَدُّ﴾، ويكون الماضي مستقبلاً بمعنى^(٥).

(١) أي بدون ألف، وهي قراءة شاذة (الكشف والبيان ٧/ ٢٥٧، الكشف ١/ ٣١٣).

(٢) هذه شواذ كذلك (مختصر في شواذ القرآن ٢٣، الكشف والبيان ٧/ ٢٥٧) فصار في الحرف هذا تثليث الراء مع الألف، وبدونها.

(٣) ضبط الآية في الأصل بالسكون، وأما القراءات: فقد أسكن الكاف من أكلها وأكله والأكل وأكل: نافع وابن كثير وافقهما أبو عمرو في أكلها خاصة (النشر ٢/ ٢١٦).

(٤) أي مستقبل المعنى، وهو صادر عن معاني القرآن للفراء ١/ ١٧٥، فقد وضع هذا المعنى بأمثله.

إن جعلت ذرية من ذراً -بمعنى خلق- فوزنها فعولة، وأصلها ذروءة، فأبدلت الهمزة ياء تخفيفاً، فبقيت ذروية، ثم أدغمت الواو في الياء بعد القلب.

وإن جعلتها من الذرّ -التفريق- فوزنها فعلية أو فعولة، وأصلها ذرية أو ذرورة، فأبدلت الراء الثانية ياء لكثرة الراءات، ثم أبدلت الواو ياء، ثم أدغمت في الياء وكسرت الراء لتصح الياء الساكنة.

وقرئ بكسر الذال: إتباع لكسرة الراء، أو نسبة إلى الذر، كما^(١) «إمسي» في «أمس»^(٢).

وإن جعلتها من: ذروثُ الحبّ وذريته؛ فوزنها من الواو فعولة، وأصلها ذرورة، ومن الياء فعيلة وأصلها فعولة -كخروبة-، من الذر أيضاً^(٣).

والفاء عاطفة في: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ ريح شديدة ترتفع كالعمود، أو ريح تسطع وتثير السحاب ﴿فِيهِ نَارٌ﴾^(٤).

المعنى: أوجب أحذكم أن يملك جنة في غاية الجودة يدّخرها لفاقة فأحوج ما كان إليها فأصابها ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ [فَأَحْرَقَتْ] فبقي متحيراً محتاجاً لا يجد ما يعود به عليه، كذلك المرائي بعمله أحوج ما يكون إليه لا ينفعه.

تلخيصه: من عمل لغير الله ندم حين لا ينفع الندم، وصل^(٥) الحرق بكل شيء مع حرارة والتهاب.

(١) كما اختصار لقوله: كقولهم.

(٢) تصحفت في الأصل، وأقمتها من المحتسب ١/ ١٥٨.

(٣) لابن جني مبحث نفيس مبحث نفيس في اشتقاق ذرية، في المحتسب ١/ ١٥٨، واعتمد عليه السمين -وعلى غيره- في الدر المصون ٢/ ١٠١، وانظر: التبيان في إعراب القرآن.

(٤) تفسير الطبري ٥/ ٥٥٤، تفسير أبي الليث ١/ ١٧٧.

(٥) في الأصل: أوصل الحرق بكل شيء بشيء مع حرارة واهتاب.

أو: هذا مثل لمن عمل بالطاعات فبعث له الشيطان فعمل بالمعاصي فأغرق أعماله كلها، وإن أحدهم أفقر ما يكون إلى عمله إذا فارق الدنيا^(١).

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: هكذا البيان الذي بُين فيما تقدم من الجهاد والصدقة وقصة إبراهيم عليه السلام وغيرها^(٢).

﴿يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ أي: الدلالات التي تحتاجون إليها في توحيدهم ودينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ بالتجارة والصناعة، قال صلى الله عليه وسلم: «أحل ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه»^(٣)، وقال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن داود ما كان يأكل إلا من عمل يده»^(٤).

﴿وَمِمَّا﴾ أي: ومن طيبات ﴿أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ من الحبوب والثمر، ويجوز أن يقال: من الكنوز والمعادن، وهذا أمر بإخراج الزكاة.

(١) في صحيح البخاري (٤٥٣٨): أن عمر رضي الله عنه قال يوماً لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَبُوذُؤْدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٦]؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: «قولوا نعلم أو لا نعلم»، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: «يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك»، قال ابن عباس: ضربت مثلاً لعمل، قال عمر: «أي عمل؟» قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: «لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله».

(٢) صدر عن معاني القرآن للزجاج ٣٤٩/١.

(٣) رواه أحمد في المسند (٢٤٠٣٢) وأبو داود (٣٥٢٨) وابن ماجه (٢١٣٧) من حديث عائشة

رضي الله عنها، بلفظ: إن أطيب ما أكل الرجل.. وهو حديث حسن.

(٤) رواه البخاري في الصحيح (٢٠٧٢) من حديث المقدم رضي الله عنه.

ونزل فيمن كان يتصدق بالردىء ويختص بالجيد^(١): ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا
الْخَبِيثَ﴾ أي: الردىء، ومحل: ﴿مِنْهُ تُفْقُونَ﴾ -أي: من الخبيث- نصب
حالٍ مقدرة من الضمير في ﴿تَيَمَّمُوا﴾.

القراءة: بتشديد التاء وتخفيفها هنا وفي أخواتها، وهي في أحد وثلاثين
موضعاً^(٢).

وقرى: «ولا تأمموا»^(٣) «ولا تيمموا»^(٤) بضم التاء، وتيممه^(٥) وأممه ويممه
واحد: قصده^(٦).

ومحل ﴿إِلَّا أَنْ تَغْمُضُوا فِيهِ﴾ -أي: تسامحوا في أخذه- حال، وأصل
الإغماض: غض البصر، أغمض فلان عن بعض حقه تساهل فيه^(٧).
المعنى: لو جاء^(٨) لكم أنكم لا تأخذونه إلا في حال الإغماض.

(١) وذلك أن رجلاً من الأنصار علق قنواً من حشف - وهو ردىء التمر - في الموضع الذي كان
المسلمون يعلقون صدقة ثمارهم؛ صدقة من تمره، يظن أن ذلك جائز (انظر: سنن الترمذي
٢٩٨٧)، تفسير الطبري ٥/ ٥٦٠، الكشف والبيان ٧/ ٢٩١، البسيط ٤/ ٤٢٤).

(٢) وهي التاءات التي تكون في أوائل الأفعال المستقبلية إذا حسن معها تاء أخرى، ولم ترسم
خطاً، وهذه المواطن مجموعة في الشاطبية (البيت ٥٢٦-٥٣٥).

قرأ البزّي بتشديد التاء وصلاً في الفعل المضارع في أحد وثلاثين موضعاً باتفاق، وموضعين
باختلاف، وغير البزّي يقرأ بالتخفيف أي بتاء واحدة، ومحل بسط ذلك كتب القراءات،
انظر: النشر ٢/ ٢٣٣، الوافي شرح الشاطبية ٢٢٥.

(٣) نسبت لابن مسعود (انظر: تفسير الطبري ٥/ ٥٥٨، الكشف والبيان ٧/ ٢٩٠).

(٤) نسبت لابن عباس (الكشف والبيان ٧/ ٢٩٠، الكشاف ١/ ٣١٤).

(٥) في الأصل: تممه، وهو تصحيف، تصويبه من الطبري والبسيط ٤/ ٤٢٢.

(٦) البسيط ٤/ ٤٢٢.

(٧) تهذيب اللغة ٨/ ٥٨.

(٨) في الأصل: و جا، والمراد: أن الحق لو كان لكم على غيركم، فجاء به رديئاً لا تأخذونه إلا
بحال الإغماض.

أو المعنى: لو أهدي إلى أحدكم ما أخذه إلا على استحياء من صاحبه.

وقرئ: «تَغْمَضُوا» مشددًا من غَمَضَ، و«تَغْمَضُوا» بضم الميم وذكرها من غَمَضَ يَغْمَضُ^(١).

«وَتَغْمَضُوا» مجهولاً^(٢). ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ وعد يستعمل في الخير والشر^(٣).

والفقر: سواء الحال، وأصله انفراج في شيء، ومنه فقار الظهر؛ لما فيه من الفصول، والفقر منه^(٤).

والمعنى: أنه يخوفكم بالفقر؛ بأن يقول: إن تصدقتم افتقرتم ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ بالبخل.

﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم﴾ أي: إن أنفقتم ﴿مَغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَفَضْلًا﴾ خلفًا مما أنفقتم وثوابًا عليه ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ [عَلِيمٌ] ﴿٣٧﴾.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ أي: العلم النافع الموصِل إلى رضَى الله تعالى والعمل به أو الورع ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾. وأصل الحكمة المنع، وكذلك جميع المستعمل من (ح ك م) وتعكيسه^(٥)، ثم استعمل للمنع مع إصلاح.

(١) نسبت الأولى لقتادة وهذه للزهري كما في الكشف والبيان ٢٩٧/٧.

(٢) نسبت الأولى لقتادة والثانية للزهري، وهذه الثالثة قراءة أبي مجلز كما في الكشف والبيان ٢٩٧/٧، البسيط ٤٢٧/٤.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣٥١/١.

(٤) البسيط ٤٢٨/٤.

(٥) مثل: كمح الدابة وأكمحها أي: كبحها، انظر: تهذيب اللغة ١/٨٨٥، البسيط ٢/٣٥٥، تاج العروس ٧/٨٢.

وتمَّ الوقف هنا؛ لأنَّ الواو في: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ استثنائية، أو عاطفة جمل على جملة، و«مَنْ» على القراءة مرفوعة محلاً مبتدأ خبره ما بعده، وقرئ: بكسر التاء ف«مَنْ» على هذا منصوبه بـ«يؤت» ويؤت مجزومة بها، لأنها شرط، وفاعل يؤت الله تعالى، أي: ومن يؤته الله الحكمة^(١).

تلخيصه: مَنْ أُعْطِيَ ما يدخله الجنة ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ في مكثرة الخير ووصفه بالكثرة دليل على عظمه ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢).
﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ في طاعة أو معصية ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ كذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ يحفظه فيجازيكم به، ولم يقل: «يعلمها» ردًّا للضمير إلى ما^(٣) ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ مِنْ أَنْصَارٍ^(٤).

﴿إِنْ تَبَدُّوا لَصَّدَقَتٍ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ نِعَم: فعلٌ غير متصرف، وفاعله مضمر، و«ما» نكرة غير موصولة ولا موصوفة بمعنى شيء، وهي نصب تفسير، أي: فنعمة التي شيئاً أو فنعمة شيئاً إبدأؤها، وهي خبر مبتدأ محذوف، كأنه قيل ما الممدوح؟ فقيل هي، أي: الممدوح الصدقة، أو هي مبتدأ خبره ما قبله، تقديره: فهي نعم شيئاً.

القراءة: هنا والنساء^(٥) بفتح النون وكسر العين على الأصل، لأنَّ أصلها نَعِمَ كَعَلِمَ.

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٢٠.

(٢) وهذه من الأسئلة القديمة التي ذكرها الطبري، فقد قال ابن جرير (في التفسير ٥/ ٥٨٢): إن قال لنا قائل: فكيف قال: «فإن الله يعلمه»، ولم يقل: «يعلمهما»، وقد ذكر النذر والنفقة، قيل: إنما قال: «فإن الله يعلمه»، لأنه أراد: فإن الله يعلم ما أنفقتم أو نذرتم، فلذلك وحد الكناية (وانظر: البسيط ٤/ ٤٣٣).

(٣) قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعْظُمُ بِهِ﴾ [سورة النساء: ٥٨].

وبكسر النون وإخفاء حركة العين، نقلوا حركة العين إلى النون.

وبكسر النون والعين إتباع، وتشديد الميم هنا إجماع^(١).

﴿وَأَن تَخْشَوْهَا وَتُؤْتُوَهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وأفضل - ولكل

مستقبل^(٢) - إذا صلحت النية، في الحديث: «صدقة السر تطفئ غضب الرب»^(٣).

قالوا: هذا في صدقة التطوع، وأما الزكاة فإظهارها أفضل ليقترئ به، ولنفي

التهمة، ويجوز أن يقال: إن لم يعرف ما معه فصدقة الفرض سرًا أفضل خوف الظلمة^(٤).

القراءة^(٥): ﴿وَنُكْفِّرْ عَنْكُمْ﴾ بالنون والياء غيبة جزماً، عطفاً على محل

الفاء وما بعدها فهو جزم لأنه جواب الشرط^(٦)، ورفعاً خبر ابتداء، أي: ونحن

(١) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف بفتح النون في الموضعين، وقرأ الباقر بكسرها، وقرأ

أبو جعفر بإسكان العين، وقرأ شعبة، وقالون، وأبو عمرو، بإخفاء كسر العين، أي

بالاختلاس، وقرأ الباقر بكسر النون والعين، واتفقوا كما ذكر المصنف على تشديد الميم،

انظر: السبعة ١٩٠، النشر ٢/ ٢٣٥، الوافي شرح الشاطبية ٢٢٧.

(٢) كذا في الأصل، ويخشى عليه من التصحيف.

(٣) رواه الترمذي (٦٦٤) عن أنس من غير تقييد بالسر، وفي إسناده ضعف، ورواه الطبراني في

المعجم الأوسط (٩٤٣) من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ومن حديث أبي أمامة،

وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١١٥. وانظر: تلخيص الحبير ٣/ ٢٤٧.

(٤) نحوه في تفسير أبي الليث ١/ ١٨٠، الكشف ١/ ٣١٦.

ومن البديع في هذه الآية: الطباق المعنوي، في قوله: «وتؤتوها الفقراء» لأنه لا يؤتي الصدقات

إلا الأغنياء، فكأنه قيل: إن بيد الأغنياء الصدقات، وإن يخف الأغنياء الصدقات، ويؤتوها

الفقراء، فقابل الإبداء بالإخفاء لفظاً، والأغنياء بالفقراء معنى (الدر المصون ٢/ ٦١٠).

(٥) قرأ ابن عامر وحفص بالياء، وقرأ الباقر بالنون، وقرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائي

وخلف بالجزم، وقرأ الباقر بالرفع (النشر ٢/ ٢٣٦).

(٦) انظر: الحجة لأبي علي ٢/ ٤٠٠، الكشف ١/ ٣١٦.

نُكْفِرُ، أو أنه جملة من فعل [و] فاعل^(١).

وقرئ: بالتاء مؤنثاً رفعاً وجزماً، وبالياء مذكراً نصباً، بإضمار أن، أي: إن تخفوها تكن خيراً وإن تكفر عنكم^(٢).

﴿مَنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ «من» زائدة^(٣)، أو هي تبعية غير زائدة^(٤) ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٥).

ونزل في النهي عن الصدقة على كافر حتى يُسْلِمَ^(٥): ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ﴾ أي: لا يلزمك ﴿هُدَاهُمْ﴾ هدى التوفيق، وعليك هدى البيان، فلا تمنعوهم الصدقة كي يسلموا.

(١) أي أنها مستأنفة، انظر: الحجة ٢/ ٤٠٠، البسيط ٤/ ٤٤٢، الكشف ١/ ٣١٦.

(٢) وهي قراءات شاذة، انظر: الكشف ١/ ٣١٦، الدر المصون ٢/ ٦١١.

(٣) وهو قول بعض نحوي البصرة، فيكون المعنى: تكفر عنكم سيئاتكم.

ويكره العلماء هذه الألفاظ في حق القرآن الكريم، ولذا عبر بعضهم: بأنها صلة، في حين استخدم الطبري مصطلح: الإسقاط، فقال: قال بعض نحوي البصرة معنى من الإسقاط (تفسير الطبري ٥/ ٥٨٦) ومن الخطأ على ابن جرير أن زعم ابن عطية أن هذا مذهب الطبري، وليس كذلك بل حكاه الطبري عن بعض النحويين، وهو مشهور من مذهب الأخفش.

(٤) الدر المصون ٢/ ٦١٤، وكلام السمين يشعر بترجيحه، لأن الصدقات لا تكفر كل الذنوب. وهو الصحيح، وهو قول ابن جرير فإنه قال: فإن قال قائل: وما وجه دخول «من» في قوله: «ونكفر عنكم من سيئاتكم»، قيل: وجه دخولها في ذلك بمعنى: ونكفر عنكم من سيئاتكم ما نشاء تكفيره منها دون جميعها، ليكون العباد على وجل من الله فلا يتكلموا على وعده ما وعد على الصدقات التي يخفيها المتصدق فيجتروا على حدوده ومعاصيه (تفسير الطبري ٥/ ٥٨٦).

(٥) أي في النهي عن ذلك، وجواز الصدقة على الكافر، عن ابن عباس، قال: كانوا لا يرضخون لقراياتهم من المشركين، فنزلت.. (تفسير الطبري ٥/ ٥٨٧، الدر المصون ٢/ ٨٦).

﴿وَلَا يَكُنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: مال
﴿فَلَا أَنْفُسَكُمْ﴾ فتوبه لأنفسكم لا لغيركم.

«ما» بمعنى النفي في قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ في أهل الذمة، ما هذه شرط كما في قوله ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ الأولى جوابه ﴿يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ثوبه وافرًا مضاعفًا ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٣٢) شيئًا من ثوابكم هذا، في صدقة التطوع توضع في المسلمين وأهل الذمة، وأما الواجبة فلا توضع إلا في المسلمين، وجوز أبو حنيفة وضع صدقة الفطر في أهل الذمة^(١).

ومحل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ رفع خبر مبتدأ محذوف أي: صدقاتكم: للفقراء، أو نصب أي: اجعلوا صدقاتكم للفقراء^(٢).

﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا﴾ أي: حبسوا نفوسهم على الغزو والجهاد^(٣) ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم: أهل الصفة، كانوا زهاء أربعمائة يسكنون المسجد يرضخون النوى نهارًا، ويقرؤون القرآن ليلاً، يخرجون في كل سرية يبعثها النبي صلى الله عليه وسلم^(٤) ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ لكثرة أعدائهم، أو لا يفرغون للتجارة.

القراءة: بكسر السين وفتحها في مستقبل الفعل^(٥) نحو: ﴿يَحْسَبُهُمْ

(١) انظر: حاشية ابن عابدين ٣٦٩/٢، وذكر أن الفتوى على قول أبي يوسف بأنه لا يجوز.

(٢) نحوه في التبيان ٢٢٢/١، وانظر: الكشاف ٣١٨/١، والدر المصون ٦١٥/٢.

(٣) تفسير الطبري ٥٩١/٥.

(٤) وهو قول مقاتل ورواية الكلبي، تفسير أبي الليث ١٨١/١، البسيط ٤٤٧/٤، تفسير

السماعي ٢٧٧/١، زاد المسير ٢٤٥/١.

(٥) قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين، وقرأ الباقون بكسرها (النشر

الْجَاهِلُ ﴿لِحَالِهِمْ﴾ «أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ» أصل (ع ف ف) الترك، من العفة، وهي: حصول حالة للنفس يمتنع بها عن غلبة الشهوة^(١).

أو: من العفة والعفافة لبقية اللبن، والتعفف تركٌ مع تكلف، وكان المتعفف قد بقيت فيه بقية تمكنه لسببها الترك^(٢).

و«من» متعلقة بتحسبهم، أي: يحسبهم الجاهل لأجل تعففهم أغنياء^(٣).

﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلامتهم التواضع وورثاة أحوالهم من الفقر.

﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ صفة مصدر محذوف، أي: سؤالاً ذا إلحاف، أي: إذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء، أو: لا يسألون الناس أصلاً، فعلى هذا إلحافاً مفعول له، وهذا أحسن، إذ لو كانت المسألة من عادتهم لما كان إلى معرفتهم بالعلامة حاجة^(٤).

وأصل الإلحاف: الملازمة واللجاج^(٥).

قال صلى الله عليه وسلم: «من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل الناس إلحافاً»^(٦).

(١) تفسير الطبري ٥/ ٥٩٤، البسيط ٤/ ٤٥٢.

(٢) العفافة: القليل من اللبن في الضرع والبقية منه (تهذيب اللغة ١/ ٨٥).

(٣) فهو مفعول من أجله (الدر المصون ٢/ ٦١٩) وفيها قولان آخران.

(٤) في الأصل: بالحاجة. وهذا الكلام مستفاد من تفسير الطبري ٥/ ٥٩٨.

(٥) البسيط ٤/ ٤٥٣.

(٦) رواه النسائي (٩٨/ ٥) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وإسناده حسن، ورواه أبو

داود (١٦٢٨) والنسائي (٩٨/ ٥) من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: مَنْ سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف، ورواه الطبراني في الكبير (١٦٣٠)، والثعلبي في الكشف

والبيان ٣٥٦/ ٧، من حديث أبي ذر نحو حديث أبي سعيد.

وقال: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أشياءهم أعطوه أو منعوه»^(١).

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٧٢).

ونزل فيمن يتصدق ليلاً ونهاراً سرّاً وجهراً، أو في خيول المرابطين لأنها تعتلف سرّاً وجهراً وليلاً ونهاراً: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾^(٧٢).

والباء في ﴿بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بمعنى في، وقوله: ﴿سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾ مصدر في موضع الحال ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٦﴾ تلخيصه: من يتق الله يثبت مع الأمن والفرج.

عن أبي هريرة أنه كان إذا مر بفرس سمين قرأ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ الآية^(٣).
﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ مبتدأ^(٤)، أي: يعاملون به، وخصّ بالأكل لأنه معظم المقصود.

والربا: الزيادة مطلقاً لغةً، وشرعاً: على وجه دون وجه^(٥).
وكتبت بالواو؛ قالوا: على لغة من يفخمه كالزكاة، ويجوز أن يقال: تنبيهاً على أصله لأنه من ربا يربو زاد، وزيدت الألف تشبيهاً بواو الجمع^(٦).

(١) رواه البخاري من حديث الزبير بن العوام (٢٣٧٣)، و(٢٣٧٤) من حديث أبي هريرة، ورواه مسلم من حديث أبي هريرة (١٠٢٤).

(٢) الروايات في ذلك مذكورة في تفسير ابن جرير ٦٠١/٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٥٤٢/٢، وتفسير ابن كثير ٧٠٣/١، وفي هذا الموضع من تفسير ابن جرير خرم ذهب ببعض الروايات.

(٣) ذكره في الكشف والبيان ٣٨٧/٧، والكشاف ٣١٩/١.

(٤) التبيان في إعراب القرآن ٢٢٣/١.

(٥) تفسير الطبري ٧/٦، البسيط ٤٦١/٤.

(٦) قال أبو البقاء: وأجاز الكوفيون كتبه وتثنيته بالياء، وهو خطأ عندنا. (التبيان في إعراب القرآن ٢٢٣/١، وانظر: الدر لمصون ٦٢٨/٢).

وخبر المبتدأ: ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ مِنْ قبورهم للبعث ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ﴾ ومحل الكاف نصب صفة مصدر محذوف، أي: إلا قياماً مثل قيام^(١) ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾ أي: يضربه ويصرعه ﴿الشَّيْطَانُ﴾، وأصل الخبط: الضرب والوطء.

و«مِنْ» في قوله ﴿مِنْ الْمَيِّتِ﴾ -الجنون مَسَّ الرجل فهو ممسوس- خبر متعلق بلا يقومون، أي: لا يقومون للبعث من الجنون إلا كقيام المصروع، أو بـ«يتخبطه»، أي: يتخبطه من جهة الجنون^(٢).

﴿ذَلِكَ﴾ أي: العذاب النازل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي: بسبب قولهم ﴿إِنَّمَا أَلْبِيعُ مِثْلَ الرِّبَا﴾ لأنه كان إذا حلَّ على رجل مال يقول لغريمه: زدني في الأجل وأزيدك في الربح، فيفعلان ذل، كويقولان: سواء علينا الزيادة في أول البيع وعند المحل^(٣).

وكان ينبغي أن يقال: إنما هو الربا مثل البيع، لأنَّ البيع هو الأصل، ولأنَّ الإنكار والتهديد إنما وقع لأجل الربا، ولكنهم لما أحبوا الربا واستحلوه وأكثروا منه بالغوا فيه؛ حتى جعلوه أصلاً شبهوا به البيع^(٤).

وقريب من هذا قولهم: رأيت القمر كوجه سعدى، وكقوله:

ورما، كأكفال العذارى قطعته (٥)

(١) وهذا المشهور عند المعربين، وفيه وجه آخر: النصب على الحال، وهذان الوجهان فيما يشبهه من الآيات (الدر المصون ٢/ ٦٣٠).

(٢) الوجهان في الكشف ١/ ٣٢٠، والتبيان ١/ ٢٢٣.

(٣) نحوه في تفسير الطبري ٦/ ١٣.

(٤) نحوه في الكشف ١/ ٣٢٠.

(٥) شطر بيت لذي الرمة، والشطر الثاني: إذا ألبسته المظلمات الحنادس، والرواية في المصادر: كأوراك، انظر: الكامل ٣/ ٨٢، لسان العرب ١٠/ ٥٠٩، تاج العروس ٢٧/ ٣٨٤.

فقال تعالى منكرًا عليهم ومبطلًا مناقشتهم: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ وهذا تصريح أن القياس يبطله النص، لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم تحليله^(١) وتحريمه.

﴿فَمَنْ جَاءَهُ﴾ أي: بلغه ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ أي: وعظ، تأنيث الموعظة غير حقيقي.

وقرى: «جاءته موعظة»^(٢) ﴿مَنْ رَبِّهِ فَاَنْتَهَى﴾ فسمع النهي وامتنع ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي: مضى من ذنبه قبل النهي معفو به عنه وجعل ملكًا له^(٣) ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ فيما يأمره وينهاه، ليس له شيء من أمر نفسه لأنه عبد^(٤) ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى الربا استحلالًا بعد النهي ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿لَعَنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكَلَ الرِّبَا وَمَوَكَّلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ وَقَالَ: «هُمْ سُوءٌ»^(٥).

﴿يَمَحُوقُ اللَّهُ﴾ أي: ينقص ﴿الرِّبَا﴾ ويذهب بركته ولا يقبل منه فعل خير، وأصل المحق النقص ﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ يزيدها ويبارك فيها في الدنيا، ويضاعف بها الثواب في العقبى، في الحديث: «ما نقصت زكاة من مال قط»^(٦).

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ فاجر، وهذا تغليظ لحال الربا.

(١) في الأصل: تحليل، والصواب ما أثبت لدلالة السياق وما بعده.

(٢) نسبت للحسن كما الكشف والبيان ٤٠٦/٧.

(٣) قال أبو الليث: فيما مضى قبل النهي، لأن الحجة لم تقم عليهم، ولم يعلموا بحرمة، وأما اليوم فمن تاب عن الربا، فلا بد له من أن يرد الفضل، ولا يكون له ما سلف، لأن حرمة الربا ظاهرة بين المسلمين، لأن كتاب الله تعالى فيهم (تفسير أبي الليث ١/١٨٣).

(٤) أي في العصمة من الوقوع في الربا مرة أخرى (تفسير الطبري ١٤/٦، تفسير أبي الليث ١/١٨٣).

(٥) رواه مسلم في الصحيح (١٥٩٨).

(٦) رواه مسلم في الصحيح (٢٥٨٨) بنحوه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧).

فلما أخذوا ما شرطوا أمروا بترك الزيادة بقوله: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ وقرئ: «بقا» و«بقي» بسكون الياء وهي لغة بني طي^(١) ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٨) كاملي الإيمان، وإن صح إيمانكم، فإن امتثال الأمر دليل الإيمان.

﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا﴾ القراءة: «فأذنوا» بسكون الهمزة وفتح الذال، من أذن عليم، أي: فاعلموا، وقرئ: «فأذنوا» بفتح الهمزة مدًا كآمنوا، والمفعول محذوف، أي: فاعلموا غيركم^(٢).

﴿بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ابن عباس: يقال يوم القيامة لأكل الربا خذ سلاحك للحرب^(٣)، وحرب الله النار وحرب رسوله السيف.

ولما نزلت هذه الآية قال المربون: لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله، ورضوا برأس المال^(٤)، ثم بين تعالى الحكم بعد التوبة بقوله: ﴿فَإِنْ تَبَتُّمُ﴾ عن الربا ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ التي أريتم بها ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ بطلب الزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢٩) بأن تنقصوا عن رأس المال، وقرئ: «لا تظلمون ولا تظلمون» عكس القراءة^(٥)، وهذا خبر بمعنى النهي.

(١) المحتسب ١/ ١٤١، الكشف والبيان ٧/ ٤٢٨.

(٢) القراءة الأخيرة قراءة حمزة وشعبة، والقراءة الأولى قراءة الباقيين (النشر ٢/ ٢٣٦).

(٣) رواه الطبري في التفسير ٦/ ٢٥، والثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٤٣١.

(٤) تفسير أبي الليث ١/ ١٨٤.

(٥) الحجة لأبي علي ٢/ ٤١٣، الكشف والبيان ٧/ ٤٣١، الكشاف ١/ ٣٢٢.

﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ كان هنا تامة، أي: إن وقع ذو إعسار^(١)، وأصل العسر ضد اليسر الصعوبة والشدة.

وقرئ: «ومن كان ذا عسرة»^(٢).

﴿فَظَنَرُ﴾ خبر ابتداء، تقديره: فالحكم نظرة، أي: انتظار، أي: إمهال.

وقرئ: بسكون الظاء^(٣).

وقرئ: «فناظرة»، أي: فصاحب الحق ناظره أي: منتظره^(٤).

وقرئ: «فناظره» أمرًا، أي: فسامحه بالنظرة^(٥).

﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ إلى وقت يسر.

القراءة: بفتح السين وضمها لغتان^(٦)، وقرئ: بضم السين مضافًا^(٧).

وقرئ: بضم السين وكسرها وحذف التاء فيهما مضافين، كقوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾^(٨).

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٢٥، وقيل بل هي الناقصة، والخبر محذوف، والتقدير: إن كان ذو عسرة لكم عليه حق..

(٢) تنسب لأبان بن عثمان، كما في: الكشف والبيان ٧/ ٤٣٣، الكشف ١/ ٣٢٢.

(٣) وهي بمعنى القراءة المتواترة، لكن سكنت إيثار للتخفيف، كفخذ وفخذ، وكيف وكتف (التبيان ١/ ٢٢٥).

(٤) ذكرها الزمخشري في الكشف ١/ ٣٢٣، أبو البقاء في التبيان ١/ ٢٥٢٥، وهي مصدر كالعاقبة والعافية.

(٥) هذه القراءات الشاذة في الكشف والبيان ٧/ ٤٣٤-٤٣٥، والكشف ١/ ٣٢٣.

(٦) قرأ نافع بضم السين، وقرأ الباقر بفتحها (النشر ٢/ ٢٣٦).

(٧) أي: ميسره، وهي قراءة تنسب لمجاهد وغيره (إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٤٢، الكشف والبيان ٤/ ٤٣٦).

(٨) الكشف ١/ ٣٢٣.

ومحل ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ - بترك رؤوس الأموال أو بعضها للمعسر، أو المراد بالتصدق الإنظار.

القراءة: بتشديد الصاد وتخفيفها مع تشديد الدال فيهما^(١) - رفع ابتداء أي: وتصدقكم.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾  أنه خير لكم فتعلمون^(٢) فيه، فجعل من علم ولم يعمل كمن لا^(٣) يعلم.

قال صلى الله عليه وسلم: «[من أنظر معسراً] أو وضع له أنجاه الله من كرب يوم القيامة»^(٤).

ابن عباس: آخر آية نزلت، وعاش بعدها صلى الله عليه وسلم سبع أو تسع ليال أو إحدى وعشرين ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ أو آية الربا^(٥).

(١) قرأ عاصم بتخفيف الصاد، وقرأ الباقر بتشديدها (النشر ٢/ ٢٣٦).

(٢) كذا في الأصل، وهو تصحيف فيما يظهر، صوابه: فتعلمون فيه، بدلالة ما بعده، فالله أعلم.

(٣) في الأصل صورتها أقرب إلى: ما.

(٤) رواه أحمد (٨٧١١)، والترمذي (١٣٠٦) من حديث أبي هريرة بلفظ: «من أنظر معسراً، أو وضع له، أظله الله في ظل عرشه يوم القيامة». وروي من حديث غيره، وهو حديث صحيح. وقد سقط أول الحديث على النسخ.

(٥) نقله في الكشف ٣٢٣/ ١، بهذا اللفظ.

ورواه الطبري في التفسير ٣٩/ ٦، من حديث الشعبي عنه بلفظ: آخر ما أنزل عن النبي صلى الله عليه وسلم آية الربا، ورواه كذلك ٤٠/ ٦ من حديث عكرمة عنه: آخر آية نزلت قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، ثم قال ابن جريج عقب روايته هذا الحديث: يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم مكث بعدها تسع ليال، وبدئ يوم السبت، ومات يوم الإثنين (تفسير الطبري ٤١/ ٦).

ونحوه روى ابن أبي حاتم (٢٩٤٤) عن سعيد بن جبير، بإسناد فيه ابن لهيعة.

وانظر الروايات الأخرى في الكشف والبيان ٤٨٢/ ٧.

القراءة: بفتح التاء وكسر الجيم؛ أي: تصيرون، وقرئ بها وبضم التاء وفتح الجيم؛ أي: تردُّون^(١).

ويومًا: نصب ظرف، تقديره: وابتقوا عذاب يوم، وأبو علي ينصبه مفعولاً به، كقوله ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ [يَوْمًا]﴾ أي: كيف تتقون هذا اليوم الذي هو وصفه مع الكفر بالله^(٢).

﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٣).

ابن عباس^(٣): ولما حَرَّمَ اللهُ تعالى الربا أباح السلف المضمون إلى أجل معلوم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِالَّذِينَ دَايَنْتَ الرَّجُلَ عَامَلْتَهُ مُعْطِيًا أَوْ آخِذًا﴾^(٤).

﴿يَدِينِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مدة معلومة الأول والآخر.

﴿فَأَكْتُبُوهُ﴾ دينًا كان أو قرضًا، وهذا أمر ندب عند أكثرهم، أو كان فرضًا فنسخ بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَلَّتَهُ﴾^(٥).

(١) قرأ يعقوب وأبو عمرو: تَرَجِعُونَ، وهكذا ضبط الآية في الأصل، والباقون على القراءة الثانية (النشر ٢/٢٠٩).

(٢) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٢/٤١٨، ونقله في البسيط ٤/٤٨٢.

(٣) رواه ابن جرير في التفسير ٦/٤٣ من طرق عنه.

(٤) الكشف ١/٣٢٤.

(٥) حكى الطبري الخلاف في هذا الأمر، وهل هو فرض أم ندب، فممن قال بفرضيته: الضحاك وابن جريج والربيع والمرعشي، ومن قال أنه كان فرضا فنسخ: الشعبي، وابن زيد، وروي عن أبي سعيد الخدري، ورجح الطبري أنه فرض لم ينسخ (تفسير الطبري ٦/٥٣). وقال القرطبي: «قال الجمهور: الأمر بالكتب ندب إلى حفظ الأموال وإزالة الريب، وإذا كان الغريم تقيًا فما يضره الكتاب، وإن كان غير ذلك فالكتاب ثقاف في دينه وحاجة صاحب الحق. قال بعضهم: إن أشهدت فحزم، وإن ائتمنت ففي حل وسعة».

ثم بين الله تعالى الكتابة فقال: ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ كتاب الدين ﴿بَيْنَكُمْ [كَاتِبٌ]﴾ أي: بين الخصمين، وقوله: ﴿بِالْعَدْلِ﴾ متعلق بقوله «وليكتب» أي: وليكتب بالحق.

﴿وَلَا يَأْبُ﴾ لا يمنع ﴿كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ وقوله ﴿كَمَا عَلَّمَهُ﴾ متعلق بأن يكتب، فهذا نهي عن الامتناع عن الكتابة المقيدة، ثم قيل له: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تلك الكتابة المقيدة توكيداً، أو ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ متعلق بقوله فليكتب، فهذا نهي عن الامتناع من الكتابة على سبيل الإطلاق ثم أمر بالكتابة مقيدة ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلِيُمِلِّ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ بأن يقر المشهود عليه بلسانه على نفسه، والإملاء والإملال واحد، وأصله الامتداد من زمان أو غيره^(١).

﴿وَلْيَتَّقِ﴾ المملي ﴿اللَّهُ رَبَّهُ وَلَا يَخَسَّ مِنْهُ﴾ لا ينقص من الحق الذي عليه ﴿شَيْئاً [فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ] سَفِيهاً﴾ أي: جاهلاً أو مبذراً ﴿أَوْ ضَعِيفاً﴾ عن الإملاء لصغر أو كبر ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ بنفسه لِعِيٍّ أو خرس، أو لا يمكنه حضور الكاتب، و«هو» هنا تأكيد للضمير في يمل، وليس بفاعل، المعنى: إذا عجز من عليه الحق عن الإملاء ﴿فَلْيُمِلِّ وَلِيَّهُ﴾ أي: قيمه وترجمانه ﴿[بِالْعَدْلِ] وَأَسْتَشْهِدُوا﴾ واطلبوا ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ شاهدين ﴿مِنْ رَجَالِكُمْ﴾ الأحرار البالغين العقلاء المسلمين، يشهدان على الدين.

وجوز شريح وابن سيرين شهادة العبد، وجوز أبو حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف مللهم^(٢).

ابن عطية: وهذا هو القول الصحيح، ولا يترتب نسخ في هذا، لأن الله تعالى ندب إلى الكتاب فيما للمرء أن يهبه ويتركه بإجماع، فندبه إنما هو على جهة الحيلة للناس (الجامع لأحكام القرآن ٣/٣٨٣).

(١) البسيط ٤/٤٨٩.

(٢) الكشف والبيان ٧/٤٩٨، الكشف ١/٣٢٦.

﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا﴾ أي: الشاهدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ﴾ أي: فليشهد رجل
﴿وَأَمْرَاتَانِ﴾ وشهادة النساء مع الرجال في الأموال جائزة اتفاقاً منهم.

وقرى: «وامرأتان» بهمزة ساكنة، وفيه بعد لأن الهمزة المتحركة لا تسكن
لخفة الفتحة، ويجوز أنها سكنت لتوالي الحركات وإن كانت فتحة كما سكنوا
[باء] ضربت^(١).

ومحل ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ -أي: من كان منهم مرضياً في ديانتهم
وأمانته- رفع، صفة رجل وامرأتين^(٢).

القراءة^(٣): بفتح ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ أي: تنسى، أي: لأن تضل ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ ونصب
﴿فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ عطف على «تضل»، وليس إضلال إحداهما
بمراد، وإن كان ظاهر اللفظ يقتضيه، ولكنه محمول على المعنى، لأنهم ينزلون
السبب والمسبب كل واحد منهما منزلة الآخر؛ لاتصاله به، فالإضلال سبب
للإذكار والإذكار سبب عنه، فكأنه قيل: أراد أن تذكر إحداهما الأخرى إن
ضلت، كقولك: أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه بها، وهذا السلاح
أن يجيء عدو فأدفعه به^(٤).

ويمكن: أن تضل شرطاً؛ وجوابه فتذكر رفعاً، أي: فهي تذكر، ومحل

(١) وهي قراءة شاذة، المحتسب ١/١٤٧، التبيان ١/٢٢٨، الدر المصون ٢/٦٥٦.

(٢) وقيل: في محل نصب لأنه نعت لشهيدتين (الدر المصون ٢/٦٥٨).

(٣) قرأ حمزة بكسر الهمزة: «إِنْ» و«فَتَذَكَّرَ» بالرفع، وقرأ الباقون بفتح الهمزة «أَنْ» و«فَتَذَكَّرَ»
بالفتح، إلا أن ابن كثير وأبا عمرو ويعقوب يخففون الكاف، والباقون يشددونها، وسيذكرها
المصنف لاحقاً (النشر ٢/٢٣٦).

(٤) نحوه في الكشاف ١/٣٢٦ مما يدل على أنهما صدرا عن أصل واحد. وأصل ذلك في معاني
القرآن للفراء ١/١٨٤، ومعاني القرآن للزجاج ١/٣٦٤، البسيط ٤/٤٩٨.

الشرط وجوابه رفع صفة ثانية لرجل وامرأتين^(١)، فعلى قراءة الكسر يكفي الوقف على «الشهداء» وعلى الفتح لا يجوز^(٢).

القراءة أيضاً: «فتذكر» مشدداً ومخففاً ونصباً ورفعا للراء^(٣).

والذكر: ضد النسيان^(٤).

وقرى: «فتذاكر»^(٥).

وقرى: «أن تُضِلَّ إحداهما» مجهولاً^(٦).

ولم يقل «فتذكرها» لئلا يعود الضمير إلى المذكور فيتعين المذكور، والغرض الإبهام، أو لو وضعها موضع «إحداهما» لكانت إحداهما الثانية مفعولاً مقدماً على الفاعل، ولا يجوز أن يكون إحداهما على هذا فاعلاً؛ لأن الضمير على هذا هو المظهر بعينه، والمظهر الأول فاعل «تضل» فلو جعل الضمير لذلك المظهر الثانية هي المذكورة وذا محال، المعنى: إذا نسيت إحداهما ذكرت الأخرى ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾.

(١) البسيط ٤/٤٩٩.

(٢) هذه الآية مما يحمل فيها التفسير على المعنى لا على اللفظ، وهي محل سؤال مشهور عند المفسرين، ويجيبون بنحو ما أجاب المصنف، انظر: البسيط ٤/٤٩٧، الكشف ١/٣٢٦، التبيان في إعراب القرآن ١/٢٢٩، الدر المصون ٢/٦٥٩.

(٣) ضبط القراءة في الأصل بالتخفيف على: قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب: فتذكر، وقد مر التنبيه على القراءات (النشر ٢/٢٣٦).

(٤) وهو قول عامة المفسرين كما قال ذلك الواحدي (البسيط ٤/٥٠١)، ثم نقل الطبري والواحدي - وغيرهما - عن ابن عينة وأبي عمرو بن العلاء أن التخفيف يحتمل أن يكون: تجعلها ذكراً، أي بمثابة الرجل، وأطال الطبري (في تفسيره ٦/٦٦) والواحدي في إنكاره، وعده الزمخشري من بدع التفاسير.

(٥) نسبها في الكشف والبيان ٧/٥١٣ لزيد بن أسلم.

(٦) نسبها في الكشف والبيان ٧/٥١٣ لعاصم الجحدري.

ثم حرض على الكتُب فقال: ﴿وَلَا تَسْمُؤُوا﴾ أي: تملوا ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أي: الحق ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾ حالان من الهاء، أي: على كل حال كان الحق من صغير أو كبير.

أصل السامة: الملالة مما يكثر كتبه، وهو قريب من الكسل^(١)، ولكن لا يعبر عنه بالكسل، لأنه صفة المنافقين، في الحديث: «لا يقول المؤمن كسلت»^(٢).

وجوز بعضهم أن يكون الضمير للكتاب، أي: اكتبوا الكتاب صغر أو كبر^(٣).

﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾ المعلوم بين الغريمين ﴿ذَلِكَكُمْ﴾ أي: الكتب ﴿أَفْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي: أعون على إقامة الشهادة.

تلخيصه: إذا تداينتم فاكتبوا الدين وأشهدوا عليه عدولاً فهو أحفظ لأموالكم. ﴿وَأَذِّنْ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾^(٤).

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾ القراءة^(٥): بنصب التجارة خبر كان، أي: إلا أن تكون التجارة ﴿تِجْرَةً حَاضِرَةً﴾، وبرفعها على أن كان تامة، أو ناقصة وخبرها: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ وجاء بالفاء رابطة ما بعدها بما قبلها فقال: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾^(٦).

(١) تفسير الطبري ٧٦/٦،

(٢) هذا حديث تواردت على ذكره بعض كتب التفاسير، ولا يعرف له إسناد، انظر: تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ١/١٦٧، الفتح السماوي للمناوي ١/٣٣١.

(٣) الكشاف ١/٣٢٦.

(٤) قال الزمخشري: «وأقرب من انتفاء الريب».

(٥) اختلفوا في: تجارة حاضرة فقراه عاصم بالنصب فيهما، وقرأ الباقون برفعهما (الشعر ٢/٢٣٧).

(٦) تفسير الطبري ٨٠/٦.

المعنى: إذا كانت التجارة حاضرة فلا بأس بترك الكتب ﴿وَأَشْهَدُوا﴾ على التبايع ﴿إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ فإنه أَدْفَعُ للاختلاف، وهذا أمر ندب عن أكثرهم.

الضحاك يقول بالإشهاد ولو على باقة بقل^(١).

﴿وَلَا يُضَارَّ﴾ لا يمتنع ﴿كَاتِبٌ﴾ عن الكتابة ﴿وَلَا شَهِيدٌ﴾ عن الشهادة، فتحت الراء للساكنين، وأصله «يُضَارِر» بكسر الراء، وقرئ بها^(٢).

وهذا نهي للكاتب عن ترك الكتابة أو الزيادة والنقصان فيها، وللشاهد عن تحريف الشهادة.

أو: نهي عن مضارّة الكاتب والشهيد، وأصله «يُضَارِر» فتحًا، وقرئ بها^(٣).

المعنى: إذا كانا مشغولين ويوجد غيرهما فلا يضاران بإبطال شغلها.

وقرئ: «يُضَار» كسرًا وإسكانًا^(٤).

﴿وَأَنِ تَفْعَلُوا﴾ الضرار ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾ أي: معصية ﴿بِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ إذا استأنفت ﴿وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ﴾، وإن نصبت «ويعلمكم الله» حالاً من فاعل «واتقوا الله»، أي: اتقوا الله مضموناً لكم التعليم^(٥)، ولا أحب الوقف بعد

(١) تفسير الطبري ٦/٤٧، الكشف والبيان ٧/٥٢١، واختار شيخ المفسرين هذا المذهب وأطال في تقريره (تفسير الطبري ٦/٥٣).

(٢) أي في الشاذ، ذكرها الثعلبي في الكشف والبيان ٧/٥٢٤، والزمخشري في الكشف ١/٣٢٧. ورواها ابن جرير في التفسير ٦/٨٧ عن عمر وابن مسعود بإسناد لا يصح.

(٣) كما في الكشف والبيان ٧/٥٢٤، والكشاف ١/٣٢٧. وانظر توجيه ذلك في المحتسب ١/١٤٨.

(٤) أما الكسر فقراءة الحسن (الكشاف ١/٣٢٧)، وأما السكون فقد روي عن أبي جعفر -أحد العشرة-: السكون مع التخفيف، وتلك رواية ابن جمار عنه من طريق الهاشمي (النشر ٢/٢٢٨).

(٥) نحوه في التبيان ١/٢٣٢، والدر المصون ٢/٦٧٧.

«واتقوا الله»، وكذلك إن نصبته حالاً مقدرة، المعنى: اجتنبوا معصية الله يعرفكم طرق فلاحكم نحو ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾ [وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ] ۖ ﴿١﴾».

تلخيصه: من راقب الله تعالى أرشده.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ وقرئ: «كتاباً» و«كتاباً» جمع و«كتاباً»^(٢) ﴿فَرِهْنُ﴾ خبر مبتدأ، أي: فالتوثق رهن ﴿مَقْبُوضَةً﴾ مسلمة إلى المرتهن، ولا بد من القبض.

القراءة: بضم الراء والهاء جمع رهن كسَقَفَ وسُقِفَ، وبألف بعد الراء جمع رهن أيضاً كبَعَلَ وبِغَال^(٣).

وقرئ: «فُرْهَنُ» بسكون الهاء تخفيفاً^(٤).

وليس المراد أخذ الرهن في السفر خاصة إلا عند مجاهد^(٥)، لظاهر الآية، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي بالمدينة من غير سفر ولا عدم كاتب، ولكن لما كان السفر مظنة إغواز الكاتب والشاهد قيد به، المعنى: ارهنوا واقبضوا.

(١) لم يتم الآية في الأصل، وكتب إلى..

(٢) ثلاث قراءات شاذة، الأولى منسوبة لابن عباس، والثانية للضحاك، والثالثة للحسن، انظر:

تفسير الطبري ٩٥/٦، الكشف والبيان ٥٢٧/٧، الكشف ٣٢٨/١.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهَن بضم الراء والهاء من غير ألف، وهكذا كتب الآية في الأصل،

وقرأ الباقر بكسر الراء وفتح الهاء وألف بعدها (النشر ٢/٢٣٧).

(٤) نسبت لعكرمة وجماعة، الكشف والبيان ٥٢٧/٧.

(٥) وافقه الضحاك، انظر: الكشف والبيان ٥٣٠/٧، الكشف ٣٢٨/١.

﴿فَإِنْ أَمِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ أي: إن وثق إليه لأمانته.

وقرئ: «أومن» أي: أمنه الناس^(١).

﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ﴾ أي: ما في ذمته، وسمي الدين أمانة لتعلقه

بالذمة كتعلق الأمانة.

تخليصه: فليقبض المديون ما عليه من الدين.

﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في أداء الدين.

وحذفت يا «الذي» وصلا للساكنين، وإذا وقفت على «الذي» ابتدأت:

أؤتمن، فالواو بدل من الهمزة التي هي فاء الفعل^(٢).

ثم التفت مخاطباً الشهود فقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ إذا دعيتم إلى

إقامتها.

وقرئ: «يكتموا» بالياء غيبة^(٣).

ثم تهددهم فقال: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ﴾ فاجر ﴿قَلْبُهُ﴾ «آثم» خبر

«إن»، و«قلبه» مرتفع به ارتفاع الفاعل بفعله، أو «قلبه» مبتدأ و«آثم» خبره مقدم عليه، وهما خبر «إن»^(٤).

(١) هكذ ذكرها في الأصل، ومثله في الكشاف ٣٢٩/١، وقد صدرا عن مصدر واحد، وفي الكشف والبيان ٥٣١/٧: فإن أؤتمن.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢٣٢/١، وقد صدرا عن مصدر واحد، ونصه: «إذا وقفت على «الذي» ابتدأت: أؤتمن، فالهمزة للوصل، والواو بدل من الهمزة التي هي فاء الفعل، فإذا وصلت حذفت همزة الوصل، وأعدت الواو إلى أصلها، وهو الهمزة، وحذفت ياء «الذي» لالتقاء الساكنين، وقد أبدلت الهمزة ياء ساكنة، وياء الذي محذوفة لما ذكرنا، وقد قرئ به».

(٣) الدر المصون ٦٨٦/٢.

(٤) التبيان في إعراب القرآن ٢٣٣/١، الدر المصون ٦٨٦/٢.

وقرئ: «أَتَمَّ قَلْبَهُ» مشدداً^(١) جعله آتماً.

و«أَتَمَّ» مَدًّا وبفتح باء «قلبه»^(٢) كقوله: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾.

قالوا: والمراد مسح القلب، وما أُوعد الله تعالى على شيء كإيعاده على تكتمان الشهادة.

ابن عباس: أكبر الكبائر الإشراف بالله وشهادة الزور وكتُم الشهادة^(٣).

وخص القلب بالذكر لأنه محل تحمل الشهادة والعقائد والنيات ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

رُوي أنه نزل في موالاة المؤمنين الكفار^(٤): ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَرُوا﴾ أي: تعلنوا ﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من موالاة الكفار ﴿أَوْ تُخْفَوْهُ﴾ تسروه ﴿يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ وهذا كقوله ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ والصحيح عموم هذه الآية.

ولما نزلت ثقلت على المسلمين حتى نزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فنسخت بها^(٥)، قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست بها أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به»^(٦).

وبعضهم لا يجيز النسخ هنا؛ لأن النسخ إنما يرد على الأمر والنهي دون الخبر، وقوله: ﴿يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ خبر، ويقول: إن الله يحاسبهم بكل ما أبدوه

(١) الدر المصون ٢/ ٦٨٦.

(٢) أي: أتم قلبه (الكشف والبيان ٧/ ٥٣٢، الكشف ١/ ٣٢٩).

(٣) وهذه رواية علي بن أبي طلحة عنه، كما في تفسير الطبري ٦/ ١٠٠.

(٤) هو قول مقاتل والواقدي (الكشف والبيان ٧/ ٥٣٦) ولذا خلا تفسير الطبري من هذا القول.

(٥) وهذا أحد قولين في الآية (تفسير الطبري ٦/ ١١٦، الكشف والبيان ٧/ ٥٣٥).

(٦) رواه البخاري في الصحيح (٥٢٦٩).

وأخفوه، كقوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦).

تلخيصه: إن الله تعالى يحاسب بكل عبده ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ الذنب العظيم ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ على الذنب الحقيق، وكل ما يفعله عدل تعالى علاؤه وشأنه.

القراءة: برفع الراء والباء، أي: فهو يغفر ويعذب، وبجزمها عطفًا على جواب الشرط^(١).

وقرئ: بنصبهما بإضمار أن^(٢)، [و] الفاء لعطف مصدر على مصدر، إن يكن منه حساب فغفران، وهذا يسمى الصرف؛ لأنه حرف من اللفظ إلى المعنى. و«يغفر» بلا فاء و«يعذب» مجزومين بدلاً من يحاسبكم^(٣).

ابن جني: «وهذا البدل تفصيل لجملة الحساب؛ لأن التفصيل أوضح من المفصل، فجرى مجرى بدل البعض أو الاشتمال؛ كضربت زيداً رأسه، وأحببت زيداً عقله، وهذا البدل واقع في الأفعال وقوعه في الأسماء لحاجة القبيلين^(٤) إلى البيان، ومثله ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (٦٨) يُضَعَّفُ لَهُ الْعَذَابُ﴾ [لأن مضاعفة العذاب] هو لقي الآثام^(٥).

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر يعقوب برفع الراء والباء منهما، والباقون بجزمها (النشر ٢/ ٢٣٧).

(٢) وهي قراءة شاذة، نسبت لابن عباس والأعرج وأبي حيو (الدر المصون ٢/ ٦٨٧).

(٣) وهي قراءة شاذة، نسبت للجعفي وطلحة بن مصرف والأعمش (الكشاف ١/ ٣٣٠، الدر المصون ٢/ ٦٨٨).

(٤) هاهنا زيادة مقحمة، وهي: «لأن مضاعفة العذاب» ومحلها بعد سطر، وقد تداخلت على الناسخ، وعلى الصواب هي في المحتسب ١/ ١٥٠، والكشاف ١/ ٣٣١، حيث نقل العبارة بنصها دون أن يسمى قائلها.

(٥) المحتسب ١/ ١٥٠.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٨٤).

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ «تقف هنا إن جعلت» ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ وقوله ﴿كُلُّ﴾ مبتدأ ثانياً، وقوله: ﴿ءَامَنَ﴾ خبر المبتدأ الثاني، والثاني وخبره خبر الأول.

وأفرد لفظ «آمن» ردّاً على لفظ «كل»^(١)، فعلى هذا لا يكون المؤمنون داخلين فيما دخل فيه النبي صلى الله عليه وسلم من الإيمان.

والاختيار: الوقف على المؤمنين وهو حسن، ليكون المؤمنون داخلين فيما دخل النبي صلى الله عليه وسلم فيه.

والتنوين في ﴿كُلُّ﴾ عوض من المحذوف تقديره: كلهم آمن ﴿بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ حسن.

القراءة: «وكتبه» جمعاً «وكتابه» مفرداً إرادة جنس الكتب^(٢).

وقرى: «وكتبه ورسله» إسكاناً تخفيفاً^(٣)، فالرسول والمؤمنون يقولون: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ﴾ أي: لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى. وقرى: «لا يفرق» بالياء^(٤) أي: النبي صلى الله عليه وسلم. ويجوز أن يراد الجمع، يدل عليه ما قرى: «لا يفرقون»^(٥).

(١) أي كل واحد منهم آمن.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف: وكتابه على التوحيد، وقرأ الباقون على الجمع (النشر ٢٣٧/٢).

(٣) ذكرها في الكشف والبيان ٥٧٥/٧، والكشاف ٣٣١/١.

(٤) وهي قراءة يعقوب من العشرة، فهي قراءة متواترة (النشر ٢٣٧/٢).

(٥) وهي هكذا في مصحف عبد الله فيما روي (الكشف والبيان ٥٧٦/٧).

و«أحد» بمعنى الجمع^(١)، فلذلك أضيف «بين» إليه^(٢).

﴿وَقَالُوا [سَمِعْنَا] أَجْبَنَّا ﴿وَأَطَعْنَا﴾ دَخَلْنَا فِي الطَّاعَةِ.

روي أنه لما نزلت هذه الآية قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله قد أثنى عليك وعلى أمتك فسل تعطه» فقال بتلقين جبريل إياه: ﴿عُفِّرَانَكَ﴾^(٣) مصدر اغفر، أو نسألك غفرانك ﴿رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٤).

﴿لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا﴾ إِلَّا وَسْعَهَا طاقته، والوسع خلاف الضيق، وهو ما يسع الشيء ولا يضيق عليه.

ابن عباس: هم المؤمنون خاصة، وسع عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم إلا ما يستطيعون^(٥).

وقرئ: «وَسِعَهَا» بفتح الواو^(٥).

﴿لَهَا﴾ أي: للنفس ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر عليها وزره.

كان بنو إسرائيل إذا نسوا شيئاً مما أمروا به أو أخطأوا أعجلت لهم العقوبة، فأمر المسلمون بالدعاء برفع ذلك عنهم^(٦)، فقالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾ غفلنا ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ تجاوزنا الحد، وإن كان الخطأ والنسيان

(١) كقوله تعالى ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [سورة الحاقة: ٤٧].

(٢) مثله في الكشف ١/ ٣٣١.

(٣) رواه الطبري ٦/ ١٢٩، وابن أبي حاتم ٢/ ٥٧٥، وهو مرسل رجاله ثقات.

(٤) وهي رواية علي بن أبي طلحة عن (تفسير الطبري ٦/ ١٣٠).

(٥) وهي قراءة ابن أبي عبة كما في: الكشف والبيان ٧/ ٥٨١، الكشف ١/ ٣٣٢، الدر المصون

٢/ ٦٩٧.

(٦) هذا قول الكلبي كما في الكشف والبيان ٧/ ٥٨٦.

مرفوعين عنه، لقوله صلى الله عليه وسلم: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»^(١) فسؤا لهم اعتراف بنعمة الله تعالى عليهم.

أو معنى «نسينا»: تركنا الأمر، كقوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ و«أخطأنا»: تعمداً فعل الخطأ^(٢).

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ﴾ وقرئ^(٣): «تَحْمِلْ» مشدداً^(٤) ﴿عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ ثقلاً، وأصل الإصر: العقد والإحكام، أو إصرًا: عهداً ثقیلاً فتعذبنا بنقضه، أو الإصر: ذنب لا توبة منه، أي: اعصمنا عن مثله^(٥).

وقرئ: «آصاراً»^(٦).

﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ يعني: اليهود، لأنهم نقضوا العهد، أو المعنى: لا تشدد علينا كمن كان قبلنا لأنه كان قد فرض عليهم تعالى

(١) رواه ابن ماجه (٢٠٤٣) من حديث أبي ذر، وفي إسناده ضعف، ومن حديث ابن عباس

(٢٠٤٥)، وفيه انقطاع، ورواه الثعلبي في التفسير ٥٨٩/٧ من حديث ابن عمر، وهو منكر.

(٢) قال ابن جرير (في التفسير ١٣٣/٦): النسيان على وجهين: أحدهما على وجه التضييع من العبد والتفريط، والآخر على وجه عجز الناسي عن حفظ ما استحفظ ووكّل به، وضعف عقله عن احتماله، ثم حمل الآية على الأول.

وكذلك الخطأ وجهان: أحدهما: من وجه ما نهى عنه العبد فيأتيه بقصد منه وإرادة، فذلك خطأ منه، وهو به مأخوذ، وهذا الوجه الذي يرغب العبد إلى ربه في صفح ما كان منه من إثم عنه، إلا ما كان من ذلك كفراً، والآخر منهما: ما كان عنه على وجه الجهل به، كالذي يأكل في شهر رمضان ليلاً وهو يحسب أن الفجر لم يطلع، فإن ذلك من الخطأ الموضوع عن العبد، الذي وضع الله عز وجل عن عباده الإثم فيه، فلا وجه لمسألة العبد ربه أن لا يؤاخذ به.

(٣) في الأصل: ويقرئ، وهو تصحيف.

(٤) الكشف ٣٣٣/١ منسوبة إلى أبي بن كعب.

(٥) انظر: تفسير الطبري ١٣٥/٦، معاني القرآن للزجاج ٣٧٠/١، البسيط ٥٣٨/٤.

(٦) الكشف ٣٣٣/١ دون نسبة.

خمسين صلاة في يوم وليلة، وإخراج ربع أموالهم زكاة، وغير ذلك من الأعمال الشاقة^(١).

﴿وَلَا تُحْمِلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ من الأعمال الشاقة، أو: هو حديث النفس، أو الغلظة^(٢)، أو الحب والعشق، أو شماتة الأعداء، [أو] الفرقة^(٣)، تلخيصه: كل ما نضعف عن حمله.

﴿وَأَعْفُ عَنَّا﴾ بمجرد توبنا ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ تلخيصه: افعل بنا ما أنت أهله.

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة منها: «قد فعلت»^(٤).

ولا يوقف على ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ سيدنا ومتولي أمورنا، لوجود الفاء في قوله: ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٥) لأنك سيدنا، والسيد ينصر عبده^(٥).

(١) البسيط ٥٣٩/٤.

(٢) الغلظة: غلبة شهوة الواقعة من الرجل أو المرأة.

(٣) الأقوال وغيرها في زاد المسير ٢٥٦/١، وقد فسر أصحاب هذه الأقوال بالمثال، وجامع هذه الأقوال: لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطبق القيام به (تفسير الطبري ١٣٩/٦).

(٤) رواه مسلم في الصحيح (١٢٦)، ولفظه: عن ابن عباس، قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ بُدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا، قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: قد فعلت، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال: قد فعلت، ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ قال: قد فعلت.

(٥) والفاء تصل ما بعدها بما قبلها، والوقف لحن سارٍ بين القراء (إيضاح الوقف والابتداء ٥٦٠/١، المكتفى ٣٦).

عن النبي صلى الله عليه وسلم: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه»^(١).

وعنه صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ بِأَلْفِي عَامٍ؛ وَأَنْزَلَ مِنْهُ الْآيَتَيْنِ خَتَمَ بِهَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَلَا تُقْرَأُ فِي دَارِ ثَلَاثِ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ»^(٢).

وكان معاذٌ إذا ختم البقرة يقول آمين^(٣).



(١) متفق عليه من حديث أبي مسعود، رواه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٨٢) والنسائي (١٠٨٠٢) والمستغفري في فضائل القرآن (٧٥٥)، وهو حديث صحيح.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧٩٧٩)، وأبو عبيد في فضائله ص ١٢٥، والثعلبي في تفسيره ٦٠٧/٧، والمستغفري في فضائله (٧٦٢) وإسناده ضعيف.

سورة آل عمران

مدنية^(١)، مائتا آية أو إلا آية^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القراءة: ﴿الْم ﴿١﴾ اللَّهُ﴾ بفتح الميم وصلًا لالتقاء الساكنين تخفيفًا، وهما الميم ولام التعريف^(٣)، ويعضده: ما قُرئ بكسر الميم على أصل التقاء الساكنين^(٤).

وزعم بعضهم أن فتحة الميم حركة الهمزة أُلقيت حين سقطت للتخفيف. وفيه نظر^(٥).

لأن همزة الوصل لا تثبت وصلًا حتى تلقى حركتها على غيرها، إلا أن تجعل الهمزة في «الله» همزة قطع حذفت لكثرة الاستعمال^(٦).

(١) لا خلاف في أنها مدنية، الكشف والبيان ٨/٧. قال ابن الجوزي (في زاد المسير ١/٢٥٧):

ذكر أهل التفسير أنها مدنية، وأنَّ صدرًا من أولها نزل في وفد نجران، قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم في ستين راکبًا، فيهم العاقب، والسيد، فخاصموه في عيسى، فقالوا: إن لم يكن ولد الله، فمن أبوه؟ فنزلت فيهم صدر آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها.

(٢) في جميع العدد، كما في البيان في عد آي القرآن ص ١٤٣.

(٣) السبعة ٢٠١.

(٤) وهي قراءة عمرو بن عبيد، كما في الكشف ١/٣٣٥.

(٥) وهو مذهب الفراء، ورده أبو الفتح في المحتسب ١/٢٤٠.

(٦) فلذلك أُلقيت حركتها على الميم، لأنها تستحق الثبوت، وهذا يصح على قول من جعل أداة التعريف «أل». انظر: معاني القرآن للزجاج ١/٣٧٣، الحجة لابن خالويه ١٠٥، الحجة للقراء السبعة للفارسي ٣/٨، التبيان في إعراب القرآن ١/٢٣٥.

وقرى: بإسكان الميم وفتح الهمزة من «الله» على أنها همزة قطع، أو أجري الوصل مجرى الوقف، أو على لغة من يقطع ألف الوصل^(١).

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٢) ويكون ما بعده مبتدأ محذوف أي: هو ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٣) وإن جعلت «الله» مبتدأ وما بعدها كله صفته والخبر ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي: القرآن فلا وقف على «هو» ولا على «القيوم».

وقرى: ﴿نَزَلَ﴾ تخفيفاً ورفع «الكتاب» فاعلاً^(٣).

ومحل ﴿بِالْحَقِّ﴾ - بالصدق - حال، وقوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال.

﴿لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَّهِ﴾ لما قبله من الكتب السماوية والشرائع النبوية، أي: نزل في حال تصديقه للكتب قبله، وكفى الوقف هنا؛ لأن ما بعده عطف جملة على جملة.

قال: نزل الكتاب مشدداً تكثيراً لأن القرآن نزل نجوماً، وقال: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(٤) لأنهما نزلا مرة واحدة^(٤).

ويؤنث الإنجيل نظراً إلى الصحيفة ويذكر نظراً إلى الكتاب.

قالوا: أصل التوراة: وُورِيَّة، فَوَعَلَة من ورى الزند ظهر ناره، سُمِّيَتْ بذلك لما فيها من ظهور الحق، فأبدلت الواو الأولى تاء كذا: «تولج»، ثم قُلِبَتْ الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها^(٥).

(١) معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٧٣، الهداية ٢/ ٩٤٦، الكشاف ١/ ٣٣٥.

(٢) أي الجملة خبر.

(٣) قراءة ابن أبي عبلة كما في الكشف والبيان ٨/ ٢٤، والأعمش كما في الكشاف ١/ ٣٣٦، وزاد في الدر المصون ٣/ ١٥ نسبتها للنخعي.

(٤) الكشاف ١/ ٣٣٦.

(٥) معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٧٤، التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٣٦.

القراءة: بفتحها وبإمالتها لأن أصلها الياء وبين بين^(١).

والإنجيل: إفعيل من نجل الشيء رمى به، لأنه رمى بالباطل وأبعده^(٢).

أو من السعة، من طعنة نجلاء وعين نجلاء، لأن فيه سعة ليست في التوراة.

ويجوز أن يكونا أعجميين وإن وافقا اشتقاقاً؛ كأيوب: «فيعول» من آب

يؤوب: رجع، لأن أيوب صلى الله عليه وسلم رد في بلائه ثم رجع إلى صحته.

وكيعقوب، وما ذكر أنه خرج من الرحم آخذاً بعقب العيص.

ولو كان أيوب ويعقوب مشتقين لانصرفاً، ويقوي هذا ما قرئ: «أنجيل»

بفتح الهمزة^(٣)؛ لأنه ليس في كلام العرب أفعيل^(٤).

وقوله: ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ متعلق بأنزل، وقوله: ﴿هَذَا لِلنَّاسِ﴾ نصب حال من

التوراة والإنجيل، ولم يثن لأنه مصدر، والمراد بالناس موسى وعيسى

وأتباعهما، وجميع الناس إن جعلت شريعة من تقدمنا شريعة لنا.

﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ يعني: جنس الكتب لفرقها بين الحق والباطل، فصلها أولاً

(١) قرأ بالإمالة أبو عمرو والكسائي وخلف وابن ذكوان، واختلف عن حمزة وقالون وورش،

فمن طريق الشاطبية: عن حمزة وورش بالتقليل، وهو بين بين، وعن قالون: الفتح والتقليل،

وقرأ الباقون بالفتح (إبراز المعاني ٣٨١، النشر ٦١/٢، الوافي شرح الشاطبية ٢٣٠).

(٢) وهذا قول جميع أهل اللغة عند الزجاج (معاني القرآن ١/٣٧٥).

(٣) وهي قراءة الحسن، كما في المحتسب ١/١٥٢.

(٤) اختلف العلماء في التوراة والإنجيل هل يدخلها الاشتقاق والتصريف أم لا لكونهما

أعجميين، وقد ذكر المصنف المذهبيين ملخصين، وللسمين الحلبي مبحث نفيس في ذلك

فليراجع من أراد الاستزادة (الدر المصون ١٦/٣) ومن المفسرين من ذكر المسألة متوسعاً

كالثعلبي في الكشف ٨/٢٤، وتلميذه الواحد في البسيط ١٨/٥، والزمخشري في الكشف

١/٣٣٥، وانظر المحتسب ١/١٥٢ كذلك ففيه فوائد.

ثم جمعها ثانياً تفضيلاً لها^(١).

أو الفرقان القرآن كرهه تفضيلاً له لفرقه بين الحق والباطل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ من كتبه المنزلة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ مبتدأ وخبر، وهما خبر «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [ذُو أَنْتِقَامٍ] عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها غيره.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ من الأشياء ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ عبر عن إدراكه جميع الأشياء بذكر الأرض والسماء لأنهما محل لها. ﴿هُوَ الَّذِي يَصَوِّرُكَ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من الصور المختلفة من الذكورة والأنوثة^(٢).

وقرئ: «تَصَوَّرَكُمْ»^(٣) أي: صَوَّرَكُمْ لنفسه ولتعبده، كقولك: أثلت مالاً جعلته أثلة، أي: أصلاً؛ وتأثلته إذا أثلته لنفسك.

قالوا: وهذا رد على الذين يقولون عيسى ابن الله أو الله، لأن من صُوِّرَ في الرحم يمتنع أن يكون إلهاً أو ولد الله لكونه مركباً وحالاً في مركب^(٤)، ولتعاقب الفناء عليه.

قال صلى الله عليه وسلم: «يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر بأربعين أو خمسين وأربعين ليلة فيقول: يا رب أشقي أم سعيد فيكتبان، أذكر أم أنثى

(١) تفسير الطبري ١٦٣/٦.

(٢) تفسير الطبري ١٦٦/٦.

(٣) تنسب لطاوس، كما في الكشاف ٣٣٦/١، وعبارته مثل عبارة المصنف، فكانهما صدر عن مرجع واحد.

(٤) تشابهت مادته مع الكشاف ٣٣٧/١، وانظر: الدر المصون ٢٣/٣.

فيكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثم تطوى الصحف فلا يزداد فيها ولا ينقص^(١).

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ﴾ [ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ﴿﴾ متقنات مفصلات من: الإحكام، أحكمها فلم يدخل فيها شيء من الاشتباه، ومحل ﴿هُبْ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ - أي: أصله الذي يعمل عليه الأحكام^(٢) - رفع صفة آيات، ولم يقل أمهات جمعاً لأن الآيات في الحكم بها بمنزلة آية واحدة^(٣).

﴿وَأُخْرُ مُتَشَبِهَةٌ﴾ «وأخر»: عطف على آيات، و«متشابهات» نعتٌ لأخر^(٤).

جعله محكماً كله في قوله: ﴿الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَتُهُ﴾ أراد أنه كله حق ليس فيه عيب، وجعله كله متشابهاً في قول الله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا﴾ أي: يشبه بعضه بعضاً في الحسن والصدق، وجعل بعضه هنا محكماً وبعضه متشابهاً؛ أراد بالمحكم الذي يعمل به ولا يدخله التغيير كالناسخ، والمتشابه المنسوخ.

(١) كذا ورد في الأصل، والحديث هو حديث الصادق المصدوق، قال عبد الله بن مسعود: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق، قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغاً مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة»، متفق عليه، رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) أقحم هنا: ثم، ولا معنى لها.

(٣) التبيان ١/ ٢٣٨.

(٤) البسيط ٥/ ٤٧.

أو المحكم ما احتمل وجهًا واحدًا، والمتشابه ما احتمل وجوهًا.
أو المحكم ما معناه وحججه واضحة، والمتشابه ما يفتقر إلى النظر في فهم
ولا يفهمه إلا الخواص^(١).

ولم يجعله محكمًا كله لئلا يؤخذ بالأسهل ويترك النظر والاستدلال
فيتعطل طريق الوصول إلى معرفة الله، وليعظم أجر الناظر وكاشف الحق، ولأنَّ
في المتشابه ابتلاء كابتلاء بني إسرائيل بالنهر.

ونزل في المنافقين، أو أهل البدع^(٢)، أو وفد نجران حين قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم: «ألمست تزعم أن عيسى كلمة الله وروح منه؟ قال: بلى، قالوا:
حسبنا»^(٣): ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: ميل عن الحق، وأصل الزيغ الميل.
﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾ المعنى: الزائغون يتعلقون من المتشابه بما يوافق
هواهم ظاهرًا ﴿أَبْتِغَاءَ﴾ مفعول له، أي: لطلب ﴿الْفِتْنَةِ﴾ بأن يفتنوا أنفسهم
وجها لهم بالمتشابه ﴿وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي: وطلب تفسير المتشابه بما يشتهون.
ثم بين أن لا سبيل لهم إلى معرفة تأويله بأن نفى ثم استثنى فقال: ﴿وَمَا
يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ أي: المتشابه ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾.

إن جعلت المتشابه بمعنى: ما استأثر الله تعالى بعلمه وعلم حكمته، كقيام
الساعة وعد الزبانية؛ فعلى هذا ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ -هم الذين ثبتوا فيه
وتمكنوا منه، لأن أصل الرسوخ الثبوت^(٤)- مبتدأ خبره: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾.

(١) انظر في أقوالهم في المحكم والمتشابه تفسير الطبري ١٧٦/٦، الكشف والبيان ٣١/٨،
البيضاوي ٣١/٥، زاد المسير ٢٥٨/١.

(٢) وهو قول الحسن وقتادة وغيرهما (الكشف والبيان ٤٤/٨).

(٣) وهذه رواية الربيع بن أنس، فالرواية مرسلة، كما في تفسير الطبري ١٨٧/٦، والكشف
والبيان ٤٣/٨. وزعم الكلبي أنها نزلت في اليهود فأبعد (البيضاوي ٤٩/٥).

(٤) تفسير الطبري ٢٠٦/٦.

ويعضد هذا ما قرئ: «ويقول الراسخون في العلم»^(١) وما قرئ: «إن تأويله إلا الله عنده»^(٢).

تلخيصه: الراسخون لا يعلمون تأويله بل يؤمنون به^(٣).

وإن جعلت الراسخون يعلمون تأويل المتشابه، والمراد: ما للفكر والنظر فيه مجال - وهو مذهب ابن عباس وغيره، قالوا: كان يقول: «أنا من الراسخين في العلم»-^(٤) لم تقف بعد ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ لأن الواو عاطفة^(٥).

ولا أحب العطف على ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ لأن محل «يقول» نصب حال.

﴿كُلُّ﴾ أي: كل واحد من المحكم والمتشابه.

﴿مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾ ولا أحب الوقف على ﴿بِهِ﴾ لأن ﴿كُلُّ﴾ مبتدأ خبره ﴿مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾، ومحل «أما به» و«كل» وخبره نصب بـ«يقولون» ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا [أُولُوا الْأَلْبَابِ]﴾.

(١) نسبت لأبي وابن عباس تفسير الطبري ٦/ ٢٠٢، الكشف والبيان ٨/ ٥٧، الكشف ١/ ٣٣٩.

(٢) في المصادر: إلا عند الله، وتنسب لابن مسعود، انظر: تفسير الطبري ٦/ ٢٠٢، الكشف والبيان ٨/ ٥٧، الكشف ١/ ٣٣٩.

(٣) قال الواحدي: «وهذا مذهب: عائشة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي، وكثير من التابعين، واختيار الفراء، والكسائي، والمفضل، وابن الأنباري، وأبي عبيد، وأحمد بن يحيى». وهو قول عروة بن الزبير وأبي نبيك الأسدي وعمر بن عبد العزيز ومالك، رواه عنهم ابن جرير، واختاره (تفسير الطبري ٦/ ٢٠٢، ٢٠٤، معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٧٨، البسيط ٥/ ٥٤، ٥٧).

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره ٦/ ٢٠٣ من طريق مجاهد عنه.

(٥) وهو قول مجاهد والربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير، واختيار ابن قتيبة (تأويل مشكل القرآن ٩٨، البسيط ٥/ ٦٠). وقد أشار إلى هذا الوقف بحسب الاختلاف في التأويل علماء الوقف المصنفين فيه، ومن أحسن من بحث ذلك ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٥٦٥.

القراءة: ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ وإذ هنا ليست بظرف لإضافة «بعد» إليها^(١).

وقرئ: «يزغ» بالتاء والياء مفتوحان، ورفع «القلوب» فاعلاً، يقال: زاغ الشيء مال وأزاغه غيره^(٢).

تلخيصه: ثبتها على الإيمان.

﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ توفيقاً.

وبنيت «لدن» على السكون مع الإضافة، لأنَّ علة بنائها قبل الإضافة موجود في الإضافة، فالحكم تابع للعلة، والعلة أنَّ «لدن» بمعنى «عند»، لكنها تدل على اتصال بالشيء و«عند» لا تدل عليه، ولهذا تقول: عندي كذا؛ لما تملك، حضرك أو غاب عنك، ولا تقول: لدني كذا إلا لما حضرك، فأفادت لدئ معنى لم يفده الظرف، بل أفادت الحرف، فكأنها قد تضمنت معنى الإشارة الدالة على القرب، ومثلها في البناء: «هنا»^(٣).

وتمَّ^(٤): ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ قالوا: لأنه رأس آية، ولو وسم بالحسن أو الكافي لكان أولى، لأنه من كلام القوم ومن جملة الحكاية عنهم^(٥).

(١) الدر المصون ٣/ ٣٠.

(٢) أي: لا تُزِغْ قُلُوبَنَا وهي منسوبة لأبي واقد وأبي وغيرهما، كما في المحتسب ١/ ١٥٤، والقراءتان في الكشف ١/ ٣٣٩، والدر المصون ٣/ ٢٩.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٤٠، الدر المصون ٣/ ٣٣، الإتيان في علوم القرآن ٢/ ٢٤٥، تاج العروس ٣٦/ ١٠٩.

(٤) في الأصل: ومثلها في البناء هنا وثم، وهو تصحيف، وإنما أراد: وتم أي من الوقف التام، بدليل ما بعده.

(٥) ذكره بالتمام ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٥٦٨، والداني في المكتفى ٣٨. وهو الصحيح.

والإضافة في قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ مجازية لأن جامع مستقبل، أي: يجمعهم لقضاء يوم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ والهاء للقضاء، أو لليوم، أو للجمع، ثم جاء بذكر الله تعالى مُظهرًا تفخيماً مشيراً إلى صدق وعده فقال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (١) الموعود.

القراءة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لَن تُغْنِيَ ﴿نَصَبًا﴾.

وقرى: بسكون الياء استثقالاً للحركة عليها^(١).

وقرى: «يغني» بسكون الياء مذكراً لأن تأنيث الأموال غير حقيقي، وللфصل^(٢). ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾.

ومحل ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ - أي: من عذاب الله - نصبٌ، تقديره: لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم عذاب الله، ويكون ﴿شَيْئًا﴾ مصدرًا، أي: غنيٌّ، و«من» لا ابتداء الغاية كقوله: ﴿لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾، أو «من الله» صفة لـ «شيئًا»؛ قدم عليه فنصب حالاً، تقديره: لن تدفع عنهم الأموال شيئاً من الله^(٣).

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ﴾ [القراءة: ﴿وَقُودُ النَّارِ﴾] فتحاً اسم لما يوقد.

وقرى: بالضم، التَّوَقُّدُ، أي: أهل وقود النار^(٤)، أو لغتان فيما يوقد.

والمراد بالذين كفروا مَنْ كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم، تلخيصه: لا مخلص للكفار من النار.

ويكفي الوقف على النار إن رفعت محل الكاف خبر ابتداء محذوف،

(١) أي: تُغْنِي، وتنسب للحسن، كما في الكشف والبيان ٧٥ / ٨.

(٢) تنسب للسلمي، كما في الكشف والبيان ٧٥ / ٨.

(٣) تشابهت مادته مع التبيان في إعراب القرآن ١ / ٢٤١.

(٤) في الأصل: الناس، وهو تصحيف. والقراءة في الكشف ٣٤٠ / ١، والتبيان ١ / ٢٤١.

تقديره: دأب هؤلاء الكفرة في الكفر تكذيب الرسل^(١).

﴿كَذَّابٌ﴾ أي: عادة ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ والدأب مصدر دأب في العمل جدّ فيه، وأصله الملازمة والدوام، والمراد هنا: العادة الدائمة^(٢). تلخيصه: عادة أولاء كعادة أولئك.

ولا أحب الوقف على «النار» وإن كان آخر آية، وأجازه بعضهم إذا نصبت محل الكاف بلن، يعني: أي لن تغني عن أولاء أموالهم مثل ما لم يغن عن أولئك أموالهم، أو بالوقود لما فيه من معنى الفعل، أي: يوقد النار بأولاء كما يوقد بأولئك، ويتم الوقف على «فرعون» إن رفعت^(٣).

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من كفار الأمم المتقدمة، مبتدأ خبره: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وإن جعلت الواو عاطفة لم تقف على «فرعون»، ويكون محل «الذين كذبوا» جرّاً، وتقف على «من قبلهم» إن استأنفت «كذبوا بآياتنا» وجعلتها جملة مفسرة لدأبهم وما فعلوا بهم، وكأنها جواب سؤال مقدر عن حالهم، ولا موضع لها من الإعراب، وإن نصبت محل «كذبوا» حالاً و«قد» معه مقدرة لم تقف على «من قبلهم»^(٤).

تلخيصه: كلهم كفروا.

﴿فَأَخَذَهُمُ﴾ أي: فعاقبهم ﴿اللَّهُ يَذُنُّهُمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٥).

ونزل في المشركين أو في اليهود لما جمعهم رسول الله صلى الله عليه

(١) مثله في: إيضاح الوقف والابتداء ٥٦٨/٢، المكتفى ٣٨.

(٢) البسيط ٦٩/٥.

(٣) وافق المصنف الأنباري في كراهة الوقف على النار، كما في إيضاح الوقف والابتداء

٥٦٩/٢، وذكر الداني الوجهين. انظر: المكتفى في الوقف والابتداء للداني ٣٨.

(٤) التبيان ٢٤٢/١.

وسلم في سوق بني قينقاع بعد وقعة بدر، فقال: «أسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بقريش» قالوا: لا يغرنك أنك لقيت قومًا أعمارًا لا علم لهم بالحرب، إنا والله لو قاتلناك إنا نحن الناس^(١): ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾.

القراءة: بالتاء فيهما خطابًا، وبالياء غيبة^(٢).

وأصل الغلبة القوة والقهر^(٣)، والحشر: السَّوق والجمع، المعنى: أنهم يغلبون في الدنيا ويساقون في الأخرى مجموعين.

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش، وأصله التوطئة والتسهيل.

ثم خاطب كفار قريش مشيرًا إلى وقعة بدر فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ ذكر^(٤): أراد البيان، أو ذكر للفصل بما هو خبر كان وهو: لكم^(٥)، المعنى: قد ظهر لكم دلالة على صدق قولي إنكم تغلبون.

ومحل: ﴿فِي فِتْنَتَيْنِ﴾ -أي: فريقين، وأصل الفئة: الرجوع -رفع، نعت لآية.

ومحل: ﴿أَلْتَقَتَا جُرًّا﴾ نعت لفئتين، وحسن الوقف هنا لأن ما بعد خبر مبتدأ تقديره: «إحداهما ﴿فِتْنَةٌ﴾».

﴿تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: في طاعته، وهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلًا، معهم فرس للمقداد ابن عمرو،

(١) رواه ابن جرير في التفسير (٦/ ٢٢٧) وهو المشهور في التفسير أن المراد: اليهود.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف بالغيب فيهما، وضبط الآية في الأصل كذلك، وقرأ الباقون بالخطاب (النشر ٢/ ٢٣٨).

(٣) البسيط ٥/ ٧٤.

(٤) يعني: كان، ولم يقل كانت، مع أن الآية مؤنث.

(٥) البسيط ٥/ ٧٨.

وفرس لمرثد بن أبي مرثد، وستة أدرع وثمانية سيوف، وأكثرهم رجالة^(١).
 ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ وهم كفار قريش، كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً من
 المقاتلة^(٢).

وقرئ: بجر «فئة» و«كافرة» بدلاً من «فتتين»، وبنصبهما اختصاصاً أو حالاً
 من الضمير في «التقتا» تقديره: التقتا مؤمنة وكافرة^(٣).

القراءة: ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ بالتاء خطاباً لليهود؛ لأن منهم من حضر الواقعة ينظرُ
 لمن الكثرة، وبالياء: أي: يرونهم المسلمون^(٤) ﴿مَثَلِيهِمْ﴾ نصب حال لأنه من
 رؤية العين^(٥).

وقرئ: بالياء والتاء مضمومتين مجهولاً^(٦)، من: أُرِيتُ^(٧) الشيء دَلَّني عليه
 غيري.

وقوله ﴿مَثَلِيهِمْ﴾ وكانوا ثلاثة أمثالهم؛ أي: مثليهم سواهم، كقول الرجل:
 عندي درهم أنا محتاج إلى مثليه، أي: إلى مثليه سواه فيكون ثلاثة^(٨).

(١) الكشف والبيان ٨/ ٨٩.

(٢) تفسير الطبري ٦/ ٢٣٥، الكشف والبيان ٨/ ٩٠.

(٣) الخفض قراءة الزهري، والنصب قراءة ابن السميع، انظر: معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٨١،
 الكشف والبيان ٨/ ٩٠، الكشف ١/ ٣٤١، التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٤٣.

(٤) قرأ أبو جعفر ونافع ويعقوب بالتاء على الخطاب، وقرأ الباقرن بالياء (النشر ٢/ ٢٣٨).
 (٥) التبيان ١/ ٢٤٣.

(٦) أي: ترونهم، يُرونهم، وبالتاء قراءة السلمي كما في الكشف والبيان ٨/ ٩٦، والثانية ذكرها في
 المحتسب ١/ ١٥٤، والكشاف ١/ ٣٤١ منسوبة لابن عباس وابن مصرف، وبلا نسبة في
 التبيان ١/ ٢٤٣، الدر المصون ٣/ ٥٤.

(٧) في الأصل: أُرِيت.

(٨) وهو قول الفراء كما في معاني القرآن له ١/ ١٩٤، ووافقه ابن جرير ٦/ ٢٣٨. ورده الزجاج في
 معاني القرآن ١/ ٣٨١.

ويجوز أن يقال: لم تكن الرؤية تحقيقاً فيقال كانوا ثلاثة أمثالهم؛ بل كان ظناً يدل على ذلك قول ابن مسعود: «نظرنا المشركين فرأيانهم يضعفون علينا، ثم نظرناهم فرأيانهم لا يزيدون علينا رجلاً واحداً، حتى قلت إلى رجل جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة»^(١).

أو: رأى المشركون المسلمين مثليهم ليعظموا في أنفسهم^(٢).

ولا يجوز أن تكون الرؤية على القراءات كلها إلا بالعين لقوله ﴿رَأَى أَلْعَيْنَ﴾ نصب مصدرًا أي: بارزًا ظاهرًا ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾ أي: يقوي ﴿بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ اعتبار لذوي العقول والنظر.

القراءة: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ﴾ رفعًا مفعولاً لم يسم فاعله.

وقرئ: بفتح الزاي ونصب «حب»^(٣).

(١) رواه الطبري في التفسير ٢٣٤/٦.

(٢) ذكره في معاني الزجاج ٣٨٢/١، والكشف والبيان ٩٤/٨، «فإن قلت: فهذا مناقض لقوله في سورة الأنفال ﴿وَيَقْلِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ [سورة الأنفال: ٤٤] قلت: قللوا أولاً في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم، فلما لا قوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا، فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين، ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال قوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [سورة الرحمن: ٣٩] وقوله تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [سورة الصافات: ٢٤] وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة وإظهار الآية الكشاف ٣٤١/١.

(٣) أي: «زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ»، ونسبت لمجاهد، انظر: المحتسب ١٥٥/١، الكشاف ٣٤٢/١، التبيان ٢٤٤/١، الدر المصون ٥٦/٣. قال أبو الفتح: «فاعل هذا الفعل إبليس، ودل عليه ما يتردد في القرآن من ذكره، فهذا نحو قول الله تعالى: ﴿يَعِذُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ﴾ [سورة النساء: ١٢٠] وما جرى هذا المجرى».

﴿الشَّهَوَاتِ﴾ أصل الشهوة: نزوع النفس إلى ما تريده، وقد يسمى المشتهى شهوة والقوة التي بها يُشتهي الشيء شهوة، المُزِين الله زينها لهم للاختبار. [الحسن]: «الشیطان والله زينها لهم لأننا لا نعلم أحداً أذم لها من خالقها»^(١).

ومحل ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ حال من الشهوات.

﴿وَالْبَيْنِ﴾ [وَالْقَنَاطِيرِ] جمع القنطار أو جمع القنطرة، وهي من المال مقدار تعبر به الحياة، تشبيهاً للقنطرة للمارة، وذلك غير محدود، فربَّ مستغنٍ بالقليل وآخر غير مستغنٍ بالكثير، وبالجمله فالمراد المال الكثير، واختلفوا في حده: هو ألف ومائتا دينار، أو ملء مسك ثور ذهباً، أو مائة ألف مثقال^(٢).

﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾ المجمعة كقولهم ألف مؤلفة، ومحل: ﴿مِنَ الذَّهَبِ﴾ حال من القنطرة ﴿وَالْفِضَّةِ﴾ عطف عليه ﴿وَالْخَيْلِ﴾ من الخيلاء لا واحد له من لفظه، عطف على النساء لا على الذهب والفضة، لأنها لا تسمى قنطاراً، وزعم بعضهم أن واحدها خائل كطائر وطير ﴿الْمُسَوِّمَةِ﴾ المعلّمة من العلامة، أو المرعية من سمت الدابة وأسمتها: رعيّتها ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ أي: الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ﴾ أي: الزرع ﴿ذَلِكَ﴾ أي: المذكور ﴿مَتَّعَ﴾ يتمتع به يسيراً في ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ثم، يزول وهذا تزهد في الدنيا وترغيب في الآخرة، يوضحه قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ﴾^(٣) المرجع.

(١) توافق المصنف والزمخشري في العبارة، ولذا زدت الحسن لأنه عبارته، وقد رواها عنه الطبري في تفسيره ٢٤٣/٦.

(٢) انظر الروايات في ذلك في تفسير الطبري ٢٤٤/٦، والكشف والبيان ١٠٤/٨، وزاد المسير ٢٤٦/١.

[١٤] * قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَتْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصّٰدِقِينَ وَالْقٰلَتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾].

[* قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَالِكُمْ] لأن ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ خبر مبتدأ ﴿جَنَّاتٌ تَجْرَى﴾ أو تقديره: هو جنات، ولأجل أن ﴿لِلَّذِينَ﴾ الآية موضحة بحسن المآب معنى.

ولجواز تعلّق اللام بـ «خير» كفى الوقف على «ذلكم»، ولولاه لكان تاماً. ومحل «[من] ذلكم» نصب بخير، أي: بما فضل ذلك، ولا يكون وصفاً لخير لأن ذلك يوجب أن تكون الجنة وما فيها مما رغبوا فيه بعضاً لما زهدوا فيه من الأموال^(١).

وقرئ: «جناتٍ» جرّاً بدلاً من «خير»^(٢)، فيكون «للذين» على هذا وصفاً «لخير» فلا يكفي الوقف على «ذلكم»^(٣) ويكفي الوقف على «ذلكم» إن نصبت جنات بأعني مدحاً.

القراءة: ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ مصدر، أي: رضى ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ بضم الراء وكسرها في جميع القرآن، لغتان، إلا من اتبع رضوانه ﴿مِّنْ أَتْبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ في المائدة بكسر الراء لا غير.

(١) مثله في التبيان ١/ ٢٤٥، الدر المصون ٣/ ٦٥.

(٢) القراءة شاذة، وهي غير منسوبة في التبيان ١/ ٢٤٦، الدر المصون ٣/ ٦٥.

(٣) في الأصل هنا وبعد قليل: ربكم، وهو تصحيف.

﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ۝﴾ إن نصبت أو رفعت ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا﴾ [مدحاً]^(١)، وإن جررته صفة ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أو «للعباد» لم يجز.

﴿وَقَدْ عَذَابَ النَّارِ ۝﴾ إن نصبت ﴿الصَّالِحِينَ﴾ مدحاً، وغير جائز إن جررته نعتاً للمتقين^(٢). وبعضهم يختار أن لا وقف في: ﴿الْمَاءِ ۝﴾ إلى ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ أي: المصلين، أو المصلين جماعة ﴿بِالْأَسْحَارِ ۝﴾ قال: «لأن المراد الإعلام أن الجنة أُعِدَّت لجميع المذكورين»، ولا بأس بهذا الاعتبار. وتوسط الواو بين الصفات المذكورة مؤذن أن كل صفة مستقلة بالمدح، أو مؤذنة بأن منهم صابر ومنهم صادق^(٣).

والمراد^(٤) حقيقة الاستغفار، قالوا: كانوا يصلون أول الليل ويدعؤون الصلاة، فإذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار^(٥).

وعن بعضهم أنهم كانوا يستغفرون من عبادتهم استقلالاً لها وما يقع منها، قال لقمان لابنه: يا بني لا تكوننَّ أعجز من هذا الديك يصوت بالأسحار وأنت نائم على فراشك^(٦).

(١) كذا، وكان ينبغي أن يؤخر: أو نصبت، كي يكون قوله مدحاً متصلاً به.

مراد المصنف أنه يجوز الوقف على العباد إن أعربت ما بعدها نصباً على المدح أو رفعا على تقدير: هم، فأما إن أعربت صفة أو بدل من العباد لم يحسن الوقف، والوقف على العباد كافٍ عند الداني، حسن غير تام عند الأنباري (الإيضاح ٥٧٢/٢، المكتفى ٣٨).

(٢) أي: «للذين اتقوا». وهذا الذي أجازاه المصنف يسميه القراء: التام، (الإيضاح ٥٧٢/٢، المكتفى ٣٨).

(٣) التبيان ٢٤٧/١.

(٤) في الأصل: أو، وهو خطأ.

(٥) انظر الروايات في ذلك في تفسير الطبري ٢٦٦/٦، الكشف والبيان ١٤٣/٨.

(٦) الكشف والبيان ١٤٧/٨، معالم التنزيل ١٧/٢.

وعن ابن عباس: خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة، فشهد لنفسه بنفسه قبل خلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ أي: بين وأعلم بمصنوعاته^(١).

﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أيضًا ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ هم الأنبياء والمؤمنون المثبتون التوحيد شهدوا بذلك وأقروا به اعتقادًا.

وقرى: «شهداء لله» بنصب الهمزة حال من «يستغفرون» فلا يوقف على «بالأسحار» وبالرفع أي: هم شهداء الله، فعلى هذا والملائكة عطف على الضمير في شهداء، وجاز ذلك للفاصل بينهما وقرى: «وشهداء الله» رفعًا مع الإضافة^(٢).

﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ أي: مقيمًا بالعدل وتدبير الخلق ورزقهم، حال مؤكدة من «الله»، أو من «هو» دون مَنْ ذُكر معه^(٣) لأمن اللبس، ومثله جاء زيد وهند راكبًا، لأجل التذكير، ولو قد جاء زيد وعمرو راكبًا لم يجز لللبس، أو مدحًا - وإن كان نكرة - لأنه قد جاء، وحق المدح أن يكون معرفة؛ نحو: «إِنَّا معشر الأنبياء لا نورث»^(٤).

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ

(١) ذكره الثعلبي (الكشف والبيان ٨/ ١٥٨) من غير إسناد، والظاهر أنه من رواية الكلبي.

(٢) نسبت بعض هذه القراءات إلى أبي المهلب محارب بن دثار وأبي نبيلك، كما في المحتسب ١٥٥/ ١، والكشاف ٣٤٥/ ١، والتبيان ٢٤٧/ ١، الدر المصون ٧٣/ ٣.

(٣) وهم الملائكة وأولوا العلم.

(٤) تشابهت مادته مع الكشف، وانظر مناقشة أبي حيان والسمين لهذه الأوجه في الدر المصون ٧٧/ ٣.

﴿إِلَّا سَلَّمَ﴾ استثناءً - وهي القراءة -^(١).

وغير جائز إن فتحت «أن الدين»، وهي القراءة أيضًا^(٢)، بدلاً من «أنه لا إله إلا هو»، أو من «القسط»، وهما بدل الشيء من الشيء، لأن التوحيد والعدل هو الإسلام، أو بدل اشتمال لأن الإسلام يشتمل على التوحيد والعدل.

وقرئ: بكسر «إنه لا إله إلا هو» استثناءً وفتح «أن الدين» معمول «شهد» وما بينهما اعتراض، المعنى: الإسلام التوحيد والعدل وهما الدين عند الله لا غير^(٣).

ونزل في اليهود والنصارى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾ في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ في التوراة أنه نبي حق، فكذبوا وأشركوا بأن ثلثت النصارى وقالت اليهود عزيز ابن الله^(٤) ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾...^(٥) حال من «الذين»، أو مفعول له.

تلخيصه: ما كان اختلافهم بعد العلم إلا للبغي وطلب الرياسة، أو المراد أولاد السبعين الذين استودعهم موسى التوراة لما حضره الموت واستخلف عليهم يوشع بن نون، فلما مضى القرن الأول والثاني والثالث وقعت الفرقة بينهم في الدين.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١١).

(١) أي جاز الوقف على: الحكيم.

(٢) الفتح قراءة الكسائي، والكسر قراءة الباقيين (النشر ٢/ ٢٣٨).

(٣) انظر: الكشف ١/ ٣٤٥، التبيان ١/ ٢٤٨، الدر المصون ٣/ ٨٣.

(٤) تفسير أبي الليث ١/ ٢٠١.

(٥) هاهنا كلمة: رفع، وهو إقحام لا معنى له.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أي: خاصمك يا محمد أهل الكتاب في الدين ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾ أي: انقدتُ ﴿لِلَّهِ﴾ وحده بجميع جوارحي، وأخلصتُ عملي له.

وخص الوجه بالذكر لأنه أكرم الشخص، وإذا أخضع الإنسان به خضع بجميع جوارحه.

ومحل ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ رفعٌ، عطف على التاء في أسلمتُ، وجاز العطف للفصل، أي: أسلمتُ وأسلم من اتبعن أيضاً وجوهمهم، وإن كانت الواو بمعنى مع فمحله نصب مفعول معه.

القراءة: بإثبات الياء وحذفها وصلأً، وحذفها وقفاً إجماعاً إتباعاً للخط.

ثم أمره أن يستفهم من...^(١) على المعاندة بعد قيام المعجز من أي الإسلام فقال: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَالْأُمِّيِّينَ﴾ مشركي العرب ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ أي: أسلموا، كقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^(٢).

﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ بخروجهم من الضلال إلى الهدى، ﴿وَرِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ تبليغ الرسالة دون الهداية ﴿وَاللَّهُ بِصِيرُ بِالْعِبَادِ﴾^(٣) بمن يؤمن وبمن لا يؤمن. هذه الآية منسوخة بآية السيف والمراد منها التبليغ عند بعضهم، ومحكمة عند غيرهم؛ والمراد منها أن لا يحزن النبي صلى الله عليه وسلم على من لم يجبه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

القراءة: ﴿وَيَقَاتِلُونَ الَّذِينَ﴾ يفاعلون، ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ بفتح الياء مخففاً^(٢).

(١) هاهنا كلمة صورتها: نحا، والمراد واضح: من بقي على المعاندة.. الخ. او نحو ذلك.

(٢) قرأ حمزة: ويقاتلون، والباقون: ويقتلون (النشر ٢/ ٢٣٨).

وقرئ: «ويقتلون النبيين» مشدداً^(١).

سئل صلى الله عليه وسلم: أيُّ الناس أشدَّ عذاباً يوم القيامة؟ قال: «رجلٌ قتل نبياً، أو رجلاً»^(٢) أمر بالمنكر ونهى عن المعروف، ثم قال: قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً يوماً من أول النهار في ساعة واحدة، ثم قام مائة واثنى عشر رجلاً من عبَاد بني إسرائيل فأمرُوا من قتلهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقتلوا جميعاً آخر النهار في ذلك اليوم»^(٣).

تلخيصه: إن كفار بني إسرائيل قتلوا أنبيائهم وأتباعهم عناداً.

﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٤) ودخلت الفاء في خبر إن لتضمن اسمها معنى الجزاء^(٥) وشبهه «الذي» بالشرط؛ أي: الذين يكفرون فبشرهم، كقولك من يكفر فبشره، ولأنَّ «إن» لم تغير معنى الابتداء بل زادته توكيداً^(٦)، ولهذا لو دخلت «ليت» ونحوها مما يعتبر معنى الابتداء لم يجز دخول الفاء^(٦).

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّصِيرٍ﴾^(٧)

(١) وهي قراءة الحسن في الموضعين، كما في الكشف والبيان ١٧٣/٨، والكشاف ٣٤٧/١، والدر المصون ٩٤/٣.

(٢) في الأصل: رجل. وفي تفسير الطبري: أو رجل أمر بمنكر ونهى عن معروف.

(٣) رواه الطبري في التفسير ٢٨٦/٦، والثعلبي في الكشف والبيان ١٧٦/٨، من حديث أبي عبيدة، وفيه أبو الحسن مولى بني أسد عن مكحول، وأبو الحسن مجهول.

(٤) أي استحقاق البشارة بالعذاب جزاء الكفر.

(٥) ولذا لم تمنع دخول الفاء على الخبر.

(٦) تشابهت مادته مع الكشاف ٣٤٨/١، والبيان ٢٤٩/١، والدر المصون ٩٤/٣.

ونزل في اليهود لما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأبوا^(١)،
أو لما جاء أهل خيبر إليه برجل وامرأة منهم زنيا فحكم عليهما بالرجم، فقال
النعمان بن أوفى وبحري بن عمرو: ليس عليهما الرجم، فقال صلى الله عليه
وسلم: «بيني وبينكم التوراة» فقالوا: أنصفتنا، فجيء بالتوراة فوجد فيها الرجم،
فرجما فانصرف اليهود مغضبين^(٢).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ أي: التوراة، ومحل ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى
كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ حال من «الذين».

وقرئ: «ليحكم» مجهولاً^(٣). والمراد الاختلاف وقع بين من أسلم وبين
من لم يسلم^(٤).

ومحل ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٢٣) - عن قبول الحق - رفع، صفة فريق.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: التولي والإعراض مبتدأ، خبره ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي: بسبب
قولهم ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾
(٢٤) في دينهم صلة يفترون.

ومحل ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا جَمَعْتَهُمْ﴾ نصبُ حال، العامل فيه محذوف،
أي: فكيف يصنعون، أو كيف ظرف لهذا المحذوف، وإذا ظرف له أيضاً.

﴿[لَيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ] وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهل الكتاب وغيرهم ﴿مَا
كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٥) لا يزداد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم.

(١) وهذا قول قتادة كما في تفسير الطبري ٢٨٩/٦.

(٢) وهذا رواية الكلبي عن ابن عباس، كما في الكشف والبيان ١٨٣/٨.

(٣) الكشف ٣٤٨/١.

(٤) أي من أحبارهم، كما في الكشف وغيره، وفي الأصل: أو المراد، وهو خطأ، لأن ما بعد
المراد توجيه القراءة.

ونزلت لما وعد صلى الله عليه وسلم أمته بملك فارس والروم^(١)، أو لما دعا لهم بذلك^(٢) ﴿قُلِ اللَّهُمَّ الميم عوض من حرف النداء، وشددت لقيامها قيام حرفين، واللام في قوله ﴿مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ للجنس ﴿تَوَقَّى الْمَلِكُ﴾ أي: النبوة أو غيرها مما يملك ﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ من خلقك ﴿وَتَزَعُ﴾ أي: تزيل وتمنع ﴿الْمَلِكُ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعَزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ بالملك ﴿وَتَذُلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ تنزعه منه، أو بما تريد، وكل ذلك عدل منك ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ ولم يذكر الشر اكتفاءً بذكر الخير، ولأن الآية في ذكر ما عدا المؤمنين ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ثم أوماً إلى قدرته الباهرة بقوله:

﴿تُولِجُ﴾ تدخل ﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ حتى يصير خمس عشرة ساعة ﴿وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ حتى يصير خمس عشرة^(٣) ساعة فما أنقص من هذا زيد في هذا ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ أي: الحيوان من النطفة، أو الطير من البيضة، أو المؤمن من الكافر، لأن الكافر ميت القلب، كقوله: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾، أو النبات من الحب اليابس ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ عكس الأول. القراءة: «الميت» و«بلد ميت» إذا كان قد مات مشدداً أو مخففاً؛ لغتان، وشددوا ما لم يمت. أبو عمرو: المشدد ما لم يمت، والمخفف ما قارفته الروح^(٤).

(١) وينسب لابن عباس من غير إسناد، انظر: الكشف والبيان ٨/ ١٩١.

(٢) وهو قول قتادة كما في تفسير الطبري ٦/ ٣٠٠.

(٣) في الأصل في الموضوعين: خمسة عشر، وهو غلط.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة بتخفيف الياء هنا، والباقون بتشديدها، و«ما لم يمت لكل جاء مثقلاً»، هكذا قال الشاطبي، ولا يختص به أبو عمرو، والمعنى: «أن ما لم تتحقق فيه صفة الموت فهو مقروء بالتشديد لجميع القراء» (النشر: ٢/ ٢٢٤، الوافي شرح الشاطبية ٢٣٢).

أو «الميت من الحي» السقطة من العارف^(١).

﴿وَتَرْزُقْ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢٧) لأنه المالك حقيقة.

ونزل نهياً عن مباطنة من يبطن الكفر ويظهر الإيمان وعن موالاتهم: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ بكسر الذال للساكنين، وبعضهم يرفعه ويجعل الكلام خبراً.

ومحل ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ نصب صفة «أولياء»، المعنى: اجتنبوا مولاة الكفار فلکم غنية عن^(٢) موالاتهم بمولاة المؤمنين، لأنهم أعداء الله ومن والاهم فقد دخل في عداوة الله. تلخيصه: اتركوهم لله.

ثم تهددهم فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: ولاية الكفار ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من دينه وتوفيقه ﴿فِي شَيْءٍ﴾ لأنه ينسلخ عن ولاية الله تعالى ودينه، ويجوز أن يقال: الله بريء منه.

أبو حاتم وأبو بكر: الوقف هنا كاف، وفيه نظر لوجود الاستثناء بعد^(٣).

ومحل ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا﴾ نصب مفعول له ﴿مِنْهُمْ تَقَنَّةٌ﴾ أبو حاتم: تام^(٤).

نصب مصدر، المعنى: لأجل خوفكم منهم أمراً يجب الاحتراز منه بأن يغلب الكفار، أو يكون المؤمن بينهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان، وهذا رخصة، فلو صبر حتى قتل كان أجره عظيماً، قال الحسن في فتنة الحجاج:

(١) وهذا من التفسير الإشاري.

(٢) تصحفت في الأصل: بحسن، وكأنها كانت في الأصل الذي نقل منه ممدودة، فتوهمها سيناً.

(٣) في إيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر الأنباري ٢ / ٥٧٣: أن الوقف حسن، وفي المكتفى ص ٣٩، أنه كاف.

(٤) في المكتفى ص ٣٩، أنه كاف.

لكم تقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان، فقال ابن جبير: ليس في الإسلام تقية إنما التقية في أهل الحرب^(١).

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ بأن يغضب عليكم لموالاته الكفار ﴿وَالَى اللَّهُ الْمَصِيرُ﴾ تحذير أيضاً.

﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوا﴾ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ استئناف وليس بمعطوف على جواب الشرط^(٢). ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

إن لم يعلق ﴿يَوْمَ نَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ بالمصير، أو يحذرکم، ويتم الوقف هنا إن استأنفت ما بعد، و«محضراً» مفعول ثانٍ لتجد، الأول: «ما عملت»، و«ما» بمعنى الذي، وإن نصبت «يوم تجد» بـ«تود» -بعد- لم تقف هنا ووقفت على «قدير»^(٣).

﴿وَمَا﴾ في ﴿عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ﴾ بمعنى الذي، مبتدأ خبره ﴿تَوَدُّ﴾ وقرئ: ودت^(٤) ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ﴾ أي: بين النفس وبين السوء ﴿أَمَدًا بَعِيدًا﴾ مسافة واسعة، تلخيصه: والذي عملته تود لو تباعد ما بينها وبينه.

(١) نقله الثعلبي في الكشف والبيان ٨ / ٢٣١. وفي الأصل: بقية في المواضع كلها وهو تصحيف.

(٢) يعني: «ويعلم ما في».

(٣) قال ابن الأنباري: «والوقف على ﴿مَّا عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ حسن إذا رفعت ﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ﴾ بموضع «تود» لعودته بذكر «ما» وذكرها الهاء التي في «بينها»، وإن جعلت «ما» منصوبة بمعنى: وتجد ما عملت من سوء؛ لم يتم الوقف على قوله: «محضراً» لأن الثاني منسوق عليه (إيضاح الوقف والابتداء ٢ / ٥٧٤، وانظر: المكتفى ٣٩).

(٤) نسبت لابن مسعود معاني القرآن للفراء ١ / ٢٠٦، الكشف والبيان ٨ / ٢٣٦، الكشف

وإن عطف «وما عملت» على «ما عملت» فيكون «يود» حالاً، تقديره: يوم تجد كل نفس عملها محضراً وادة^(١) تباعد ما بينها وبين السوء^(٢)، لم يقف على «محضراً». ويجوز أن تكون ما فيهما مصدرية^(٣). ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٤).

قالت اليهود: نحن أبناء الله وأحبابه، وقال صلى الله عليه وسلم لقريش عند عبادتهم الأصنام: «قد خالفتم ملة إبراهيم» فقالوا: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، وقالت طائفة: إننا نحب الله فنزل امتحاناً لهم^(٥):

(١) في الأصل: وإذ وهو تصحيف يفسد السياق، والتصحيح من الكشاف ٣٥٢/١ حيث تشابهت المادة.

(٢) عبارة الكشاف أتم، وهي: «وادة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء محضراً، كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [سورة الكهف: ٤٩] يعنى مكتوباً في صحفهم يقرؤونه، ونحوه ﴿فَيَنْتَهُمُ يَمَّا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [سورة المجادلة: ٦]». والأول أشهر عند المفسرين، ويشهد لهذا الثاني تفسير الحسن البصري (كما في تفسير الطبري ٣٢١/٦، والكشف والباين ٢٣٧/٨)، والله أعلم.

(٣) ويكون المصدر حينئذ واقعا موقع المفعول تقديره: يوم تجد كل نفس عملها أي: معمولها، فلا عائد حينئذ عند الجمهور (من الدر المصون ١١٦/٣).

(٤) القول الثالث مرسل الحسن، رواه عنه الطبري في تفسيره ٣٢٢/٦، والقولان الأولان غريبان، وإن ذكرا في كتب التفسير، فقول اليهود هو من رواية الكلبي عن ابن عباس، وحديث قريش من رواية الضحاك عنه، وكلا الروايتين غير صحيحة (انظر: الكشف والبيان ٢٣٧/٨).

وهذه الأقوال في سبب النزول كلها يأبأها السياق، ولا يدل عليها حديث صحيح، ولذا قال ابن جرير -تعقياً على قول محمد بن جعفر بن الزبير: هذا أمر من الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول لوفد نجران الذين قدموا عليه من النصارى: إن كان الذي تقولونه في عيسى من عظيم القول، إنما يقولونه تعظيماً لله وحباً له، فاتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم - قال: وأولى القولين بتأويل الآية، قول محمد بن جعفر بن الزبير. لأنه لم يجر لغير وفد نجران في

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ وقرئ: تَحْبُونُ وَيَحْبِبْكُمْ وَيَحْبِبْكُمْ مِنْ حَبَّةٍ^(١)، وزعم بعضهم أن حَبَّةً يَحِبُّهُ شاذ لأنه لا يأتي يفعل بالكسر إلا ويشركه يفعل بالضم إذا كان متعديًا ما خلا هذا الحرف، يشير إلى أنه لم ينقل فيه الضم، والقراءة بضم مستقبله دليل على عدم شذوذه.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣١) ومحبة الله امتثال أمره، ومحبته إياهم رضاه عنهم^(٢)، ولا شك أن من ادَّعى محبة الله تعالى وخالف سُنَّةَ نبيه فهو كذاب بنص كتاب الله تعالى، يؤكد كذبه ما نزل الله تعالى لما قال ابن أبي: إِنَّ مُحَمَّدًا يَجْعَلُ طَاعَتَهُ كطاعة الله، يأمرنا أن نحبه كما أَحَبَّتِ النَّصَارَى المسيح^(٣).

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضتم، أو تعرضوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^(٣٢) لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم^(٤).
﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ أي إبراهيم وعمران،

هذه السورة ولا قبل هذه الآية، ذكر قوم ادعوا أنهم يحبون الله، ولا أنهم يعظمونه، فيكون قوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ جواباً لقولهم...، فإذا لم يكن بذلك خبر على ما قلنا، ولا في الآية دليل على ما وصفنا، فأولى الأمور بنا أن نلحق تأويله بالذي عليه الدلالة من آي السورة، وذلك هو ما وصفنا.

(١) نسبت لأبي رجاء العطاردي، انظر: الكشف ٣٥٣/١، الدر المصون ١٢٥/٣.

(٢) مر التنبيه أن المصنف يؤول المحبة أحياناً بالرضى، وأحياناً يفسرها بالتحسن.

(٣) هذا من رواية الكلبي عن ابن عباس (الكشف والبيان ٨/٢٤٥، تنوير المقباس ٤٦).

(٤) فرق القرآن بين صفتي الرضا والمحبة، فقد قال هنا: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^(٣٣) [سورة آل عمران: ٣٢] فنفى محبته الكافرين، وقال في آية أخرى ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [سورة الزمر: ٧] فنفى الرضى عن الكفر، فالمحبة والرضى صفتان لله تعالى، لكل واحدة معنى معروف في لسان العرب، وهو مثبت لله تعالى دون أن ندرك كيفية ذلك.

كقوله: ﴿فِيهِ [سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ] وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ (٢٤٨) أو: آل إبراهيم إسماعيل وإسحق وأولادهما، ومحمد صلى الله عليه وسلم من أولادهما، وآل عمران: موسى وهارون لأن موسى ابن عمران ابن صهر^(١) ابن لاوي بن يعقوب^(٢).

المعنى: اختص آدم والأنبياء المذكورين والأنبياء من أولادهم عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالنبوة ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣٣).

إن نصبت ﴿ذُرِّيَّةً﴾ مدحاً^(٣)، وغير كاف إن نصبتها حالاً من المصطفين عدا آدم فإنه ليس بذرية، أو بدلاً من نوح والمعطوف.

﴿بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ مبتدأ وخبر محلها نصب وصف لذرية، والمراد الدين والتناصر، أو بعضهم أولاد بعض.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٤).

إن نصبت ﴿إِذْ﴾ باذكر مقدرة، وإن جعلت ﴿إِذْ﴾ ظرفاً لعليم لم يكف.

﴿قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ هي حنة أم مريم، وعمران بن ماثان أو ابن أشهم^(٤)، وكان في زمن زكريا فتزوج زكريا أخت حنة أم مريم، فكان يحيى وعيسى ابني خالة، وليس هذا بعمران أبي موسى، قالوا: كان بينهما ألف وثمان مائة سنة، فأحبت حنة الولد بعدما أسنت وكانت عاقراً، فدعت الله تعالى أن يرزقها ولداً، ونذرت إن رزقته أن تجعله من خدام بيت المقدس، فلما أحسست بالولد قالت:

(١) كذا في الأصل، وفي المصادر: يصهر، وزادت بعض المصادر بعده: بن فاهت.

(٢) هذا قول مقاتل والكلبي، (تفسير مقاتل ١/ ٢٧١، الكشف والبيان ٨/ ٢٤٦، تنوير المقباس

٤٦) وهو ضعيف، لأن ما بعده يردّه، فالمقصود بعمران هو أبو مريم عليها السلام.

(٣) أي كافٍ على رأس الآية.

(٤) كذا في الأصل، وفي تفسير الطبري ٦/ ٣٢٨: ياشهم، وفي الكشف والبيان ٨/ ٢٥٠: ياشم.

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ حال من ما، أي: غلامًا محررًا، ولم تقل محررة لأنهم إنما كانوا يحررون الغلمان. والنذر: ما يوجهه الإنسان على نفسه. والمحرر: المعتقد من الحر، والحر في الحقيقة الذي لم يملك، فمن ملكته مواليه أو شهوته فليس بحر، بعضهم: «عبد الشهوة أذل من عبد الرق».

فأرادت أن تجعله حرًا من كل شيء عبدًا مخلصًا لله تعالى، تلخيصه: أوجبت عليّ أن الذي في بطني عتيق مفرغ لعبادة الله تعالى لا أشغله بشيء من الدنيا.

﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي﴾ [إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٣٥] ﴿فَهَلْكَ عَمْرَانُ زَوْجَهَا وَهِيَ حَامِلَةٌ بِمَرِيمَ﴾ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ أي: النذيرة أو النسمة ﴿قَالَتْ﴾ معذرة، وظنًا أن نذرها لا يقبل ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ حال من ضمير «وضعتها».

القراءة: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ بسكون التاء فيوقف على أنثى؛ لأن بعدها جملة مستأنفة خبر من الله تعالى.

وبضم التاء فلا يوقف على أنثى؛ لأن الكلام كله جملة محكية عن أم مريم وما بينهما اعتراض^(١).

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ في الخدمة لضعفها، ولما يعترئها من أمور النساء.

وإن عطفت ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ أي: العابدة بلغتهم، على «إني وضعتها» لم يقف بينهما.

﴿وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ أي: أولادها ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ قال صلى الله عليه وسلم: «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بإصبعه حين يولد

(١) قرأ ابن عامر ويعقوب وشعبة بإسكان العين وضم التاء: وضعت، وقرأ الباقون بفتح العين وإسكان التاء: وضعت (النشر ٢/ ٢٣٩).

غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب»^(١).

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: قبل مريم من حنة ﴿يَقْبُولُ﴾ أي: بأمر ذي قبول ﴿حَسَنٍ﴾ أصل القبول الرضى، وهو مصدر كالْوَلُوعِ وَالْوَزُوعِ^(٢)، المعنى: سلك بها سبيل السعداء.

﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ سوى خلقها، فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في العام، ولما وضعتها أتت بها الأحبار وهم في المسجد يلون من أمره ما يلي السدنة من الكعبة، فقالت: دونكم هذه النذيرة، فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم، فقال زكريا: أنا أحق بها لأن خالتها عندي، فقالوا: لا حتى تفرع، فقرعهم زكريا.

القراءة: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَا﴾ بتشديد الفاء أي: ضمَّنها الله تعالى زكريا وضمها إليه، وبتخفيفها أي: ضمها زكريا بنفسه إليه^(٣)، وبمد زكريا وقصره لغتان^(٤).

وقرئ: «وأكفلها زكريا» من قوله: ﴿أَكْفَلْنَاهَا﴾^(٥).

و«تقبَّلَهَا» و«أنبتَهَا» و«كفلَهَا»^(٦) ونصب «رَبَّهَا» نداء.

وقرئ: «وكفلَهَا» بكسر الفاء مخففاً.

(١) رواه البخاري في الصحيح (٣٢٨٦).

(٢) المصادر على فاعول بفتح الفاء قليلة، والْوَلُوعُ من أولعت به ولوعا، والْوَزُوعُ من أوزع بالشيء إذا اعتاده، انظر: تاج العروس ٢٢/ ٣١٩، ٣٧٣.

(٣) قرأ عاصم وحزمة والكسائي وخلف بتشديد الفاء، والباقون بتخفيفها (النشر ٢/ ٢٣٩).

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم: زكريا، وقرأ الباقر: زكرياء، وبالمدة كتب الآية في الأصل، ولما كان شعبة يقرأ بالتشديد نصب الهمزة من زكرياء (النشر ٢/ ٢٣٩).

(٥) نسبت لمصحف أبي، الكشف والبيان ٨/ ٢٦٧، الكشف ١/ ٣٥٨.

(٦) على الأمر فيها، وهي قراءة مجاهد، كما في الكشف ١/ ٣٥٨.

فبنى لها غرفة في المسجد وضعها فيها، وكان يضع عندها طعامها وشرابها ويغلق عليها أبوابها، وكان: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ أي: غرفتها، والمحراب أشرف المجالس، فكأنها وضعت في أشرف المكان في المسجد ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ أي: فأكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ﴿قَالَ أَنَّىٰ﴾ أي: من أين ﴿لَكَ هَٰذَا﴾ الرزق والأبواب مغلقة عليك ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي: من الجنة، تكلمت صغيرة. يكفي الوقف هنا إن جعلت ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ولا تبعة..^(١)

فلما رأى زكريا عجائب قدرة الله طمع في الولد في كبره ﴿هَٰذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ أي: سيده وخالقه ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولدا^(٢) مطيعا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أي: مجيب الدعوة.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ يفرحك بولد اسمه يحيى ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: بعيسى، وكان يحيى أكبر من عيسى بثلاث سنين، ويحيى أول من آمن به أنه كلمة الله وروحه، وسمي يحيى لأن الله تعالى أحى به رحم والدته ثم أنثى عليه فقال: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ حليما عن الجهل وحصورا لا يأتي النساء عن قدرة ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: المرسلين، وقيل: السيد الذي يفوق قومه في الخير، وقيل: السيد الذي لا يغضب^(٣).

﴿قَالَ﴾ زكريا ﴿رَبِّ﴾ سيدي ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ من أين يكون لي هذا الغلام من هذه المرأة العاقر أم من غيرها، ولم يشك في البشارة ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ

(١) سقط جواب إن على الناسخ، وهو: استئناف، فإن كانت من جملة كلام مريم لم يحسن.

(٢) في الأصل: ولد لك، وأستظهر أنها تصحيف، صوابه ما أثبت أو: ولدينك.

(٣) الكشف والبيان ٨/ ٢٩٣.

الْكِبَرُ ﴿١٠﴾ أَي: الهرم ﴿وَأَمْرَاتِي [عَاقِرٌ]﴾ عجز عقيم فأجاب جبريل وقال: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١١﴾﴾ يخلق من العاقر وغيرها.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أَي: علامة إذا حبلت امرأتي عرفت ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أَي: أنك إذا جامعتها على الطهر وحبلت تصبح أنت ولا تطيق الكلام ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ لبلياليها ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ أَي: إشارة تومئ بها بيدك أو برأسك من غير خرس يكون بك، قيل: عوقب به حيث سأل الآية بعد البشارة^(١).

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾ باللسان فإنك غير ممنوع عن التسبيح والذكر ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿١٢﴾﴾ أَي: صلّ لله تعالى بالغداة والعشي، والتسبيح تعظيم الله وتنزيهه عن كل سوء.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾ أَي: جبريل، يا مريم ناداها حين طهرت ﴿يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ اختارك بولادة عيسى ﴿وَوَهَبَ لَكِ﴾ من دم الحيض والنفاس، وقيل من الزنا والشرك ﴿وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾﴾ أَي: على عالمي أهل الدنيا بولد من غير أب من البشر.

﴿يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ﴾ أطيعي وأطيلي القيام بين يديه ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿١٤﴾﴾ أَي: صلي مع الأحبار في مسجد بيت المقدس، قدم السجود على الركوع، والواو توجب الجمع لا الترتيب.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أَي: ما غاب عنك خبره يا محمد.

(١) وهو مروي عن بعض السلف كقتادة انظر الكشف والبيان ٣١٦/٨، قال النحاس (في إعراب القرآن ١/١٥٧): «وهذا قول مرغوب عنه لأن الله عز وجل لم يخبرنا أن زكريا أذنّب، ولا أنه نهاء عن هذا، والقول فيه أن المعنى اجعل لي علامة تدلّ على كون الولد إذ كان ذلك مغيباً عني».

﴿وُجِيهَ إِلَيْكَ﴾ بجبريل لتحتج بذلك على أهل الكتاب ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ حاضراً، أي: عند الأخبار ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ﴾ على وجه الماء على طريق القرعة، فغاب قلم زكريا في الماء وهو من القصب، وقيل: قام على وجه الماء وهو من الشبّة^(١).

﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ أي: يضمها [ها] إلى نفسه للتربية ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ يتناظرون.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: بعيسى ﴿أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وسمي كلمة لأنه ظهر بكلمة الله: كُنْ فكان، وإنما ذكر الكلمة لأنه أراد به الولد، وسمي عيسى روحاً لنفخ جبريل في جيب مريم، والأرواح كلها تنسب إلى الله تعالى، وسمي مسيحاً لأنه كان لا يمس ذا عاهة إلا براً، وقيل: المسيح الملك وكان ملكاً لأن الملك من لا يحتاج إلى أحد من المخلوقين.

﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا﴾ أي: مكيئاً فيها ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ في الآخرة وفيه تقديم وتأخير، ونصب على الحال.

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ معطوف على قوله «وجيهاً» يعني: يبشر به وجيهاً ومكلماً للناس^(٢) ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ أي: يكلم بني إسرائيل بحجته رضيعاً في الحجر ابن أربعين يوماً، وهو تبرئة أمه [مما] قذفت به، والمعجزة التي ظهرت منه ﴿وَكَهْلًا﴾ حين ينزله الله من السماء لقتل الدجال، وقيل: هو إشارة لمريم أنه لا يموت ويحيا حتى يكتهل ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: يكون عيسى من المرسلين.

(١) تفسير أبي الليث للسمرقندي ٢٠٩/١.

(٢) في الأصل: للسان. وهو تصحيف.

﴿قَالَتْ﴾ مريم ﴿رَبِّ أَنْتَ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ﴾ أي: لم يكن لي زوج، ﴿قَالَ﴾ لها جبريل: ﴿كَذَلِكَ أَلَّهُ﴾ القادر ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أي: حكم كون مخلوق من غير أب ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ﴾ (١٧).

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ كتب الأنبياء، وقيل الكتابة بالقلم ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الفقه ﴿وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (١٨).

ويجعله ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ﴾ أي: أقدر لكم صورة كصورة الخفاش ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ في الطين فيصير ﴿[فَيَكُونُ] طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (١) بغير ريش بمشيئة الله ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ﴾ الذي وُلِدَ أَعْمَى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ الذي وُلِدَ أBRص ﴿وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بمشيئة الله وقضائه ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ [وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ]﴾ أقول: تعشيتم بكذا، وتغديتم بكذا، وادخرتم في بيوتكم بكذا.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: قصة عيسى ﴿لَايَةً﴾ وعلامة ﴿لَّكُمْ﴾ أيها اليهود ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٩) مصدّقين بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: مصدّقين بعيسى (٢).

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ أي: جئتكم مصدّقًا موافقًا.

(١) في الأصل: طائر، وهذه قراءة أبي جعفر ونافع ويعقوب، والباقون: طيرا (النشر ٢/ ٢٤٠).
(٢) الظاهر من السياق أن قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٩) هو من صلة كلام المسيح عليه السلام، وهذا الذي ذكره الطبري في تفسيره ٦/ ٤٣٧، والثعلبي في الكشف ٨/ ٣٤٢، والزمخشري في الكشاف ١/ ٣٦٥، وابن كثير في تفسيره ٢/ ٤٥، فهذا الذي ذكره المصنف غريب، ولا يدل عليه سياق ولا أثر، والله أعلم.

﴿لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِإِحْلَ لَكُمْ﴾ أي: أرحص لكم ﴿بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في التوراة بظلمكم مثل الشحوم ولحوم الإبل والحيتان ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾ أي: بعلامة على صدق نبوتي ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿وَأَطِيعُوا﴾ ﴿٥٠﴾ فيما أمركم من النصيحة.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ وحده ﴿هَذَا﴾ الذي دعوتكم إليه ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٥١﴾ طريق واضح وهو دين الله رضىه.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ أبصر ووجد وعلم ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من أعواني منكم في الدعاء إلى توحيد الله وتبليغ رسالته ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ أصفياء عيسى، وقيل أعوان الأنبياء، وأصله النظافة، يقال [لنساء] الأمصار^(١) حواريات لتنظفهن وتعطرهن، أخذ من تحوير الخبز^(٢)، والخبر الحواري ما سبل ونخل وطيب، وكانوا قصارين فسموا حواريين، وقيل كانوا ملوكاً أجابوا عيسى وقالوا: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أي: أنصار دينه.

﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ أي: مخلصون له بالتوحيد.

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ في الإنجيل ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ أي: عيسى على دينه ﴿فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ مع من أسلم فاقبلنا من المهاجرين الأولين قبل عيسى^(٣)، والشاهد هو الذي يبين صحة دعوى المدعي.

(١) في الأصل: لامضار، وهكذا يفعل في كل كلمة لا يحسن قراءتها، يصحفها، والمثبت من معاني الزجاج ٤١٧/١، والكشاف والبسيط ٢٩٥/٥، ومعاجم اللغة.

(٢) لعلها هكذا فإنها غير واضحة، وقد تكون: الخبر، أو الخير.

(٣) وهذا قول الكلبي (تنوير المقباس ٤٨، زاد المسير ٢٨٦/١)، وثمت أقوال أخرى، ولعل الأولى بالصواب: الذين شهدوا لك بالوحدانية وصدقوا رسلك، فيشمل من سبق ومن لاحق، وهو الذي لم يذكر ابن جرير سواه (تفسير الطبري ٤٥٢/٦).

﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ المكر من المخلوق خبٌ وخداع، ومن الله مجازاة الخِداع أي: المكار، أي: احتالت اليهود في قتل عيسى فجازاهم الله به^(١).
﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ أي: أقوى المانعين.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى﴾ اذكر إذ قال الله يا عيسى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك من وجه الأرض، وقيل توفي ساعات ثم رد الله روحه^(٢) ﴿وَرَأَفَعَكَ إِلَيَّ﴾ أي: إلى السماء ﴿وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: منجيك من أيدي الكفرة ومبرئك ممّا قيل فيك من الكذب ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وجاعل الذين اتبعوك في دينك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا من اليهود والنصارى بالغلبة والنصرة ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: مصيركم للمؤمنين والكافرين ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أي: بين الفريقين ﴿فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ تتخاصمون في الدين.

(١) أي بمكرهم، قال المفسرون: مكر الله استدراجه بأعدائه، ومكر اليهود هو تواطؤهم على قتل عيسى عليه السلام، ومكر الله بهم أن ألقى شبهه على واحد منهم فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى، وقيل بل فداه أحد الحواريين.

قال السدي: ثم إن بني إسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلا من الحواريين في بيت، فقال عيسى لأصحابه: من يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة؟ فأخذها رجل منهم، وصعد بعيسى إلى السماء، فذلك قوله: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر، فأخبروهم أن عيسى قد صعد به إلى السماء، فجعلوا يعدون القوم فيجدونهم ينقصون رجلا من العدة، ويرون صورة عيسى فيهم، فشكوا فيه. وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يرون أنه عيسى وصلبوه، فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [سورة النساء: ١٥٧]. (تفسير الطبري ٦/ ٤٥٤).

(٢) في المراد بالتوفي هنا أقوال لأهل العلم، وقد بسطها ابن جرير في التفسير ٦/ ٤٥٨، والثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ٣٧٠.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بي وبرسلي ﴿فَاعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل والجزية في الدنيا؛ وبالنار في الآخرة ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿مَنْ تَصْرِينَ﴾ مانعين من النار.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وهم أمة محمد عليه السلام ﴿فَيُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾^(١) أي: ثواب إيمانهم وطاعتهم ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يرضى دين أهل الكتاب والمشركين.

و﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿تَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد، يقرأ عليك جبريل ﴿مِنْ﴾ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿الْقُرْآنَ الَّذِي قَرَأَ﴾ حكيم من الشياطين أن يزيدوا فيه وينقصوا، وقيل المحكم في التأليف والنظم.

﴿إِنِّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ قيل: إن وفد نجران سألوا رسول الله شبهًا بعيسى وأجلوه ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الثالث لم يأت بالشبه، وفشت المقالة بين الناس، حتى بعد العصر من ذلك اليوم نزلت الآية^(٢).

أي: مثل عيسى الذي خلق من غير أب كممثل آدم خلق بغير أب وأم. ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: هذا الخبر الصدق من ربك.

﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الخطاب للرسول والمراد غيره، أي: لا تكن أيها السامع للبرهان من الشاكين.

فلما قرأ رسول الله على وفد نجران قالوا: ما نعرف ما تقول، فنزل قوله:

(١) في الأصل كتب: فنوفيههم، بالنون، وهي قراءة عظم القراء، إلا حفصا فقد روى عن عاصم بالياء (النشر ٢/ ٢٤٠).

(٢) وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وروي نحوه مرسلًا عن بعض التابعين، انظر: تفسير الطبري ٦/ ٤٦٨، الكشف والبيان ٨/ ٣٨٣.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ أي: خاصمك من وفد نجران في أمر عيسى ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: البيان في القرآن ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ فخرج إلى فضاء من الأرض ﴿ثُمَّ نَبْهَلْ﴾ أي: نتضرع ونجتهد في الدعاء ﴿فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ ونقول: اللهم أنزل لعنتك على من كان منّا كاذباً، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علي وفاطمة والحسن والحسين، وخاف وفد نجران على أنفسهم الهلاك فلم يخرجوا، وقال السيد والعاقب: والله إن الرجل لنبي مرسل، وما لاعت قوم نبياً إلا هلكوا، فصالحوه، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل سنة قيمة كل حلة أربعون درهماً، ثم قال رسول الله: «والله لو خرجوا لاضطرم عليهم الوادي فلم يبق نصراني ولا نصرانية»^(١).

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ أَقْصَصُ الْحَقِّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ لَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْمُنِيعُ﴾ فِي سُلْطَانِهِ ﴿الْحَكِيمُ﴾ ﴿٦٦﴾ فِي أَمْرِهِ حَكْمٌ كَوْنِ عِيسَى مِنْ غَيْرِ أَبٍ.

(١) الخبر بهذا اللفظ من رواية الكلبي، وهو في الكشف والبيان ٨/ ٣٩٠، ودلائل النبوة لأبي نعيم ٢٥٨/١.

وفي صحيح البخاري (٤٣٨٠) عن حذيفة، قال: جاء العاقب والسيد، صاحبنا نجران، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعنا، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعنا لا نفلح نحن، ولا عقبنا من بعدنا، قالوا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابتعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً.

فقال: «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين»، فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح» فلما قام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا أمين هذه الأمة».

ثم قال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أبوا عن الملاعة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (١٣) وبعقوبتهم.

﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: كلمة عدل وصواب بيننا وبينكم، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، ثم فسر الكلمة فقال: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ لا نعترف بالربوبية إلا لله ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ من خلقه.

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ أي: لا يتخذ الأتباع الرؤساء بمنزلة الأرباب يطيعونهم في معصية الله ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا ﴿فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (١٤) مقرون بالتوحيد لله، وقولوا:

﴿يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ تخاصمون ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بمدة طويلة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٥) استفهام بمعنى توبيخ.

ثم قال: ﴿هَٰأَنَتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَّجْتُمْ﴾ [فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ] أي: أنتم يا هؤلاء من اليهود والنصارى خاصتمم فيما^(١) لكم به علم فيما وجدتم في كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم^(٢).

﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ﴾ أي: تخاصمون ﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: في إبراهيم بالجهل ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أن إبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦).

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ أي: خاصًا مخلصًا، وكل من اختن وحج البيت يقال له الحنيف ﴿وَمَا كَانَ مِنْ

(١) هنا في الأصل: ليس، وهو إقحام لا معنى له، وقع من تداخل النظر.

(٢) وهذا قول ورد في ما لهم به علم، وقيل: المراد ما وجدوه في كتبهم، وهما قولان متلازمان

(البيضاوي ٣٣٧/٥).

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾.

﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ يقول إن أحق الناس بدين إبراهيم وسنته ﴿لَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ في عصره بالإيمان به ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ محمد ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ به من أمته ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٨﴾ بالنصر لهم.

فمن قوله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا﴾ إلى هاهنا نزل في قصة النجاشي ومن هاجر إليه من أصحاب رسول الله ومناظرة بين الصحابة والحبيشة ثم حذر المؤمنين عن مخادعة اليهود فقال^(١):

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ من اليهود ﴿لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ يصرفونكم عن دينكم ويشككونكم في أمر الدين ﴿وَمَا يُضِلُّونَ﴾ أي: ما يرجع وبال ضلالتهم ﴿إِلَّا﴾ على ﴿أَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٩﴾ لا يعلمون ذلك، ولا يعلمون أن الله يُطْلِعُ نبيه على ضلالتهم، وكانت اليهود تدعوا عمّارًا ومعاذًا بن جبل إلى دينهما الأول فنزلت الآية^(٢).

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ معناه وأنتم تعلمون أن محمدًا حق.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ بتحريف التوراة والإنجيل وكتمان بعث النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١﴾ أنه نبي مرسل.

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ كعب بن الأشرف وأصحابه لسفلتهم^(٣)

(١) هذا ورد عن بعض التابعين، كما في الكشف والبيان ٨ / ٤٠٤.

(٢) هذا قول مقاتل كما في تفسيره ١ / ٢٨٣، والكشف والبيان ٨ / ٤٠٨، ولذا لم يذكره ابن جرير ولا ابن كثير.

(٣) تفسير مقاتل ١ / ٢٨٤، الكشف والبيان ٨ / ٤١١.

﴿ءَامِنُوا﴾ بمحمد وما أنزل عليه أول النهار يعنون القبلة لأن رسول الله صلى
 الفجر إلى بيت المقدس فتحولت القبلة إلى الكعبة في صلاة الظهر فقالوا^(١):
 ﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامِنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
 ﴿٧٢﴾ إلى قبلتهم الأولى.

[﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ
 مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
 عَلِيمٌ﴾ ٧٣]

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ أي: لا تقروا بالحق إلا لمن صلى إلى
 قبلتكم: بيت المقدس، وتقدير الآية ولا تؤمنوا: ﴿أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ﴾
 من فضل التوراة والمن والسلوى وغيرها، ولا تؤمنوا أن ﴿يُحَاجُّوكُمْ﴾ به ﴿عِنْدَ
 رَبِّكُمْ﴾ في القيامة لأنه لا حجة لهم وفي الآية تقديم وتأخير ثم قوله: ﴿قُلْ إِنَّ
 الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ أي: دين الله دين الحق وهو الإسلام وقبلة الله الكعبة.
 ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ النبوة والإسلام يعطيه ﴿مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾
 بالعطية ﴿عَلِيمٌ﴾ ٧٣ ﴿بكل شيء﴾.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ أي: بنبوته ﴿مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ٧٤ ﴿بالنبوة
 والإسلام، والفضل الزيادة من الإحسان.

ثم ذكر بعض أمانة أهل الكتاب فقال: ﴿وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنَ إِنْ تَأْمَنَهُ
 بِقِنطَارٍ﴾ أي: تباعه بالنسيئة بملء مسك ثور ذهباً أو فضة، وقيل على قنطار
 والباء بمعنى على ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ بلا عناء ومشقة ولا يستحله مثل عبد الله بن
 سلام ﴿وَمِنْهُمْ مَّنَ إِنْ تَأْمَنَهُ﴾ تباعه ﴿بِدِينَارٍ﴾ نسيئة ﴿لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا

دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴿٦٥﴾ أَي: عَلَى رَأْسِهِ قَائِمًا مُتَقَاضِيًا، وَقِيلَ يَبِيعُهُ يَدًا بِيَدٍ ﴿ذَلِكَ﴾
الاستحلال ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّنَ سَبِيلٌ﴾ أَي: لَيْسَ فِي اسْتِحْلَالِ
مَالِ الْعَرَبِ حَرَجٌ وَإِثْمٌ ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُمْ بِالْوَفَاءِ
لِكُلِّ مَنْ خَالَطَهُمْ ^(١) مِنْ أَهْلِ دِينِهِمْ أَوْ غَيْرِهِمْ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ
ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ ^(٢).

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ﴾ وَكَلِمَةُ بَلَىٰ لَتَدَارِكُ الْغُلُطَ، أَي: لَيْسَ كَمَا يَزْعُمُونَ
بَلْ عَلَيْهِمْ حَرَجٌ وَإِثْمٌ فِي اخْتِذَاكَ مَالِ الْغَيْرِ.

﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ﴾ الَّذِي عَاهَدَ عَلَيْهِمْ وَتَرَكَ الْخِيَانَةَ ﴿وَأَتَقَىٰ﴾ نَقْضَ الْعَهْدِ
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ عَنْ نَقْضِ الْعَهْدِ وَالظُّلْمِ لِلنَّاسِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ أَي: يَخْتَارُونَ عَلَى نَقْضِ الْعَهْدِ
﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ نَقْضَ عَهْدِهِمْ الَّذِي عَاهَدُوا أَنْبِيَاءَهُمْ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الْمَأْكَلَةِ
﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أَي: لَا نَصِيبَ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ
اللَّهُ﴾ بِكَلَامِ رَحْمَةٍ فِي الْقِيَامَةِ ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ بِالرَّحْمَةِ ﴿[يَوْمَ الْقِيَمَةِ] وَلَا
يُزَكِّيهِمْ﴾ لَا يَطَهِّرُهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ ﴿وَلَهُمْ﴾ مَعَ ذَلِكَ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾
وَجِيعٌ فِي النَّارِ.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أَي: مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿لَفَرِيقًا﴾ جَمَاعَةً وَطَائِفَةً ﴿يَلُؤُونَ
السِّتْرَ﴾ بِالْكِتَابِ ﴿يَحْرِفُونَ مَا فِي التَّوْرَةِ مِنْ بَعَثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَالْإِسْلَامِ﴾ لِيُظَنَّ السَّفَلَةَ أَنَّ مَا يَرُوجُونَ عَلَيْهِمْ ﴿مِنْ
[الْكِتَابِ]﴾ التَّوْرَةِ ﴿وَمَا هُوَ مِنْ [الْكِتَابِ]﴾ التَّوْرَةِ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لِلْسَّفَلَةِ

(١) فِي الْأَصْلِ: خَاطَهُمْ.

(٢) تَفْسِيرُ أَبِي الْلَيْثِ ١/ ٢٢٤.

﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بسبب حطام الدنيا ﴿وَهُمْ يَعْمُونَ﴾ (٧٨) ﴿أنهم كاذبون.

﴿مَا كَانَ لِشَرٍّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ مثل عزيز وعيسى إذ أكرمهما الله بكتابه ورسالته ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا﴾ عبدا ﴿لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ﴾ ينبغي أن يقولوا ﴿كُونُوا رَبَّانِينَ﴾ متعبدين لله، وقيل: عالمين ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ والرباني الذي يربي المتعلم ليتعلم^(١).

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ عزيز وعيسى، وقيل محمد ﴿أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ تعبدونهم ﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٠) مخلصون بالتوحيد.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾.

قال عبد الحميد الحاکمي غفر الله له: ذكر المفسر الكبير في تهذيب جامع العلوم أن هذه الآية في المعضلات^(٢)، قلت: ولعمري إنها كذلك، وقد طالعت كثيرا من التفاسير فما استوفيت معنى الآية بتمامها إلا وقد عرض لي فيها شبهة، وسأبين ذلك بمشيئة الله تعالى ملخصا على أوضح الوجوه الذي ذكره.

(١) تنوعت عباراتهم في الربانيين على نحو لا تتضاد فيه، وانظر لها: الكشف والبيان ٨ / ٤٦٠.

(٢) وجه الاعضال فيها أن الميثاق أخذ على النبيين، وطولبوا باتباع النبي صلى الله عليه وسلم، ولذا ورد عن بعض التابعين استشكال ذلك، والبحث في القراءات الأخرى لعلمهم يجدون المخرج، فوجدوا في قراءة ابن مسعود وأبي: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وهذه الروايات التي رواها الطبري في تفسيره ٦ / ٥٥٣. وبمعرفة الأقوال الواردة في الميثاق يزول الإشكال.

قوله تعالى جَدَّه: ﴿وَإِذْ﴾ للتوقيت^(١) ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ أن يصدّق بعضهم بعضاً ويبلغوا رسالاته وكتبه إلى قومهم، فأخذ النبيون موثيق قومهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وينصروه، وقيل: أخذ الله ميثاق النبيين الأولين أن يؤمنوا بالآخرين منهم^(٢).

ثم قال: ﴿لَمَّا آتَيْنُكُمْ﴾ فقرأ حمزة بكسر اللام والتخفيف، ومعناه: بما آتيتكم^(٣).

وقرأ عاصم وابن عامر: لَمَّا بنصب اللام والتشديد على معنى التوقيت^(٤).

وقرأ الباقون بنصب اللام والتخفيف لما هو قبل^(٥).

اللام هاهنا جواب القسم، وما جواب الشرط، لأن أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف واللام جوابه، واللامات في أوائل الشرط جواب الأقسام، كقوله: ﴿وَلَيْنَ شَيْئًا لَنَذْهَبَنَّ﴾ ﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِجْلًا﴾ ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا﴾ ﴿وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [لَيَقُولُنَّ] المعنى: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين فقال لهم: والله مهما آتيتكم

(١) أي: واذكر حين.

(٢) في ميثاق النبيين عدة أقوال، قيل: على تقدير محذوف، أي ميثاق أقوام النبيين، وقيل: بل ميثاق النبيين على قومهم، انظر: تفسير الطبري ٥٥٧/٦، الكشاف ٣٧٩/١.

(٣) النشر ٢٤١/٢. وجه قراءة حمزة (لَمَّا آتَيْنُكُمْ) بكسر اللام أنه يتعلق بالأخذ، كأن المعنى: أخذ ميثاقهم لهذا، لأن من يؤتى الكتاب والحكمة يؤخذ عليهم الميثاق لما أوتوه من الحكمة، وأنهم الأفاضل وأماثل الناس (الحجة لابن خالويه ١١١، الحجة للفارسي ٦٢/٣).

(٤) وهم المصنف في نسبة هذه القراءة لعاصم وابن عامر، لأنهما يقرآن كما يقرأ البقية، فالخلاف بين حمزة وبين بقية القراء، ولكن هذه قراءة سعيد بن جبير، كما في الكشف والبيان ٤٦٩/٨.

(٥) كذا في الأصل.

﴿مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ أي: بعثتكم رسلاً إلى قومكم وأكرمتمكم بالنبوة ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ أي: خير رسول، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من النبوة ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ لتقرن بنعته وشرح أمره لقومكم ^(١) ﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ قَالَ ﴿اللَّهُ تَعَالَى﴾ ﴿أَقْرَبُكُمْ﴾ بما قلت لكم ﴿وَأَخَذْتُ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ أي: قبلتم ميثاقي ﴿قَالُوا أَقْرَبُنَا﴾ يا رب بعهدك في نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ رسلي على الأمم ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٨١﴾ على إقرارهم، وقيل: وأنا من الشاهدين عليكم وعليهم.

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أعرض عن أخذ الميثاق من اليهود وغيرهم ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ الناقضون للعهد.

﴿أَفَعَيِّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ أي: يطلبون ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [طَوْعًا وَكَرْهًا]﴾ وله أخلص بالإسلام والتوحيد جميع من في السماوات والأرض؛ طائعاً أو كارهاً، فأهل السماوات طائعين، وأهل الأرض كذلك من ولد في الإسلام ومن قتل حتى أسلم فقد أسلم كرهاً ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ في القيامة يجزيكم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿ءَاْمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أي: بكتبهم ﴿وَمَا أَوْقَىٰ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ﴾ لا نجحد أحداً منهم ﴿وَوَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ مقررون.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾ أي: يختار ديناً من اليهودية أو النصرانية غير دين

(١) هذا الوجه الأول، أن تكون اللام للجزاء، والوجه الثاني أن تكون بمعنى اللذي (الحجة للفارسي ٣/ ٦٤).

الحنيفية ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ المغبونين بفوت الدرجات.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا﴾ أي: لا يهدي الله قوماً ﴿كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ بمحمد ودينه قبل مبعثه ﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ﴾ أي: نعته في التوراة ﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الدلالات بتحقيق ما في كتابهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ أي: لا يرشدهم إلى الإسلام^(١).

﴿أُولَئِكَ﴾ الذين أدركوا رسول الله ولم يؤمنوا به، وقيل: هم عشرة رهط ارتدوا ولحقوا بمكة؛ منهم مقيس بن صبابه والحارث بن سويد قالوا: نقيم بمكة ونتربص بمحمد ريب المنون^(٢).

﴿جَزَّأَوْهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ﴾ ولعنة ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾ ولعنة ﴿وَالنَّاسِ﴾

(١) روى الطبري في تفسيره (٥٧٢/٦) بإسناد جيد عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك، ثم ندم فأرسل إلى قومه: أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، هل لي من توبة؟ قال: فنزلت الآيات، فأرسل إليه قومه فأسلم. وسماه مجاهد: الحارث بن سويد..

(٢) وهذا قول الكلبي كما في الكشف والبيان ٤٩٠/٨.

وقد جمع الطبري بين القولين، وجوز أن تكون نزلت في الأخبار وفيمن ارتد من العرب، وقال (في تفسيره: ٥٧٥/٦): وأشبه القولين بظاهر التنزيل ما قال الحسن: من أن هذه الآية معني بها أهل الكتاب على ما قال، غير أن الأخبار بالقول الآخر أكثر، والقائلين به أعلم بتأويل القرآن، وجائز أن يكون الله عز وجل أنزل هذه الآيات بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا ارتدوا عن الإسلام، فجمع قصتهم وقصة من كان سبيله سبيلهم في ارتداده عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات. ثم عرف عباده سنته فيهم، فيكون داخلا في ذلك كل من كان مؤمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث، ثم كفر به بعد أن بعث، وكل من كان كافرا ثم أسلم على عهده صلى الله عليه وسلم، ثم ارتد وهو حي عن إسلامه. فيكون معنيا بالآية جميع هذين الصنفين وغيرهما ممن كان بمثل معنهما، بل ذلك كذلك إن شاء الله.

أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ أي: في اللعنة في الدنيا والنار في العاقبة.

﴿[خَالِدِينَ فِيهَا] لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ طرفه عين ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ﴿٨٨﴾

مؤجلون ليتوبوا، ثم استثنى مؤمني أهل التوراة؛ ابن سلام وأصحابه فقال ^(٢):

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ من اليهودية ﴿وَأَصْدَحُوا﴾ العمل بعد

إيمانهم بالصلاة والزكاة وبيان ما كتموا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما سلف منهم في كفرهم ﴿رَحِيمٌ﴾ ﴿٨٩﴾ بهم حين قَبِلَ توبتهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ أي: ثباتاً على كفرهم

ويقولون: نتربص بمحمد ريب المنون ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ رجعتهم ما داموا على ذلك العزم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ ﴿٩٠﴾ عن الإسلام، وتوبتهم لو تابوا تكون باللسان لا بالاعتقاد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرَاءُ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ

ذَهَبًا﴾ قال الكلبي ^(٣): وزن الأرض ذهباً ﴿وَلَوْ أَقْتَدَى بِهِ﴾ نفسه لم يقبل منه ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ﴿٩١﴾ مانعين يمنعوهم من عذاب الله.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ أي: لم تصيبوا الثواب والكرامة عند الله ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا

تُحِبُّونَ﴾ أي: ما لم تتصدقوا على الفقراء مما تحبون من المال، والبر: اسم جامع للخير كله ^(٤) ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ من المال قل أو كثر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ﴿٩٢﴾ يجزيكم بها غداً.

(١) في الأصل فصل بين الواو والملائكة والناس، هكذا: ولعنة الملائكة ولعنة الناس.

(٢) وقيل نزلت في الحارث بن سويد (الكشف والبيان ٨ / ٤٨٨).

(٣) كما في تنوير المقباس ص ٥٢.

(٤) وكثير من السلف فسر البر هنا بأنه الجنة، أي: لن تدخلوا الجنة حتى تنفقوا (الطبري ٦ / ٥٨٨).

وقيل ﴿لَنْ تَنَالُوا﴾ الآية، أي: لن تصلوا إلى القربة وأنتم متعلقون بحظوظ أنفسكم^(١).

﴿كُلَّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: كل الطعام الذي هو حلال لأمة محمد كان حلالاً لبني إسرائيل ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ وهو يعقوب النبي صلى الله عليه وسلم، أخذه وجع عرق النسا فنذر الله إن شفاه الله حرم على نفسه أحب طعام، فحرم لحم الإبل، فاستنَّ أولاده سُنته، وقالوا لرسول الله: ما حرم علينا كان حراماً على جميع الأنبياء وأنت تحله لأمتك، فكذبهم الله في الآية^(٢)، وقال: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٣﴾ فيما ادعيتم أنه حرام على الأنبياء، فلم يأتوا بها فأنزل الله تعالى^(٣):

﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: بعد بيان الله لهم في كتابهم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١٤﴾ الكافرون الكاذبون على الله عز وجل.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ فيما أحل وحرم، وقيل: صدق فيما أخبر عن إبراهيم أنه كان حنيفاً ولم يكن يهودياً ولا نصرانياً ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ الحنيف: المائل من الكفر إلى الإسلام، وكان دين إبراهيم حج البيت ومسح الركن واستلام الحجر ورمي الجمار والصلاة إلى الكعبة، فهذا تفسير الحنيف ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٥﴾ ولا يهودياً ولا نصرانياً.

ثم قال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ أول مسجد بُني لحجَّ الناس ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ سَمِيَّ مكة بكَّة لأن الأقدام تَبْكُ بعضها بعضاً، أي: تزدهم عند الطواف،

(١) وهذا من قبيل الإشارة لا التفسير.

(٢) وهذا قول أبي روق والكلبي كما في الكشف والبيان ٥٠٦/٨، ولذا لم يعرج عليه الطبري في تفسيره ٩/٦.

(٣) وهو قول الضحاك، كما في الكشف والبيان ٥١٤/٨.

وقيل: تبك أعناق الجبابة، أي تدق ﴿مُبَارَكًا﴾ نصب على الحال، أي: استقر في حال بركته، وقيل: بكة موضع البيت ومكة اسم البلد^(١)، وأوّل: أفعل من آل أي رجع ﴿وَهْدَى لِلْعَامِينَ﴾^(١٦) أي: قلة للمؤمنين.

﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ أي: في البيت علامات واضحة ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموضع الذي قام عليه، وحطيم إسماعيل، والحجر الأسود ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ أي: دخله مجترماً كان آمناً من إقامة الحدود إلى أن يخرج، وقيل: من مات في الحرم بُعث آمناً من النار ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٧) ﴿حُجُّ الْبَيْتِ﴾ [مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا] الذهاب إلى البيت الحرام، من قدر على الزاد والراحلة، والحج بالكسر اسم الفعل والحج مصدر ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ ولم ير الحج فرضاً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(١٨) عمن كفر به وعن إيمانهم وحجهم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: بالإسلام وحج البيت، وقيل بمحمد والقرآن ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾^(١٩) أي: عالم بكفركم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لم تمنعون سفلتكم عن دين الله ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ أي: من أراد أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿تَبَغُّنَهَا عِوَجًا﴾ يطلبون في دين الله زيغاً وميلاً، والهاء راجع إلى السبيل ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَآءُ﴾ أي أنتم علماء بما في التوراة من نعت رسول الله ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢٠) من الكفر.

ثم حذر المؤمنين عن دعوة اليهود فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: كعب بن الأشرف وأصحابه ﴿يَرُدُّوكُمْ إِلَىٰ ٱلْيَهُودِيَّةِ﴾^(٢١) ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ بمحمد حتى تصيروا ﴿كَافِرِينَ﴾^(٢٢).

(١) تفسير الطبري ٢٣/٦، وقيل هو من باب التعاقب بين الباء والميم (الكشف والبيان ١٣/٩).

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ بمعنى التعجب والتوبيخ، وقيل: معناه النهي أي لا تكفروا ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ أي: كتابه ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ محمد ﴿وَمَنْ يَعَصِمْ﴾ يتمسك بتوحيده ويتبرأ من الشرك ﴿بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ أرشد إلى طريق الصواب، وقيل: يعتصم بالله يتمسك بحبله وكتابه. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ أي: يُطَاع فلا يُعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر ولا ينسى^(١).

قال ابن عباس: هي محكمة لم تنسخ^(٢)، وقال قتادة والسدي: منسوخة بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٣).

وقيل: إن قوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ بيان لقوله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ أي: لا أكلفكم لما لا تطيقون.

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ ومعنى النهي واقع على أمر بالإقامة على الإسلام، أي: أقيموا على الإسلام حتى يصادفكم الموت على الإسلام.

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ معناه: تمسكوا بدين الله ودعوا العصبية والجاهلية، والحبل هو العهد ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أي: لا تختلفوا في الدين ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالرسول والقرآن ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ في الجاهلية يقتل بعضكم بعضًا ﴿فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ أي: صرتم بنعمة الإسلام أصدقاء ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ أي: واذكروا حين كنتم على طرف خندق من النار ومن مات منكم يدخل النار ﴿فَأَنْقَذَكُمْ﴾

(١) وهو نص حديث ضعيف رواه الثعلبي في التفسير ٧٢/٩ عن ابن مسعود مرفوعاً، وصح عنه موقوفاً كما في تفسير الطبري ٦٥/٧.

(٢) وهو من رواية علي بن أبي طلحة عنه (رواه الطبري في التفسير ٦٨/٧).

(٣) رواه الطبري في التفسير ٦٩/٧، الكشف والبيان ٧٤/٩.

مَنْهَا ۞ أي: نَجَّاكم عن الحفرة بالتوحيد، وشفا كل شيء: حرفه ۞ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ ۞ هكذا يبين الله ۞ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أي: تبصرون ما أمركم به، ولعل حرف ترجي، أي: على رجاء هداية.

وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ۞ يا أمة محمد، واللام لام الأمر ۞ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ۞ الصلاة والصيام، قيل: قد بَيَّنَّ الخير فقال: ۞ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۞ الأمر بالمعروف: اتباع محمد، والنهي عن المنكر: العجت والطاغوت ۞ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٤﴾ ۞ السعداء في الآخرة، والمفلح: الفائز بما يُغْتَبَطُ به.

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ۞ من اليهود والنصارى، اختلفت اليهود من بعد موسى بخمسماية عام، والنصارى بعد عيسى بثلاثماية عام ۞ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۞ في التوراة والإنجيل ۞ وَأُولَئِكَ ۞ المختلفون ۞ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ۞ ثم يَبَيِّنُ متى يكون ذلك فقال:

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ۞ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۞ الْكَافِرِينَ ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ۞ وازرقت عيونهم، يقول لهم خزنة النار: ۞ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۞ استفهام بمعنى التوبيخ، معناه: لِمَ كفرتم بمحمد وعيسى بعد قراءتكم في التوراة والإنجيل بعثهما^(١)، وقيل: أراد به الكفار جميعاً لإعراضهم عما يوجهه الإقرار بالتوحيد يوم الميثاق.

فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾ ۞ هذه لفظة تستعمل في الذي يؤيس الخير، يقال: ذق ما أنت فيه، أي: ليس لك فيه خلاص.

وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ۞ يعني المؤمنين ۞ فَنَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ ۞ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ ۞ أي: جنته لا يموتون ولا يخرجون.

(١) في الكشف ١/ ٣٩٩: الهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ هذه آيات الله ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق، يعني القرآن ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ ^(١٨) بالجن والإنس أن يعذبهم من غير رسول ولا كتاب.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكًا ودليلاً على وحدانيته ﴿وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ^(١٩) يجازي المؤمنين بالثواب والكافرين بالعقاب والنكال.

ثم مدح هذه الأمة فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ أي: في اللوح المحفوظ، وقيل: كنتم منذ أنتم خير أمة ^(١) ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ أي: أنتم خير الناس للناس، أي: أخرجكم الله من ظهور الآباء وأرحام الأمهات لأهل الأديان، تجيئون بالكفار في السلاسل والأغلال، وتدخلونهم في الإسلام ^(٢)، ثم قال:

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: تدعون الكفرة إلى توحيد الله ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ عن عبادة الأوثان والشيطان.

قال يحيى بن معاذ: «هذه مدحة لجميع هذه الأمة، والله تعالى حكيم إذا مدحهم لا يذمهم بمعاصيهم».

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ تقرؤون به ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ مثل إيمانكم ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ في العاجل والآجل ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ مثل ابن سلام وأصحابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ^(٣٠) الخارجون عن أمر الله وطاعته: كعب ابن الأشرف وأصحابه.

(١) وقيل إنها من العام الذي أريد به الخاص، والمراد هم المهاجرون مع النبي صلى الله عليه وسلم (تفسير الطبري ١٠١/٧، البسيط ٤٩٧/٥)، والأولى العموم، فكل من اتصف بهذه الصفات كان من أهل الخيرية، ودخول أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيها أولى.

(٢) يشير إلى حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري (٤٥٥٧): ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: «خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام».

ثم قال للصحابة: ﴿لَنْ يَصْرُوكُمْ إِلَّا آذَى﴾ أي: اليهود، يؤذونكم بالبهت والافتراء على الله ﴿وَأَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ أي: يحاربوكم ﴿يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ ﴿١٣١﴾ عليكم.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ مذلة الجزية ﴿أَيَّمَا ثَقُفُوا﴾ أي: وجدوا في دار الإسلام ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ [وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ]﴾ بعهد من الله وعهد من رسوله، وقيل: إلا أن يكونوا مستمسكين بدين الله وتوحيده^(١).

وذكر الناس هاهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل جميع المؤمنين. ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ ألزموا زي الفقر ﴿ذَلِكَ﴾ الذل ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بمحمد وبالقرآن ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ [بِغَيْرِ حَقٍّ]﴾ أي: قتلوا زكريا ويحيى بالظلم ﴿ذَلِكَ﴾ الفقر والمسكنة لهم ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ الله وخالفوا أمره ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿١٣٢﴾ بقتل الأنبياء وجحود الآيات.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿١٣٣﴾]

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي: ليس هؤلاء العصاة من اليهود -كعب وأصحابه- وأمة عاملة بالحق -عبد الله بن سلام وأصحابه- مستوون عند الله تعالى^(٢)، وقيل: ليسوا سواء معطوف على قوله: وكانوا يعتدون ليسوا سواء^(٣).

(١) البسيط ٥/٥٠٣.

(٢) وهو مروي عن ابن عباس من طريق محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت، وهو مجهول، وهو قول ابن جريج كذلك (تفسير الطبري ٧/١٢١).

(٣) وهو غريب، ولم يذكره المعربون.

أو هاهنا وقف تام ثم ابتداء^(١) فقال: ﴿مَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ عاملة ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن في ساعات الليل ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ يصلون.

قيل: لا يستوي القاتل لأنبياء الله والقائم في طاعة الله^(٢).

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ بتوحيده ونوره ورسوله ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ البعث ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ غيرهم، أي: بالإيمان ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ عن التكذيب ﴿وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي: يبادرون بفعل الطاعات ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ أي: خيار المؤمنين.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾^(٣) يا أمة محمد من أداء الفرائض واجتناب المحارم ﴿فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ أي: لن ينسى ثوابه لكم بل تثابون عليه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١١٥﴾ أي: بالموحدين وثوابهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ أي: لا ينفعهم كثرة أموالهم وأولادهم ﴿وَمَنْ﴾ عذاب ﴿اللَّهُ شَيْئًا وَأُولَئِكَ﴾ أهل هذه الصفة ﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ دائمون.

(١) وهو ابتداء لبيان لماذا ليسوا سواء (الكشاف ٤٠٢/١)، والوقف التام على سواء (الدرر المصون ٣/٣٥٤).

ثم في المراد بليسوا سواء قول آخر، وهو أن المقايسة وقعت بين أهل الكتاب والمسلمين، روي عن ابن مسعود: ليسوا سواء أهل الكتاب وأمة محمد، وهو قول السدي، ونسبه الثعلبي لابن جرير والزجاج، وليس هو اختيا ابن جرير كما في (تفسيره ١٢٢/٧)، فهذا من الخطأ على ابن جرير، (الكشف والبيان ٩/١٧١).

(٢) نحوه قال الزجاج في معاني القرآن ١/٤٥٨.

(٣) ضبطها في الأصل: تفعلوا.. تكفروه، وبالتالي قرأ القراء إلا حمزة والكسائي وخلف وحفص فإنهم قرؤوا بالياء (النشر ٢/٢٤١).

ثم ضرب^(١) لنفقات الأتباع والسفلة على رؤسائهم من اليهود مثلاً فقال: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: شبه نفقات اليهود على علمائهم في كتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ﴾ [فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ] ﴿فِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، أَي: مِثْلُهُ كَمِثْلِ زَرْعٍ﴾ ﴿قَوْمٌ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بمنع حق الله من ذلك الزرع، أصابه ريح فيها صر أي برد ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ أي أهلكت الريح الزرع، حتى لم ينتفعوا به شيئاً، كذلك نفقة هؤلاء اليهود لا يثابون بها في الآخرة شيئاً ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بإبطال ثوابهم في نفقاتهم ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ١٧٧.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾ خاصة الرجل، أي: لا تتخذوا من اليهود أصدقاء وأصدقاء ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي: لا يتركون الجهد في فسادكم ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يحبون إثمكم وكفركم حتى تستوجبوا^(٢) النار، والعنت: هو إدخال المشقة على الإنسان ﴿قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: قد ظهر الطعن والشتم منهم على ألسنتهم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ أي: ما يضمرون في قلوبهم من البغض لكم أكبر مما يظهرون ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ في القرآن من صفة اليهود وعداوتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ١٧٨ ﴿فَهَمُونَ عَنِ اللَّهِ﴾.

﴿هَآئِنْتُمْ أُولَاءِ يُحِبُّونَهُمْ﴾ ها: تنبيه، وأولاء: إشارة إلى الجمع، فقد فصل بين هؤلاء بأنتم للتقريب، كأنه قال: أنتم هؤلاء تحبونهم، وأولاء جمع ذا، تعالى هذان يد^(٣)، فهي للتنبيه، وذا للإشارة، وتأنيث ذا ذات، وجمعه أولات، معناه: أيها هؤلاء تجالسون المنافقين وتحبونهم ويغضونكم ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾

(١) في الأصل: ضربت.

(٢) في الأصل: تستحبوا.

(٣) كذا في الأصل، وهو تصحيف، لعله يريد: وهذان مثني ذا.

التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وهم يكفرون بما سوى التوراة ﴿وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا﴾ أي: نافقوكم ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ يعني إذا دخلوا إلى مجالسهم عضوا أناملهم حقدا عليكم بتصديقكم بمحمد ﴿قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ مُّوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ بحقدكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما في ضمائر القلوب.

﴿إِنْ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ﴾ أي: فتح وغنيمة بيدر ﴿تَسْؤُهُمْ﴾ ذلك أحزنهم ﴿وَإِنْ تَصَبَّرْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ قتل وهزيمة كيوم أحد ﴿يَفْرَحُوا﴾ [بِهَا] بالسيئة. ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا﴾ على أمر الله وأذى المنافقين والمشركين ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الشرك ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ [كَيْدُهُمْ] (١) عداوتهم ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي المنافقون والكافرون ﴿مُحِيطٌ﴾ (٢) أي: عالم يجزيهم بها.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: اذكر إذ غدوت من أهلك أي خرجت من وطنك غدوة من منزل عائشة يوم أحد ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تنزلهم ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ مراكزهم للحرب، وبعثت كل واحد إلى مكان ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأمرك إياهم ﴿عَلَيْهِمُ﴾ (٣) بأمرك ونجواهم، وقيل: كان يوم الأحزاب ييوئهم مقاعد عند الخندق (٢).

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ﴾ يعني: وقد همت أرادت وأضمرت طائفتان قليلتان ﴿مِنْكُمْ﴾ من الأنصار ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ أي: يجبنا عن العدو، وهما حيان من

(١) ضبطها في الأصل: يَضْرُكُم، وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقر كما أثبت (النشر ٢/ ٢٤٢).

(٢) وهو قول مقاتل، وقد ضعف هذا القول أهل العلم، والجمهور أنه يوم أحد بدلالة الآية بعدها (انظر: تفسير الطبري الكشف ٧/ ١٥٩، والبيان ٩/ ١٩٩).

الأنصار: بنو سلمة وبنو حارثة، همّا أن يتركا المركز ويتنازعا في أمر القتال، وقيل: همّا أن لا يخرجوا مع رسول الله ^(١).

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ حافظهما وناصرهما ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ^(١٢٢) أي: بالله فليثق الواثقون.

ثم ذكر منته فقال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ على عدوكم مع قلتكم وشوكة عدوكم فذلك قوله: ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ قليلة في العدد ثلاث: مائة وثلاثة عشر، بلا سلاح ولا ظهر ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في هذا اليوم يوم أحد ولا تعصوا رسوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ^(١٢٣) تؤدون شكر نصره إياكم ببدر لتستوجبوا المزيد.

ثم رجع إلى قصة أحد فقال: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: قلت لهم ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾ استفهام بمعنى التقرير: أي: كفاكم بـ ﴿أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ﴾ ^(١٢٤) من السماء.

قال الله تعالى: ﴿بَلَى﴾ يكفيكم ذلك ﴿إِنْ تَصْبِرُوا﴾ على قتال عدوكم ولا تنهزموا ﴿وَتَتَّقُوا﴾ المعصية، ثم أخبر مجيء الكفار ﴿وَيَأْتُواكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ أي: يحضر العدو من وجوههم التي توجهتم من طريق مكة ﴿يُمَدِّدُكُمْ رَبُّكُمْ﴾ حينئذ ﴿بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ ^(١٢٥) معلّمين خيولهم بالصوف الأبيض من نواصي الخيل وأذناها، وقيل: معتمّين بالبياض قد أرخوا أطراف العمائم بين أكتافهم ^(٢).

(١) عن جابر رضي الله عنه، قال: نزلت هذه الآية فينا: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ بني سلمة، وبني حارثة، وما أحب أنها لم تنزل، والله يقول: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ رواه البخاري (٤٠٥١)، ومسلم (٢٥٠٥).

(٢) الرواية الواردة عن ابن عباس: أنها عمائم بيض، ولا تصح، رواها الطبراني في المعجم الكبير (١٢٠٨٥).

فرسول الله وعدهم بمدد ثلاثة آلاف والله تعالى زادهم ألفين؛ بشرط الصبر، فزاد الله على وعد الرسول من مدد الملائكة ألفين.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ أي: ما وعد الله عدد الملائكة خمسة آلاف إلا بشارة لكم ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾ تسكن قلوبكم بالمدد ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ليس الظفر للعباد إلا بعون الله لا بالملائكة ﴿الْعَزِيزُ﴾ المنيع في سلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في قضائه، ثم قال:

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: يقطع جماعة، أو يقتل جماعة منهم ومن صناديدهم، وسماهم طرفاً لأنهم كذلك ليجمع بين الطرف للجسد، نحو اليد والرجل والرأس^(١).

﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ قيل: يهزمهم، يقال: كبت على وجهه أي: صرع، وقيل: يخزيهم^(٢) ﴿فَيَقْلَبُوا وَجَاءَهُمْ﴾ راجعين منهزمين، والخائب الذي لم ينل ما أمل.

والرواية الواردة عن علي: كانت سيما الملائكة أهل بدر الصوف الأبيض، رواها ابن أبي حاتم (٤١٠٧) بإسناد صحيح، لكن لا يراد بذلك العمائم.

والمشهور في عمائم الملائكة أنها صفراء لا بيضاء، على سيما الزبير رضي الله عنه، وهذه الروايات في تفسير الطبري ١٨٨/٧، والكشف والبيان ٢٣٤/٩.

(١) قال الواحدي: «وإنما قال: طرفاً ولم يقل: وسطاً؛ لأنه لا يوصل إلى الوسط إلا بعد قطع الطرف، وهذا القطع إنما هو بأيدي المؤمنين، وإنما يقطعون الطرف الذي يليهم من الكافرين، وهذا يوافق قوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [سورة التوبة: ١٢٣] البسيط ٥/٥٨٢.

(٢) الكبَّتْ - في اللغة: - صرغ الشيء على وجهه؛ يقال: كبَّتهُ، فأنكبَّتْ، هذا تفسيره، ثم قد يُذكر المراد به: الإخراء، والإهلاك، واللَّعنُ، والهزيمة، والغِيْظُ، والإذلال. وكلُّ هذا ذكره المفسرون (البسيط ٥/٥٨٢).

قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قال ابن عباس لما كُسِرَتْ رِباعية رسول الله يوم أُحُدَ وَشَجَّ رأسه حتى جرت الدماء على وجه الأرض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبيهم وهو مع ذلك حريص على دعائهم إلى ربهم» فنزلت الآية ^(١).

أي: ليس لك إذن بالدعاء.

(١) حديث ابن عباس هذا رواه ابن جرير ١٩٩/٧، من طريق ابن جريج قال، قال ابن عباس: شج النبي صلى الله عليه وسلم في فرق حاجبه، وكسرت رِباعيته، قال ابن جريج: ذكر لنا أنه لما جرح، جعل سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، وهذا إسناد ضعيف، وقد بينت رواية الطبري أن أوله عن ابن عباس وباقية عن ابن جريج.

لكن ورد في حديث أنس، علقه البخاري، ورواه ابن جرير في التفسير (١٩٥/٧) بإسناد صحيح.

ولفظه: قال أنس: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحُدَ، وكسرت رِباعيته، وشَجَّ، فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم، فأنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وقيل: إنها نزلت في شأن آخر، ففي صحيح البخاري (٤٥٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد، قنت بعد الركوع، وربما قال: إذا قال: سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، اللهم اشد وطأتك على مضر، واجعلها سنين كسني يوسف يجهر بذلك، وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: «اللهم العن فلانا وفلانا، لأحياء من العرب» حتى أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وفيه (٤٥٥٩) عن ابن عمر نحوه.

ولم يرجح ابن جرير بين هاتين الروايتين، ويمكن الجمع بأن ذلك الدعاء على الكافرين كان بعد غزوة أحد، ويستنبط هذا من صنيع البخاري في ذكره الحديث مرتين، مرة في غزوة أحد، ومرة في كتاب التفسير، والله أعلم.

﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فيه تقديم وتأخير معناه حتى يعذبهم بالسيف
 ربه ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٢٨) كفرون ضارون^(١) لأنفسهم، أو يتوب عليهم
 فيستنقذهم بالإيمان من الكفر.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكًا ومُلكًا ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ من
 خلقه المغفرة ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ من خلقه بالنار، ولو عذب جميع خلقه
 لعذبهم وهو غير ظالم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن تاب من الشرك ﴿رَحِيمٌ﴾ (١٢٩) بهم
 حيث رخص لهم بالتوبة بعد المعصية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ أي: زيادة
 على زيادة، يعني إذا حل الأجل زادوا في المال وزادوا في الأجل ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾
 اخشوه في أكل الربا ﴿لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾ (١٣٠) تفوزون بالجنة.

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ﴾ يا أكلة الربا ﴿الَّتِي أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٣١) وقيل: اتقوا أن
 تحلُّوا ما حَرَّمَ الله كيلا تصيروا كافرين.

ثم وعظهم فقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ في الفرائض ﴿وَالرَّسُولَ﴾ في السنن ﴿لَعَلَّكُمْ
 تُرْحَمُونَ﴾ (١٣٢) رجاهم الرحمة، وقيل: إن لعل بمعنى الام، أي: لترحموا ولا
 تعذبوا.

﴿وَسَارِعُوا﴾ أي: بادروا يا أكلة الربا ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي التوبة
 ﴿وَجَنَّةٍ﴾ أي: بادروا إلى جنة ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ لو وصل بعضها
 إلى بعض^(٢)، عن الكلبي والضحاك: الجنان أربعة جنة عدن وجنة الفردوس

(١) كذا في الأصل، والأولى: ظالمون لأنفسهم، كعادته فيما مضى، فلعله تصحف على الناسخ.

(٢) وهذا مروي عن ابن عباس من طريق السدي، وعن بعض أصحابه، (تفسير الطبري

وجنة المأوى وجنة النعيم، في كل جنة من هذه الجنان أربع جنان بعدد نجوم السماء وقطر المطر، كل جنة من تلك الجنان في العرض والسعة مثل السموات السبع والأرضين السبع لو ألصق بعضها إلى بعض^(١)، فهذا عرض الجنان فيستدل على طوله بعرضها^(٢) ثم قال:

﴿أَعَدَّتْ لِمُتَّقِينَ﴾ (١٣٢) أي: هيئت للموحدين^(٣) ثم ذكر نعتهم فقال:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ يتصدقون ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ قيل: الغنى والفقر، وقيل العسر واليسر، وقيل: الغم والسرور ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ أي يتجرعونه، وقيل: الحابسين الغيظ والحزن في أجوافهم ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ابن عباس: عن المملوكين^(٤)، وقيل: عن جميع ما خاطبهم من المؤمنين ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٣) أي: من فعل هذا فهو محسن والله يحب المحسنين.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ نزلت في رجل من الأنصار كان بينه وبين رجل ثقفي مؤاخاة، فغاب الثقفي وخلف الأنصاري في أهله، فكان الأنصاري يتعاهد أهله كل يوم، حتى إن امرأة الثقفي اغتسلت يوماً وهي ناشرة شعرها رآها الأنصاري فوق في نفسه شيء، فدخل عليها بغير إذنها، فغطت المرأة وجهها بكفها، فدنا منها وقبل على ظاهر كفها، ثم ندم واستحى فأدبر، فقالت له المرأة: سبحان الله، خنت أمانتك، وعصيت ربك، ولم تصب حاجتك، فخرج إلى

(١) قول الكلبي في تفسير أبي الليث ٢٤٦/١.

(٢) في الأصل عكس: على عرضها طولها.

(٣) في الأصل: للموحين.

(٤) وهي رواية الكلبي كما يظهر من تفسير الثعلبي ٢٦٦/٩، وتنوير المقباس ٥٦. ولا شك أن المراد العموم، والمملوك والخادم داخل في هذا العموم، أما على القول الأول فالآية من العام المراد به الخصوص.

الجبال يصيح ويتعبد ندما، حتى قدم الثقيفي مع رسول الله وأُخْبِرَ بخبر الأنصاري، فاهتم لأجله، فتبعه يطلبه فوجده ساجداً يقول: رب ذنبي، رب ذنبي، خنت أخي، فقال الثقيفي: يا أخي قُم إلى المدينة فإن رب المدينة والجبال واحد، فرجع إلى المدينة وسأل أبا بكر عن توبته، فقال: لا توبة لك، لأن الله يغار للمغازي^(١) ما لا يغار للجالس في بيته، وكذلك عمر، وكذلك علي، فجاء إلى رسول الله ونادى على الباب: المذنب المذنب، فأذن له ليدخل على رسول الله، وقص عليه، فردّه رسول الله كما ردّه أصحابه، فخرج وهو يسبح في الجبال ويصيح، ولا يمر على سهلة حارة ولا على حجر صلد إلا تجرّد يتمرغ عليه، حتى إذا كان ذات يوم نزل جبريل بتوبته^(٢):

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ قيل: الفاحشة هاهنا الزنا، وقيل الكبيرة ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالصغيرة وهي النظرة واللمسة والقبلة ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أي: خافوه^(٣) من قيامه بين يديه ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ من خطيئتهم ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ استفهام بمعنى الجحد، أي: ليس أحد يستر الذنوب على العبد سوى الله، ثم قال في التقديم ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ أي: لم يقوموا على معصيتهم فاستغفروا لذنوبهم ﴿وَهُمْ يَعْمُوتُونَ﴾ ﴿١٣٥﴾ أن لهم رباً يغفر لهم الذنوب، الكلبي: الإصرار وهو السكوت عن الاستغفار.

﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين فيها أبداً.

(١) كذا في الأصل، وفي بعض المصادر: للغازي.

(٢) وهذه رواية الكلبي ومقاتل، وهما متروكان، ولا سيما في باب أسباب النزول، انظر: تفسير

مقاتل ٣٠١/١، الكشف والبيان ٩/٢٧٢.

(٣) كذا ولعل الصواب: خافوا من قيامهم..

﴿وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ (١٣٦) أي: نعم ثواب التائبين من الذنوب: الجنة.

روي عن علي رضي الله عليه قال: من حدثني من أصحاب رسول الله حديثاً استحلفته ثم صدقته، وحدثني أبو بكر وصدقني قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من عبد يُذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر له» ثم قرأ الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ (١).

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ أي: مضت فيكم يا أهل مكة عبر في الأمم، منهم من خُسِفَ ومنهم من مُسَخَّ قردة وخنازير ومنهم من أُغْرِقَ ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافروا ﴿فَانظُرُوا﴾ بعد السير ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٣٧) للرسول فأنتم تستوجبون مثلها.

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ أي: هذا القرآن فيه بيان لبني آدم بما فيه من الوعد والوعيد ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾ أي: هدى من الضلالة وموعظة تنهى عن المحظورات ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٨) ثم رجع إلى قصة أحد فقال:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي: لا تضعفوا ولا تجزعوا من قتال العدو، ولا تحزنوا على ما فاتكم من الظفر ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ الغالبون لعدوكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) مصدقين بوعد الله.

﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ﴾ [فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ] ﴿الْقَرْحُ﴾ بالفتح الجراحة، والقرح بالضم ألم الجراحة (٢).

(١) رواه أبو داود (١٥٢١) بإسناد صحيح.

(٢) اختلف القراء في هذا الحرف، فقرأ حمزة والكسائي وخلف وشعبة بضم القاف وقرأ الباقون بفتحها (النشر ٢/٢٤٢).

إن أصابكم جراحة أيها المسلمون يوم أحد فقد أصاب أهل مكة جراحة يوم بدر مثل ما أصابكم ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾ أي: أيام الدنيا نصرها بين الفريقين المؤمنين والكافرين، مرة نديل المؤمنين على الكافرين كيوم بدر، ومرة نديل الكافرين على المؤمنين كيوم أحد ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ظاهراً لا باطناً وهم المنافقون، وإنما أراد بالعلم علم مشاهدة الخلق؛ لأن علم الله تعالى علم العلم الغيبي، والعبد لا يستحق العقوبة بعلم الغيب، لأن المجازاة إنما تقع على ما علمه من العبد وقوعاً، وعلم الغيب قبل الوقوع.

﴿وَتَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ أي: يكرم بعضهم بالشهادة ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يرضى ذنبهم.

﴿وَلِيُمَجِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يخلصهم من الذنوب ويطهرهم ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يهلكهم، وأصل المحق النقصان، يقال لآخر الشهر مُحَقٌّ.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ أظننتم يا أصحاب محمد أن تكونوا مغفورين مستوجبين للجنة ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ أي لم يميز الله الذين جاهدوا ﴿مِنْكُمْ﴾ من غير المجاهدين، ولما يعلم الله هي كلمة لم دخل عليها ما الصلة، فادغم الميم في الميم، وكسر يعلم لالتقاء الساكنين^(١).

﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: لم يميز الصابرين، وقوله ويعلم منصوب على الصرف، أي صرف الكلام إلى معنى الأول ومعنى الأول لم يعلم الله^(٢).

والتوجيه المذكور قول الفراء في معاني القرآن ٢٣٤/١، وانظر: تفسير الطبري ٢٣٧/٧، الكشف والبيان ٢٨٨/٩، البسيط ٨/٦.

(١) قال الزجاج: المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين، ولما يعلم الله ذلك واقعاً منهم. لأنه جلَّ وعزَّ يعلمه غيباً، وإنما يجازيهم على عملهم (معاني القرآن ١/٤٧٢).

(٢) التبيان ١/٢٩٥.

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمُوتُونَ أَلْمُوتَ﴾ أي: تسألون الشهادة بعد يوم بدر ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ أي: تعاینوه ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ أي: عاينتموه يوم أُحُد، يعني أسباب الموت من السيوف والرماح ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ﴿١٤٣﴾ بأعينكم، وليس بأعينكم علة^(١)، ذكر النظر بعد الرؤية للتوكيد، كما يقال: رأيت ذلك بعيني وسمعت بأذني، ولئلا يتوهم رؤية القلب، ولأن الموت لا يُرَى بالعين، فالمراد هو النظر إلى أسبابه^(٢).

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ قيل كان المنهزمون من أصحاب رسول الله اعتذروا وقالوا: سمعنا صوتاً أن محمداً قد قُتِلَ فانهمزنا، فنزلت الآية^(٣) ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أي: مضت الرسل من قبله ﴿أَفَايُنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ يعني إن مات على فراشه أو قُتِلَ في غزوة ﴿أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ مرتدين إلى الشرك.

وقوله: أفإن دخلت ألف الاستفهام على حرف الشرط في معنى دخولها على الجزاء، ومعناه: إن مات محمد أو قُتِلَ أتنقلبون على أعقابكم كقوله: ﴿أَفَايُنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ يعني إن مت أنت^(٤).

﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ يرجع إلى الشرك ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾ أي لم ينقص من ملكه ولكن أضر بنفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٤٤﴾ أي: سيثيب الله الموحدين على توحيدهم وجهادهم.

﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ﴾ أي: لا تكون لنفس ﴿أَنْ تَمُوتَ﴾ أو تقتل ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وقضائه وإرادته ﴿كَتَبْنَا مُوَجَّلًّا﴾ أي: أجلاً مؤقتاً كتب له في اللوح ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي: يطلب بمحاسن أعمالهم مثابة الدنيا ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾

(١) في الأصل: انه وأظنه تصحيف علة، كما يفهم من كلام الزجاج في معاني القرآن ١/ ٤٧٣.

(٢) مثله في البسيط ٦/ ٣٦.

(٣) روي عن قتادة والربيع (تفسير الطبري ٧/ ٢٥٤).

(٤) أفيخلدون هم (انظر: التبيان ١/ ٢٩٧، الدرر المصون ٣/ ٤١٦).

أي: نعطه من الدنيا مقدار ما قدرناه له ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ بمحاسن أعماله ﴿ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ أي: طلب ثواب الله ﴿نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٥) في الآخرة، وقيل: نثيب المخلصين الذين يثبتوا على المركز^(١).

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ﴾ كم من نبي ﴿قَتَلَ مَعَهُ﴾ أي: بسببه ﴿رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ جموع كثيرة من قومه، وكأين وكائن لغتان جيدتان^(٢).

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ﴾ من القتل والجراحة ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من قتل نبيهم، وقيل: من قتل إخوانهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاثُوا﴾ أي: ما ذلُّوا وما تضععوا ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٤٦) عند المصائب والقتال.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ أي: لم يكن قولهم عند القتال وبعدهما قتل نبيهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ ما دون الكبائر ﴿وَأَسْرِفْنَا فِي أَمْرِنَا﴾ العظائم ﴿وَوَثِّبْتَ أَقْدَامَنَا﴾ عند معاينة العدو ﴿وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٤٧).

﴿فَنَاتَهُمُ اللَّهُ﴾ بدعائهم وصبرهم ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر والغنيمة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ الجنة والنعيم فيها ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤٨) المجاهدين في سبيله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من المنافقين حين

(١) أي مركز جبل الرماة يوم أحد، انظر: الكشف والبيان ٣١٣/٩.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو جعفر بألف ممدودة بعد الكاف، وبعدها همزة مكسورة: كائِن، وقرأ الباقرن همزة مفتوحة بعد الكاف، وبعدها ياء مكسورة مشددة: كَائِن (النشر ٢/٢٤٢).

وفي قاتل قراءتان: فقرأ نافع وابن كثير، والبصريان بضم القاف وكسر التاء من غير ألف، وقرأ الباقرن بفتح القاف والتاء وألف بينهما (النشر ٢/٢٤٢).

فعلى القراءة الأولى: النبي قتل، وعلى الثانية: أعوانه قاتلوا معه، فأخبر الله عز وجل عن أحوال الأنبياء في قراءتين، فبعضهم قتل، وبعضهم قاتل.

قالوا بعد يوم أُحُدَ للمؤمنين: ارجعوا إلى إخوانكم من أهل مكة والزموا دينكم ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ إلى الكُفر بعد الإيمان ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿١٦١﴾ في الآخرة أي: مغبونين.

﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ﴾ أطيعوا الله فإنه وليكم في النصر لكم والدفع عنكم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ ﴿١٦٢﴾ لمن أطاعه.

﴿سَأُلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ هذا ذكر هزيمة الكفار يوم أُحُدَ، أي: قذفنا في قلوب كفاركم المخافة حتى انهزموا ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ أي: بشركهم بالله ﴿[مَا]﴾ الذي ﴿لَمْ يُنَزَّلْ [بِهِ]﴾ بسبب شركهم ﴿[سُلْطَانًا]﴾ كتابًا ولا حجة، والسلطان الحجة ﴿وَمَا وَلَهُمُ النَّارُ﴾ أي: مصيرهم إلى النار بشركهم ﴿وَيَشْئُرْ مَثْوَىٰ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٦٣﴾ منزل المشركين النار.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أي: الظفر، حيث وعد نبيه يوم أُحُدَ هزيمة أعدائه ﴿إِذْ نَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ تقتلونهم بأمره وحكمه ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ أي: جبتم ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ قيل: فيه تقديم وتأخير، أي: تنازعتم وفشلتم، معناه اختلفتم في أمر المركز فكففتهم عن القتال وجبتم ﴿وَعَصَيْتُمُ الرُّسُولَ﴾ بترككم المركز ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَّا يُحِبُّونَ﴾ من النصر على عدوكم ﴿مِّنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ الذين تركوا المركز ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ وهم الذين ثبتوا عند المركز؛ عبد الله بن جبير وأصحابه حتى قُتلوا ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ بالهزيمة بعد الظفر ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليختبركم بمعصية الرماة، ولكي يكرم بعضكم بالشهادة ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ فلم يستأصلكم جميعًا ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٦٤﴾ بالعفو عنهم.

﴿إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُوتُ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ أي: تبعدون بالهزيمة في الوادي، ولا تلتفتون إلى رسول الله ولا تعرجون إليه ﴿وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي الْأَخْرَافِ﴾ أي: من خلفكم يقول: إليّ أنا رسول الله.

﴿فَأَتَبَكَّمْ غَمًّا يَغَمِّرُ﴾ أي: جازاكم بحزن بعد حزن كتمت فيه، الغم الأول على فوات الفتح والغنيمة والقتل، والغم في أخراكم على إشراف خالد بن الوليد عليهم من الجبل فأفرعهم عيانه حتى نسوا ما كانوا فيه من الغم.

﴿لَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من الجراحة ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٥٦) من خير أو شر، جاء على الوعيد.

﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً﴾ أَمْنُكُمْ بها ﴿نُعَاسًا﴾ أي تنامون معه، نصب على البدل من أمنة، قيل: جعل الله لهم مكان ذلك الغم نوم السبات فأمِنُوا ﴿يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ﴾ يعني أهل الصدق واليقين حتى صارت رقابهم إلى صدورهم من النعاس ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ وهم المنافقون ﴿قَدْ أَهْمَتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ لم يغشهم النعاس ﴿يُطْئُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أي ظن الباطل ألا ينصر محمدا ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ كظن جُهَالِ المشركين ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ليس لمحمد من النصر شيء ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ يا محمد قل لهم: النصر والدولة كله لله ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ أي يضمرون في قلوبهم من الكفر والعداوة ما لا يظهرون لك ﴿يَقُولُونَ﴾ فيما بينهم ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ أي لو كان لمحمد من النصر والدولة نصيبا لما قتل أصحابنا ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ (١) أي خرج الذين قدر عليهم القتال ﴿إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم ومقتلهم ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ أي ليختبر ويظهر ما في قلوبكم لرسوله ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ ليبين لنبيه ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من النفاق ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٥٦) أي: ما فيها من الخير والشر.

(١) ضبطها في الأصل: القتال، وهي قراءة شاذة نسبت لقتادة والزهري، وليست من العشرة (الكشف والبيان ٣٤٦/٩).

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ أي: انهزموا من المخلصين والمنافقين ﴿يَوْمَ التَّقَىٰ لَجْمَعَانٍ﴾ عسكر محمد وعسكر أبي سفيان ﴿إِنَّمَا أَسْتِزْلَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: طلب زلتهم وخطيئتهم ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أي: بتركهم المركز^(١) ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: تجاوز عنهم بلا عقوبة ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب المؤمنين ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل بعقوبتهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لا تكونوا كعبد الله بن أبي وأصحابه وهم الكافرون^(٢) ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ من المنافقين ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ سافروا للتجارة ﴿أَوْ كَانُوا غُزًى﴾ - جمع غازي فَعَلَّ - فقتل في غزوة ﴿لَوْ كُنَّا عِنْدَنَا﴾ بالمدينة ﴿مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ حزنًا وندامة، قيل هي لام القسم^(٣) ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: يحيي في السفر ويميت في الحضر ولا ينفع الهرب من حكمه ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بأعمالكم وأقوالكم ﴿بَصِيرٌ﴾.

﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في طريق الغزو ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾ في إقامتكم وأنتم مخلصون ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ لذنوبكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من عذابه ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا.

﴿وَلَيْنَ مُتُّمْ﴾ على فراشكم ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ في سبيل الله ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: محشركم إلى ربكم في الحالين، الأولى لام القسم، والثانية لام الجواب^(٤).

(١) وهو قول عامة المفسرين (الكشف والبيان ٣٤٧/٩).

(٢) على هذا فالذين كفروا عام أريد به خصوص المنافقين، عبد الله وأصحابه، انظر: تفسير الطبري ٣٣١/٧، الكشف والبيان ٣٤٩/٩.

(٣) وقيل إنها لام العاقبة، كما في الكشف ٤٣٠/١، التبيان ٣٠٤/١.

(٤) التبيان ٣٠٥/١.

﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ﴾ «ما» هاهنا صلة^(١)، يقول: فبعطف وتحنن من الله حيث جعلك عاطفاً رءوفاً على أمتك لنت لهم جانبك ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ جافياً باللسان ﴿غَلِظَ الْقَلْبُ﴾ قاسياً ﴿لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ لتفرقوا من قُربك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ أي: تجاوز عنهم ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ عن صنيعهم يوم أُحُد ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ قيل: في أمر القتال، وقيل: في جميع أمر لم ينزل به وحي، وإنما قال تطيباً لقلوبهم وليستنوا بسنته.

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: فوَضْ أمرك إلى الله واتكل على ما اختار لك ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(١٥٦) المفوضين أمرهم إلى ربهم.

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ أي: يظفركم على عدوكم، ولا غالب لكم كيوم بدر ﴿وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ﴾ يترككم فلا ينصركم - كيوم أُحُد مع مدد خمسة آلاف من الملائكة - ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد خذلانه^(٢) ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١٦٠) التوكل: تفويض الأمر إلى الله لا بالأسباب والمال.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ أي: ليس لمحمد أن يخون في الغنيمة، ومن قرأ: «يَغُل» أي: لا ينبغي له أن يُخَانَ أو ينسب إليه الخيانة^(٣).

(١) وقال الأخفش وغيره: تجوز أن تكون نكرة بمعنى شيء، ورحمة بدل منه. التبيان ١/ ٣٠٥.

(٢) وعلى هذا إطباق المفسرين، انظر: تفسير الطبري ٧/ ٣٤٧، وقال الزمخشري (في الكشف ١/ ٤٣٢): من بعد خذلانه، أو هو من قولك: ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين: يَغُل، وقرأ الباقر بضم الياء وفتح الغين: يُغَل، (النشر ٢/ ٢٤٣) والناسخ أثبت القراءة الأولى، لأنه يضبط النص في الغالب على قراءة أبي عمرو.

وأصل الغل: الحقد، قيل: سبب النزول أنهم فقدوا قطيفة حمراء يوم بدر، فقال بعضهم: لعل رسول الله أخذها^(١).

وقيل: إن الرماة تركوا المركز يوم أُحُد لأنهم ظنوا أن رسول الله لا يعطيهم من الغنيمة^(٢).

﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: يأتي به حاملاً على عنقه أو ظهره^(٣) ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ بِرَءِهَا أَوْ فَاجِرَةً﴾ ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ أي: عملت في الدنيا من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم.

(١) رواه ابن جرير في التفسير ٣٤٨/٧، والترمذي في السنن (٣٠٠٩) من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف.

(٢) وهذا قول مقاتل كما في تفسيره ٣١٠/١، والكلبي كما في الكشف والبيان ٣٨٧/٩.

وقد روى ابن جرير معناه عن بعض التابعين ولكن ليس في قصة المركز، والله أعلم.

(٣) في صحيح البخاري (٣٠٧٣) وصحيح مسلم (١٨٣١): عن أبي هريرة، قال: «قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فذكر الغلول، فعظمه وعظم أمره، ثم قال: لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صياح، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك».

﴿أَقْمِنِ اتَّبَعِ﴾ استفهام بمعنى التقرير؛ أقمِنِ عمل في مرضات الله ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: وجب عليه سخط الله أي بالغلول^(١)، وانصرف إلى مأواه وهو مسخوط عليه ﴿وَمَا أُولَٰئُكَ جَهَنَّمُ﴾ أي: مصيرهم ومرجعهم إلى جهنم ﴿وَيَبَسُّ الْمَصِيرُ﴾^(١٢٢) المرجع.

﴿هُم دَرَجَتٌ﴾ أي: ذوو درجات عند الله رفيعة، والكافرون ذوو درجات خسيصة، كما يقال: صوم وعدل أي ذوو عدل وصوم^(٢) ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(١٢٣) من الغلول وغيره.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ حين أرسل إليهم رسولا ﴿مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من العرب، وقيل: آدمي مثلهم ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ أي: يقرأ عليهم القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ بأخذ الزكاة من أموالهم، وقيل: يطهرهم ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: الحلال والحرام والأمر والنهي ﴿وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ﴾ أن يبعث الله محمدا رسولا ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١٢٤) لفي خطأ ظاهر.

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَكُمْ﴾ وقيل: إن أصابتكم^(٣) ﴿مُصِيبَةٌ﴾ واو عطف دخل عليها ألف الاستفهام بمعنى الإنكار، كأنه قال: وعصيتم وانهمزتم لما أصابتكم،

(١) في الأصل: بالقلب، وهو تصحيف.

(٢) انظر: الكشف ١/ ٤٣٥، والتبيان ١/ ٣٠٧.

والضمير في هم عائد على ما سبق في الآية السابقة، أي: أن من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله، مختلفو المنازل عند الله. فلمن اتبع رضوان الله، الكرامة والثواب الجزيل، ولمن باء بسخط من الله، المهانة والعقاب الأليم (تفسير الطبري ٧/ ٣٦٧، الكشف والبيان ٩/ ٣٩٧، البسيط ٦/ ١٤٢).

(٣) كذا في الأصل، وهو خطأ من الناسخ، كأن الصواب: أقلتُم إن أصابتكم، كذا في الكشف ١/ ٤٣٦.

وقيل: إن أصابتكم مصيبة أي نكبة وهزيمة يوم أُحُد بقتل وجراح فلا تنهوا لذلك ف ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ﴾ من أهل مكة يوم بدر ﴿مَثَلَيْهَا﴾ أي: مثلي ما أصابوا منكم يوم أُحُد ﴿قُلْتُمْ﴾ فيما بينكم -بعد المحنة- ﴿أَنِّي هَذَا﴾ من أين أصابنا هذا ونحن مسلمون، وقد وعدنا الله بالنصرة ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ بمخالفتكم الرسول ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٦٥﴾ من النصر وغيره.

﴿وَمَا أَصَبَكُمْ﴾ من الهزيمة والقتل ﴿يَوْمَ اتَّخَذَ الْجَمْعَانِ﴾ بأُحُد ﴿فِي إِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بعلمه ﴿وَلْيَعْلَمْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٦٦﴾.

﴿وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ ويظهر نفاق المنافقين وجبنهم وقلة صبرهم ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قيل: إن عبد الله ابن أبي رجع يوم أُحُد مع أصحابه قبل الحرب، ف قيل لهم: أنشدكم بالله في نبيكم ودينكم قاتلوا في دين الله ^(١) ﴿أَوْ أَدْفَعُوا﴾ العدو عن حرمكم، ف ﴿قَالُوا﴾ والله لا يكون ثم قتال، لو علمنا أن ثم قتالاً ﴿لَا تَبْعَكُمْ﴾ أطعناكم، قال الله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ﴾ أي: ميلهم إلى الكفار أكثر من ميلهم إلى المؤمنين ﴿يَقُولُونَ﴾ [بأفواههم] ﴿بِالْسُّنْتِمْ﴾ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴿تَصَدِيقَهُ﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ من النفاق والبُغض للمؤمنين.

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ من المنافقين ﴿وَقَعَدُوا﴾ أي: هم قد قعدوا ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ في الجلوس ﴿مَا قُتِلُوا﴾ يعني أصحاب رسول الله ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٦٨﴾ حتى لا تموتوا في منازلكم.

(١) وهذا الخبر في سيرة ابن إسحاق، وقد رواه الطبري في التفسير ٣٩٧/٧ من طريقه، وقيل إن الذي قال لهم ذلك وذكره بالله هو عبد الله بن حرام أبو جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ كانوا يقولون لمن يستشهد ببدر وأُخذ: مات فلان وفلان، فأنزل الله تعالى: لا تظنن يا محمد الذين قتلوا في طاعة الله أَمْوَاتًا كَأَمْوَاتِكُمْ ^(١).

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ في الجنة ﴿[عِنْدَ رَبِّهِمْ] يُرْزَقُونَ﴾ التحف.

﴿فَرِحِينَ﴾ أي: في حال سرورهم ﴿بِمَاءِ اتَّهَمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: بما رزقهم الله من الشهادة، أي: أرواحهم في الجنة ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: بإخوانهم المؤمنين الذين يقبلون على

(١) ذكره السمعاني في التفسير ٣٧٨ / ١، وهو قول الكلبي فيما يظهر، ولذا لم يذكره ابن جرير.

وقال الواحدي: أكثر المفسرين أن الآية نزلت في شهداء أحد (البيضاوي ١٦٦ / ٦).

يدل عليه حديث ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم، وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا، لئلا يزهّدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات على رسوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾، رواه أحمد (٢٣٨٩) وأبو داود (٢٥٢٠) وفيه ابن إسحاق وأبو الزبير مدلسان لم أقف على تصريحهما بالسماع.

وفي صحيح مسلم (١٨٨٧) عن مسروق، قال: «سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة»، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا، وأخرجه ابن جرير من طرق، لم أر فيها تصريحه بأنها في شهداء أحد، إلا في رواية ابن إسحاق عن الأعمش، ولم يصرح بالسماع، والله أعلم.

الغزو حتى يلحقوا بهم ويستبشرون ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٧٠﴾ من الموت.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ بكرامة من الله ومن منه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧١﴾ أي: ثواب المجاهدين في سبيله، ثم نعتهم فقال:

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي: أجابوا وأطاعوا في الخروج إلى بدر الصغرى، وقد واعد أبو سفيان رسول الله يوم أُحُد إلى بدر الصغرى، وأجابه رسول الله، فلما مضت المدة ندم أبو سفيان على تلك المواعدة خوفاً، وخاف بعض أصحاب رسول الله مما رأوا في قتال أُحُد، فقال رسول الله: «والله لأخرجن إليهم وإن لم يخرج معي أحد» فمضى رسول الله ومعه سبعون نفراً، حتى وافى بدر الصغرى، فلم يخرج أحد من أهل مكة، فأنزل الله فيمن خرج مع رسول الله ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ بأُحُد ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا﴾ سخط الله في المخالفة ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٧٢﴾ في الجنة^(١).

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ وهم نعيم بن مسعود خوفاً أصحاب رسول الله بجموع أبي سفيان بمكة، وقد كذب^(٢).

(١) وهي وقعة حمراء الأسد، والخبر في ذلك رواه ابن إسحاق في السيرة، كما في سيرة ابن هشام ٣/ ١٠١، وابن جرير الطبري في التفسير ٧/ ٣٩٩، والثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ٤٣٤. مضى النبي صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة، يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال، فمكث ثلاثاً، الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع المدينة.

(٢) قال ابن جرير: «والناس الأول، هم قوم -فيما ذكر لنا- كان أبو سفيان سألهم أن يثبطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين خرجوا في طلبه بعد منصرفه عن أحد إلى حمراء الأسد، والناس الثاني، هم أبو سفيان وأصحابه من قريش، الذين كانوا معه بأحد.»

﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ بمقالة نُعيم وجرأة على ما كانوا عليه من قبل ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ أي: كافينا الله وثقتنا بالله ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٦) الحافظ والناصر.
﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ من بدر الصغرى يعني: بنصر من الله أو ربح في التجارة الذي ربحوا في سوق بدر^(١).

﴿لَمْ يَمَسَّ سَهْمٌ سَوًّا﴾ أي: قتل وجراحة ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ أي: طلبوا رضا الله بخروجهم مع نبيهم واثقين بالله ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (١٧٧) على من توكل عليه.

﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي: الذي خوفكم بأبي سفيان وأصحابه هو الشيطان، والشيطان عند العرب كل متمرّد عاتٍ، يخوفكم بأوليائه.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ أي: لا تخافوا من أولياء الشيطان بترك الخروج ﴿وَخَافُونَ﴾ بالقعود منهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ [مُؤْمِنِينَ]﴾ (١٧٨) مصدقين بوعدى إياكم.

﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أي: لا يحزنك يا محمد مبادرة الذين يبادرون في الكفر، نزلت في قوم من العرب ارتدوا عن الإسلام^(٢) ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ أي: لم ينقصوه شيئاً بمسارعتهم في الكفر، خرج الكلام مخرج

مضى النبي صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة، يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال، فمكث ثلاثاً، الاثنتين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع المدينة.

(١) قيل: النعمة العافية، والفضل: التجارة، والسوء: القتل. تفسير الطبري ٤١٥/٧.

(٢) قال الضحاك: كفار قريش، وقال مجاهد: في المنافقين (تفسير الطبري ٤١٨/٧، الكشف والبيان ٤٧٥/٩).

النهي أي: لا تحزن إنما ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: لا يعطيهم نصيباً في الجنة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٧٦﴾ فظيع شديد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: اختاروا الكفر على الإيمان ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٧٧﴾ مؤلم.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: جحدوا وحدانية الله من اليهود والنصارى ﴿أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: إملأونا وإمهالنا إياهم خير ﴿لِأَنفُسِهِمْ﴾ ثم ابتداءً فقال: ﴿إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ أي: نمهلهم ليزدادوا معصية في الدنيا ودركات في الآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ﴿١٧٨﴾.

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: لا يترك الله من كان في سابق علمه أنه يؤمن ^(١) على ما أنتم عليه من الكفر والنفاق ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ الكافر من المؤمن ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ على سره لتعلموا من يؤمن ومن لا يؤمن ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي: يصطفي لرسالته من يشاء كما اصطفي محمداً صلى الله عليه وسلم فيطلعه على بعض غيبه ﴿فَعَامُوا بِاللَّهِ﴾ أي: صدقوا له فيما يوحى إليكم ﴿وَرُسُلِهِ﴾ فيما يؤدي عنه إليكم ﴿وَإِنْ تَوَمَّنُوا﴾ بالله ﴿وَتَتَّقُوا﴾ فلا تعصوه ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٧٩﴾ ثواب جزيل في الجنة.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ^(٢) أي: لا تظنن يا محمد الذين يبخلون بما آتاهم الله: أعطاهم الله من فضله أي رزقه ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾

(١) في الأصل: أيومن.

(٢) في الأصل: تحسبن، بالتاء، وعليها جاء التفسير، وهي قراءة حمزة، وقرأ الباقون بالياء، والخلاف في الحرف السابق مثل هذا الحرف، وقد ثبت في الأصل بالتاء كذلك (النشر ٢٤٤/٢).

لَهُمْ ۖ أَي: البخل خيرًا، فصل بين الاسم والخير ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: يجعل الله ما بخلوا من المال طوقًا من النار في أعناقهم يوم القيامة، وقيل: يجعله الله ثعبانًا في عنقه ينهشه أبدًا، وقيل: يأتي حاملًا كنزه على عنقه ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يميت الخلائق ويرث ملكهم بملكه الذي لا يزول ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الحق والباطل والبخل والسخاء ﴿خَبِيرٌ﴾ ١٨٠ ﴿يَجْزِيكُمْ﴾ بها.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ نزلت في فنحاص اليهودي، دعاه أبو بكر إلى الإسلام فقال: لا حاجة بنا إلى الله ونحن أغنياء وهو إلينا محتاج لأنه يستفرضنا أموالنا على زعم صاحبكم، فغضب أبو بكر وضربه على وجهه ضربًا شديدًا، فجاء يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر ذكر قصته، فجدد ونزلت الآية: لقد سمع الله قول فنحاص اللعين حين قال: إن الله فقير يطلب منا القرض^(١).

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ أي: سنحفظ عليهم مقاتلهم الكفر في الدنيا ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بلا جرم كان منهم ﴿وَنَقُولُ﴾ لهم في الآخرة ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ١٨١ ﴿وهي النار﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ يعني هذا العذاب لكم ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ سلف من كفركم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ١٨٢ ﴿أن يعذبهم بغير جرم﴾.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنْ يَشَاءُ اللَّهُ عَهْدَ إِلَيْنَا﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُوْثِّنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ أي: يأتينا بنار تأكل قراييننا، كما كان في عهد بني

(١) روي عن ابن عباس من طريق محمد بن أبي محمد، كما في تفسير الطبري ٧/ ٤٤١، وهو قول السدي ومجاهد، وعامة المفسرين، وقيل إن اليهودي القاتل مقالة السوء هو حيي بن أخطب (الكشف والبيان ٩/ ٥٠٥).

إسرائيل، قال ذلك كعب بن الأشرف وغيره^(١) ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِ
بِالْبَيِّنَاتِ﴾ انفلاق البحر وإغراق فرعون، وعيسى بإحياء الموتى وإبراء الأكمه^(٢)
والأبرص ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ أي: قد جاء البعض بالذي سألتهم من أمر القربان
﴿فَلَمْ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣) في دعواكم من العهد.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: لست بأول من كذبه
قومه ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ العلامات الواضحات ﴿وَالزُّبُرِ﴾ والكتب، وقيل
بأحاديث الأنبياء ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾^(٤) بالحلال والحرام.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: كل نفس مؤمنة أو كافرة من أهل السماء
والأرض سيدوق الموت وغصصه ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾
أي: مجازات أعمالكم بتمامها ﴿فَمَن رُّحِجَ عَنِ النَّارِ﴾ نُجِّيَ وعُزِّلَ وأُبعدَ
بالتوحيد لله من النار ﴿وَادْخُلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ وسعد ونجا من النار ﴿وَمَا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٥) أي: ليس نعيم الدنيا إلا كمتاع البيت،
مثل القصة والسكرجة والزجاج يسرع الكسر ولا يقبل الجبر.

﴿لَتَبْلُغَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ أي: لتختبرن يا محمد بذهاب
أموالكم ومرض أجسادكم ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ [مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن
قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا]﴾ من أهل الكتاب والمشركين من أهل مكة ﴿أَذَى
كَثِيرًا﴾ أذى اليهود قولهم عزيز ابن الله، وأذى النصارى قولهم المسيح ابن
الله، وأذى العرب قولهم الملائكة بنات الله ﴿وَإِن تَصَبِرُوا﴾ على سماع الأذى
﴿وَتَتَّقُوا﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿فَارَبَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: الصبر على الأذى

(١) سماهم الكلبي في تفسيره، انظر: الكشف والبيان ٥١٠/٩.

(٢) في الأصل: الأبكم، وهو سبق قلم من الناسخ.

﴿مَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ﴾ (١٧٦) أي: من حزم الأمور، وقيل من حُسْنِ الأمور، والعزم على الأمر إمضاؤه، والحزم ضبطه.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من اليهود ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ أي: نعت محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَا تَكْمُونُوهُ فَنَبَذُوهُ﴾ (١) أي: تركوا العمل به ﴿وَرَأَى ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ اختاروا على كتمانهم عرضًا يسيرًا ﴿فَبُيِّنَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (١٧٧) أي: يختارون لأنفسهم الفانية على الباقية.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا﴾ (٢) أي: يعجبون بعملهم الكفر والمعاصي، وقيل: بما غيروا من صفة النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ وهو أن يقال فيهم الخير والصوم والصلاة ولم يفعلوا ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ﴾ أي: منجاة وبعْدٍ ﴿مَنْ أَلْعَابُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٨).

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ واتصال الآية بما قبلها (٣): كيف يطلبون محمداً الخلق وملك السماوات والأرض [لله] فعليهم أن يحمده، والله خزائن السماوات والأرض بالمطر والنبات ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧٩) أي: قادر على [كل] شيء.

ثم بيّن عجائب قدرته: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما بينهما من النجوم والشمس والقمر والبحور والنبات والشجر ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ في

(١) في الأصل: كتب الفعلين بالياء: ليبينه، يكتمونه، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ الباقون بالتاء (النشر ٢/ ٢٤٦).

(٢) في الأصل: يحسبن بالياء، وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وأبي عمرو، وقرأ الباقون بالتاء (النشر ٢/ ٢٤٦). وكذا كتب الحرف الأتي: يحسبنهم بالياء، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أي مناسبة الآية لما قبلها، يعبر عن التناسب بالاتصال.

ذهابهما ومجيئهما ﴿لَا يَكُنْ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: علامات لذوي العقول.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ أراد به أمة محمد صلى الله عليه وسلم يُصَلُّونَ لله ﴿فِيكَمَا وَقَعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ إن لم يستطيعون القيام، وعلى جنوبهم إن لم يستطيعوا القعود، وقيل يراد به الذكر في الأحوال في غير الصلاة ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ما كان فيهما من الآيات والعبر ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾ أي: قائلين ربنا لم تخلقهما وما فيهما من الآيات جزافاً، يعني أمر ونهي ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك من الشريك والولد ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي: نجنا منها.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ أهنته وأذلته ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ للمشركين ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ولم يقل ناصرًا لاستواء الفواصل^(١).

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ﴾ يدعوا الخلق إلى التوحيد، قيل: هو القرآن، وقيل: هو النبي صلى الله عليه وسلم ﴿[أَنْتَ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ] فَآمَنَّا رَبَّنَا﴾ أي: صدقنا بتوحيدهك ﴿فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ الكبائر وغير الكبائر ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ تجاوز عن شركنا ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ اقْبِضْ أرواحنا مع الأنبياء والصالحين.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ أي: على السنة رسلك ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: لا تخذلنا في عذاب النار ولا تذلنا، والخزي: الذل.

﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ لأن وعدك حق لا خلف له، وإنك صادق الوعد.

(١) أي أواخر الآيات.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أجاب واستجاب بمعنى واحد ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ﴾ أي: لا أبطل ﴿عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ﴾ أي: ثوابه ﴿مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾ رجل أو امرأة ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ قيل: بعضكم أولاد بعض، وقيل: بعضكم أولياء بعض في الدين وكلكم مؤمنون ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وَأُودُوا فِي سَبِيلِي﴾ عذبوا بسبب ديني ﴿وَوَقَتُلُوا﴾ العدو في طاعتي ﴿وَوَقَتُلُوا﴾ في الجهاد ﴿لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي: ذنوبهم ﴿وَلَا تُدْخِلَنَّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا﴾ مكافأة وجزاء لتوحيدهم ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (١٦٥) أي: حُسن المنقلب والمرجع.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ لا يحزنك ﴿تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ذهاب المشركين ومجيئهم ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ (١٦٦) للتجارات.

﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾ أي: هي منفعة يسيرة في الدنيا ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ﴾ ومصيرهم إلى ﴿جَهَنَّمَ وَيَسَّسَ أَلْمِهَادُ﴾ (١٦٧) الفراش.

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ الشرك والمعصية ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي: ثوابًا وجزاء، وقيل: رزقا، نصب على التفسير (١).

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الكرامة ﴿خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ (١٦٨) من الدنيا وما فيها.

قال الكلبي: الأبرار الذين لا يؤذون الذر^(٢)، وقيل هم الصالحون.

(١) وهو قول الفراء كما في معاني القرآن ١/ ٢٥١، وقيل غير ذلك، انظر: التبيان ١/ ٣٢٣.

(٢) في الأصل: لا يؤذون الله، وهو تصحيف لا معنى له، والصواب ما أثبت، فقد رواه الطبري عن الحسن البصري (تفسير الطبري ٢٤/ ٢٩٠) وقال: والأبرار: جمع برٍّ، وهم الذين برُّوا

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ أي: من جملتهم -مثل عبد الله بن سلام- لمن يؤمن بالله ووحْدانيته ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من التوراة ﴿خَشِعِينَ لِلَّهِ﴾ أي: خاضعين له، نصب على الحال ﴿لَا يَشْتَرُونَ﴾ بكتمان نعت النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرضًا يسيرًا ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ والمجازاة، قيل: نزلت في النجاشي وأصحابه^(١).

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا﴾ على أداء الفرائض واجتناب المحارم ﴿وَصَابِرُوا﴾ أعداء الله أي: جاهدوهم ﴿وَرَابِطُوا﴾ في سبيل الله، وقيل: وربطوا بانتظار الصلاة بعد الصلاة، والرباط: الإقامة في الثغر لقتال العدو ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: تجنبوا الانبساط معي ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ غداً برويتي ولقائي، وقيل: لكي تسلموا من أعمال تبطل طاعاتكم.

قال عبد الحميد الحاکمي: بلغنا عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أماناً على الصراط»^(٢).
وبالله التوفيق وعليه الهدى.

الله بأداء فرائضه، واجتناب محارمه. وقد كان الحسن يقول: هم الذين لا يؤذون شيئاً حتى الذر (انظر: الكشف والبيان ٢٨/ ٢٠٤).

(١) قيل نزولها في النجاشي لما مات وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل في أناس من النصاري من نجران ومن الروم، وقيل: في عبد الله بن سلام، ويجمع هذه الأقوال كلها قول مجاهد: نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم (الكشف والبيان ٩/ ٥٨٧).

(٢) حديث موضوع، سبق التنبيه عليه، وقد رواه الثعلبي ٨/ ١٠، والمستغفري في فضائل القرآن (١١٧٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النساء

مدنية، وهي مائة وخمس وسبعون آية^(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ عامٌ يعني به جميع العالم: وُحِّدُوا رَبَّكُمْ وأطيعوه
﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء، خُلِقَتْ من ضلعه
الأسير ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ أي: نشر ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ وَأَتَقُوا اللَّهَ اخشوه وأطيعوه
﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ أي: تطلبون حقوقكم بعضكم من بعض، يقول الرجل:
نشدتك بالله وسألتك بالله ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ لا تقطعوها^(٢).

وفي قراءة حمزة «والأرحام» بالكسر أي: بحق الرحم، يعني: تساءلون بالله
الحقوق وبحق الرحم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حافظًا لأعمالكم.
﴿وَعَاثُوا أَلْتَمَتِ أَمْوَالَهُمْ﴾ من موارث آبائهم التي هي وديعة عندكم بعد
بلوغهم، يخاطب الأولياء والأوصياء، سَمَّاهُمْ يَتَامَى على استصحاب الحال.

(١) لا خلاف في أنها مدنية، انظر: الكشف والبيان ٧/١٠، البيان في عد آي القرآن ١٤٦، وهي

١٧٥ آية في المدني والمكي والبصري، و ١٧٦ في الكوفي، ١٧٧ في الشامي.

(٢) قرأ حمزة: والأرحام بالخفض عطفًا على الضمير في «به»، وهذا الذي منعه البصريون وأجازه

الكوفيون، وقيل الجر على القسم. وقرأ الباقون: والأرحام نصبًا، وفيها وجهان: الأول:

معطوف على اسم الله؛ أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها. والثاني: هو محمول على موضع

الجار والمجرور، كما تقول مررت بزيد وعمرا؛ والتقدير: الذي تعظمونه والأرحام؛ لأن

الحلف به تعظيم له (انظر: التبيان في إعراب القرآن ١/٣٢٧).

﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْحَيْثَ بِالطَّيِّبِ﴾ الخبيث: الحرام، والطيب: الحلال، أي لا تستبدلوا مالكم بمالهم ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: مع أموالكم ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ أي: ذنبًا عظيمًا، والحبوب: الإثم.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ قيل: إنهم كانوا يتخرجون عن أمر اليتامى بعد نزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ الآية، كانوا لا يخالطونهم في شيء ولا يتولون أمرهم^(١).

وكانوا يتزوجون من النساء كثيرًا حتى إن الرجل كان عنده عشرة من النساء فنزلت الآية^(٢).

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ أي: ألا تعدلوا في اليتامى فلذلك خافوا في أمر النساء لأنهن عندهن كالأيتام ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ أي: حلّ لكم ﴿مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ فما وراءهن حرام ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ أي: لا تستطيعوا

(١) ذكره في الكشف والبيان ٢٥/١٠.

(٢) وهو مروي عن ابن عباس من طريق طاوس، والعمري، وعلي بن أبي طلحة، ومروي عن عكرمة، كما في تفسير الطبري ٥٣٥/٧، والكشف والبيان ٢٤/١٠.

وفي صحيح البخاري (٢٧٦٣) عروة بن الزبير، يحدث أنه سأل عائشة رضي الله عنها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قالت: هي اليتيمة في حجر وليها، فيرغب في جمالها ومالها، ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة نسائها، فنهوا عن نكاحهن، إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن من النساء، قالت عائشة: ثم استفتي الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [سورة النساء: ١٢٧]، قالت: فبين الله في هذه الآية: أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال، ومال رغبوا في نكاحها، ولم يلحقوها بستانها بإكمال الصداق، فإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها واتمسوا غيرها من النساء، قال: فكما يتركونها حين يرغبون عنها، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها، إلا أن يقسطوا لها الأوفى من الصداق ويعطوها حقها

العدل بين الأربعة والثلاثة والشتين ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أي: تزوجوا امرأة واحدة ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أو اكتفوا بالإماء ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ لَا تَعُولُوا﴾ ﴿٣﴾ أي: تزوج الواحدة أخرى وأقرب ألا تجوروا، وقيل معناه: ذلك أقرب ألا تعولوا جماعة من النساء أي: تموتنهن وتقومون بحوائجهن فتفتقروا، وقيل: تعولوا أي تكثر عيالكم، يقال: عال الرجل إذا كثر عياله.

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ مهورهن عطية، وقيل: فريضة، وكانوا في الجاهلية يأخذون المهر من الزوج ولا يعطونها المرأة، ولكن يأكلون فقال: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ يقول: إن أحللت لكم من المهر شيئاً بطيبة النفس، نصب على التمييز ^(١) ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ ﴿٤﴾ أي: حلاًلاً.

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ قيل: أراد به الأيتام، أي: لا تؤتوهم أموالهم قبل رشدهم، وقيل: لا تؤتوا أموالكم النساء والصبيان، سميت المرأة سفهية لضعف عقلها؛ وكذلك الصبيان قبل الرشد ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ أي: قواماً ^(٢)، وقيل: يقيمكم فتقومون بها قياماً لمعاشكم ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ منها أطعموهم منها ﴿وَأَكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ﴿٥﴾ أي: علّموهم أمر دينهم، وقيل أراد عدة جميلة.

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ﴾ أي: اختبروا عقولهم في حال يتهمهم وجربوهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ كناية عن إتيان النساء؛ عن البلوغ ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ زُشْدًا﴾ أي: رأيتم منهم صلاحاً في دينهم، وحفظاً لمالهم، وأنستم: أي أبصرتهم وعلمتم ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ بعد البلوغ ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا﴾ في المعصية ﴿وَبِدَارًا﴾ مسارعة مخافة أن يكبروا ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ فليكف، معناه: عن مال

(١) يريد: نفساً، انظر: التبيان في إعراب القرآن ١/٣٢٩.

(٢) القوام: ملاك الأمر وما يقوم به (الكشف والبيان ١٠/٦٦).

اليتيم ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا﴾ أي: محتاجًا إلى مال اليتيم وهو في عونه ﴿فَلْيَاكُلْ﴾ منه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالتقدير^(١).

وقيل: فليأكل بالقرض ليرده عليه بعد البلوغ^(٢)، وقيل: أن يضع يده مع يد اليتيم في طعامه.

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ بعد البلوغ ﴿فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ بما أنفقتم وبما بقي منه، هذا أمر ندب^(٣).

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ﴾ على الأولياء والأوصياء ﴿حَسِيبًا﴾ مجازيًا بما صنعوا.

ثم قال: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ وكان أهل الجاهلية لا يعطون النساء من الميراث شيئًا ﴿مِّمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ في قليل المال وكثيره ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ ﴿حُظًّا وَاجِبًا﴾.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ أي: قسمة الميراث ﴿أُولُوا الْقُرْبَى﴾ أي: ذو القرباة في الرحم ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ﴾ الفقراء والسُّوَال ﴿فَارْزُقُوهُمْ﴾ وأعطوهم ﴿مِّنْهُ﴾ شيئًا ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ يقول الوصي: لولا في المال قلة وفي

(١) هذا تفسير الكلبي، وقال: لكي لا يحتاج إلى مال غيره (تنوير المقباس ٦٥) وهذا نقل عن غيره، والمراد أن يأكل منها بقدر ما يقوم على شأنها (الكشف والبيان ٨٧/١٠، تفسير أبي الليث ٢٨٢/١).

(٢) وهذا هو الأرجح عند شيخ المفسرين ابن جرير (تفسير الطبري ٥٩٤/٧).

(٣) مثله في الكشف والبيان ٩٠/١٠. وقال القرطبي (في الجامع لأحكام القرآن ٤٤/٥): «هذا الإشهاد مستحب عند طائفة من العلماء، فإن القول قول الوصي، لأنه أمين.

وقالت طائفة: هو فرض، وهو ظاهر الآية، وليس بأمين فيقبل قوله، كالوكيل إذا زعم أنه قد رد ما دفع إليه أو المودع، وإنما هو أمين للأب، ومتى ائتمنه الأب لا يقبل قوله على غير؛ ألا ترى أن الوكيل لو ادعى أنه قد دفع لزيد ما أمره به بعدالته لم يقبل قوله إلا بينة، فكذلك الوصي».

الورثة صغار لزدناكم، قيل: إن هذه الآية منسوخة، وغير منسوخة في قول البعض^(١).

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ قيل: أراد به الموصي؛ يعني إذا خاف على أولاده الضياع بعده فليترك الله ولا يوصي بماله لغير أولاده، قيل: أراد به الوصي؛ لو خاف على أولاده الضياع والضعف فليحسن إلى ورثة من هو وصيه، وقيل: أراد به من حضر عند الوصية؛ فلا يأمر الموصي بالحيث في الوصية، وينبغي أن يأمره بالعدل في الوصية^(٢)، وقيل: الثلث حيف، والرابع جهد بالورثة، والخمس عدل، وهذا قول الخلفاء الأربعة^(٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَيْتَمَىٰ ظُلْمًا﴾ أي: غصبًا ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ أي: من الحرام ما يكون في بطونهم يوم القيامة نارًا حتى يخرج لهب النار من فيه ﴿وَيَسْخَرُونَ سَخِيرًا﴾ أي: يدخلون نارًا.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ أي: للابن مثل نصيب الابنتين ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً﴾ أي: بنات، اثنتان فما فوقهما ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الوالد، والباقي للعصبة ﴿وَإِنْ كَانَتْ ابْنَتٌ وَاحِدَةٌ فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا بَوَىٰ﴾ يعني أبوي الميت ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾ الميت من الميراث ﴿إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَىٰ﴾ وورثته

(١) المراد من أنها منسوخة: أي لا يعطي من المال شيئاً لغير وارثه، انظر بيان ذلك في تفسير الطبري ٩/٧، الكشف والبيان ٩٣/١٠، واختار ابن جرير أنها محكمة غير منسوخة، وقال: «إنما عنى بها الوصية لأولي قربي الموصي، وعنى باليتامى والمساكين: أن يقال لهم قول معروف» (تفسير الطبري ١٢/٧).

(٢) نسبه الواحدي لأكثر المفسرين ٣٤٦/٦.

(٣) نسبه الزمخشري للصحابة، انظر: الكشف ٤٧٨/١.

أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ﴿١٠﴾ وما بقي للأب ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ﴾ للميت ﴿إِخْوَةٌ﴾ أو أختان أو أخ وأخت أو أخوات ﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ يحجبون الأم عن الثلث، ولا يرثون، والباقي للأب ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ أي: يرثون بعد قضاء الدين وإنفاذ الوصية ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ أي: بعضكم آباء وبعضكم أبناء ﴿لَا تَدْرُونَ﴾ حياة ﴿أَيُّهُمْ﴾ أو موته ﴿أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ في الدنيا أم في الآخرة؛ لأن الأب ينفع الابن بالانفاق والتأديب والحفظ عن الهلكة، ولو مات الأب يرث الابن ماله، وفي الآخرة: إن كان الوالد أرفع درجة من الولد يُلْحَقُ الله الولد به، وإن كان الولد أرفع درجة يُلْحَقُ الله الوالد به، فلا تدرون أي هذه المنافع أقرب إليكم.

﴿فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ نصب على المصدر أو الحال ^(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١١) أي: لم يزل عالمًا من يرث ومن لا يرث.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ أي: نسائكم ﴿إِنْ لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم أو من غيركم ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ إنفاذ الوصية التي يوصين ﴿بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ كان عليهن ﴿وَلَهُنَّ الرُّبْعُ﴾ أي: للنساء الربع ﴿مِمَّا تَرَكَتُمُ﴾ من المال ﴿إِنْ لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ﴾ منها ولا من غيرها ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمُ﴾ من التركة ﴿مَنْ بَعْدَ﴾ إنفاذ ﴿وَصِيَّةٍ تُوصَوْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ كان عليكم.

﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ ما خلا الوالد والولد، سميت كلاله لأنه يتكلل به النسب من الجانبين، والكلاله: مشتقة من الإكليل،

(١) وقيل: مصدر منصوب لفعل محذوف من لفظها، أي: فرض الله ذلك فريضة، التبيان

والإكليل ما ستر جانبي الرأس، وفي الآية تقديم وتأخير معناه: إن كان الكلالة رجل ﴿أَوْ أُمْرَأَةً وَلَهُ﴾ أي: للكلالة ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتُ﴾ من أمه ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: كانوا إخوة وأخوات ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ﴾ في تركة الكلالة، الذكر والأنثى سواء، لأنه ذكر الشركة وما بقي للعصبة ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ كان عليه ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: يوصي وصية غير مضار للورثة، وقوله: ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: هذا الأمر من الله تعالى لكم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ فيما بين، وفيما يعدلون ويجورون ﴿حَلِيمٌ﴾ ١٢ لا يعجل بالعقوبة عليهم.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ وفرائضه وأحكامه: ما أمركم به من القسمة ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما بين من الوصية والقسمة ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ١٣ النجاة الوافرة^(١).

﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ] تجاوز فرائضه فيما أوجب للورثة، ولا يعدل ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ١٤ يهان صاحبه وقد ذكرنا تفسير هذا الخلود في سورة البقرة.

﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِّسَائِكُمْ﴾ الفاحشة: الزنا، أي من تزني من نسائك المحصنات ﴿فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِّنكُمْ﴾ من الشهود الأحرار البالغين العدول المسلمين ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ على العورتين كما ينبغي ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهن ﴿فِي الْبُيُوتِ﴾ أي: في السجون ﴿حَتَّىٰ يَتَوَقَّعُنَّ

(١) تصحفت في الأصل: الوافي، وهذه كلمة تتكرر عنده، وهي عبارة الكلبي في تفسيره.

أَلَمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ أي: مخرجًا وحكمًا^(١)، قيل: نسخت هذه الآية آية الرجم، وقيل: نسختها الآية التي بعدها:

﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ﴾ والَّذان أي: الرجل والمرأة، يأتيانها منكم أي: يزنيان، والزنا يرجع إلى الفاحشة، أي يأتيان الفاحشة ﴿فَعَاذُوهُمَا﴾ أي: عيروهما باللسان بالملامة والشتم؛ يا زاني أو يا زانية أف لك أما استحييت إذ زنيت^(٢) ﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا﴾ العمل واستقاما على التوبة ﴿فَاعْرِضْهُمَا﴾ لا تعيروهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^(١٦) بالرحمة على من تاب من الذنب، رحيمًا بهم حين رخص لهم بالتوبة.

قيل: نسخ التعبير والسب والأذى للأبكار بقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ الآية.

قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ معناه: أن الله تعالى أوجب الرحمة على نفسه للذين يعملون المعاصي بجهالة؛ ثم يرجعون عن ذلك ندامةً، قيل: إن كل معصية لله، عن قتادة^(٣)، وقيل: فعل كفعل الجاهل الذي لا يعلم ما عليه من القدر.

قوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ أي قبل نزول سلطان الموت به، وقيل: قبل

(١) وقد جعل الله لهن مخرجًا، ففي صحيح مسلم (١٦٩٠) عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة، والرجم».

(٢) الكشف والبيان ١٠/١٢٧.

(٣) يعني عمداً كان أو غيره، قال أبو العالية: أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة. (تفسير الطبري ٨/٨٩، الكشف والبيان ١٠/١٣٨).

المعانة والمصير إلى حال الآخرة ورفع الحُجُب ﴿فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يتجاوز عن ذنوبهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ لم يزل ﴿عَلِيمًا﴾ بخلقه بمن تاب ومن لم يتب ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿٧﴾ حكم بقبول التوبة.

﴿وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ﴾ أي: الرجعة ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ من الشرك والمعاصي وأصروا ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ عاين أسباب الموت وبُشِّرَ بسخط الله وناره ﴿قَالَ إِنِّي تَبْتُ آلَتُنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ﴾ أي: لا يقبل للذين يموتون على الكفر توبتهم ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الفريقان ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٨﴾.

قال عبد الحميد الحاکمي: بلغنا أن وهب ابن منبه قال لابنه: «يا بني مع الموت أربع خصال: فراق الأحباب، وخلع الأسباب، وسكون التراب، ولقاء الحساب».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ كان الرجل إذا مات في الجاهلية جاء أقرب الناس إلى الميت ويلقي على امرأته ثوبًا؛ فيرث نكاحها بمهرها الأول، ففعل ذلك رجل في الإسلام فنزلت الآية.

معناه: يا أيها المؤمنون لا يحل لكم أن تأخذوا النساء بالميراث كرها، أي: جبرًا، ولا غير جبر إذا كانت المرأة قد حرمت عليه بالمصاهرة.

﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ لا تمنعهن عن التزويج ﴿لِتَذْهَبُوا﴾ أيها الورثة ﴿بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ أعطيتموهن من المهر ليفتدين ببعض المهر ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ يعني إلا أن يكون النشوز من قبلها عند الفرقة عن الأزواج، قيل: هو الزنا، فإذا زنت جاز للرجل أن يأخذ الفدية منها ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: صاحبوهن بحسن المعاشرة فالكسوة ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ أي: صحبتهن ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿١٩﴾ إذا

صبرتم على ذلك لوجه الله، وقيل أراد به الولد يُرزقه منها.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ عند الكراهة ﴿وَوَاتَيْتُمْ﴾ أعطيتم الأولى ﴿قَطَارًا﴾ من الذهب فلا تستردوا من القنطار شيئاً؛ قليلاً ولا كثيراً إن كان النشوز منكم ﴿أَتَأْخُذُونَهُ﴾ أستمحلونه ﴿بُهِتْنَا﴾ وَثْمًا مُبِينًا ﴿قِيلَ الْبُهْتَانُ هُوَ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيْهَا وَالظُّلْمُ مِنْ جِهَتِهِ﴾ نصب على الحال، أي: أتاخذونه باهتين وأثمين^(١).

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ استفهام بمعنى التعجب ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ قبل إرادته: الجماع، الكلبي: الإفضاء أن يجتمعا في لحاف واحد جامع أولم يجامع^(٢).

﴿وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ أي: احذر عند عقد النكاح عهداً وثيقاً وهو قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾ [مِنَ النِّسَاءِ] أي: لا تتزوجوا ما تزوج آباؤكم كفعل الجاهلية ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ إلا ما مضى في الجاهلية لا تؤاخذون به إذا تركتم في الإسلام ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا﴾ أي: كان زناً، والمقت أشد البغض، وقيل: يمقته أبوه وأقرباء أبيه ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي: بسئ الطريق نكاح نساء الآباء، سييلاً نصب على التفسير.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ أي: تزوج أمهاتكم اللاتي ولدنكم ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ اللاتي من أصلابكم ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ تزويجاً، فهذا سبع^(٣) من النسب حرم نكاحهن.

(١) وفيه أوجه أخرى، انظر: الكشف والبيان ١٠/١٥٤، الدر المصون ٣/٦٣٤.

(٢) وتمة كلامه: فقد وجب المهر، تفسير أبي الليث ١/٢٩١، تنوير المقباس ٦٧.

(٣) تصحف في الأصل: تسع.

ثم ذكر المحرمات من السبب؛ هن سبع^(١) فقال: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ أي: نكاحها ﴿وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾ كذلك ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ أي: حرم عليكم نكاحهن دخلتم ببناتهن أو لا ﴿وَرَبَائِبُكُمُ﴾ أي: بنات نسائككم ﴿الَّتِي [فِي حُجُورِكُمْ] رَبَّيْتُمُوهُنَّ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مِّن نِّسَائِكُمُ [الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ] المدخول بهن ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ﴾ بأم الربيبة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في تزويج الربيبة، وإنما قيدوها بكونها في الحجر لغالب الأحوال ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ﴾ أي: حرم عليكم تزويج نساء أبنائكم ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ فإن كان من غير صلب وقد تبنيتموهم^(٢) فلا بأس ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: سوى ما كان في الجاهلية إلى نزول هذه الآية، ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ متجاوزًا ما كان في الجاهلية من تزويج الأختين، رحيمًا وعد المغفرة بعد التوبة، ثم قال:

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ يعني نكاح ذوات الأزواج حرام نكاحهن ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من سبي الكفار، وهي ذات زوج في أرضها، جاز وطئها بعد الاستبراء، وقيل: حرم عليكم نكاح الحرائر من النساء ما فوق الأربع إلا ما ملكت أيمانكم من الولائد ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: اعملوا بكتاب الله، نصب على الإغراء^(٣)، وقيل: شرط الله عليكم ﴿وَأَجَلَ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ أي: ما

(١) قال ابن عباس: حرم الله من النسب سبعا ومن الصهر سبعا (رواه الطبري في تفسيره ١٤٢/٨).

(٢) في الأصل كلمة مصحفة.

(٣) وقد رده ابن جرير، لأنه غير مستفيض في كلام العرب، وذلك أنها لاتنصب بالحرف الذي تغري به إذا أخرجت الإغراء وقدمت المغرئ به، وقال: «كتابًا من الله عليكم، فأخرج الكتاب مُصَدَّرًا من غير لفظه» (تفسير الطبري ١٧١/٨).

وراء المذكورات ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ أي: تشتروا بأموالكم من الإماء، وقيل تبتغوا بأموالكم نكاحاً ﴿مُحْصِنِينَ﴾ أي: تكونوا محصنين متزوجين ﴿غَيْرَ مُسْلِفِينَ﴾ أي: زانين ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ نكاحاً ﴿فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿فَرِيضَةً﴾ فرض الله وبينه^(١)، قيل: الآية نزلت في المتعة ثم نُسخت بآية الطلاق^(٢).

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ أي: فيما زدتم في المهر أو الأجل بعد أمر الأول^(٣)، وهو تقدير المهر الأول ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً﴾ أي: لم يجد سعةً وغنىً ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر ﴿فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ فلينكح ﴿مِنْ فِتْيَتِكُمْ﴾ أي:

(١) فالمتعة هنا هي اللذة، وهي الجماع فلو جامعها مرة واحدة وجب المهر، (تفسير الطبري ١٧٥ / ٨، الكشف والبيان ٢٠٩ / ١٠).

(٢) وهو مروي عن بعض السلف، رواه ابن جرير ثم قال: «وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، تأويل من تأوله: فما نكحتموه منهن فجامعتموهن فأتوهن أجورهن، لقيام الحجة بتحريم الله متعة النساء على غير وجه النكاح الصحيح أو الملك الصحيح على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم روى حديث الربيع بن سبرة الجهني، عن أبيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: استمتعوا من هذه النساء والاستمتاع عندنا يومئذ التزويج».

(٣) وهذا على قول من قال: المراد المتعة قبل أن تنسخ، قال السمرقندي (في تفسير أبي الليث ٢٩٤ / ١): «قال بعضهم: يعني المتعة قبل أن تنسخ، أجاز لهما أن يتراضيا على زيادة الأجل والمال. وقال بعضهم: يعني المهر، لا جناح على الزوجين أن يتراضيا بعد النكاح على زيادة المهر» وانظر البسيط ٤٤٤ / ٦.

وقد أبعد الثعلبي لما قال: «يعني فيما تفتدي به المرأة نفسها»، لأن الافتداء في هذه الأبواب يذكر مع الخلع، ولم يجز لذلك ذكر، وإنما ورد عن ابن زيد أنه في الحط من المهر، إن قبلت أن تحط من مهرها فهو سائغ (تفسير الطبري ١٨١ / ٨).

إمائكم ﴿الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ أي: بتصديق قلوبكم وثباتها على الإيمان ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: كلكم من نسل آدم، بعضكم ولد بعض ﴿فَأَنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي: تزوجوا الولائد - أي الإماء - بإذن مواليهن ﴿وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: على قدر السعة، وقيل على قدر ما فوق مهر البغي أقله عشرة دراهم ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ أي: تزوجوا المحصنات: حافظات لفروجهن ﴿غَيْرَ مُسْلِفَاتٍ﴾ أي: زواني ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أي: أخلاء في السر يزيني بها ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ﴾ أي: تزوجن أو زُوجن ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ بعد الإحصان وهو الزنى ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ [مِنَ الْعَذَابِ]﴾ الحرائر والأبكار من الجلد، أي: تضرب خمسين جلدة، لإحصان الأمة تزويجها وإسلامها وإمساكها في البيت، هذه الثلاثة فرادى، وإحصان الحرة البلوغ والعقل والإسلام والدخول بنكاح صحيح.

﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَاشَى أَلْعَنَ مِنْكُمْ﴾ أي: الزنا، فيتزوج بالأمة، والعنت في اللغة المشقة ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ عن الزوج بالأمة ﴿حَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأن ولدكم يكون عبداً، ولتستعينوا بالصوم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن تزوج الأمة في حال الاضطرار ﴿رَجِيمٌ﴾ به حين رخص ذلك.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أي: أراد الله بيان الحرام من الحلال ﴿وَيَهْدِيَكُمْ﴾ يرشدكم ﴿سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: طرق الصالحين والرسل ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يدلکم على عمل يكون سبباً لتوبتكم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح العباد ﴿حَكِيمٌ﴾ في الأمر والنهي.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يتجاوز عنكم الزلل ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ قيل: هم اليهود أعداء الله، استحلوا نكاح بنات الأخت

وبنات الأخ والأخت من الأب^(١) ﴿أَنْ تَمِيلُوا [مَيْلًا]﴾ أي: تستحلوا استحلالاً
﴿عَظِيمًا ٢٧﴾ وهو استحلال بنات الأخ والأخت.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ أي: يهون عليكم بما رخص من نكاح
الإماء ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ٢٨﴾ لا يصبر عن النكاح وأمر النساء، وقيل أسيرًا
للشهوة.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ قيل: بالربا
والقمار والظلم واليمين الكاذبة، وقيل: بغير استحقاق من جهة المعاوضة،
والمختار هو الأول^(٢).

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ بعد تراضي البائع والمشتري.
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قيل: لا يقتل بعضكم بعضًا عن السدي^(٣)،
وقيل: هو قتل النفس حقيقة من غضب أو ضجر^(٤) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ
رَحِيمًا ٢٩﴾ حيث نهاكم عن قتل النفس.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ أي: استحلال الأموال وقتل النفوس
والعدوان، والظلم واحد جمع بين اللفظين لاختلاف الألفاظ ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ
نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾ هينًا لا يرحم من لم يرحم من ظلمه.

(١) وقيل الزناة والعصاة وأهل الريبة والفسوق، قال ابن جرير: ويريد الذين يطلبون لذات الدنيا
وشهوات أنفسهم فيها، أن تميلوا: عن أمر الله تبارك وتعالى، فتجوروا عنه بإتيانكم ما حرم
عليكم وركوبكم معاصيه، ميلا عظيماً: جوراً وعدواً عنه شديداً (تفسير الطبري ٨/ ٢١٢،
الكشف والبيان ١٠/ ٢٣٥).

(٢) تفسير الطبري ٨/ ٢١٨.

(٣) ولم يذكر الطبري غيره في التفسير ٨/ ٢٢٩.

(٤) وهو ظاهر الآية كما في زاد المسير ١/ ٣٩٦.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ فالكبائر كل ما نهى الله عز وجل من رأس هذه إلى ثلاثين آية فهي كبائر^(١).

وقيل: كل ذنب في القرآن مقرون به وعيد النار كبيرة، فمن اجتنب عنها وهو مؤمن كفر الله تعالى سيئاته -وهي الصغائر- من جماعة إلى جماعة، ومن جمعة إلى جمعة، ومن صوم إلى صوم^(٢).

﴿وَنُذِّخْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ حسناً شريفاً.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ﴾ قيل: لا يتمنى الرجل مال غيره حسداً، ولكن ليقول: اللهم إني أسألك من فضلك مثله^(٣).

قيل: سبب نزولها أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قالت: يا رسول الله نصيب الرجال في الميراث اثنان وللنساء واحد، والرجال يغزون^(٤) دون النساء، فكذلك الذنوب، أيكون موضوعاً عنهن على قدر ميراثهن؟ فنزلت

(١) يعني ثلاثين آية مضت، قال ابن مسعود: الكبائر من أول سورة النساء إلى ثلاثين منها، قوله ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ رواه الطبري في تفسيره ٢٣٣/٨، والسمرقندي في تفسير أبي الليث ٢٩٨/١. وإسناده صحيح.

مراد عبد الله الكبائر المذكورة في هذه السورة بعينها، لا حصر كل الكبائر، بدليل أنه روي عنه -بإسناد صحيح كذلك عند ابن جرير ٢٤٣/٨ وغيره- عد بعض الكبائر وليست فيما مضى من الثلاثين آية.

و انظر: فصلاً عقده الثعلبي في تفسيره ٢٦٩/١٠: في تفصيل أقاويل أهل التأويل في عدد الكبائر مجموعة من الكتاب والسنة، مقرونة بالدليل والحجة، فإنه نفيس.

(٢) وهذا منقول من تفسير الكلبي كما في تفسير أبي الليث ٢٩٧/١.

(٣) وهذا قول الكلبي كما في الكشف والبيان ٢٧٨/١٠، والمعروف هو القول الثاني.

(٤) في الأصل: يعرفون، وهو تصحيف، والتصحيح من كتب التفسير، فقد رواه ابن جرير في التفسير ٢٦١/٨ بألفاظ مختلفة، وانظر: الكشف والبيان ٢٧٧/١٠.

الآية ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ﴾ الرجال بالجماعة والجمعة والعيد والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسهام الميراث.

ثم قال: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ من الخيرات ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ اطلبوا الفضل من الله، وقيل: سلوا التوفيق والعصمة من الله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ عالمًا بتفضيل الرجال والنساء.

﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الموالي هاهنا: العصبة، أي: لكل تركة جعلنا من يستحقها من العصبة وغيرهم مما ترك الوالدان والأقربون من المال ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾^(١) أي: حلفت بعقد المولاة وكان معروفًا في الجاهلية ﴿فَتَأْتُوهُمْ نِصِيبَهُمْ﴾ ثم نسخ ذلك بآية الميراث ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾^(٢) على عهودهم ووفائهم ونقضهم.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ أي: مسلطون على تأديب النساء ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ نزلت في أسعد بن الربيع لطم امرأته ابنت محمد بن سلمة فنشزت عن فراشه، واستعدت رسول الله، فأمرها بالقصاص، فلما همت تضربه نزل جبريل بالآية، وكان القصاص واجبًا في اللطمة^(٣).

قوله: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: بتفضيله تعالى الرجال على النساء بالعقل والقسمة في الميزان ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ عليهن ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ في

(١) كتب في الأصل: عاقدت، وهي قراءة القراء إلا الكوفيين حيث قرؤوا: عقدت (النشر ٢٤٩/٢).

(٢) هذا منقول عن مقاتل والكلبي كما في الكشف والبيان ١٠/٢٨٨، وروي عن الحسن مرسلًا، كما في تفسير الطبري ٨/٢٩١.

المهر والنفقة ﴿فَالصَّالِحَاتُ﴾ المحسنات إلى أزواجهن ﴿قَتِنَتْ﴾ مطيعات لله تعالى ﴿حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ﴾ أي: غيب أزواجهن، والألف واللام دليل الإضافة كقوله: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (٤١).

﴿إِمَّا حَفِظَ اللَّهُ﴾ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴿أي: علمتم عصيانهن لأزواجهن، الخوف بمعنى العلم.

﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ أي: ذكروهن بكتاب الله، ويقول: اتقي الله فإن الله قد فرض عليك حقي^(١)، وإن أبت ﴿وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ تحول وجهه عنها في الفراش، وقيل: لا يقرب فراشها، وقال الكلبي: يسبها من الهجر^(٢).

﴿وَأَصْرَبُوهُنَّ﴾ ضرباً غير شائن ولا مبرح إذا لم تقبل العظة ﴿فَإِنَّ أَطْعَمَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ لا تطلبوا عليهن علة في الحب، لأن الحب والبغض مخلوقان في القلب ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (٣٤) أي: علي فلا أحد يدركه بالحواس^(٣) أو يقاس بالناس، كبيراً: متعال من أن يكلف إلا بمقدار الطاقة^(٤).

(١) في تفسير الطبري ٨ / ٣٠٠ عن مجاهد نحوه.

(٢) وهو مذهب سعيد بن جبير كما نسب إليه الواحدي، وقال (في البسيط: ٦ / ٤٩٢): «من الهجر الذي هو بمعنى القبيح من الكلام، يريد عَنَّفُوهُنَّ وَغَلَطُوا فِي الْقَوْلِ لَهُنَّ».

وقول الكلبي في تفسير أبي الليث للسمرقندي ١ / ٣٠٠، لكن تصحف يسبها إلى ينسها.

(٣) في الأصل: علي في الأحده به أدرك.

(٤) تفسير العلي بأنه ذو علو على كل شيء، فهذا معنى العلي، وأما ما يذكرونه بعد ذلك فهو من مناسبة ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين، من ذلك قول الطبري (في تفسيره ٨ / ٣١٨): إن الله ذو علو على كل شيء، فلا تبغوا، أيها الناس، على أزواجكم إذا أطعنكم فيما ألزمهن الله لكم من حق سبيلا؛ لعلو أيديكم على أيديهن، فإن الله أعلى منكم ومن كل شيء عليكم.. وأكبر منكم ومن كل شيء، وأنتم في يده وقبضته، فاتقوا الله أن تظلموهن وتبغوا عليهن

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ أي: علمتم مخالفةً بينهما ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ الخطاب للحكام ﴿إِنْ يُرِيدَا﴾ أي: الحكمان ﴿إِصْلَاحًا﴾ موافقة ونصحا ﴿يُوفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ أي: يؤلف الله بينهما، هذا إذا لم يُدرَ أَنَّ النشوز من أيهما، فيعث الحاكم حكيمين حتى يتعرفا حالهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بفعل الحكيمين ﴿خَيْرًا﴾ بفعل الزوجين.

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ فإنما هو إله واحد ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ووصاكم بالوالدين إحساناً ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي: صلوا القربات ولا تقطعوهم ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ أوصاكم باليتامى ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ يقول بالعطف على الفقراء والقيام بحفظ أموال الأيتام ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي: بصلة الأقرباء الذي يسكنون في جواركم ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ أي: الجار الأجنبي ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ﴾ وقيل هو الرفيق في السفر، وقيل رفيقك في السفر وجليسك في الحضر، وامراتك التي تضاجعها ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الضيف النازل ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من عبيدكم وإمائكم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ﴾ في مشيه بطراً ﴿مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [٣٦] على الناس بكبره.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ نزلت في اليهود بخلوا في ظهار نعت رسول الله ^(١).

سيلا، وهن لكم مطيعات، فيتنصر لهن منكم ربكم، الذي هو أعلى منكم ومن كل شيء، وأكبر منكم ومن كل شيء.

وقال أبو الليث (في تفسيره ١/ ٣٠٠): لا تطلبوا عليهن غللا، ولا تكلفوهن الحب لكم، فإن الحب أمر القلب وليس لها ذلك بيدها إن الله كان عليا كبيرا: أي رفيعا علا فوق كل كبير، فلا يطلب من عباده الحب، ولا يكلفهم ما لا يطيقونه، ويطلب منهم الطاعة، فأنتم أيضا لا تكلفوهن.

ويقال: إن الله مع علوه يتجاوز عن عباده، فأنتم أيضا تجاوزوا ولا تطلبوا العلل.

(١) والأقوال الواردة عنهم في ذلك رواها ابن جرير في تفسيره ٨/ ٣٥٢.

﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَحْلِ﴾ أتباعهم بكتمانه ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا أَنهٖمُ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهٖ﴾ أي: علم التوراة وعلم نعت رسول الله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ
 مِنْهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (٣٧) يهانون فيه.

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ أي: مراعاة الناس ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ
 بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ والآية نزلت في المنافقين، أي: لا يصدقون بالقلوب،
 وقيل نزلت فيمن أنفق على الناس ليخرجوا إلى حرب بدر ورؤساء مكة^(١).

وفي الآية إضمار أي: من فعل ذلك فالشيطان قرينه، ثم قال: ﴿وَمَنْ يَكُنِ
 الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ (٣٨) أي: ساء القرين قريناً هو.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: ما الذي عليهم ﴿لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا
 مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ في طاعة الله وطاعة رسوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ (٣٩).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: لا يظلم أحداً من خلقه وزن نملة
 صغيرة، ومثقال كل شيء قدر وزنه، أي: يجازي بالخير والشر ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً
 يُضَاعِفْهَا﴾ لأهله، يزيدها من واحد إلى ما لا يحصى. ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا
 عَظِيمًا﴾ (٤٠) أي: يعطى المؤمن من فضله ثواباً جزيلاً.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ استفهام بمعنى التعجب، أي:
 كيف يصنع الكفار حين أحضرنا من أهل كل زمان برسلهم يشهدون عليهم
 بالبلاغ، وقيل: على كفار أمتك بالبلاغ.

﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤١) لأمتك مزكياً لهم
 بالتصديق وبما يشهدون على الأمم، وقيل: جئنا بك شهيداً على أمتك
 بتبليغك^(٢).

(١) ذكره في تفسير أبي الليث ٣٠٢/١، الكشف والبيان ٣١٦/١٠.

(٢) وهذان القولان بمعنى واحد. انظر: تفسير الطبري ٣٦٨/٨، الكشف والبيان ٣٢٨/١٠.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ حينئذ ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ﴾ يتمنى الذين خالفوا الرسول ﴿لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ أي: لم يُعْثُوا من القبور وكانوا في الأرض سواء كالتراب ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ وذلك أنهم إذا سئلوا عن كفرهم أنكروا، وقالوا ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فيختم على أفواههم وتشهد على كفرهم جوارحهم فحينئذ يودوا ذلك^(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ نزلت في جماعة من الصحابة منهم أبو بكر وعمر قبل تحريم الخمر يشربون ثم يصلون^(٢).

﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ أي: تفهموا ما يقرأ إمامكم في الصلاة ﴿وَلَا جُنْبًا﴾ يعني: ولا تقربوا الصلاة في حال الجنابة، أي: لا تقربوا المساجد ﴿إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ﴾ أي: مارَّ الطريق، إذا كان الطريق في المسجد يدخل المسجد في حال جنابته لأخذ الماء.

وقال مقاتل^(٣): لا تقربوا الصلاة جُنْبًا ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ ثم استثنى المسافر الذي لا يجد الماء فقال: ﴿إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ﴾ يتيمم ويصلي.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ جرحى ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ في سفر ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ من مكان الحدث ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ جامعتموهن ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ امشوا إلى تراب نظيف بقصدكم [﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ﴾] وامسحوا به وجوهكم ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾ بالضربة الأولى الوجه

(١) كما روى ذلك البخاري في صحيحه ١٢٧/٦ عن ابن عباس.

(٢) عن علي بن أبي طالب: أنه كان هو وعبد الرحمن ورجل آخر شربوا الخمر، فصلى بهم عبد الرحمن فقرا: «الكافرون» فخلط فيها، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ رواه ابن جرير في التفسير ٣٧٦/٨، وإسناده جيد.

(٣) تفسير مقاتل ٢٣١/١.

وبالثانية اليدين ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ لم يزل ﴿عَفْوَ غَفُورًا﴾ ﴿١٣﴾ متفضلاً على العباد فيما وسَّع عليهم في أمر الدين غفوراً لتقصديكم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ نزلت في كعب وأصحابه^(١)، يعني: ألا تتعجب يا محمد على الذين أعطوا حظاً من التوراة.

﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ يختارون اليهودية على الإسلام بتبديل نعت النبي صلى الله عليه وسلم عن التوراة ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ ﴿١٤﴾ أي: طريق الإسلام.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ من اليهود ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ بنصرته إياكم وحافظاً ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ ﴿١٥﴾ مانعاً.

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ مالوا عن الإسلام ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا﴾ وقد حرفوا آية الرجم ونعت الرسول، وإذا حضروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ولا نطيعك ﴿وَأَسْمَعُ﴾ يا محمد ﴿غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ أي: اسمع منا حديثنا غير مقبول منك ما تقول، ويقال: اسمع لا سمعت، وقيل: سمعنا في العلانية غير مسموع في السر ﴿وَرَاعِنَا﴾ وكان هذا شتماً قبيحاً على ما ذكرناه في سورة البقرة ﴿لِيَا بِالسِّنَتِهِمْ﴾ أي: يريدون أن يحرفوها بالسنتهم، ويجعلون راعنا من المراعاة والانتظار إلى السب بالرعونة ﴿وَوَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ يطعنون في دينكم بأننا نروج الكلام عليهم. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَسْمَعُ﴾ نحدثك مقبولا ﴿وَأَنْظَرْنَا﴾ حتى نخبرك، مكان قولهم راعنا ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ وأصوب في التعبير والسب ﴿وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: طردهم عن رحمته بكفرهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٦﴾.

(١) يعني اليهود، وهذا محل اتفاق وإن اختلفوا في تسمية أعيانهم، انظر: تنوير القباس ٧١،

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من التوراة والإنجيل ﴿ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أي: القرآن ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ الطمس: إذهاب الأثر، أي: نذهب بآثار وجوهكم ﴿فَنَزِدَّهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا﴾ نجعلها كالأقفاء، ونجعل عيونها في أقفائها ﴿أَوْ نُلْعَنَهُمْ﴾ كمسخهم كما مسخنا ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ الذين استحلوا أخذ الحيتان يوم السبت ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أي: كائنًا لا محالة. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يغفر ما دون الشرك لمن سبقت له المشيئة بالمغفرة، نزلت في قاتل حمزة، وحشي اسمه^(١).

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ فقد اكتسب لنفسه إثمًا عظيمًا، وقيل: اختلق على الله كذبًا عظيمًا.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: يبرئون أنفسهم عن الذنوب.

نزلت في جماعة من اليهود جاؤوا إلى رسول الله ومعهم أولادهم الأطفال، فقالوا: هل تعرف لهؤلاء ذنوبًا؟ فقال رسول الله: «لا»، فقالوا: والذي نحلف به ما نحن إلا كهيتهم، نحن أبناء الله وأحباؤه، كل ذنب نعمله بالنهار غفر لنا بالليل، وما نعمل بالليل غفر لنا بالنهار فنزلت الآية^(٢).

﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ يبرئ من الذنب من كان أهلاً لذلك ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فِتْنًا﴾ أي: يذهب بحق العباد بقدر الفتل، والفتيل القشرة في بطن النواة. ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ﴾ أي: يتقولون عليه «إنما نحن بمنزلة الأطفال» ﴿وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾.

(١) وهو قول الكلبي كما في الكشف والبيان ٣٩٤/١٠.

(٢) وهو من مرويات الكلبي في أسباب النزول، كما في الكشف والبيان ٤٠٠/١٠.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ أي: حظًا من التوراة ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ قيل: هما صنمان، وقيل: الجبت الساحر والطاغوت الشيطان، وقيل الجبت: حُيِّي بن أخطب والطاغوت كعب بن أشرف، وقيل: كل معبود سوى الله فهو جبت وطاغوت^(١).

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾^(٥١) بمحمد صلى الله عليه وسلم.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: طردهم وأبعدهم ﴿وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ﴾ أي: يخزه ويؤيسه من رحمته ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾^(٥٢) مانعًا من العذاب، يعذبه في الدنيا بالجزية، وفي الآخرة بالنار.

﴿أَمْرٌ لَهُم نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ استفهام بمعنى الشرط^(٢)، يقول: لو كان لهم نصيب من الملك ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾^(٥٣) وهو ما يكون على ظهر النواة من النقطة.

﴿أَمْرٌ يُحْسِدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَآءَاتِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ بل يحسدون محمدًا صلى الله عليه وسلم^(٣) على ما أعطاه الله من فضله من النبوة، وكثرة النساء، وكانوا يحسدون رسول الله وقالوا: ما له همة إلا النساء، ولو كان نبيًا لشغلته النبوة عن النساء^(٤).

(١) كل هذه الأقوال مروية عن السلف، ورجح ابن جرير القول الأخير، لأنه الجامع لها (تفسير الطبري ٨/٤٥٦، الكشف والبيان ١٠/٤٠٤).

(٢) وهو يفيد النفي والإنكار، معامي الفراء ١/٢٧٣، تفسير الطبري ٨/٤٧٢، معاني الزجاج ٢/٦٢، الكشف ١/٥٢١.

(٣) وعلى هذا فالناس في هذه الآية من العام الذي أريد به الخصوص (تفسير الطبري ٨/٤٧٦).

(٤) وهذا الخبر رواه أبو حمزة الثمالي مرسلًا، انظر: الكشف والبيان ١٠/٤١٣.

ثم قال: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ لداود وسليمان وغيرهما ﴿الْكِتَابَ﴾ يعني صحف إبراهيم ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الفهم ﴿وَأَتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا﴾ حتى أدخل لداود في ملكه تسعة وتسعين امرأة، وسليمان ثلاثمائة، فليس ما أعطينا محمدًا أبدع^(١).

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ أي: بمحمد، مثل ابن سلام ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ أي: أعرض عنه ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ أي: نارًا لمن أنكر محمدًا صلى الله عليه وسلم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِءَايَاتِنَا﴾ بمحمد والقرآن ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ ندخلهم ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ أي: احترقت في النار ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ أنبتنا عليهم جلودًا غير محترقة، وقيل: يزداد في أعضائهم عظمًا^(٢) ترده إلى الحالة الأولى ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي: يجدوه عودًا كما وجدوه بدأ.

قال الحسن: بلغنا أنها تنضج كل يوم سبعين ألف مرة^(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي: منيعًا في انتقامه، حكيم بالعذاب لمن جحد برسوله، ثم بين مستقر المؤمنين فقال:

ورواه الطبري في التفسير (٤٧٨/٨) عن ابن عباس من طريق العوفي، وعن السدس والضحاك.

(١) انظر الروايات في ذلك في تفسير الطبري ٤٧١/٨، والكشف والبيان ١٠/٤١٤.

(٢) كذا في الأصل، وقد تكون: غلظًا. لكن تصحفت.

(٣) رواه الطبري في التفسير ٤٨٥/٨، زاد في رواية: وغلظ جلد الكافر أربعون ذراعًا، الله أعلم بآي ذراع.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا ۖ مع نعيمها ۖ﴾ ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَدُخْلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۖ﴾ ﴿٥٧﴾ أي: ظلاً كنيئاً من حر الشمس، فليس فيها حر ولا برد.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ قيل: أراد به كل مؤتمن على شيء، وقيل: نزلت في قصة مفتاح الكعبة، حيث أخذه رسول الله من عثمان بن طلحة، وكان العباس يطلب ذلك من رسول الله، فأمر الله برد المفتاح إلى عثمان^(١).

﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ بين عثمان والعباس ﴿أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ القسط، السدانة لعثمان والسقاية للعباس ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعْظُكُمْ بِهِ﴾ أي: نعم الشيء الذي أمركم به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ لمناشدة عثمان إياك في مسألة المفتاح ﴿صَبِيرًا﴾ ﴿٥٨﴾ بردك إلى عثمان.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ في الفرائض والأمر والنهي ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ في السنن ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قيل: الأمراء، وقيل: أمراء الأجناد، وقيل: العلماء، وهو قول ابن عباس وجابر ومجاهد وعطاء والحسن وأبي العالية^(٢).

﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَوَدُّهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: اختلفتم في أمر الدين فكلوا أمره إلى كتاب الله ﴿وَالرَّسُولِ﴾ [ورسوله] ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ تقرون وتصدقون بالله وبوحدانيته ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ البعث ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٥٩﴾ نصب على التمييز^(٣)، أي: أكرم وأحمد عاقبة.

(١) رواه الطبري في التفسير ٨/ ٤٩٢، وهو من مراسيل ابن جريج والزهري.

(٢) انظر أقوالهم في تفسير الطبري ٨/ ٤٩٥، والكشف والبيان ١٠/ ٤٣٠، البسيط ٦/ ٥٣٩، زاد المسير ١/ ٤٢٣.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٣٦٧.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من التوراة ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾^(١) يتخاصموا إلى كعب بن الأشرف.

نزلت في منافق تخاصم يهوديًا، وقال له: أخاصمك إلى كعب، وقال اليهودي: إلى محمد، فاختصما ففضى رسول الله لليهودي على المنافق، فلما خرج قال: ننطلق إلى عمر فدخلا عليه وأخبره اليهودي بقضاء رسول الله، فضربه عمر بسيفه إذ لم يرض بقضاء رسول الله عليه السلام، فنزلت الآية^(٢).

يريدون أن يتحاكموا إلى الجبت والطاغوت ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ قال الضحاك: الطاغوت الشيطان الذي كان مع كعب^(٣).

﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٤) عن الحق والهدى.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ أي: إلى حكم الله وحكم رسوله ﴿وإلى الرسول رَأَيْتَ الْمُنفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾^(٥) يعرضون عنك إعراضًا.

﴿فَكَيفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ قال مقاتل: لما قتل عمر رضي الله

(١) في الأصل: الجبت والطاغوت، وهو خطأ في الآية.

(٢) هذه رواية الكلبي كما في الكشف والبيان ٤٥٣/١٠، وعن الشعبي نحوه، وليس فيه ذكر لعمر، رواه الطبري في التفسير ٥٠٨/٨، ولعله أشبه بالصواب.

ولفظه: كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فكان المنافق يدعو إلى اليهود، لأنه يعلم أنهم يقبلون الرشوة، وكان اليهودي يدعو إلى المسلمين، لأنه يعلم أنهم لا يقبلون الرشوة. فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن من جُهينة، فأنزل الله فيه هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ الآية، وعن حضرمي وقتادة نحوه.

(٣) نحوه في تفسير الطبري ٥١٣/٨.

بَشْرًا الْمَنَافِقُ جَاءَ أَوْلِيَاءَهُ يَطْلُبُونَ الدِّيَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ لَكُمْ ذَلِكَ» فَرَجَعُوا وَنَدَمُوا، ثُمَّ جَاءُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَكَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذْ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ وَهُوَ قَتَلَ عَمْرَ بَشْرًا^(١).

﴿بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَهُمْ﴾ جَنَائِتِهِمْ ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ مُعْتَذِرِينَ ﴿إِنْ أَرَدْنَا﴾ مَا أَرَدْنَا بِمَطَالَبَةِ الدِّيَةِ ﴿إِلَّا إِحْسَنًا﴾ يَعْنِي الْخَيْرَ وَالْمُوَافَقَةَ، وَقِيلَ: مَا أَرَدْنَا بِتَرْكِ الْإِخْتِصَامِ إِلَيْكَ إِلَّا الْإِحْسَانَ إِلَيْكَ كَيْلَا تَشْغَلَكَ خُصُومَتُنَا ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ أَي: طَلَبْنَا التَّوْفِيقَ مِنَ اللَّهِ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِنَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْتَصِمَ فِيهِ إِلَيْكَ. ﴿أَوَّلِيَّكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أَي: لَا تَعَاقِبِهِمْ ﴿وَعَظَّمَهُمْ﴾ بِلِسَانِكَ ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ أَي: خَوْفُهُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ الثَّانِيَةَ عَاقِبَتُكُمْ بِالْقَتْلِ بَرْدَ حَكْمِي وَقَضَائِي.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أَي: لَمْ نَرْسَلْ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا أَمَرْنَاهُمْ بِطَاعَتِهِ، بِإِذْنِ اللَّهِ: أَيِ بِأَمْرِهِ، وَلَمْ يَطْعَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِأَمْرِي ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بِمَطَالَبَةِ الْحُكْمِ إِلَى الطَّاعُوتِ ﴿جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ تَابُوا إِلَى اللَّهِ ﴿وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ طَلَبَ لَهُمُ التَّوْبَةَ ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ قَابِلًا لِلتَّوْبَةِ لِمَنْ تَابَ مِنَ الذَّنْبِ، رَحِيمًا حَنِينًا بِهِمْ.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مَعْنَاهُ: فَوَرَبِّكَ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُونَ بِكَ ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أَي: يَجْعَلُوكَ حَكَمًا، وَيَرْضَوْنَ بِحُكْمِكَ فِيمَا اخْتَلَفُوا ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ أَي: لَا يَجِدُوا لِحُكْمِكَ شَكًّا فِي قُلُوبِهِمْ ﴿وَمِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ يَنْقَادُوا لِحُكْمِكَ انْقِيَادًا.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ نزلت في يهودي قال لثابت بن قيس: لو أمرني رسول الله أن أقتل نفسي لقتلت^(١)، فنزل: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ من اليهود عبد الله بن سلام وأصحابه، ومن المؤمنين ثابت بن قيس وعمار وعبد الله بن مسعود ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعْظُونَ بِهِ﴾ يؤمرون به ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ من الشرك والنفاق ﴿وَأَشَدَّ تَثِيئًا ۖ﴾ أي: ثباتًا على الصواب.

﴿وَإِذَا لَأَتَيْنَهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿مِّنْ لَّدُنَّا﴾ بتفضلنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿ثَوَابًا وَافِرًا﴾.

﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ حفظناهم على دين الإسلام، ويقال نصرناهم.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ قيل: نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله فقال يومًا: أخاف أن لا ألقاك في الآخرة يا رسول الله، فنزلت الآية^(٢).

ومن يطع الله في الفرائض والرسول في السنن ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ يعني من يطع، وكلمة من تصلح للواحد والجمع والمثنى.

﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بالنبوة ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ أفاضل الصحابة ﴿وَالشُّهَدَاءَ﴾ الذين يستشهدوا في طاعة الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ عامة المستورين من المسلمين ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ يعني ما أحسن هؤلاء الرفقاء.

(١) وهو قول السدي كما في تفسير الطبري ٥٢٦/٨.

(٢) هذه القصة من رواية الكلبي، كما في أسباب النزول للواحدي ١٦٨، وذكرها الثعلبي في الكشف والبيان ٤٦٥/١٠، وقد ورد نحو هذا في مرسل سعيد بن جبير ومسروق، كما في تفسير الطبري ٥٣٤/٨، بل يكاد يكون إطباق من المفسرين في أن ذلك سبب النزول.

﴿ذَلِكَ [الْفَضْلُ]﴾ الثواب ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ مَنَّةٌ مِنْهَا عَلَيْهِمْ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾^(٧٠) بخلقه، وبحب ثوابان لك وثوابه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ أي: احذروا عدوكم بأخذ سلاحكم ﴿فَانْفِرُوا ثَبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾^(٧١) اخرجوا إلى قتالهم جملة وفردى.

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ لام الأول لام ابتداء، والثاني لام القسم، ونون التأكيد^(١).

والإبطاء: إطالة مدة العمل، والقسم فيه مضمر، كأنه قال: وإن منكم لمن أحلف بالله يبطن يتأقلن عن الجهاد، وقيل ليكسِلَنَّ المؤمنين عن الجهاد. ﴿فَإِنْ أَصَبْتُمْ مُصِيبَةً﴾ نكبة وهزيمة ﴿قَالَ﴾ من أبطأ ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ﴾ بالجلوس ﴿إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ﴾ [شَهِيدًا]^(٧٢) حاضراً^(٢).

﴿وَلَئِنْ أَصَبَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾ ظفر ودولة ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْسَتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٧٣) أي: أسعد سعادة عظيمة بالغنيمة، وفي الآية تقديم وتأخير، كأنه قال: قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً كأن لم يكن بينكم وبينه مودة، ثم ولئن أصابكم فضل من الله.

قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: في طاعته ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ يبتغون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ أي: يبذلون أنفسهم وأموالهم في سبيل الله ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ أي: يقتل شهيداً، أو يظفر على

(١) البسيط ٦/ ٥٨٦، الكشف ١/ ٥٣٢.

(٢) شهيداً هنا بمعنى حاضراً، وليست من الشهادة، لأن الآية في المنافقين، وهم لا يؤمنون بذلك. قال قتادة: هذا قول مكذب، وقال ابن جريج: شامت (تفسير الطبري ٨/ ٥٣٩).

العدو ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ أي: نعطيه ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٧٦﴾ ثوابًا وافراً الجنة.

ثم ذكر كراحتهم للقتال فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ معشر المؤمنين ﴿لَا تَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعته ﴿وَالْمُسْتَضَعِّفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الصغار، أي: لم لا تقاتلوا في سبب المستضعفين المقهورين المأسورين؛ من الرجال الزمنى؛ والنساء والولدان الصغار ﴿الَّذِينَ﴾ بمكة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ ونجنا ﴿مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يعنون مكة ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ الكافر أهلها.

وإنما خفض الظالم ورفع الأهل لأن الظلم نعت الأهل، والأهل في موضع الخفض؛ لأنه مضاف إليه، فعاد إعراب الأهل على القرية، وإعراب القرية على الأهل، كما يقال: مررت بالرجل الواسعة داره ومررت برجل حسنة عينه^(١).

﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ بفضلك معينا ﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ أي: بفضلك ﴿نَصِيرًا﴾ مانعاً يمنعنا من المشركين، فاستجاب الله دعاهم وفتح مكة، وجعل رسوله ولياً لهم، واستعمل رسول الله عتاب بن أسيد، فجعله الله لهم نصيراً ينصف الضعيف من القوي^(٢).

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لطلب مرضاته وإعزاز دينه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الظَّالِمِينَ﴾ في طاعة الشيطان ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: أتباعه وقرناه ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ ومكره ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ ﴿٧٦﴾ وكلمة كان زائدة^(٣).

(١) منقول من الفراء في معاني القرآن ١/ ٢٧٧، وانظر: الكشف والبيان ١٠/ ٤٧٣، الكشف ١/ ٥٣٥، التبيان ١/ ٣٧٣، الدر المصون ٤/ ٣٨.

(٢) هذا تفسير الكلبي، ومثله في الكشف والبيان ١٠/ ٤٧٤، والكشاف ١/ ٥٣٤.

(٣) قال الواحدي: وفائدة إدخال كان التأكيد لضعف كيده، وذلك أن كان يدل على لزوم الضعف كيده، خلاف العارض الذي لم يكن ثم كان، وكيده مما يلزمه صفة الضعف، وليس عارضة فيه، بدلالة كان على هذا المعنى (البسيط ٦/ ٦٠٥).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عن القتال، وهم مقداد بن الأسود، وسعد ابن أبي وقاص، وابن عوف^(١) ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَامَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ [الْقِتَالُ]﴾ بالمدينة إلى بدر الصغرى ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾ أي: الكفار ﴿كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي: خشيتهم من الله ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ بل أشد خشية ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ هلا أمهلتنا إلى منتهى أجلنا لنموت على فراشنا.

وقيل: نزلت في المنافقين^(٢).

﴿قُلْ مَتَّعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ منفعة يسيرة تنقطع وتزول ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ أي: أبقى وأدوم لمن وحّد الله ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ لا ينقص من عملهم ذلك القدر^(٣).

(١) هذا نص الكلبي، كما في الكشف والبيان ١٠/٤٧٥، ورواه الطبري في تفسيره ٨/٥٤٩ عن ابن عباس قال: «إن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، كنا في عزّ ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، فقال: إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا. فلما حوّل الله إلى المدينة، أمر بالقتال فكفوا، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾، الآية». وفي منته نكارة من جهة تسمية عبد الرحمن بن عوف، فإن هذا رواه الحسين بن واقد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عنه، لكن ابن جريج رواه عن عكرمة مقطوعاً عليه، فلم يذكر فيه عبد الرحمن، وكذا روي عن قتادة مرسلًا، فيخشى أن ابن واقد وهم في ذكره، واتبع فيه رواية الكلبي، فهو الذي سمى عبد الرحمن وأصحابه، كما نقل المصنف، والكلبي متروك في الرواية.

(٢) يعني قوله: «إذا فريق منهم»، لا أول الآية، انظر: الكشف والبيان ١٠/٤٧٦. ويدل على هذا أن الآية التي تليها من صفات المنافقين.

(٣) أي قدر الفيل، وهو الشيء الذي يكون في شق النواة، وعن ابن عباس: هو ما تقتله يديك ثم تلقيه احتقاراً. (الكشف والبيان ١٠/٤٧٧، البسيط ٦/٦٠٩).

﴿أَيَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ حيث كنتم في أرض الله وبلاده، أو في رحالكم ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ في قصور محصنة مرتفعة إلى عنان السماء؛ وكانت الروح من حديد لمُتَمَّ ﴿وَإِنْ تُصَبِّهُمُ حَسَنَةٌ﴾ خصب ورخص ﴿يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي: فضل الله ﴿وَإِنْ تُصَبِّهُمُ سَيِّئَةٌ﴾ جذب وغلاء سعر ﴿يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي: من شؤمك وشؤم أصحابك ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمنافقين ﴿كُلُّ مَنِّ عِنْدِ اللَّهِ﴾ السلامة والغنيمة والهزيمة والبلاء والشدة؛ كله بقضاء الله وقدره ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ من المنافقين واليهود ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ ٧٨ ﴿﴾ أي: لا يفهمون عن الله تعالى.

ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ أي: نعمة وغنيمة كيوم بدر ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ أي: هزيمة كيوم أحد ﴿فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ وأنا قدرتها عليك، وقيل: بذنب أصحابك بتركهم المركز^(١).
﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ إلى كافة الخلق ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ٧٩ ﴿﴾ عالمًا بمن آمن ومن جحد^(٢).

وقيل: في الآية تقديم وتأخير معناه ما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا وهو قولهم: ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله^(٣).

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ﴾ في سنته وهُدايه ﴿فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ في فرائضه ﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض عن تصديقه وطاعته ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ ٨٠ ﴿﴾ أي:

(١) تفسير أبي الليث ١ / ٣٢٠.

(٢) الشهيد هنا بمعنى الشاهد، أي شاهدا عليك بالبلاغ (تفسير الطبري ٨ / ٥٦١، تفسير أبي الليث ١ / ٣٢٠).

(٣) مثله في تفسير أبي الليث ١ / ٣٢٠، الكشف والبيان ١٠ / ٤٨٢.

مسلطاً^(١)، وهذا الحرف نسخته آية السيف^(٢).

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ يعني المنافقين يقولون بحضرتك: أمرك طاعة ﴿فَإِذَا بَرِزُوا﴾ أي: خرجوا ﴿مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ﴾ أي: غير وبدل ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾ أي: يعلم ما يغيرون ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تعاقبهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٨١﴾ مانعاً.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ﴾ أصل التدبُّر: النظر إلى عواقب الأمور.

والفرق بين التفكير والتدبُّر: أن التدبُّر نظر القلب في العواقب، والتفكر نظر القلب في الدلائل.

ومعنى الآية: أفلا يتعظون بمواعظ القرآن ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ أي: من عند مخلوق ﴿لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ﴿٨٢﴾ أي: تناقضاً كبيراً.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ يعني المنافقين ﴿أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ﴾ إن خبر من أمر السرايا [بالفتح]^(٣) كتموه، وإذا جاءهم خبر من الخوف ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ فشو ذلك الخير لِيُخْزِنُوا الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي: خبر العسكر ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَالْأُولَى الْأَمْرِ﴾ أي: أمراء السرايا، وقيل: إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﴿لَعَلِمَهُ [الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ]﴾ أهل الاستنباط منهم، أي: الذين يطلبون صحة الخبر من غير إفشاء المنافين، وقيل: أولو الأمر أهل العلم والفقه وقيل: ﴿يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ يتحسسونه ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

(١) هذا من لازم المعنى، فإن الحفيظ: الرقيب والمحاسب (الكشف والبيان ١٠ / ٤٨٥).

(٢) تفسير أبي الليث ١ / ٣٢٠، الكشف والبيان ١٠ / ٤٨٢.

(٣) سقطت على الناسخ ولا بد منها لتصحيح السياق، وهي في مصادر المؤلف: كتفسير الكلبي

(تفسير أبي الليث ١ / ٣٢١، تنوير المقباس ٧٥).

﴿٨٣﴾ أغراكم الشيطان، وقيل: لولا فضل الله بإرسال الرسل وإنزال القرآن ما اهتديتم إلى معرفته إلا قليلاً.

ثم أمر رسوله بالخروج إلى بدر الصغرى فقال: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ أي: لا يؤمر بهذا الجهاد إلا أنت، وقيل: ليس عليك وزر غيرك ﴿وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على القتال ببيان ثوابه ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: قتالهم.

فانطلق رسول الله وامتنع أبو سفيان عن الحضور حتى رجع رسول الله سالماً مع ثواب المجاهدين^(١).

﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ قوة وعذاباً في الدنيا ﴿وَأَشَدُّ تَنَكُّلاً﴾ عقوبة في الآخرة.

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً﴾ أي: من يصلح بين اثني ويدلهما على الطاعة ﴿يَكُنْ لَهُ﴾ للمصلح ﴿نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ أي: ثواب ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً﴾ أي: يمشي بين اثنين بالنميمة، ويغري أحدهما على الآخر ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ أي: من السيئة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ حافظاً ومقتدرًا، وقيل هو الذي بيده الأرزاق والأقوات.

والشفع في اللغة: هو الزيادة، فقوله ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً﴾ أي: من يزد عملاً إلى عمل^(٢).

(١) وكانت هذه الغزوة في شعبان من السنة الرابعة، السيرة النبوية لابن هشام ٢٢١/٣.

وهذا الخبر من رواية الكلبي عن ابن عباس، ولذا لم يذكره ابن جرير، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٤٩٣/١٠.

(٢) اعتمد المصنف على قول الكلبي، ولم يذكر قول غيره في تفسير هذه الآية، والمرجح في هذه الآية عند ابن جرير العموم، وإن كان بدء نزولها في الجهاد، قال ابن جرير (في التفسير

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ قيل: إذا حييتم بسلام فأجيبوا بأحسن منه وأكمل، وهو أن يزيد في الجواب: الرحمة والبركة، وقيل: إذا أهدى إليكم مسلم هدية فعوضوه بأحسن منها ﴿أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ أي: شهيدًا حفيظًا.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ كُومُ﴾ في البرزخ ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ الذي يقومون فيه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ عند المؤمنين ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ لأنه لا يكذب، ولا يجوز عليه الكذب.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾ يقول: ما لكم -معشر المؤمنين- صرتم في معنى المنافقين فرقتين، محل لدمائهم؛ ومحرم لها.

نزلت في سبعة نفر ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، ثم خرجوا من مكة إلى الشام، فقصد المسلمون قبلهم، وتكلموا فيه، فنزلت الآية^(١).

٨ / ٥٨١: «يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ من يَصْرِ يا محمد شفعا لوتر أصحابك، فيشفعهم في جهاد عدوهم وقتالهم في سبيل الله -وهو الشفاعة الحسنة- يكن له نصيب منها، وهو الحظ من ثواب الله وجزيل كرامته، ومن يشفع شفاعة سيئة، يقول: ومن يشفع وتر أهل الكفر بالله على المؤمنين به، فيقاتلهم معهم، وذلك هو الشفاعة السيئة؛ يكن له كِفل منها، يعني: بالكفل النصيب والحظ من الوزر والإثم...، وقد قيل إنه عنى شفاعة الناس بعضهم لبعض، وغير مستنكر أن تكون الآية نزلت فيما ذكرنا، ثم عُمَ بذلك كل شافع بخير أو شر».

(١) ونحو هذا مروي عن ابن عباس من طريق العوفي، وعن السدي من قوله (تفسير الطبري ٨ / ١٠، الكشف والبيان ١٠ / ٥٠٣).

والصحيح في سبب نزول هذه الآية ما البخاري (٤٥٨٩) ومسلم (١٣٨٤) والطبري ٨ / ٨: عن زيد بن ثابت: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى أحد، رجعت طائفة ممن كان معه، فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين، فرقة تقول: نقلهم، وفرقة

﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ [يَمَا كَسَبُوا]﴾ أي: ردهم إلى شركهم بخبث نياتهم
 ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ معشر المؤمنين ﴿أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ أي: ترشدوا من خذله الله
 ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ﴾ أي: خذله عن دينه ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ ﴿٨٨﴾ ودينًا.

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا﴾ أي: تمنوا أن تشرکوا بالله كما اشركوا ﴿فَتَكُونُوا﴾
 هم وأنتم في الشر سواء ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا [مِنْهُمْ]﴾ من المرتدين ﴿أَوَّلِيَاءَ﴾ في النصرة
 في الدين ﴿حَتَّى يَهَاجِرُوا [فِي سَبِيلِ اللَّهِ]﴾ أي: يؤمنوا ويهاجروا إلى المدينة مرة
 أخرى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان والهجرة ﴿فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ في
 الحل والحرم ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿٨٩﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أي: يدخلون في أمان القوم
 الذي واثقتموهم، وهم: قوم هلال بن عويمر كان بينهم وبين رسول الله عهد^(١).

﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ معناه: إلا الذين يصلون إلى قوم قد
 جاءوكم حصرت صدورهم أي: ضاقت قلوبهم من قتالكم أو من قتال قومهم؛
 يحبون السلامة وركنوا إلى العافية؛ وهم بنو مدلج.

ثم ذكر ميثقه على رسوله وأمه، فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾
 يعني: بني مدلج، لو أراد أن يسلطهم عليكم لسلط ﴿فَلَقَتَلُوكُمْ﴾ مع قومهم ﴿فَإِنْ
 أَعَزَّلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ وَالْقُوا إِلَيْكُمْ أَلْسَمَ﴾ أي: الصلح، وخضعوا لكم
 بالصلح ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ ﴿٩٠﴾ أي: حجة في قتالهم.

تقول: لا، فنزلت هذه الآية: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُؤْمِنِينَ فَتَنٍ﴾ الآية، فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في المدينة: إنها طيبة، وإنها تنفي خبيثها كما تنفي النار خبث الفضة.

(١) وهذا قول عكرمة، قال: قوم هلال بن عويمر، وسراقة بن مالك، وخزيمة بن عامر (تفسير ابن

قال الضحاك: نُسِخَتْ بآية السيف^(١).

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ﴾ أي: غيرهم لم يعتزلوكم ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُامْنُوكُمْ﴾ أي: يأمنوا فيكم فلا تتعرضوا لهم ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ أي: في قومهم وهم أسد وغطفان^(٢) ﴿كُلَّ مَا رُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا﴾ متى دعوا إلى الشرك أجابوا إليها، وتكلموا بالإسلام وهم غير مسلمين ﴿فَإِنْ لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ أي: لم يمتنعوا عن قتالكم وأموالكم ﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ أي: لم يلقوا الصلح ﴿وَيَكْفُوكُمْ﴾ أي: لم يكفوا عن قتالكم ﴿فَاخْذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ أي: حجة ظاهرة. ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ أي: وما جاز لمؤمن ذلك.

قيل: نزلت الآية في أبي الدرداء حيث قتل الراعي خطأ^(٣).

(١) وناسخ ذلك براءة التي نزلت بعد فتح مكة، وهو إجماع من المفسرين كما قال ابن جرير (التفسير ٨/ ٢١، ٢٤).

(٢) سماهما الكلبي في روايته عن ابن عباس، وفي رواية العوفي لم يسم أحدا (الكشف والبيان ١٠/ ٥١١).

(٣) قال ابن زيد: «نزل هذا في رجل قتله أبو الدرداء، نزل هذا كله فيه، كانوا في سرية، فعدّل أبو الدرداء إلى شُعبٍ يريد حاجة له، فوجد رجلا من القوم في غنم له، فحمل عليه بالسيف فقال: لا إله إلا الله، قال: فضربه، ثم جاء بغنمه إلى القوم، ثم وجد في نفسه شيئا، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا شققت عن قلبه، فقال: ما عَسَيْتُ أُجِدُّ، هل هو يا رسول الله إلا دُمٌّ أو ماء؟ قال: فقد أخبرك بلسانه فلم تصدقه؟ قال: كيف بي يا رسول الله؟ قال: فكيف بلا إله إلا الله؟ قال: فكيف بي يا رسول الله؟ قال: فكيف بلا إله إلا الله؟ حتى تمنيتُ أن يكون ذلك مبتدأ إسلامي، قال: ونزل القرآن ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾. (تفسير الطبري ٩/ ٣٣).

وأما الاستثناء: قيل هو استثناء منقطع، أي: لا يقتله أصلاً، ولو قتله خطأً فحكمه كذا. ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ وتسليم دية كاملة إلى أولياء المقتول: مائة من الإبل، أو عشرة دراهم^(١)؛ على عاقلته وهم أهل ديوانه إن كان من أهل الديوان^(٢)، وعلى الأنساب^(٣) إن كان من أهل البادية، وإن لم يكن منهما فعلى بيت المال، يؤدون في ثلاث سنين.

﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ أي: يتصدق أولياء المقتول على القاتل ﴿فَإِنْ كَانَ﴾ المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ﴾ هو ﴿عَدُوٌّ لَّكُمْ﴾ أن يسلم في دار الحرب ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أي: المقتول مؤمن ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ أي: مصلية، ولا دية عليه ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ أي: مصلية، وكان رسول الله مع بعض العرب يتواثقون أن لا يقتل بعضهم بعضاً، فإن وقع قتل خطأ فهذا حكمه.

﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾ التحرير ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ لا يفطر فيهما يوماً ﴿تُوبَةً مِنَ اللَّهِ﴾ أي: رحمة منه لقاتل الخطأ، وإنما انتصبت بما تقدم^(٤)، أي: اعملوا بما أوجه الله عليكم توبة ليقبل توبتكم.

وأما رواية الكلبي والسدي ومجاهد، فسبب نزولها عياش بن أبي ربيعة قتل رجلاً لم يعلم بإسلامه (تفسير الطبري ٣٢/٩، الكشف والبيان ١٠/٥١٥).

(١) كذا في الأصل، وفيه خلل، والمشهور أن الدية: اثنا عشر ألف درهم على أهل الورق، وعلى أهل الذهب: ألف دينار، والله أعلم.

(٢) انظر الخلاف في ذلك في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٢٠/٥.

(٣) في الأصل: الإنسان، وهو تصحيف. والمقصود: أقرب الأنساب إليهم، ومحل تفصيل ذلك في كتب الفروع.

(٤) التبيان ٣٨١/١.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلفه ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿١٢﴾ حكم [ب] التوبة عليهم.
ثم قال: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ قيل: مستحلاً
لقتله.

وقيل: نزلت في شأن مقيس بن صبابه، وجد أخاه هشام بن صبابه مقتولاً في
بني النجار، فأخبر بذلك رسول الله، فقال لهم رسول الله: إن علمتم قاتل هشام
فادفعوه إلى أخيه، وإلا فادفعوا إليه الدية، فأعطوه مائة من الإبل على يدي رجل
من بني فهر، وهو رسول [رسول] الله إليهم، فلما رجعا من بني النجار وقربا
المدينة وسوس الشيطان [إلى] مقيس ابن صبابه، وأمره أن يقتل الفهري مكان
أخيه حتى تفضل له الدية، فأخذ صخرة فرماه فشدخ رأسه وقُتل، ثم رجع وساق
الإبل، وافتخر به في شعر له، وهو:

قَتَلْتُ بِهِ فِهْرًا وَحَمَلْتُ عَقْلَهُ سَرَاةَ بَنِي النَّجَارِ أَرْبَابِ فَارِعِ
وَأَذْرَكْتُ ثَأْرِي وَاضْطَجَعْتُ مُوسِدًا وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ
ورجع إلى مكة كافراً يعبد الأوثان^(١)، فنزلت.

قوله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ قاصداً لقتله ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾
خَلِيدًا فِيهَا ﴿بَشْرِكِهِ﴾ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴿بِأَخْذِهِ الدِّيَةَ﴾ وَلَعَنَهُ ﴿بِاعْتِدَائِهِ﴾
حيث قتل غير قاتل أخيه ﴿وَأَعَدَّ لَهُ﴾ بِجَرَائِهِ عَلَى اللَّهِ ﴿عَذَابًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٣﴾.
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ أي: فتعرفوا.
ومن قرأ: «فتبثوا» أي: امكثوا ولا تعجلوا^(٢).

(١) في الأصل: يعبد الله، وهو سبق قلم من الناسخ، وهذه القصة رواها ابن جرير في التفسير
١٦/٦، عن عكرمة مرسلًا، وانظر: الكشف والبيان ١٠/٥٢٠.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالثاء: فتبثوا، وقرأ الباقون: فتبينوا (النشر ٢/٢٥١).

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾^(١) نزلت في رجل من أصحاب رسول الله قتل مرداساً - وهو رجل من الصحابة - في سفر الغزو، ولا يعرفه، ومرداس يقول، والقاتل لا يصدقه وظن أنه يكذب^(٢).

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: الغنيمة ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَارِمٌ كَثِيرَةٌ﴾ يغنمكم ويرزقكم ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل إسلامكم تأمنون في قومكم من القتل بإقراركم، وقيل: يؤخذ من قبل أموالكم غنيمة.

﴿فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِ كُمْ﴾ بدينه ومتابعة رسوله ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ولا تعجلوا بقتل من ألقى إليكم السلام ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ لم يزل ولا يزال ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٣) يجزيكم بهذا غداً.

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ أي: في حال صحته ولا مرض به ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ﴾ مع الكفرة بأموالهم وأنفسهم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴿أَي: طلب طاعة الله ورضوانه بالمشوبة.

وقرى: «غير أولي الضرر» بالرفع^(٣)، وهو صفة القاعد أيضاً.

ثم قال: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ أي: على القاعدين ذي العذر درجة، أي: فضيلة ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ الجنة بالإيمان ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ الذين لا عذر لهم ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٤) ثم بين الأجر العظيم فقال:

(١) في الأصل: السَّلَام، وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن عامر وحزمة وخلف، وقراءة الباقيين كما أثبت (النشر ٢/ ٢٥١).

(٢) وهذا قول قتادة والسدي، كما في تفسير الطبري ٧٨/ ٩، وفيها أقوال أخرى.

(٣) وهذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحزمة ويعقوب (النشر ٢/ ٢٥١).

﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ قيل: مائة درجة، من درجة إلى درجة حُضِرَ^(١)

الجواد المضمَر سبعين سنة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للمجاهدين ﴿رَّحِيمًا﴾^(٦٦) للقاعدين حين رخص لهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ نزل في قوم من المنافقين خرجوا مع^(٢)

المشركين من مكة إلى حرب بدر، منهم قيس بن الفاكهة، فقتلوا، فسألتهم الملائكة عند قبض أرواحهم^(٣): ﴿قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم؟ ومن أي فريق كنتم؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ مقهورين في أيدي الكفار بمكة؛ فأخرجونا إلى الحرب كارهين ﴿قَالُوا﴾ أي: الملائكة ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾ أي: أرض المدينة آمنة ﴿فَتَهَاجَرُوا فِيهَا﴾ وتخرجوا من بين أظهر أعداء الله، وقيل: كانوا مؤمنين ولكن لما رأوا قلة المسلمين شكوا في أمر رسول الله، فكفروا به، فكانوا ظالمي أنفسهم أي: ظالمين أنفسهم نصب على الحال ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: منزلهم النار ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٦٧) لمن صار إليها، ثم استثنى فقال:

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ يعني: المقهورين بمكة من

الشيخ والنساء الأرامل والولدان الصغار ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ أي: لا يجدون زادًا وراحلة ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾^(٦٨) لا يعرفون طريقًا إلى المدينة.

﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ﴾ يتجاوز عن تقصيرهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾

عنهم بضعفهم وقلة حيلهم ﴿غَفُورًا﴾^(٦٩) جلوسهم وتخلُّفهم.

(١) أي: عدو الجواد، وهذا مروى عن ابن محيريز، انظر: تفسير الطبري ٩/ ٩٨، تفسير أبي الليث ١/ ٣٣٠، الكشف والبيان ١٠/ ٥٥٢.

(٢) في الأصل: من، وهو تصحيف.

(٣) رواه ابن جرير في التفسير ٩/ ١٠٣ عن ابن عباس وغيره. ولم يسم ابن عباس أحدا، إنما سماهم عكرمة وبعض المفسرين (الكشف والبيان ١٠/ ٥٥٢).

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا﴾ أي: متحولاً من أرض إلى أرض، وقيل: مطالباً للمعيشة والرزق، وقيل ملجأً.

وتقدير الآية: ومن يهاجر في سبيل الله من مكة إلى المدينة ويفارق أهله وأولاده فريداً وحيداً لوجه الله تعالى يجد في أرض المدينة متسعاً ومتحولاً وسعة في الرزق.

﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وهو جندع بن ضمرة الليثي خرج من مكة قاصداً المدينة فمات بالتنعيم وهو قوله: ﴿ثُمَّ يَذْكُرُهُ الْمَوْتُ﴾ بالتنعيم ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ وجب ثوابه على الله ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما كان منه ﴿رَحِيمًا ۝﴾ به بعد الإسلام، حيث تابع رسول الله وأخذ يده اليسرى بيده اليمنى عند الموت، وقال: اللهم هذه لك وهذه رسولك، أبايك على ما بايعك رسولك ومات فنزلت الآية^(١).

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي: إثم ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ صلاة المقيم الظهر والعصر والعشاء ركعتان ركعتان، والمغرب والفجر بحالهما، وكذلك الوتر والسنن ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني يقتلكم الكفار في الصلاة ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ۝﴾ أي: بين عداوتهم.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ نزلت هذه الآية بغطفان، وكان المشركين عزموا الإيقاع على المسلمين إذا اشتغلوا بالصلاة، فأطلع الله نبيه على ذلك وأمره بالتحري^(٢) ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ أي: مع أصحابك في غزوة ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ أمت بهم في صلاة الخوف ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ [مِنْهُمْ]

(١) خبره في تفسير ابن جرير ١١٤/٩، والكشف والبيان ٥٥٨/١٠، وقد اختلف في اسمه.

(٢) جمع ابن كثير الروايات الواردة في سبب نزول هذه الآية في مبحث نفيس في تفسيره ٤٠٠/٢.

أي: جماعة من أصحابك ﴿مَعَكَ﴾ في الصلاة فتكبر ويكبرون، وتقوم طائفة بإزاء العدو ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ أي: الطائفة الذين يحذرو^(١) العدو ﴿أَسْلِحَتْهُمْ﴾ ليدفعوا بها بأس العدو عن أنفسهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ أي: الطائفة التي معك ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ الطائفة الأخرى ﴿مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ يحفظون ظهوركم ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى﴾ التي كانت يحذرو^(٢) العدو ﴿لَمْ يُصَلُّوا﴾ أي: لم يدركوا أول الصلاة ﴿فَلْيَصَلُّوا مَعَكَ﴾ الركعة الثانية ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ الذين...^(٣) العدو ﴿حَذَرَهُمْ وَأَسْلِحَتْهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: تمنى الذين كفروا ﴿لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾ أي: تضعون أسلحتكم ﴿وَأَمْتَعَتِكُمْ﴾ آلة الحرب ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ أي: يحملون جملة واحدة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ أي: احذروا في جميع الأحوال ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ﴾ أي: خلق وهياً ﴿لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا﴾ معناه: فإذا فرغتم من الصلاة أي صلاة الخوف فاذكروا الله قيامًا وقعودًا، قيامًا للصحيح وقعودًا للمريض ﴿وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ إن لم تستطيعوا القعود ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾ رجعتم إلى منازلكم وأمنتم من العدو ﴿فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ﴾ أربعًا ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ أي: فرضًا مؤقتًا، في كل يوم وليلة خمس مرات. ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ ثم رجع إلى ذكر الخروج إلى بدر الصغرى، يعني: لا تضعفوا أيها المؤمنون في طلب أبي سفيان وأصحابه ﴿إِنْ تَكُونُوا

(١) في الأصل: يحذرو، وهو تصحيف، لأنها لو كانت يحذرو لكانت: يحذرون.

(٢) في الأصل: تجد، وهو تصحيف.

(٣) هاهنا كلمة مصحفة حاول أن يصلحها فما تم له ذلك، والمعنى مفهوم: الذي واجهوا العدو..

تَأْلُمُونَ ﴿تَتَوَجَّعُونَ مِمَّا أَصَابَكُمْ مِنَ الْجَرَاخَةِ﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ﴾ أي: يتوجعون أيضًا كما تتوجعون ﴿وَتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ النصر الذي وعدكم، وإظهار دينكم على سائر الأديان، والجنة في العقبى ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم، لأنهم غير مقرين بالآخرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمصالحكم وما أصابكم من الجراحات ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿١٦﴾ حكم عليكم ابتغاء القوم.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ دون الباطل، والحق: وضع الشيء في موضعه على ما ترجو إليه الحكمة.

﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ بما أعطاك الله من الفهم في القرآن، وقيل بما علمك الله من الحكمة ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ ﴿١٥﴾ نزلت في طعمة ابن أبيرق، سرق درعًا وخبأه عند يهودي، فاقتفوا أثر السارق فوجدوه عند اليهودي، فقال: وضعه عندي طعمة ابن أبيرق، فكذب قوم طعمة اليهودي، وحلف طعمة أنه لم يأخذ، وهم رسول الله باليهودي، فنزلت الآية ^(١).

أي: لا تكن لطعمة السارق مخاصمًا معينًا له.

﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ من همك باليهودي ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ متجاوزًا عنك ﴿رَحِيمًا﴾ ﴿١٦﴾ بك.

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ بالسرقة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾ كل ﴿مَنْ كَانَ خَوَانًا﴾ سارقًا ﴿إِثِمًا﴾ ﴿١٧﴾ فاجرًا بربه.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾ يستترون من قوم طعمة ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا يقدروا أن يستتروا من الله ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ عالم بهم ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا

(١) قصة ابن أبيرق مشهورة في كتب التفسير، وقد روى الطبري جل الروايات الواردة في ذلك في تفسيره ١٧٦/٩.

يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ۖ أَي: يؤلفون من التهمة لليهودي ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا
يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝١٨﴾ أَي: بأعمالهم الخبيث عالماً.

﴿هَآأُنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ ها أنتم تنبيه، أَي: أنتم يا هؤلاء يعني قوم طعمة ﴿جَدَلْتُمْ
[عَنْهُمْ]﴾ في حرف أَبِي: عنه^(١)، أَي: خاصمتم عن طعمة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾
أَي: في الدنيا ﴿فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا
۝١٩﴾ حافظاً ومانعاً من النار، ثم عرض التوبة على طعمة فقال:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بالسرقه والحلف الكاذب ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ
اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٢٠﴾ سائر الذنوب رحيمًا بعد إنابته.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ أَي: سرقة ويحلف بالله كاذبًا ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهِ عَلَى
نَفْسِهِ﴾ أَي: جنايته على نفسه ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ لم يزل ولا يزال ﴿عَلِيمًا﴾ بسارق
الدرع ﴿حَكِيمًا ۝٢١﴾ حكم القطع على السارق.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ أَي: سرقة ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ يمينًا كاذبًا ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ
بُرْيَانًا﴾ ثم يتهم بالإثم والسرقة طاهرًا من ذلك، يعني اليهودي ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلَ
بُهْتَانًا﴾ أَي: استوجب عقوبة بهتانه وكذبه ﴿وَإِنَّمَا مُبِينًا ۝٢٢﴾ أَي: عقوبة ذنب بين
عند الله تعالى.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ بالوحي والنبوة ﴿لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ
يُضِلُّوكَ﴾ أَي: يجهلوك حتى تعذر السارق، وقيل: يستزلوك عن الحق، وهم
قوم طعمة ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتعاونهم على الإثم وشهادة الزور
والبُهتان ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ من عصمة الله إياك ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ

(١) في الأصل: عنهم، جرى على الجادة، ولا قراءة في ذلك، القراءة المروية كما أثبت، انظر:

الكشاف ١/ ٥٦٣، البحر المحيط ٣/ ٣٦٠.

﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ وبين فيه الحلال ﴿وَعَلَّمَكُمَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُونَ﴾ قبل الوحي ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة ﴿عَظِيمًا﴾ (١١٢).

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ﴾ أي: لا منفعة في كثير من أسرارهم، يعني طعمة وقومه ﴿إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ إلا في نجوى من أمر بصدقة وإعطاء فقير ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ أو أمر بإعطاء قرض ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي: يكون بين الحاضرين تشاجر فيصلح بينهما ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الذي ذكرنا ﴿ابْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ طلباً لرضاه ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٣) في الجنة.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ أي: يخالفه، يعني طعمة ﴿مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ التوحيد ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ديناً غير دين الإسلام ﴿نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ أي: نتركه ما اختار لنفسه الكفر ﴿وَنُصَلِّهِ أَجْهَنَّهُ﴾ في الآخرة، أي: النار ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١١٤) أي: بئس ما صار إليه.

قيل: إن طعمة ارتد عن الإسلام بعد ظهور سرقة ونزول الآيات، فنزلت الآية (١):

﴿إِنِ اتَّخَذَ النَّاسُ حِزْبَيْنِ﴾ أي: يتجاوز عن كفر من كفر (٢) ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: ما دون الشرك ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ من كان أهلاً للمغفرة، قيل: يغفر لمن يشاء لمن لم يكن بينه وبين أحد مظلومة ولا مطالبة، فوهب الله تعالى حقه ما كان بينه وبين العبد ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١١٦) أي: جهل وتاه، أي: تحير جهلاً بعيداً عن الحق.

(١) وهذا على قول الجمهور فإن السياق مستمر في شأن طعمة، وفيه قول آخر (زاد المسير ٤٧٢/١).

(٢) وهو تفسير معنى المغفرة، لا النفي، وهذا عادة كتب التفسير التي تدمج القرآن بالتفسير، يكون التفسير راجعاً على المذكور أخيراً، فعلى القارئ أن يتنبه.

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا﴾ قيل: كان حي من أحياء العرب يقولون الملائكة بنات الله ويعبدونهم^(١).

وقال ابن عباس: أراد الأوثان، اللات والعزى ومناة، وكان ابن عباس يقرأ «أثنا»، يعني: وثنا، فبدل الواو عن الألف، كقوله: وقتت وأقتت^(٢).

﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ يعني إبليس، لأنهم إذا أطاعوه فقد عبدوه، والمريد: الخارج عن الطاعة المبعد من الرحمة.

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ طرده حين أبى أن يسجد لآدم، وقال الملعون حينئذ: ﴿لَا تَخَذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ﴾ لنفسي حظاً معلوماً.

قال ابن عباس: في كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة^(٣).

﴿وَلَا ضَلَّتْهُمْ﴾ عن الحق ﴿وَلَا مُنِيْنَهُمْ﴾ أي: أرجينهم طول الحياة، ولبعضهم لا جنة ولا نار ﴿وَلَا مُرْتَهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ﴾ عاذات الأنعم ﴿يشققونها، ويسمونها بحيرة وسائبة ووصية وحاماً﴾ ﴿وَلَا مُرْتَهُمْ فَلْيَغْيِرْ رَبَّ خَلَقَ اللَّهُ﴾ أي: يبدلن دين الله، وقيل بالإخصاء، وقيل بالوشم ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يطيعه ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ تاه وتحير وضل ضلالاً بيناً.

﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمَيِّنُهُمْ﴾ يرجيهم الأباطيل ويشككهم في البعث ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ في بقاء الدنيا وإنكار البعث ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً.

(١) وهو قول الضحاك، رواه ابن جرير في التفسير ٢٠٩/٩.

(٢) القراءة في تفسير الطبري ٢١٠/٩، والكشاف ٥٦٦/١، وزاد المسير ٤٧٢/١.

(٣) وهو من رواية الكلبي، كما في تنوير المقباس ٨٠، وروي عن مقاتل، انظر: تفسير أبي الليث

٣٤٠/١، الكشف والبيان ٥/١١.

﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مصيرهم إلى النار بشركهم ﴿وَلَا يَجْدُونَ عَنْهَا مَخِيصًا﴾ ﴿١٢١﴾ أي: منجى.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: وعدهم وعدًا حقًا ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ ﴿١٢٢﴾ أي: لا أصدق من الله وعدًا، نصب على التمييز.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ أي: ليس أمر الثواب باشتهاكم يا أهل مكة ﴿وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ من اليهود والنصارى ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ من يشرك بالله يُعَذَّبُ بالشرك، وقيل: من عمل معصية يكافأ به.

﴿وَلَا يَجِدُ لَهُ﴾ لنفسه ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ قريبًا ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٢٣﴾ مانعًا يمنعه.

وقيل إن المؤمنين قالوا: لا تضرنا المعصية مع الإيمان، واليهود قالوا: لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة فنزلت الآية.

وقيل: إن المؤمن يجزيه في الدنيا بالمصائب والأمراض، والكافر لا يجد له وليًّا ولا نصيرًا^(١).

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ﴿١٢٤﴾ أي: لا ينقص من أعمالهم مقدار ما تسع في نقرة ظهر النواة^(٢).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ﴾ يعني: وأي أحد أحكم دينًا وأحسن قولاً ممن أسلم ﴿وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: أخلص عمله لله ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله، وقيل: أخلص عمله أي لم يجعل عزيزًا ولده والمسيح ابنه واللات والعزى أربابًا دونه.

(١) تفسير الطبري ٩/ ٢٣٤، الكشف والبيان ١١/ ١١.

(٢) البسيط ٧/ ١١٢.

﴿وَاتَّبَعَ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي: لزمه، والحنيف الحاج والمختون
﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ﴿١٧٥﴾ اصطفاه، قيل: الخليل المحب الذي ليس في
محبه خلل.

قال التستري: «ملة إبراهيم أي لا يعتمد على أحد سواه ألا تراه قال
لجبريل أمّا إليك فلا»^(١).

وقيل: خليلًا أي فقيرا، كان لا يفتقر إلا إلى الله.

(١) تفسير التستري ٦٢.

والقصة المشهورة التي يتوارد المفسرون على ذكرها في سبب تسميته بال خليل ملخصها:
أنه أصاب أهل ناحيته جذبٌ، فارتحل إلى خليل له من أهل الموصل - وقال بعضهم: من
أهل مصر- في امتيار طعام لأهله من قبله، فلم يصب عنده حاجته. فلما قرب من أهله مرَّ
بمفازة ذات رمل، فقال: لو ملأت غرائري من هذا الرمل، لثلا أغم أهلي برجوعي إليهم بغير
ميرة، وليظنوا أنني قد أتيتهم بما يحبون! ففعل ذلك، فتحوّل ما في غرائره من الرمل دقيقًا،
فلما صار إلى منزله نام. وقام أهله، ففتحو الغرائر، فوجدوا دقيقًا، فعجنوا منه وخبزوا.
فاستيقظ، فسألهم عن الدقيق الذي منه خبزوا، فقالوا: من الدقيق الذي جئت به من عند
خليلك، فعلم، فقال: نعم هو من خليلي الله، قالوا: فسماه الله بذلك: خليلًا.
وفي بعض الألفاظ: أن مواليه هم من ملؤوا الغرارة رملا.

فهذه القصة أوردها شيخ المفسرين ابن جرير الطبري دون أن يسوق إسنادها، وقال في
التفسير ٢٥٢/٩: وقيل قد سماه الله خليلًا من أجل.. فذكره، وعلق الشيخ شاكراً: هذا دليل
آخر على اختصار أبي جعفر تفسيره في مواضع، كما قيل في ترجمته. فلو لا الاختصار، لساق
أخبار إبراهيم عليه وعلى نبينا صلى الله عليهما السلام. وقد سلفت أخبار إبراهيم في مواضع
متفرقة من التفسير..

قلت: لا شك أن هذا التفسير أخصر من الذي كان يريد أن يؤلفه، ولكن ليس هذا سبب
الاختصار هنا، إنما سببه أن القصة من رواية الكلبي عن ابن عباس (كما في الكشف والبيان
١٩/١١)، وهو كذاب في روايته هذه، فلأنها ليست من شرطه لم يسق إسنادها، وله في صنيعة
هذا نظائر.

وقال الشاعر في الفقر:

وإن أتاه فقير يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم^(١)

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ اتصال الآية: ^(٢) إن الله اتخذه خليلاً لا حاجة؛ فإن الله ما في السماوات وما في الأرض وهو عبد من عبيده ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ ^(٣) عالماً علم إحاطة، والمحيط بالشيء: الذي علمه بجميع جهاته، يُعلمكم أيضاً ويفتيكم، وعلم الإحاطة: أن يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون وما هو كائن وما أن لو كان كيف يكون.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ وميراثهن من أبيهن ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ أي: يبين لكم ويعلمكم ﴿فِيهِنَّ﴾ في ميراثهن ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ الذي يقرأ عليكم في أول هذه السورة ﴿فِي يَتَلَمَّى النِّسَاءِ﴾ أي: بنات أم كجّة وقد مات زوجها وترك بناتاً، وأخذت الورثة مالها، ولم يعطوا البنات شيئاً على عادة الجاهلية، فجاءت أم كجّة إلى رسول الله وأخبرته، فنزلت الآية^(٤).

وقيل: أراد بهذه الآية ذكر قوله: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ﴾ الآية.

(١) كذا أنشد البيت، وهو لزهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان، وإنما يتم له الشاهد برواية: وإن أتاه خليل.. وهكذا هو في معاني الزجاج ١١٢/٢، الكشف والبيان ٢١/١١، البسيط ١١٤/٧، وقال: الخليل الفقير.

(٢) أي مناسبتها.

(٣) في الأصل: علمه، وهو تصحيف.

(٤) خبر أم كجّة من رواية الكلبي كما في الكشف والبيان ٢٢/١١، ولذا لم يعرج عليه الطبري في التفسير ٢٦٠/٩.

﴿الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾
لدمامتهن^(١).

وقوله: ﴿وَالْمُسْتَضَعْفَيْنِ﴾ أي: يفتيكم في المستضعفين المقهورين ﴿مِنْ
الْوِلْدَانِ﴾ بمكة ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ أي: يفتيكم أن تحفظوا مال اليتامى
بالعدل ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ وإحسان إلى هؤلاء الفرق الثلاث ﴿فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ ﴿١٣٧﴾ يجزيكم بها.

﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ فكلمة الشرط لا تدخل على الأسماء؛
على التقديم والتأخير، ومعناه: إن خافت امرأة، يعني خولة بنت محمد بن
مسلمة تزوج عليها زوجها رافع^(٢).

﴿نُشُوزًا﴾ أي: بُغْضًا وعصيانًا، ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ منها إلى غيرها، قيل: النشوز
ترك الجماع، والإعراض ترك المجالسة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا
صُلْحًا﴾^(٣) على ما ترضى به المرأة: أن يتزوج عليها غيرها ويكون عندها كذا
وعند غيرها كذا.

(١) فأن هنا بمعنى عن أن: أي ترغبون عنهن (تفسير الطبري ٩/ ٢٦٤).

(٢) عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار: أن رافع بن خديج كان تحته امرأة قد خلا من سنها،
فتزوج عليها شابة، فأثر الشابة عليها. فأبى أمرأته الأولى أن تقيم على ذلك، فطلقها تطليقة.
حتى إذا بقي من أجلها يسير قال: إن شئت راجعتك وصبرت على الأثرة، وإن شئت تركتك
حتى يخلو أجلك، قالت: بل راجعني وأصبر على الأثرة، فراجعها، ثم أثر عليها، فلم تصبر
على الأثرة، فطلقها أخرى وأثر عليها الشابة. قال: فذلك الصلح الذي بلغنا أن الله أنزل فيه:
﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ الآية، (تفسير الطبري ٩/ ٢٧٥).

(٣) في الأصل: يَصْلِحَا، وهي قراءة من سوى الكوفيين، وقرأ الكوفيون كما أثبت (النشر
٢/ ٢٥٢).

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الجور، وقيل: من المفارقة والمباراة ﴿وَأُحْضِرَتِ
الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ أي: جُبِلَتْ الأنفس على البخل، أي: تشح المرأة بمكانها من
زوجها والرجل يشح بنفسه على المرأة إذا كانت غيرها أحب إليه ﴿وَإِنْ
تُحْسِنُوا﴾ إلى النساء بجميل العشرة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور والميل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من العدل والجور ﴿خَبِيرًا﴾ ﴿١٢٨﴾ يجزيكم عليهما.

ثم قال: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا﴾ أبداً ﴿أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ بين الشابة والكبيرة في
الحب ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك وجهدتم، لأن الحب مخلوق في القلب ﴿فَلَا
تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ بالبدن ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ أي: كالمسجونة؛ لا أيمًا
ولا ذات بعل ﴿وَإِنْ نُصْلِحُوا﴾ بينهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا
رَحِيمًا﴾ ﴿١٢٩﴾ لميلكم إلى الشابة رحيماً على من تاب من ذلك.

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ بالطلاق ﴿يُعِنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾ أي: برزقه الحاوي على
عباده ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ في الرحمة والعطاء ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿١٣٠﴾ فيما أمر بالفرقة.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هو مالك ما فيهما والمستحق
للربوبية ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: أمرنا
أهل التوراة والإنجيل وأمرناكم يا أمة محمد ﴿أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ وحده، ولا تشركوا
به، وقيل: اخشوه من أمر النساء فلا تظلموهن ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾ وصية الله فيهن
﴿فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تنبيه بعد تنبيه، أي: لا تطلبوا من غير الله
﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ ﴿١٣١﴾ أي: غنياً عن طاعة العباد، محموداً في فعاله،
يحمده العارف وغير العارف.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿١٣٢﴾ أي: حافظاً
وناصراً ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ أطوع
منكم، ولكنه لا يفعل لأنه غني عن العبادة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ ﴿١٣٣﴾
على ذهابكم وتخليف غيركم.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي: يريد بعبادته التي فرض عليه عرض الدنيا ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فليطلب ذلك في رضى الله ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ لمقالتكم ودعائكم ﴿بَصِيرًا﴾ (١٣١) بأعمالكم.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ حفظاً لأمر الله، وقيل: قوموا بالعدل وأشهدوا الله بالحق ﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ حق أقرب به ﴿أَوْ عَلَى الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴿بَغْنَاهُ وَفَقْرُهُ مِنْكُمْ﴾ وقيل: الله أولى بالتعظيم، فلا تميلوا في ذلك لفقره وغناه ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ أي: لا تعدلوا، فلا تطلبوا مراد الأقرباء في الشهادة ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ قيل تلجلجوا فتفسد الشهادة (١).

وقرى: «تلوا» من الولاية، يقول: إن أقمتم الشهادة أو (٢) عرضتم عنها (٣).

﴿أَوْ تَعْرِضُوا﴾ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿مِنْ كِتْمَانِ الشَّهَادَةِ وَإِقَامَتِهَا خَيْرًا﴾ (١٣٥) يجزيكم بها.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قيل: نزلت في عبد الله بن سلام (٤) ومن معه أسد وأسيد ابنا كعب؛ وثعلبة بن قيس، أتوا رسول الله وقالوا: نؤمن بك وبكتابك وموسى وعزير والتوراة ونكفر بما سواه، فنزلت الآية (٥).

(١) رواه الطبري في التفسير ٣٠٨/٩ عن قتادة.

(٢) في الأصل: إذا، وهو تصحيف لا معنى له، وعلى الصواب وردت في الكشف.

(٣) وهي قراءة ابن عامر وحمزة، كما في النشر (٢/٢٥٢).

قال الزمخشري في الكشف ١/ ٥٧٥، وقال: إن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها.

وانظر: التبيان ١/ ٣٩٨، الدر المصون ٤/ ١١٨.

(٤) في الأصل: مسلم، وهو تصحيف.

(٥) وهذه رواية الكلبي كما في تفسير أبي الليث ١/ ٣٤٧، الكشف والبيان ١١/ ٤٤.

وقيل: نزلت في المنافقين.

آمنوا بالله وبمحمد ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ^(١) أي: جميع الكتب، ثم قال: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١٣٦﴾ تحير تحيرًا طويلاً لا انقطاع له.

ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا﴾ قيل: آمنوا بموسى ثم كفروا بعد موته، ثم آمنوا بعزير ثم كفروا بعده بعيسى، ثم ازدادوا كفرًا بمحمد عليه الصلاة والسلام.

وقيل: آمنوا يوم الميثاق، ثم كفروا بعد البلوغ، ثم آمنوا بمحمد، ثم كفروا بالارتداد، ثم ازدادوا على الارتداد حيث أقاموا على الردة إلى الموت^(٢).

﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ﴾ إذا ماتوا على الكفر ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ ﴿١٣٧﴾ ولا ليرشدهم إلى طريق النجاة؛ وهو الإسلام. ثم قال:

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٣٨﴾ قال الزجاج: فيه دليل على أن الآية نزلت في المنافقين^(٣).

ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يتولون اليهود في العون والنصرة دون المؤمنين ﴿أَيَّبَتُّونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ أي: عند اليهود المنعة والغلبة ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ﴿١٣٩﴾ لا لليهود.

(١) في الأصل: الذي أنزل... والكتاب الذي أنزل، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقر كما أثبت. (النشر ٢/٢٥٣).

(٢) وعليه فالآية في المنافقين، ولا مانع من أن تكون شاملة أهل الكتاب والمنافقين معاً، وإن رجح ابن جرير أنها نزلت في أهل الكتاب لدلالة السياق قبلها (تفسير الطبري ٩/٣١٦)، فإنه يمكن أن تكون تأسيساً لذكر المنافقين بعدها، والله أعلم.

(٣) معاني القرآن ٢/١١٩،

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ أي: بين لكم في القرآن وأمركم ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾ أي: يجحد بمحمد والقرآن ﴿وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ أي: يسخر بها ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ القرآن وذكر محمد ﴿إِنَّكُمْ [إِذَا]﴾ إذا جالستموهم تكونوا ﴿مِّثْلَهُمْ﴾ لأنكم رضيتم بقولهم وفعلهم ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (١٠).

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ﴾ أي: ينتظرون هلالكم ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾ ظفر ونصرة ﴿قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: على دينكم، أعطونا من الغنيمة ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ أي: ظفر ودولة، قالوا للكافرين: ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾ ألم نخبركم بعورة محمد، والاستحواذ: الاستيلاء لغة، يقال: حاذ العير أنه؛ إذا بالغ في حفظها، وفي التنزيل ﴿أَسْتَحِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: استولى، فمعناه: ألم نغلبكم بالموالات لكم (١١).

﴿وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: منعناكم ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ يا معشر المنافقين واليهود ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يوجب لكل فريق منكم ما يستحق من العقوبة ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (١٢) أي: دولة.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ بألستهم غير تصديق في الإيمان ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ أي: يسرع لهم جزاء خداعهم وإضمار كفرهم، وخداعهم: المدد من الأموال والبنين في عاجل الدنيا، والخاتمة بالنار.

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا﴾ لا يتمون ركوعها وسجودها ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ يصلون رياء الناس ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٣) رياء وسمعة، ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرًا، عن الكلبي (٢).

(١) البسيط ١٥٧/٧.

(٢) تنوير المقباس ٨٣.

﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ مترددين بين الكفر والإيمان ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ ليسوا مع المؤمنين فيستحقون ثوابهم ﴿وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: ليسوا مع الكفار فيؤخذوا بما يؤخذ به الكفار من القتل والجزية ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ يجهله ويحيره ويغطي قلبه بظلمات معاصيه ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (١٤٣) أي: مخرجًا من ظلمته إلى الهدى.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وكان المؤمنون بعضهم يتولون اليهود والنصارى ليستقرضوا مالهم عند الحاجة، فنزلت الآية (١).

وقال: ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ أي: حجة في عقوبتكم ﴿مُيَبِّنًا﴾ (١٤٤).

﴿إِنَّ الْمُتَفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ يعني الدرج الأبعد، وقيل: الدرج والدرك واحد، وقيل: ما كان في الصعود فهو درج وما كان في الهبوط فهو درك (٢).

وإنما استوجبوا الأسفل لأنهم فاقوا الكفار بكفرهم، وفَضَّلُوا الكفار بمخادعتهم (٣) ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (١٤٥) مانعًا من النار.

وقال الحسن: إنما قُلْ لأنه كان غير الله، وقال قتادة: إنما قُلْ ذكر المنافق، لأن الله لم يقبله. وكل ما رَدَّ الله قليل، وكل ما قَبَّلَ الله كثير (تفسير الطبري ٩/ ٣٣٢).

(١) لم أجده عند غيره من المفسرين، ونحوه في تفسير أبي الليث ١/ ٣٥٠.

(٢) نسبه الواحدي للضحاك (البسيط ٧/ ١٦٦).

(٣) قال الزمخشري: لأنه مثله في الكفر، وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله (الكشاف ١/ ٥٨١).

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ رجعوا من نفاقهم ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ العمل فيما بينهم وبين ربهم ﴿وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ أي: تمسكوا بتوحيده ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمُ لِلَّهِ﴾ أي: التوحيد الذي تكلموا به ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: من المؤمنين ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٦٦﴾ ثوابًا في الجنة.

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ استفهام بمعنى الجحد، أي: لا يعذبكم ^(١) ﴿إِنْ شَكَرْتُمْ﴾ وجدتم في السر ﴿وَوَآمَنْتُمْ﴾ أي: صدقتم في إيمانكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ ﴿١٦٧﴾ مجازيًا مكافئًا، وعليما بثوابكم، والشكر من الله تعالى لعبده أن يقبل عمله ويجازيه.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أي: لا يحب الله أن يذكر أحدًا أحدًا بالقول القبيح.

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ قيل: ولا من ظلم، أي: لا يجب ذلك من المظلوم أيضًا ^(٢).

وقيل: معناه «لا يحب الله» - الآية - كلامًا، وقوله: «إلا من» ظلم كأنه قال: إذا علم العبد أن هذا مما لا يحبه الله امتنع عنه إلا من ظلم نفسه، فلا يبالي به، ويجهر بالسوء بجهله، إلا من ظلم فينتصر ويتنصف من القول بمثل ما ظلم، ولا حرج عليه.

قيل: نزلت في أبي بكر رضي الله عنه شتمه رجل، وسكت أبو بكر مرارًا، ورسول الله جالس، فلما أجابه أبو بكر ذهب رسول الله، فنزلت الآية ^(٣).

(١) وقيل: معناه التقرير (البسيط ١٦٨/٧) والمعنى واحد.

(٢) وهو قول الكلبي (تنوير المقباس ٨٤).

(٣) هذا قول مقاتل، كما في تفسيره ٢٦٧/١، وتتمته: فقال أبو بكر: يا رسول الله، شتمني وأنا ساكت، فلم تقل له شيئًا، حتى إذا رددت عليه قمت، قال: إن ملكا كان يجيب عنك، فلما أن رددت عليه، ذهب الملك وجاء الشيطان، فلم أكن لأجلس عند مجيء الشيطان.

أي: لا يأذن الله أحداً باللعن لأحد إلا للمظلوم، فقد أذن له أن ينتصر من الظالم بالدعاء، وهذا استثناء منقطع؛ معناه: ولكن من ظلم^(١).

وقيل: أراد به الدعاء على الظالم بما فيه نجاته؛ لا بما فيه ضرر بالظالم.

وقيل: هو شكاية الضيف إذا منعوا عنه الضيافة فرخص له الشكاية^(٢).

﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ لدعاء المظلوم ﴿عَلِيمًا﴾ ﴿١٨٨﴾ بعقوبة الظالم.

ثم أخبر أن العفو والتجاوز أفضل عند الله فقال: ﴿إِنْ تَبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ عليه ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ مظلومة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ ذوا تجاوز ﴿قَدِيرًا﴾ ﴿١٨٩﴾ على عفو ذنوبك كما عفوت عن صاحبك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي: يأخذوا دنياكم بأمر الله ورسوله^(٣) وهو أن: يقولوا ليسوا هم أنبياء ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمُنُ بِبَعْضٍ﴾ أي: بموسى وعزير والتوراة ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ بالإنجيل والقرآن وعيسى ومحمد.

﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أي: مذهبا يذهبون إليه.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ أي: صدقا ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ﴿١٩٠﴾.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ كفعل اليهود

(١) وهو معنى قول ابن عباس (تفسير ابن جرير ٣٤٤ / ٩).

(٢) وهو قول مجاهد، قال: هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته، فيخرج من عنده فيقول:

أساء ضيافتي ولم يحسن (تفسير ابن جرير ٣٤٥ / ٩).

(٣) كذا في الأصل، وهو مختل النظم.

﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ﴾^(١) في الآخرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف من الشرك ﴿رَّحِيمًا﴾^(١٥٢) بهم في الإسلام.

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا﴾ لأنهم سألوا أن ينزل كتابًا بمرة واحدة كما جاء موسى بالتوراة ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ وأعظم ﴿فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً﴾ وهم السبعون الذين اختارهم موسى للجبل، قيل: جهرة أي: أرنا الله رؤية منكشفة^(٢)، وقيل: جهرة صفة لقولهم، أي: قالوا - جهرة -: أرنا الله.

﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْغَةَ [يُطْلَبُهُمْ]﴾ يعني: الموت بقولهم هذا ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ الآيات التسع ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ ولم نستأصلهم ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾^(١٥٣) اليد والعصا.

﴿وَرَفَعْنَا قُورَيْسَهُمْ﴾ رؤوسهم ﴿الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ﴾ أي: إقرارهم بالتوراة ولم يقبلوها ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ أي: باب أيلة رُكْعًا ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ بعد ذلك بزمان ﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ بأخذ الحيتان ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(١٥٤) في محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ [مِيثَقَهُمْ]﴾ أي: فبنقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم في التوراة؛ واستحلّ لهم السبت؛ لعناهم، واللعن هاهنا مضمر، وقد ظهر في موضع آخر ﴿وَكُفِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الذي بينت لهم في التوراة من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي: بغير جرم كان منهم ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ في غطاء وأكنة لا تفهم، وقيل: أوعية لكل علم ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾ ختم

(١) في الأصل: نؤتيهم، بالنون، وهي قراءة كل القراء سوى حفص (النشر ٢/ ٢٥٣).

(٢) وهذا هو المشهور في كتب التفسير لا الثاني (الكشف والبيان ١١/ ٦٤).

الله عليها ﴿يَكْفُرْهُمْ﴾ عقوبة لهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ بمحمد والقرآن ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٥٥﴾ منهم عبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿وَيَكْفُرْهُمْ﴾ بعيسى ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٥٦﴾ رموها بالزنا كذبًا. ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ أي: بقولهم ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ سُمِّيَ مَسِيحًا لأنه مسح بالبركة ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: كان رسول الله فقتلناه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ قال بعض أهل التفسير: ما قتلوه يقينًا وكل من علم شيئًا بكماله يقال قتله علمًا، والهاء راجع إلى عيسى، يقول: عيسى على كل حال غير مقتول^(١).

﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ألقى شبهه على غيره فقتلوه وظنوا أنهم قتلوا عيسى ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَبِئْسَ شَكٌّ مِّنْهُ﴾ أي: الذي اختلفوا في قتل عيسى هم في شك من قتله ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ قُتِلَ أَوْ لَمْ يَقْتُلْ ﴿إِلَّا اتَّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ﴿١٥٧﴾.

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ إلى السماء ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ بالانتقام ممن عصاه ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿١٥٨﴾ بنصره أوليائه على أعدائه.

﴿وَأَنَّ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يعني قبل موت عيسى، وقيل: قبل موت الكتابي حين تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وتقول: يا عدو الله إن المسيح عبد الله ورسوله، فيؤمن به ولا ينفعه إيمانه.

قال ابن عباس: من غرق أو حرق أو أكله سبع لا تخرج روحه حتى يؤمن بعيسى^(٢).

(١) القتل هنا على بابه، ينفي الله عز وجل أن يكون قتل أو صلب.

(٢) تفسير الطبري ٣٨٢/٩.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝﴾ فيما قالوا من البهتان والجحود.

﴿فَظَلِمَ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ ۝ أَي: عوقبوا بظلمهم بتحريم الطيبات التي ۝ أَحَلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ۝ أَي: دين الله ۝ كَثِيرًا ۝﴾ من الناس.

﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ۝﴾ عن أكله في التوراة ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۝﴾ بالظلم والرشوة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾.

﴿لَكِنَّ الرَّاْسِحُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ يعني المبالغين في علم التوراة ^(١) ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ نصب على المدح، وقيل: معطوف على الإيمان أي ^(٢): يؤمنون بالمقيمين الصلاة ^(٣) ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي: الزكاة المفروضة ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ ثوابًا وافراً.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ بالقرآن ﴿كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالذِّكْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ الخليل ﴿وَأِسْمَاعِيلَ﴾ الصديق ﴿وَأِسْحَاقَ﴾ الذبيح ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ إسرائيل ﴿وَالْأَسْبَاطَ﴾ أولاد يعقوب ﴿وَعِيسَى وَيُوسُفَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ثم قال ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۝﴾ فعول بمعنى مفعول، أي: مزبور مكتوب. ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ لم نسهم لك ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۝﴾ بلا يوحى مخاطبةً.

(١) ينسب لابن عباس كما في البسيط ١٨٩/٧، وكنت أظن الصواب: البالغون، كما في تنوير المقباس، ولكنها هكذا وردت في البسيط، والكشف والبيان ٧٩/١١، فدل على صحتها.

(٢) في الأصل: أن، وهو تصحيف.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ٤٠٨/١.

﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ﴾ نصب لأنه بدل عن قوله: «رسلاً قد قصصناهم عليك»، وقيل: صفة لهم مبشرين^(١).

﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ بالجنة ﴿لِكَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾ أي: عند الله عذر في القيامة ﴿بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ أي: بعد إرسال الرسل إليهم، كيلا يقولوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ قيل: نزلت في أهل مكة إذ قالوا: من يشهد أنك رسول الله فإننا سألنا أهل الكتاب فلم يشهدوا^(٢)، قال الله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ وإن لم يشهد غيره ﴿أَنْزَلَهُ يَعْلَمُهُ﴾ أنك أهل لأنزاله عليك لقيامك به، وقيل: أنزله على علم منه بمن يقبل ذلك وبمن لا يقبل، وقيل بأمره. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ عليه ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ إن لم يشهدوا اليهود.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ بإصرارهم على الكفر ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: لا يتجاوز عنهم ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ أي: طريق الشرك الذي يؤديهم إلى جهنم، وهذا في قوم علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون، بل يموتون على الكفر ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: في النار ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: تخليدهم.

(١) التبيان ١/ ٤١٠.

(٢) ذكره السمرقندي في تفسير أبي الليث ١/ ٣٥٩، والثعلبي في الكشف والبيان ١١/ ٩١ منسوبا لابن عباس، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٤٩٩، وهو من رواية الكلبي كما في تنوير المقباس ٨٦.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني به أهل مكة، أي: قد جاءكم محمد بالفرقان صدق من ربكم، وقيل: قد جاءكم الرسول بالحق الذي لله عليكم^(١).

﴿فَتَأْمِنُوا﴾ أي: صدّقوا بمحمد والقرآن يكون ﴿خَيْرًا لَّكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: لا تنقصوه من ملكه شيئاً ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه من يؤمن ومن لا يؤمن ﴿حَكِيمًا﴾ يحكم بينهم.

﴿يَأْتَاهُمُ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ الغلو: مجاوزة القدر عن غير الحق^(٢). أي: لا تتعمقوا فتفتروا على الله.

ابن عباس قال: نزلت في النسطورية والماريعقوبية والمرقوسية^(٣)، فالنسطورية قالوا: عيسى ابن الله، والماريعقوبية من نصارى نجران قالوا: عيسى هو الله، والمرقوسية قالوا: عيسى ثالث ثلاثة لعنهم الله لعناً وبيلاً^(٤).

﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ من أمر عيسى ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ أي: من كان ولدًا لمريم كيف يكون إلهاً، هو رسول الله أرسله إليكم ﴿وَكَلِمَتُهُ﴾ قوله كن فكان ﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ فوضع اسم الكلمة على عيسى لأنه كان بشري^(٥) ألقاها إلى مريم وقال: ليكن في بطنها ولد من غير أب ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي بنفخة جبريل، وقيل: لأنه يحيا به الناس كما يحيون بالأرواح.

(١) تفسير الطبري ٤١٢/٩، البسيط ٢٠٢/٧.

(٢) تفسير الطبري ٤١٥/٩، الكشف والبيان ٩٣/١١، البسيط ٢٠٤/٧.

(٣) وهذه الثلاث فرق النصارى، انظر في التعريف بها: الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٢٢.

(٤) وهو من رواية الكلبي، انظر: تفسير أبي الليث ٣٠٦/١، الكشف والبيان ٩٢/١١، تنوير

المقباس ٨٦.

(٥) لعلها هكذا فإنها في الأصل مصحفة، وقد يكون صوابها: نفخة، وبهاتين الكلمتين أجاب أهل

التفسير، انظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/٢٢.

﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي: بعيسى ومحمد وغيرهما ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ أي: ألهتنا ثلاثة: الله والمسيح وأمه ﴿أَنْتَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: انتهوا عن هذه المقالة كان خيراً لكم ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ ليس باثنين ولا ثلاثة ﴿سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي: يكون له مثل كعزير وعيسى ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كلهم عبيده ﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: رباً، اكتفوا بربوبيته.

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾ أن يتعظم ولن يحتشم ولن يأنف أن يكون ﴿عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ حملة العرش ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ عن الائتمار بأمره ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ في الآخرة المستكبر والمتواضع.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ في الآخرة ثواب إيمانهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: من عطائه؛ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ﴾ أي: لأنفسهم ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ قريباً ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يمنعهم من النار.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفْرَهُنَّ مِنْ رَبِّكُنَّ﴾ أي: القرآن ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ أي: على نبيكم ﴿تُورًا مُبِينًا﴾ ضياءً من العمى وهو القرآن. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ قال ابن جريج: تمسكوا بكتابه^(١).

وقيل: بدينه إلى الموت ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ يعني الجنة ﴿وَفَضْلٍ﴾ أي: الكرامة ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ قيل: في الآية تقديم وتأخير، بمعنى يهديهم في الدنيا ويثبتهم على صراط مستقيم ثم يدخلهم الجنة^(٢).

(١) تفسير الطبري ٩/ ٤٢٩، الكشف والبيان

(٢) نحوه في تفسير أبي الليث ١/ ٣٦٢.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ نزلت في جابر بن عبد الله حيث قال: يا رسول الله إن لي أختاً فما لي منها بعد موتها، فنزلت^(١).

﴿إِنْ أَمْرُؤُا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ، وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ﴾ من أبيه وأمه ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ بين ميراث جابر أولاً، ثم ميراث أخته الكلاله، من لا ولد له ولا والد، لأنه كل به النسب.

وإن كان له أخت من الأب مع الأخت من الأب والأم فلها السدس تكملة الثلثين مع نصيب الأخت من الأب والأم، والباقي للعصبة.

﴿وَهُوَ يَرِثُهَا﴾ يعني الأخ يرث تركه الأخت ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ [لَهَا]﴾ للأخت ﴿وَلَدٌ﴾ [فَإِنْ كَانَتْ أُنْثَى فَلَهَا الثُّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ]^(٢) وَإِنْ كَانُوا أَي: الورثة ﴿إِخْوَةٌ رِجَالًا وَنِسَاءً﴾ ولم يكن للميت ولد ولا والد ﴿فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣) قيل: كراهة أن تضلوا.

وقال الفراء: معناه أن لا تضلوا، فأضمر لا، وقد يراد لا والمعنى طرحتها، كقوله تعالى: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾ ومعناه: ليعلم أهل الكتاب^(٣).

(١) روى البخاري (١٩٤) ومسلم (١٦١٦) عن جابر بن عبد الله، قال: مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر يعوداني ماشيين، فأغمي علي، فتوضأ، ثم صب علي من وضوئه، فأفقت، قلت: يا رسول الله، كيف أقضي في مالي؟ فلم يرد علي شيئاً، حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾.

(٢) سقط على النسخ تفسير هذه الآية، قال أبو الليث: يعني: إذا كان للميت أختان أو أكثر فلهما الثلثان إذا كانتا اثنتين، وإن كن أكثر من ذلك فلهن الثلثان أيضاً بالإجماع (تفسير أبي الليث ٣٦٢/١).

(٣) نحوه في معاني القرآن ٢٩٧/١.

قال عبد الحميد الحاکمي: بلغنا عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة النساء أعطي من الأجر مثل من يجد قريباً من أقربائه رقيقاً فاشتراه وأعتقه، وبرئ من الكفر، ويكون من جملة المفغورين»^(١).

والله سبحانه أعلم.



(١) حديث موضوع، رواه الثعلبي ٩/١٠، والمستغفري في فضائل القرآن (١١٧٢).

السورة التي يذكر فيها المائدة

مدنية غير قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فإنها نزلت بعرفات بعد الهجرة^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ﴾ العقد: هو الجمع بين الشيئين بما يتعذر انفصال أحدهما عن الآخر، ونقيضه الحل^(٢).

ومعنى العقود هاهنا العهود، قيل: أراد به عهد التحليل والتحريم^(٣)، وقيل: هو عهد بين المشركين وبين المسلمين نهى عن نقضها حتى يكون النقض من قبلهم.

ثم ابتداء فقال: ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهَيْمَةَ الْأَنْعَامِ﴾ وهو ثمانية أزواج هي مذكورات في القرآن، وقيل: أنسيها ووحشيها ﴿إِلَّا مَا يُتَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه وهو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ﴾ إلى آخره.

(١) انظر: الكشف والبيان ١١/ ١٠٩، البيان في عد أي القرآن ١٤٩.

(٢) تفسير الطبري ٩/ ٤٥١، البسيط ٧/ ٢١٧.

(٣) وهو قول ابن عباس، ورجحه ابن جرير، وقال (في التفسير ٩/ ٤٥٤):

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من غيره من الأقوال، لأن الله جل وعز أتبع ذلك البيان عما أحل لعباده وحرم عليهم، وما أوجب عليهم من فرائضه. فكان معلوماً بذلك أن قوله: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، أمرٌ منه عباده بالعمل بما ألزمهم من فرائضه وعقوده عقيب ذلك، ونَهْيٌ منه لهم عن نقض ما عقده عليهم منه، مع أن قوله: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، أمرٌ منه بالوفاء بكل عقد أذن فيه، فغير جائز أن يخص منه شيء حتى تقوم حجة بخصوص شيء منه يجب التسليم لها. فإذا كان الأمر في ذلك كما وصفنا، فلا معنى لقول من وجَّه ذلك إلى معنى الأمر بالوفاء ببعض العقود التي أمر الله بالوفاء بها دون بعض.

﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ أي: في الحرم بحج أو عمرة، يقول: أحللت لكم هذه الأشياء في غير حالة الإحرام، والحرم جمع حرام والحرام المحرم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (١) على عباده بما يشاء مما أحل وحرم. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: مناسك الحج (١).

واحدة شعيرة، وهي: جميع المتعبدات، الله الذي أشعرها أي: جعلها أعلاماً لها.

ثم قال: ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ أي: لا تستحلوا القتل في الشهر الحرام، ولا تتعرضوا للبدن إلى تهدى إلى بيت الله؛ فيعلق لحاء الشجرة على عنقها، حتى تعلموا أنها رجعت حاجاً، كما في عادة الجاهلية. والقلائد: أراد به ذات القلائد فحذف المضاف.

﴿وَلَا ءَافِينَ أَبَيْتِ الْحَرَامَ﴾ يعني القاصدين إلى الحرم، لا تقتلوهم ولا تأخذوا أموالهم. قيل: كان أهل الجاهلية إذا خافوا من عدوهم وأرادوا أن يأمنوا الإغارة قلّد الرجل بغيره شعر أو وبر أو بشيء من لحاء شجر الحرم، فكان لا يتعرض بسوء، فلما جاء الإسلام ثبتهم الله على ذلك، ثم نسخ (٢).

قوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً﴾ أي: ربحاً بالتجارة ورضواناً بالحج، ولكن الله لا يرضى عنهم ما لم يسلموا، وأكثر هذه الأحكام نسخت بآية السيف.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ أي: خرجتم من إحرامكم فاصطادوا خارج الحرم

(١) تفسير الطبري ٤٦٣/٩.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٩٩/١، الكشف والبيان ١٢١/١١.

إِنْ شِئْتُمْ، أَمْرٌ إِباحَةٌ واختيارٌ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي: يحملنكم ^(١) ﴿شَتَانُ قَوْمٍ﴾ أَنْ صَدُّوكُمْ [وَقِيلَ يَكْسِبْنَكُمْ، أي: لا يحملنكم بغضهم على الظلم والاعتداء حيث صدوكم عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ] عام الحديبية ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ على حُجَّاجِ الْيَمَامَةِ فتستحلون منهم.

ثم قال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾ أي: على الطاعة ﴿وَالْتَّقَوُا﴾ أي: بترك المعصية ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المعاصي والظلم، إلا بما يلزم الإثم، والعدوان: ما يتعدى على غيره ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ﴾ يعني أكل الميتة التي ماتت حتف أنفها ﴿وَالدَّمُ﴾ المسفوح ﴿وَالْحَمُّ الْخِزِيرُ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: ما ذُبَحَ وَذَكِرَ على الذبيحة غير اسم الله ﴿وَالْمُنْخِفَةُ﴾ التي تخفق بالجل حتى ماتت ﴿وَالْمَوْفُودَةُ﴾ المضروبة بالخشب حتى ماتت ﴿وَالْمُتَرَدِّيَّةُ﴾ التي سقطت من جبل أو تقع في بئر ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ التي نطحتها صاحبها بقرنها فماتت ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ أي: حرم أكل ما أكل منه السبع فمات ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ فلا استثناء واقع على جميع ما سبق ذكره، وإدراك الذكاة: أن يوجد وله عين تطرف أو ذنب يتحرك فذبح؛ فأكله جائز.

قيل الاستثناء وقع [على] ما أكل السبع خاصة ^(٢).

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصْبِ﴾ أي: ذبح وأريق دمها على النصب، وهي الحجارة المنصوبة، كانوا يعبدونها ويقربون الذبائح إليها، والنصب ما لا صورة له من الأوثان، والصنم ما كان مصوراً منقشاً.

(١) وهو قول الفراء في معاني القرآن ٢٩٩/١.

(٢) تفسير الطبري ٥٠٥/٩.

﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ القداح، واحدها زَلَمَ على وزن قَلَمَ وأَقْلَام، وقيل زَلَمَ على وزن جُمَلَ^(١).

وهي: سهام صغار بعضهم يتخذها من الأديم كالدرهم يصقلها ويختم على بعضها: «أمرني ربي» وعلى بعضها: «نهاني ربي»^(٢) وبعضها لا شيء عليه، ويسمى غُفْلًا، فإذا عزم على أمر يجيل القداح، فإن خرج الذي عليه أمرني ربي وجب عليه الخروج، ولا يجوز له التخلف، وإن خرج الذي عليه نهاني ربي يقعد عن حاجته ولا يجوز له الخروج، وإن خرج ما لا كتابة عليه - وهو الغفل - أجالها ثانية.

وقيل: كانوا يجتمعون عشرة نفر ويشترون جزورًا، ويجعلون لحمه تسعة أجزاء، وأعطى كل واحد سهمًا، وجمعوا السهام العشرة عند رجل، فيخرجه واحدًا بعد واحد، فكل من خرج سهمه يأخذ من ذلك اللحم، فإذا خرج تسعة أسهم لا يبقى شيء من اللحم، ويبقى رجل واحد لا شيء له من اللحم، وكان ثمن الجزور عليه كلها^(٣)، فنهى الله تعالى عن ذلك^(٤).

وقيل: كان عشرة من القداح، لكل واحد منهما اسم، ولم يكن للثالث منها نصيب من اللحم، واسم الثلاثة قداح: السفيح، والمنيح، والوغد، وكانت سبعة أخرى لكل اسم نصيب^(٥).

(١) فيه لغتان كما قيدته في الأصل، ووزن الثاني الذي ذكره المصنف مشكل، انظر: تفسير الطبري

٩/ ٥١٠، معاني القرآن للزجاج ٢/ ١٤٦، الكشف والبيان ١١/ ١٤٥

(٢) وفي بعض الأخبار: مكتوب على بعضها نعم، وعلى بعضها لا (معالم التنزيل ٣/ ١١).

(٣) الجزور إذا أفرد أنث، ولذا قال: كلها (انظر: تاج العروس ١٠/ ٤١٦).

(٤) تفسير أبي الليث ١/ ٣٦٨.

(٥) من أراد الاستزادة فليتنظر في كتاب: قيد الأوابد للعاصمي ١/ ٣٥٣.

وذكر في تفسير أبي بكر أنَّ ذلك سهمًا حقيقي بلا قُدْزٍ ونصال^(١)، مكتوب على كل منها: أمرني ربي، وعلى بعضها: [نهاني]^(٢) ربي:

الفذ، والتوأم، والرقيب، والمعلّى، والحلس^(٣)، والنافس، والمسبل.

فمن خرج له الفذ كان له سهم، ومن خرج له التوأم فله سهمان، وفي الرقيب ثلاثة أسهم، يراضع كل سهم إلى السابع، وبعد السبع لا نصيب لثلاثة من القداح، وثمان ذلك الجزور كلها عليهم لا على أصحاب الأنصاء.

قال عبد الحميد الحاكمي: ذكر الفرّاء في معاني القرآن المؤلّف له؛ أنَّ القداح كانت موضوعة في الكعبة، وذكر الثلاثة الأوّل فقط، وكانوا يشهدون على الله أنه أمر بذلك فقال الله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ فَسَقٌ﴾ وخروج عن طاعة الله^(٤).

﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ قيل: لأنهم ارتدوا راجعين إلى دينهم فأيسوا، وقيل: يؤسوا أن تعودوا كفارًا. وهو يوم عرفة عام حجة الوداع ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ في ترك أمري.

قيل: نزلت الآية والتي بعدها في الآية بعرفات، والناس رافعوا أيديهم بالدعاء، ورسول الله على ناقته، فنزلت الآية فبركت ناقته صلى الله عليه وسلم من ثقل هذه الآية، وعاش رسول الله بعد نزول هذه الآية ثمانين ليلة^(٥).

(١) القذّة: ريش السهم، جمعه قذذ، وكان في الأصل: قذذة، وهو تصحيف، والنصال: جمع نصل، وهو حديدة السهم والرمح.

(٢) بيض لمقدار كلمة.

(٣) في الأصل: الحبش، وهو تصحيف.

(٤) معاني القرآن ١ / ٣٠١، وتتمة كلامه: والكلام منقطع عند الفسق.

(٥) تفسير الطبري ٩ / ٥٢٤، الكشف والبيان ١١ / ١٥٠.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يعني: يوم الحج الأكبر أكملت لكم شرائع دينكم ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ هدايتكم لديني، ولا يطوف معكم مشرك حول البيت، ولا يقف معكم بعرفات. وقيل: أدخلتكم يا أمة محمد جنتي، عن معاذ بن جبل^(١).

لأنه لا يتم النعمة إلا بدخول الجنة وهذا وعد لا يخلف الله وعده.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ لأنه ديني ودين ملائكتي ورسلي.

﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَحْصَةٍ﴾ أي: مجاعة إلى أكل شيء من المحرمات التي ذكرنا ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ غير متعمد لمعصية، والجنف الميل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لمن أصاب من المحرمات في حالة الاضطرار، والاضطرار: أصابه الضر ﴿رَجِيمٌ﴾^(٢) به رخص في الحرام عند الضرر.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ﴾ يعني من الصيد وغيره ﴿قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الْطَيِّبَاتُ﴾ المذبوحات من الحلال ﴿وَمَا عَلَّمْتُ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ أي: أحل لكم ما علمتم من صيد الجوارح، مثل الكلاب وغيرها، ثم قال: ﴿مُكَلِّينَ﴾ نصب على الحال، أي: في هذه الحالة يقال رجل مكلب وكلاب إذا كان يصيد بالكلاب، وهو كالمودب، وإنما خص المكلب لأن السائل سأله عن صيد الكلب، وهو عدي بن حاتم^(٣).

وفي صحيح البخاري (٤٥) وصحيح مسلم (٣٠١٧) عن طارق بن شهاب، عن عمر بن الخطاب، أن رجلا، من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرأونها، لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال: أي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ قال عمر: «قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قائم بعرفة يوم الجمعة»

(١) تفسير أبي الليث ٣٩٦/١.

(٢) في صحيح البخاري (٥٤٨٣): عن عدي بن حاتم، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: إنا قوم نصيد بهذه الكلاب؟ فقال: «إذا أرسلت كلابك المعلمة، وذكرت اسم

والكلب وغيره إذا عَلِمَ سواء ﴿نُعَامُونَهُنَّ﴾ أي: تؤدبونهن يعني الجوارح ﴿وَمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: ألهمكم ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أخذن لكم ﴿وَاذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: على إرسال الكلب والجوارح، وقيل: على ذبحه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أكل الميتة وفيما أمركم ونهاكم ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: المجازاة.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ أباح لكم أكل الحلال من الذبائح، وكان الذبائح والطيبات حلالاً للأمة التي قبل ذلك، وإنما ذكر اليوم لتحليل ذبائح أهل الكتاب حل في ذلك اليوم بقوله: ﴿وَوَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ﴾ أي: ذبائح اليهود والنصارى حلال لكم ﴿وَوَطَعَامُكُمْ [حَلٌّ لَهُمْ]﴾ أي: ذبائحكم حلال لهم.

ثم قال ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ [مِنْ قَبْلِكُمْ]﴾ من اليهود والنصارى حلال لكم ﴿إِذَا عَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن بعد التزويج ﴿مُحْصَنِينَ﴾ متزوجين، نصب على الحال ﴿غَيْرَ مُسْفَحِينَ﴾ زانين ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ من أن يأخذ صديقة يزني بها في السر ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ أي: يكفر بعد الإيمان، وقيل يكفر بما أنزل الله على محمد من الإيمان بالكتب والرسل وغيرها حبط عمله: بطل ثوابه ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ المغبونين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية، في الآية إضمار يعني: إذا قصدتم الصلاة وأنتم محدثون ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ وقوله: «وأرجلكم»^(١)

الله، فكل مما أمسكن عليكم وإن قتلن، إلا أن يأكل الكلب، فإني أخاف أن يكون إنما أمسكه على نفسه، وإن خالطها كلاب من غيرها فلا تأكل.

(١) قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو وحمزة وشعبة بالكسر، وهكذا قيدها في الأصل، وقرأ الباكون بنصب اللام (النشر ٢/ ٢٥٤).

كسره على الإتياع كقوله ﴿وَقَدْ أَخْرِجَنَا مِنْ دِيلِرِنَا وَأَبْنَيْنَا﴾، أي: سُبي أبنائونا، فكسر للإتياع^(١).

ثم قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ أي: اغتسلوا ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ أي: جرحى أو أصابكم جدري ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ في سفر ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ وهو مكان الحدث بعدما أحدث ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي: جامعتم ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ لم تقدرُوا عليه ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ترابًا طاهرًا ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾ بالضربة الأولى ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾ بالضربة الأخرى، دخلت الباء لمكان التراب، أي: امسحوا بالتراب وجوهكم ﴿مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: لم يرد الله أن يجعل عليكم في أمر دينكم ضيقًا، حتى لا يجوز الطهارة إلا بالماء ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾ بالتيمم، واللام لتبيين الإرادة، يعني أراد به ليطهركم ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ بجواز التيمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٦) منته ورخصته.

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام، وما علمكم من الأحكام ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ يوم الميثاق ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أمرك، حين قلت: أأست بربكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تنقضوا ذلك الميثاق ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٧) بما في القلوب من الوفاء والنقض.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ أي: كونوا مؤدبين لله الشهادة بالعدل إذا دعيتم إلى شهادة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ﴾ لا يمنعكم عداوة قوم وبغضهم ﴿عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا﴾ في الشهادة ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ

(١) وهو قول جماعة من النحاة واللغويين، كأبي عبيدة والأخفش، حيث خرجوها على الإتياع لفظًا لا معنى (مجاز القرآن ١/ ١٥٥، معاني القرآن للأخفش ٢/ ٤٦٥، الكشف والبيان ١٩٦/ ١١).

لِلتَّقْوَى ﴿٥﴾ أي: العدل أقرب إلى التوحيد، وقيل: أقرب من أن تكونوا متقين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ترك ما أمركم به وارتكاب ما نهاكم عنه ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦﴾﴾ تضمرون من الجور والعدل.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قيل: هاهنا كلام متروك بلا خبر^(١)، ثم ابتداء فقال: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ ثواب وافر.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨﴾﴾ وقد فُسر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ وهم بني النضير، قصدوا قتل رسول الله حين أتاهم يستقرضهم المال بسبب مقتولين من بني سليم قتلاً خطأً، وكان معه أبو بكر وعمر وعلي، فواعدوه المال، ثم تدبروا في قتلهم، فلما اشتغلوا بالسلاح جاء جبريل وأخبر رسول الله بذلك، فخرج رسول الله وحده ولم يخبر أصحابه مخافة أن يثوروا به، فقام بالباب، فلما أبطأ الرجوع خرج علي لينظر ما شأنه، فأخبره رسول الله بذلك، فخرج، فخرجوا كلهم، واليهود مشغلون بالسلاح ينتظرون كعب بن الأشرف^(٢).

قوله ﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ﴾ لهم حديث النفس، يسطوا: أي يمدوا إليكم أيديهم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ عن كفران النعمة ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٩﴾﴾ أي: يثق الوائقون.

(١) والتقدير: وعدهم الحسنی (البسيط ٧/ ٢٩١).

(٢) تفسير الطبري ١٠/ ١٠١، الكشف والبيان ١١/ ٢٢٨.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ على التوحيد والإيمان بالرسول
 ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ إلى الجبارين، قيل: النقيب هو الكفيل
 والضمين، وقيل: الشهيد والأمين، لأنه أخذ من كل سبط أميناً وشهيداً وضميناً
 كفيلاً^(١)، والنقيب: في الأصل هو الرئيس، أرسلهم موسى إلى الجبارين ليقفوا
 على أحوالهم فيخبروه بذلك.

﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾ تعالى للنقباء على لسان موسى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالنصر
 لكم ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾
 أي: نصرتموهم، وقيل: عظمتموهم.

وأصل التعزير: هو المنع والرد، أي: تردوا أعداءهم عنهم.

﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: تصديقاً بقلوبكم لوجه الله ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾
 عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴿لَأَغْفِرَنَّ﴾ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ فِي الدُّنْيَا ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ﴾
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ لام القسم، «لأكفرن» جواب القسم^(٢) ﴿فَمَنْ﴾
 كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ أي: قَصَدَ الطريق.

﴿فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ «ما» صلة، ومعناه: فبنقضهم والفاء جواب كلام
 المجالة^(٣)، معناه: فنقضوا ميثاقهم ﴿لَعَنَّاهُمْ﴾ طردناهم ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾
 قيل: القاسي اليابس شديد الضلالة ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ أي:

(١) في الأصل: ملكا، وهو تصحيف.

(٢) الكشف ١/ ٦١٥، وبعضهم قال: الشرط (التيان في إعراب القرآن ١/ ٤٢٦).

(٣) كذا في الأصل ولا معنى له، وهذه الفاء هي التي يسمونها: الفصيحة، لأنها تفصح عن محذوف.
 قال ابن جرير (في التفسير ١٠/ ١٢٥): وفي الكلام محذوف اكتفي بدلالة الظاهر عليه، وذلك أن
 معنى الكلام: فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل، فنقضوا الميثاق، فلعتهم، فما
 نقضهم ميثاقهم لعناهم، فاكفئ بقوله: فيما نقضهم ميثاقهم من ذكر: فنقضوا.

يفسرونه على غير ما أنزل، وقيل: يغيرونه نظماً ولفظاً ويكتبون غيره.

﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: تركوا نصيهم الذي أمروا به من إتباع النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ يا محمد ﴿تَطْلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ [مِنْهُمْ]﴾ اليهود، من نقض عهدهم.

وهو مصدر، ومثاله كثير، كما يقال: عافاه الله عافية، وسمعت راغية الإبل، أي: رغاءها، وثاغية [الشاء] ^(١)، والهاء دخلت في «الخائنة» للمبالغة في الوصف، كما يقال نسابة وعلامة ^(٢).

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم مسلمو أهل الكتاب، وخيانتهم أنهم نقضوا العهد، وركب كعب بن الأشرف إلى أبي سفيان ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ أي: تجاوز عنهم، منسوخ بآية السيف ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٣) المتجاوزين. ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: ضيعوا الذي أمروا به وتركوه مثل اليهود ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ أي: ألصقنا، مأخوذ من الغراء؛ الذي يلصق به.

وقيل: هيجنا، وقيل: ألقينا بين اليهود والنصارى من المكيدة. وهم: النسطورية والمايقوبية والملكانية، يشهد بعضهم على كفر بعض، ويقاتل بعضهم بعضاً، والملكانية: الذين يقولون عيسى عبد الله ^(٤). ﴿وَسَوْفَ يُدَبِّحُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ^(٥) مكافأة صنيعهم نقض العهد.

(١) في الأصل: وثاغية الثاغيها. والتصحيح من كتب التفسير.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٠/١٣١، البسيط ٧/٣٠٥، الكشاف ١/٦١٦، الدر المصون

٢٢٤/٤.

(٣) معالم التنزيل ٣/٣٣.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: يظهر لكم ما كنتم من التوراة والإنجيل من نعت محمد وآية الرجم ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ أي: يتجاوز، فلم يظهر لكم ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ وهو محمد صلى الله عليه وسلم، والنور: هو الذي يبين الأشياء ويرىها الأبصار بحقيقتها^(١).

﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ١٥ ﴿بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ﴾.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ أي: بالنور وهو محمد ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ أي الله ﴿رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ أي طرق السلامة التي من سلكها سلم من الآفات. وقال ابن عباس: الله هو السلام ودينه الإسلام^(٢).

﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾ الظلمات الكفر، والنور الإيمان. بإذنه: أي بأمره وقضائه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ١٦ ﴿أي: دين الحق حتى يؤديهم إلى الجنة﴾.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ نزلت في أسقفي نجران السيد والعاقب^(٣).

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ فمن يقدر أن يدفع عنكم شيئاً من عذاب الله أو عن غيركم ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ وجميع من عبدهما، ثم نزه نفسه

(١) من معاني القرآن للزجاج ١٦١ / ٢.

(٢) وهو رواية الكلبي، كما في تنوير المقباس ٩٠، وروي مثله عن السدي (تفسير السمعي ٢٣ / ٢).

(٣) وهذا قول اليعقوبية من فرق النصارى القديمة (تفسير السمعي ٢٣ / ٢، معالم التنزيل ٣٣ / ٣).

وقال ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: مُلكها وخزائنها له ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ كما خلق عيسى في بطن أمه من غير أب ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٧) من خلق عيسى وغيره.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ قالوا: لا تخوفنا يا محمد، فإننا أبناء الله وأحباؤه^(١)، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿فَلَمْ يُعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ مقدار ما زعمتم أنه لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة، فإن الأب المشفق على ولده لا يعذب ولده في النار ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ كسائر الخلق لا فضل لكم [على]^(٢) غيركم ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ ويهديه لدينه ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ من يميتهم على الكفر.

ثم عظم نفسه وقال ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق والعجائب، كلها ملكه، والملك والنبوة لا يجتمعان، وأنتم مقرون بأنكم عبيده ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٨) المرجع.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ فيه تقديم وتأخير: أي قد جاءكم رسولنا على فترة؛ بعد انقطاع من الرسل؛ يبين لكم أمر دينكم ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ كيلا تقولوا، ويحتمل: كراهة أن تقولوا يوم القيامة ما جاءنا يا رب بشير بالجنة والثواب، ويخوف بالنار

(١) روى ابن جرير في التفسير ١٥٠/١٠، من طريق محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت بإسناده عن ابن عباس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضاء، وبحري بن عمرو، وشأس بن عدي، فكلّموه، فكلّمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعاهم إلى الله وحذّره من نعمته، فقالوا: ما نخوفنا، يا محمد، نحن والله أبناء الله وأحباؤه -كقول النصاري- فنزلت الآية.

(٢) في الأصل: لا.

والعقاب ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ محمد ﴿بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ من إرسال الرسل؛ والثواب والعقاب.

فمدة الفترة بين عيسى ورسولنا: ستمائة سنة عن الحسن وقتادة^(١).

وعن الضحاك: أربع مائة سنة وبضع وستون سنة^(٢).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ أي: بعث منكم أنبياء، قيل: أراد به السبعين الذين اختارهم موسى للجبل، جعلهم الله أنبياء بعدما بعثوا عن الصعقة^(٣)، وقيل: بعث الله في بني إسرائيل ألف نبي، أولهم موسى وآخرهم عيسى.

﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ بالخلاص عن استعباد القبط^(٤) ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾﴾ من تظليل الغمام والمن والسلوى في التيه.

﴿يَنْقُورُ أَذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ وهي: الأردن ودمشق وفلسطين وبيت المقدس^(٥)، سميت مقدسة لأنها طُهرت من كثير من الشرك، وهي مسكن

(١) وهو قول سلمان الفارسي، رواه البخاري في صحيحه (٣٧٣٢). وعن قتادة: ٥٦٠ سنة، وعن الكلبي: ٥٤٠، وهذا كله على جهة التقريب، فإن مولد النبي صلى الله عليه وسلم نحو ٥٧٢ من الميلاد، وبعثته بعد ذلك بأربعين سنة توافق ٦١٢ من الميلاد، وأقرب الأقوال إليه قول وهب: ٦٤٠ سنة، والله أعلم.

(٢) انظر أقوالهم في تفسير الطبري ١٠/١٥٦، تفسير أبي الليث ١/٣٨٠، الكشف والبيان ١١/٢٤٢، زاد المسير ١/٥٣١.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره ١٠/١٦٠ قولاً بلا إسناد، ويظهر أنه قول الكلبي كما في تفسير أبي الليث ١/٣٨٠.

(٤) تنوعت عبارة المفسرين في المراد بالملك، وحاصل كلامهم راجع إلى التوسيع في الدنيا، وقد أحصى ابن الجوزي ثمانية أقوال في ذلك، لا تخرج عما ذكرنا (زاد المسير ١/٥٣١).

(٥) وهي الشام كما قال قتادة وغيره (تفسير الطبري ١٠/١٦٧).

الأنبياء والأولياء.

وقيل: لما رفع إبراهيم على الجبل قيل له: انظر، فلك ما أدرك بصرك، وهو ميراث لك ولولدك، فأدرك بصره ما بين فلسطين وبعض الأردن، فلما خرج موسى من مصر أمر أن يدخل أرض ميراثه^(١).

﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٣٨﴾ أي: لا تنهزموا فتصيروا مغبونين بفوت الظفر.

﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ عظماء، والجبار: العاتي الذي يُجبر الناس على ما يريد ويكرههم.

﴿وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ من الجانب الآخر ﴿فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾^(٣٨).

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الله، وقيل: يخافون الجبارين، ولكن ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالإسلام، ويقين الخطرات، حتى لم يثق^(٢) خوفهما، وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا^(٣).

وقيل: كانا من مدينة الجبارين على دين موسى، أنعم الله عليهما بدين موسى، والجبارين: من بقايا قوم عاد، قيل: بعث موسى اثني عشر جاسوساً من كل سبط واحداً ليأتوه بخبر الجبارين، فمكثوا في بلادهم أربعين يوماً، حتى رأوا مداخلهم وأماكنهم، فأخذهم رجل اسمه: عوج، وحملهم في ثوبه تحت يده،

(١) تفسير أبي الليث ١ / ٣٨١، وهو يعتمد على تفسير الكلبي كذلك. وانظر: تنوير المقباس ٩١.

(٢) كذا في الأصل. ولعله: لم يثق خوفهما، أي أذهبه الله.

(٣) تفسير الطبري ١٠ / ١٧٦، تفسير أبي الليث ١ / ٣٨٢، البسيط ٧ / ٣٢٦. وهاتنا يذكر بعض

المفسرين خبر عوج بن عنق الباطل.

حتى ألقاهم بين يدي الملك، وأمر الملك بقتلهم، فشفت امرأته فيهم حتى تركهم، وأرسلهم وزودهم عنقودًا من العنب فحملوه بأجمعهم اثني عشر رجلاً، ورجعوا إلى أصحابهم، وأمرهم موسى بكتمان خبر الجبارين، فأظهروا كلهم إلا اثنان، وفرق قوم موسى من ذلك^(١)، فقال الرجلان المسلمان: ﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ أي: باب المدينة ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ وذلك لما علما أن الله وعد نبيه ذلك ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ في نصره ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٢﴾
بوعد الله تعالى وبوعد رسوله.

﴿قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ قيل: وربك يعينك، وقيل: اذهب وحدك وينصرك ربك لأنه وعدك^(٢) النصره.
قالوا: هذا والجماعة سواء^(٣)، وقيل ربك أرادوا: أخوك^(٤).
﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ منتظرون رجوعك.

- (١) القصة من رواية الكلبي، وهي في تفسير أبي الليث ٣٨١ / ١. وفي تفسير الطبري ١٧٧ / ١٠
عن ابن عباس قصة بنحوها، بدون ذكر عوج وما يمت إليه.
(٢) صورتها في الأصل أقرب إلى: وعد لك. ووعد يتعدى بنفسه وبالباء أما باللام فلم أجده
(لسان العرب ٣ / ٤٦١، تاج العروس ٩ / ٣٠٤).
(٣) إن لم تكن الجملة مصحفة فالمراد: كلهم سواء في هذا القول، أي مقولة عامتهم.
(٤) لأن هاون أكبر منه، ذكره في تفسير أبي الليث ٣٨٢ / ١.

وها هنا كلمة للزمخشري جيدة (في الكشاف ٦٢١ / ١) قال: والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء، وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله عز وجل جهرة؛ والدليل عليه: مقابلة ذهابهما بعودهم ويحكى أن موسى وهرون عليهما السلام خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما، فهموا برجمهما. ولأمر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [سورة المائدة: ٨٢].

فلما آيس موسى من طاعتهم غضب ودعا عليهم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ هارون في دخول مدينة الجبارين ﴿فَأَفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: كن حكماً فيما بيننا، فأجابه الله:

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ نصب أربعين لأنه مفعول التيه، أي: يتيهون أربعين سنة، ومحرمه عليهم دخول القرية أبداً، وعلى هذا عامة أهل التفسير^(١).

وذكر المفسر الكبير أنها حُرِّمَتْ عليهم أربعين سنة، ثم دخلوها بعد ذلك، قال: وهو اختيار الحسين بن الفضل البجلي رحمه الله^(٢).

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له ذنوبه -: بلغني عن المفسر الكبير أنه قال: أقول بهذا القول، لأن الله تعالى قال: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وما كتب الله لعبد فلا بد من الوصول إليه، ومعنى التحريم هو المنع، كقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٣).

ثم ندم موسى على دعائه فأوحى الله إليه ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: إنك سميتهم فاسقين فلا تحزن عليهم.

(١) هذا قول ابن عباس وقتادة، كما تفسیر الطبري ١٩٧/١٠. وذلك لأن الأربعين منصوبة بالتحريم.

(٢) وهذا قول الربيع من المتقدمين رواه ابن جرير في التفسير ١٩٠/١٠.

والراجح أن من بقي منهم حياً دخل الأرض المقدسة مع ذراريهم، ومن مات في التيه فقد سبق قضاء الله فيه. وزعم ابن جرير أن موسى دخل أول الأرض المقدسة، وعلى مقدمته يوشع، واستدل على ذلك بخبرين إسرائيليين أجمع أهل التاريخ على القول بهما، وهما خبر عوج بن عنق - ويقال: عناق - وبلعم بن باعوراء، ومن أراد الاستزادة فلينظر: تفسير الطبري ١٩٧/١٠، والكشف والبيان ٢٥٨/١١.

(٣) يمكن أن يجاب عنه فيقال: كتب لكم أي لبني إسرائيل، ولم يرد أعيان الموجودين.

فمات هارون في التيه، ومات موسى بعده بثلاث سنين، ومات القوم كلهم فلم يدخلها إلا أولادهم الذين نشأوا في التيه، وكان التيه ستة فراسخ، تحيروا فيها أربعين سنة.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ اتصال الآية: أن حال اليهود في ارتكاب الفواحش كحال ابني آدم، فاقراً عليهم خبر ابني آدم بالحق، أي: بالصدق ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ وضعاً قربانيهما على الجبل، وهما هابيل وقابيل، كانت حواء تلد في كل بطن ولدين: ابناً وبتناً، فأول ولد ولدت هابيل ومعه أخته ليوثا، وقيل ليودا^(١)، ثم قابيل ومعه أخته إقليما، وكانت إقليما أحسن جمالاً من ليوثا، فأمر الله آدم أن يزوجه أخت هابيل قابيل، وأخت قابيل هابيل، فأبى قابيل ذلك وقال: أنا أنزوج أختي التي وُلِدْتُ معي، فقال آدم: قرباً قرباناً فأيكما يُتَقَبَّلُ قربانه تزوج إقليما، وكان هابيل صاحب غنم، وقابيل صاحب زرع، فجاء هابيل بأحسن كبش من غنمه وأسمنها، وجاء قابيل بأردئ سنابل من زرعه، فرفعه آدم على الجبل فجاءت نار فأكلت قربان هابيل، ولم تأكل قربان قابيل.

﴿قَالَ﴾ قابيل لأخيه هابيل ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال: لماذا تقتلني؟ [قال:] لأنه قبل قربانك ولم يقبل قرباني، قال: هابيل وما ذنبي؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧) كلمة إنما تقتضي النفي والإثبات، تقديره: لا يقبل الله إلا من المتقين المصدقين بالقول والعمل، الزاكية قلوبهم^(٢).

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي﴾ أي: مددت يدك لتقتلني ظلماً ﴿مَا أَنَا

(١) في الأصل: كيودا، وهو تصحيف، والتصويب من: تفسير أبي الليث ١/ ٣٨٣، الكشف والبيان ١١/ ٢٧١.

(٢) ما ذكره المصنف هو ملخص ما ذكره المفسرون في قصة ابني آدم، انظر: تفسير الطبري ١٠/ ٢٠١، تفسير أبي الليث ١/ ٣٨٣، الكشف والبيان ١١/ ٢٧٠، البسيط ٧/ ٣٣٤.

بِأَسْطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ ﴿١٨﴾ لَيْسَتْ بِمَا دَّيْدِي إِلَيْكَ ﴿١٩﴾ لَا قَتْلُكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ وَأَخْشَىٰ عِقَابَهُ.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾ أي: ترجع بإثمي، أي إثم قتلي، وإثمك الذي يقوم منك؛ الذي لم يتقبل قربانك بذلك السبب ﴿فَتَكُونَ﴾ أنت ﴿مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ وأنا أستحق الكرامة من الله بامتناعي عن قتلك ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: النار جزاء الظالمين الذين لم يرضوا بحكم الله.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾ أي: تابعته، وقيل: شجعته، وقيل: زينت له نفسه ووافقته^(١).

﴿فَقَتَلَهُ﴾ قيل إن إبليس علمه القتل، وهو لم يعلم، فجاء بحية وشدخ رأسها بالحجر فتعلم القتل^(٢)، فقتله ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٣٠﴾ خسر بحسناته، واستوجب عقوبة ربه.

قيل: لما قتل أخاه حمله على ظهره ولم يدر ما يصنع به^(٣) ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾ غرابين حيًا وميتًا، فبحث الحي التراب ﴿لِيَرِيَهُ كَيْفَ يُؤَرِّى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ أي: يغطي عورة أخيه، قيل إن الغرابين قد اقتتلا فقتل أحدهما الآخر، ثم بحث التراب وجعل حفيرة، وألقى المقتول فيه، فعلم قابيل ذلك ف ﴿قَالَ يَوَيْلًا لِّي وَيَلُّ لِي، وَيَقَالُ: يَا هَلَاكَاهُ، الْوَيْلُ وَالْوَيْلَةُ: الْهَلَكَةُ﴾ ﴿أَعْجَزْتُ﴾ أضعفت عن الحيلة ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُؤَرِّى سَوْءَةَ أَخِي﴾ أغطي عورة أخي ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ ﴿٣١﴾ على ترك مواراة أخيه لا على قتل أخيه.

(١) البسيط ٧/ ٣٤٠.

(٢) الروايات في ذلك مذكورة في تفسير الطبري ١٠/ ٢٢١، الكشف والبيان ١١/ ٢٧٧.

(٣) في بعض الآثار أنه حمله في جراب على ظهره سنة (تفسير الطبري ١٠/ ٢٢٥).

قال عبد الحميد الحاكمي - غفر الله له ذنوبه -: بلغنا أن بعض المفسرين قالوا: يحتمل أنه ندم على قتل أخيه، ولم تنفعه ندامته، كما روي في الخبر: «ثلاثة لا يقبل الله توبتهم: إبليس، وهو رأس الكفرة، وقابيل، وهو رأس القتلة، لأنه أول من سنّ القتل، ومن قتل نبياً من أنبياء الله عز وجل»^(١).

قوله: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ﴾ أي: من جرّ^(٢) ذلك وسبب ذلك ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا﴾ متعمداً ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: من غير قصاص كان عليه، أو سبب يوجب القتل ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل: هو الشرك، وقيل: أن يزني بعد إحصان ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي: وجب له من العذاب ما وجب بقتل الناس جميعاً، لأنّ الناس كلهم خصماء للقاتل، فيكون قتل الواحد قتلهم.

وقيل: أراد به استحلال القتل، لأنه إذا استحل قتل واحد وقتله فجزأؤه جهنم خالداً فيها ولو فعل ذلك بجميع الناس فجزأؤه كذلك.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي: عفا عن دمه بعد وجوب القصاص، وقيل: أراد النجاة من الهلاك^(٣).

(١) لم أجده بهذا اللفظ، لكن في صحيح البخاري (٣٣٣٥) ومسلم (١٦٧٧) عن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقتل نفس ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سنّ القتل».

(٢) في الأصل: جرم، والصواب ما أثبت، ولعله استشكل في أصله ذلك فرسمها على ما توهم صوابه، انظر: تفسير الطبري ٢٣١/١٠، الكشف والبيان ٢٨٩/١١، البسيط ٣٥٢/٧، الكشف ٦٢٧/١.

(٣) أي: أنقذ نفساً من الهلاك، كأن ينقذ غريقاً أو ما شابه.

وقيل إن ذلك من العام الذي أريد به الخصوص، فروى ابن جرير (في التفسير ٢٣٣/١٠) بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه قال: من شدد على عضد نبي أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعاً، ومن قتل نبياً أو إمام عدل، فكأنما قتل الناس جميعاً.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: إلى بني إسرائيل، والبينات الأمر والنهي ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿بَعَدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد إرسال الرسل وظهور الحق ﴿فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ بالشرك بالله وسفك الدماء واستحلال المعاصي.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ﴾ قيل: نزلت الآية في قوم من عُرينة أو من عُكل، الذي بعثهم رسول الله إلى إبل الصدقة ليشربوا ألبانها، أو يداووا بأبوالها، فلما صحَّوا من المرض قتلوا الرعاة وساقوا الإبل، فأمر رسول الله بأخذهم وقطع أيديهم وأرجلهم، وألقاهم في الحرة حتى ماتوا^(١).

وقيل: نزلت في قاطع الطريق، والدليل عليه أنه قال ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ فنزلت^(٢).

﴿يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ﴾ أي: يتركون أمرهما مجاهرة ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي: أخذوا مال المسلمين ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ إن قتلوا وأخذوا المال ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خَلْفٍ﴾ إن أخذوا المال ولم

ثم قال ابن جرير: أولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: تأويل ذلك: أنه من قتل نفساً مؤمنة بغير نفس قتلته فاستحقت القود بها والقتل قصاصاً، أو بغير فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً فيما استوجب من عظيم العقوبة من الله جل ثناؤه... وأما قوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ فأولى التأويلات به، قول من قال: من حرم قتل من حرم الله عز ذكره قتله على نفسه، فلم يتقدم على قتله، فقد حيى الناس منه بسلامتهم منه، وذلك إحياءه إياها. (تفسير الطبري ١٠/ ٢٤١).

(١) قصتهم في صحيح البخاري (١٥٠١) وليس فيها أنهم سبب النزول. ورواه ابن جرير (في التفسير ١٠/ ٢٤٥) ثم ذكر زيادة في آخره عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فيهم.

(٢) وفيه أقوال أخرى، انظر: تفسير الطبري ١٠/ ٢٤٥، الكشف والبيان ١١/ ٢٩٤.

يَقْتُلُوا ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ بالطرد والتهريب، بأن يجعل دمهم هدراً من رآه قتله، أو يحبس في السجن وهو قول أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم^(١).

﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: هذا الجزاء لهم فضيحة ونكال ما داموا في الدنيا ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣٢).

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من قطع الطريق ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَافُوٌّ﴾ لمن تاب، ما كان من حقه، وأما حقوق الخلق باقية ﴿رَّحِيمٌ﴾ (٣٣) بالتائبين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: اطلبوا بتقوى الله عن معاصيه التقرب إليه، يعني اطلبوا القربة بالعمل الصالح ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ أي: اطلبوا القربة بالجهاد أيضاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ (٣٤) أي: تظفروا على عدوكم وتسعدوا بالجنة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ عند معاينة العذاب ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ أي: ضعفه ﴿لَيَفْتَدُوا بِهِ﴾ أنفسهم ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ أي: اشتروها ﴿مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣٥).

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ كلما رفعتهم النار بلهبها رجوا أن يخرجوا منها، نظيره قوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٣٦) دائم لا يزول ولا ينقطع.

ثم قال ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أيماهما من الكراسيع^(٢)،

(١) أصل النفي الطرد، وأقوال المفسرين تدور حوله، انظر: تفسير ابن جرير ٢٦٨/١٠، الكشف والبيان ٣٠٠/١١، الجامع لأحكام القرآن ١٥٢/٦.

(٢) الكرسوع - كعصفور - طرف الزند الذي يلي الخنصر وهو الناتئ عند الرسغ (تاج العروس ١١٤/٢٢).

إذا سرقا من حرز مستتم يبلغ قيمتها عشرة دراهم ﴿جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا﴾ القطع
 لهما جزاء بما عملا ﴿نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: فضيحة وشيناً منه ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ بالنقمة
 من السارق ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٣٨﴾ حكم عليه القطع.

﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ أي: سرقة ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل بعد السرقة
 ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ يتجاوز عنه ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما سلف من ذنبه
 ﴿رَحِيمٌ﴾ ﴿٣٩﴾ بعد التوبة.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قيل: تعجب من لم يعرف
 حرمة الربوبية، وقال: ما هذا الحكم؟ يسرق الرجل عشرة دراهم فتقطع يده،
 وديتها خمسمائة دينار! فنزلت الآية^(١).

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعلم أيها الجاهل أن الله
 المقدر على أهل السموات والأرض ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ على الذنب وإن صغر
 ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ مع الذنب وإن كبر ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٤٠﴾ مع
 المغفرة والعذاب.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ نزلت في
 المنافقين^(٢) ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ أي: لم
 تطمئن على ذلك قلوبهم، ثم عطف عليهم طائفة أخرى، وهم يهود بني قريظة

(١) لم أقف عليه في كتب التفسير التي طالعته، والمفسرون يعيدون الخطاب إلى اليهود، بدلالة
 ما بعدها، وهو الأولى (تفسير الطبري ١٠/٣٠٠، الهداية لمكي ٣/١٧٠٨).

(٢) وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه الآية، قيل: أبو لبابة بن عبد المنذر، وقيل في يهودي
 سأل رجلا من المسلمين أن يسأل رسول الله عن حكمه في قتل قتله، وقيل في ابن سوريا
 وذلك أنه ارتد بعد إسلامه، وقيل -كما ذكر المصنف- أنها نزلت في المنافقين، ورجح ابن
 جرير: أنها نزلت في ابن سوريا (تفسير الطبري ١٠/٣٠١).

فقال ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ قيل: قوالون للكذب، وقيل: قابلون للكذب، لأن من قبل كلاماً يقال سمع ذلك، ومنه قول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي: قبل حمده.

﴿سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ وكان بنو قريظة كثيراً ما يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم وينهون خبره إلى أهل خيبر، أي: يسمعون كلامك لأجل قوم آخرين لم يحضروك ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ يغيرون حكم الحد، أي: الرجم، من بعد ما وضعه الله مواضعه وفرض فروضه ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ أي: إن قضى بالجلد على المحصن فاقبلوه ﴿وَإِنْ لَمْ تَوْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا﴾ يعني: إن قضى بالرجم فلا تقبلوا^(١).

﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ أي: قتله بالرجم وتعذيبه به ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ﴾ أي: لم تقدر أيها الجاهل أن تصرف عنه بحيلتك ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: يخلص قلوبهم بتوحيده ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ نكال وفضيحة: قتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

(١) يشير إلى حديث ابن عمر في الصحيحين البخاري (٤٥٥٦) ومسلم (١٦٩٩):

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى يهودي ويهودية قد زنيا، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء يهود، فقال: «ما تجدون في التوراة على من زنى؟» قالوا: نسود وجوههما، ونحملهما، ونخالف بين وجوههما، ويطاف بهما، قال: «فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين»، فجاءوا بها فقرأوها حتى إذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم، وقرأ ما بين يديها، وما وراءها، فقال له عبد الله بن سلام -وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم-: مره فليرفع يده، فرفعها فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجما، قال عبد الله بن عمر: كنت فيمن رجمهما، فلقد رأيت يقيها من الحجارة بنفسه. وفي تفسير ابن جرير (٣١٣/١٠) روايات عن ابن عباس وغيره نحو هذه القصة، واعلم أن أشهر ما حرفوه بعد البشارة بنبينا صلى الله عليه وسلم هو آية الرجم، لفشو الزنا فيهم، وآية الربا، لأكلهم إياه، وهذان أعظم فتن بني إسرائيل: الزنا والربا.

﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ يعني الرشوة في الحكم؛ وإن كان الحكم بحق فتلك الرشوة حرام؛ كلحم الميتة ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ يا محمد ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ بكتابك وهو الرجم ﴿وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ودعهم وما هم فيه، فلا تحكم، عن ^(١) بعضهم: أن التخيير منسوخ بقوله ﴿وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ ^(٢).

﴿وَإِنْ تَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: ترك الحكم ﴿فَلَنْ يَضُرَّكَ شَيْئًا﴾ أي: لن ينقصوك شيئاً ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ﴾ أي: قضيت فيما بينهم ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ أي: العدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ^(٣) الخطاب لرسول الله والوعظ لسائر الحكام.

﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ﴾ أي: كيف يتحاكمون إليك ويرضون بحكمك ﴿وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ الرجم على المحصن ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ البيان ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٤) المصدقين.

فاعترف ابن سوريا بأية الرجم، ورجم رسول الله الزانيين.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ أي: هدى من الضلالة، ونور لمن آمن بها ﴿يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ أي: أخلصوا ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: بني إسرائيل، يعني عليهم، وقيل: الإخلاص صفة الرباني والأخبار ومن اتبعهم من أهل العلم، يحكم به أيضاً، فذلك قوله: ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ فالرباني: منسوب إلى الرب، زيد فيه الألف والنون للمبالغة في النسب، كاللحياني والرقباني.

(١) في الأصل: على، وهو تصحيف.

(٢) وبيان ذلك في تفسير الطبري ٣٢٩/١٠.

وقيل: الربانيون علماء النصارى والأخبار علماء اليهود^(١).

﴿يَمَّا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: استودعوا وعلموا في كتاب الله التوراة ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أي: علماء بصفة محمد ونعته ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْإِنْسَ﴾ يا عبد الله بن سلام في إظهار نعت محمد ﴿وَأَخْشَوْنَ﴾ في كتمانهم ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَائِلَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الرشوة والمأكلة من السفلة ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ أي: لم يرض بما بين الله من صفة رسوله والرجم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ بالله وكتبه ورسوله.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ أي: أوجبنا على بني إسرائيل في التوراة ﴿أَنْ النَّفْسَ بِالْنَفْسِ﴾ عمداً وفاءً ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ عمداً وفاءً ﴿وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾ كذلك ﴿وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾ كذلك ﴿وَالسِّرَّ بِالسِّرِّ﴾ كذلك ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ أي: ما يمكن قصاصه وكان عمداً ففيه قصاص، ومعناه الجراحات سواء إلا أن يكون عظماً مكسوراً^(٢).

﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ أي: بحقه على الجراح ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ﴾ [لله] أي: مغفرة لذنوب المجروح ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ﴾ من اليهود ﴿يَمَّا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الضارون لأنفسهم.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ أي: اتبعنا وأردفنا خلفهم ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ وهو آخر نبي من بني إسرائيل ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ و﴿آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ

(١) الكشف والبيان ١١/ ٣٥٢، البسيط ٧/ ٣٨٩.

(٢) أي: ما يمكن فيه القصاص، قال الواحدي: وهو كل ما يمكن أن يقتص فيه مثل: الشفتين والذكر والأنثيين والألسن والقدمين واليدين وغيرها، فأما ما لا يمكن القصاص من رضة لحم، أو هيضة عظم أو جراحة في البطن يُخاف منها التلف ففيه أرش حكومة. (البسيط ٧/ ٣٩٨).

هُدًى ﴿يَبَيِّنُ مِنَ الضَّلَالَةِ لَهُ ﴿وَنُورٌ﴾ لِمَنْ آمَنَ بِهِ ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أَي: كتابه كذلك ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾ أَي: بياناً ونهياً ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ الموحِّدين.

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ أَي: يبين الله فيه ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ بَيْنَ اللَّهِ ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ الخارجون عن الطاعة.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أَي: الحق، والدعوة ^(١) إلى الحق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ قيل: شهيداً، وقيل: أميناً ومؤتمناً، فَقَلَّبْتُ الهمزة هاء، عن الزجاج ^(٢)، وقيل: رقيباً.

﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أَي: اقض بين بني قريظة والنضير بكتاب الله ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في ترك الرجم ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أَي: بعدما جاءك من الحق والبيان ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا﴾ أَي: لكل نبي ﴿مِنْكُمْ﴾ منا ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ أحكاماً وسُنناً، والشريعة والشريعة سواء، وهي: الطريقة الظاهرة ^(٣).

والمنهاج: الطريق المستبين ^(٤).

(١) في الأصل: الدعوى.

(٢) معاني القرآن ٢/ ١٧٩-١٨٠.

(٣) قال ابن جرير (في التفسير ١٠/ ٣٨٤): والشريعة هي الشريعة بعينها، تجمع الشريعة شريعاً، والشريعة شرائع، ولو جمعت الشريعة شرائع كان صواباً، لأن معناها ومعنى الشريعة واحد، فبردها عند الجمع إلى لفظ نظيرها. وكل ما شرعت فيه من شيء فهو شريعة، ومن ذلك قيل: لشريعة الماء شريعة، لأنه يُشْرَعُ منها إلى الماء. ومنه سميت شرائع الإسلام شرائع، لشروع أهله فيه. ومنه قيل للقوم إذا تساوا في الشيء: هم شرعٌ، سواءً.

(٤) لعلها: المسير، وهي مصحفة في هذا الموضع.

قال ابن جرير (التفسير ١٠/ ٣٨٤): المنهاج أصله: الطريق البين الواضح، يقال منه: هو طريق نهجٌ، ومنهجٌ، بينٌ.

وانظر: تفسير أبي الليث ١/ ٣٩٦، الكشف والبيان ١١/ ٣٧١، البسيط ٧/ ٤٠٨.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: على طريقة واحدة متفقة، ولكنه لم يشأ.

قال ابن عباس: كل شيء في القرآن «ولو شاء الله» فإنه لم يشأ الله^(١).

مشيئة اختيارية عند أهل السنة والجماعة، وعند المعتزلة هي مشيئة الجبر والقسر.

﴿وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ غير أنه يختبركم بما أمركم من الوحي والرسالة والشرائع المختلفة ﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ بادروا إلى الطاعات ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: رجوعكم ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ﴾ ويجزيكم ﴿بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين والشريعة.

﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ المعنى: وأنزلنا إليك الكتاب بالحق وأن احكم بينهم بما أنزل الله ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الجدل ﴿وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَقْنِئُوا﴾ عن أن يصرفوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ من القرآن في ترك الرجم ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن دينك وسنتك ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ أي: بكل ذنوبهم التي سلفت منهم؛ من جحودهم لدينك، وقد يذكر بعض الشيء ويراد كله.

وقيل: بعض ذنوبهم في الدنيا والباقي الآخرة^(٢).

(١) هذا ما يسمى كليات القرآن، وقد ذكرها السيوطي في الإتقان ٢/ ١٦٤، ولم أقف على هذا الأثر عن ابن عباس ولا ذكره السيوطي.

(٢) قال أهل المعاني: وخصص بعض الذنوب لأنهم جوزوا في الدنيا ببعض ذنوبهم، وكان مجازاتهم بالبعض كافياً في إهلاكهم والتدمير عليهم، يقول: فإن أعرضوا عن الإيمان والحكم بالقرآن فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم (البسيط ٧/ ٤١٦).

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أي: اليهود ﴿لَفَقِسْئُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ حين كرهوا حكمك.

﴿أَخْصَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أقضَاء أهل الجهل بالله هم يطلبون منك، وهو تعطيل الحدود ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ يعني: أي أحد أعدل في حكمه من الله ﴿لِقَوْمٍ يُوقُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ أي: يصدقون بالقرآن.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ نزلت في المؤمنين خافوا على أنفسهم النكبة بعد يوم أحد، فقال الزبير: إني ألحق باليهود، وقال طلحة: إني ألحق بالنصارى بالشام، وأبو لبابة بن عبد المنذر أشار بيده لليهود إلى حلقة حين قصدوا النزول، أي: لا تنزلوا فإنه الذبح فنزلت الآية ^(١).

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ﴾ أي بعض اليهود أولياء ﴿بَعْضٍ﴾ كذلك النصارى ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ﴾ معشر المؤمنين ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ في الدين، ومعهم في النار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لا يرشد اليهود والنصارى إلى دينه، وقيل نزلت في المنافقين.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ من المنافقين ﴿يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾ يبادرون في ولايتهم ﴿يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أي: شدة، وأن لا يتم الأمر لمحمد صلى الله عليه وسلم، ومعنى الدائرة: الدولة تدور.

﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ أي: الظفر للمسلمين على الكافرين، قيل: أراد به فتح مكة ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ بقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير ﴿فَيُضَيِّحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا﴾ أي: يصيروا على ما في قلوبهم من ولاية اليهود ﴿نَادِمِينَ﴾ ﴿٥١﴾.

(١) يشبه أن يكون هذا الخبر من أخبار الكلبي، فإني لم أجده في كتب التفاسير، ولا سيما في ذكره أفاضل الصحابة، فإن هذه القصة قد رواها السدي كما في تفسير ابن جرير ٣٩٧/١٠، ولم يسم هؤلاء الصحابة، ومعلوم أن الكلبي يأخذ روايات السدي ومقاتل ويزيد عليها، وينسبها لابن عباس بإسناد ركه. فلا يغتر بمثل هذه الروايات، فقد برأ الله حوارى الرسول من موالاة اليهود، وكذا طلحة الخير.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ حينئذ لليهود عند قتلهم وإجلالهم ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: حلفوا إنهم لمعكم في النصر على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أكد يمينه بالله فهو جهد اليمين ﴿حَاطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ التي عملوها ﴿فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ﴾ في مودتهم مغبونين ببطلان أعمالهم.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ قال الكلبي: يعني به أهل الردة الذين ارتدوا بعد وفاة رسول الله في ولاية أبي بكر، منهم بنو تميم، وبنو حنيفة، وأسد، وغطفان، وأناس من كندة، حتى لم يبق إلا ثلاثة مساجد، مكة، والمدينة، والبحرين، فحاربهم أبو بكر بجماعة من أهل اليمن والنخع، حتى نصره الله عليهم، فأنزل الله تعالى قبل وفاة رسول الله ^(١): ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ بعد وفاة محمد فلا يضر الله شيئاً ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ أي: يهدي الله قوماً ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ أي: يحبهم الله تعالى، يثبتهم على طاعته، وهم يحبونه يطيعونه، وقيل: يحبهم لنصرة دينه، وهم يحبون دين ربهم.

محبة الله تعالى للمؤمنين بإكرامهم وإجلالهم بثوابه، ومحبتهم لله طلبهم لمرضاته، وشكرهم على نعمه ^(٢).

(١) تنوير المقباس ٩٦، وقد ذكره السمرقندي من قول ابن عباس، فدل على أنه من رواية الكلبي.

وأما رواية علي عن ابن عباس فليس فيها هذا التفصيل، بل قال: وعيد من الله من ارتد منكم أنه يستبدل خيراً منه (رواه ابن جرير في التفسير ٤١٩/١٠).

ولم يتفرد به الكلبي، بل هو قول جماعة من التابعين، كما يعرف ذلك بمراجعة كتب التفسير.

(٢) سبق التنبيه على أن المصنف يؤول أحياناً صفتي المحبة والرحمة المضافتين لله عز وجل، ويحملهما على بعض لوازمهما، وإن كانت هذه اللوازم صحيحة إلا أن ذلك لا يعني نفي المعنى الظاهر المعروف من لسان العرب، على ما سبق بيانه.

ثم وصفهم فقال: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ متواضعين متوادين للمؤمنين ﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أقوياء غلطاء على الكافرين ﴿يُجَاهِدُونَ﴾ يقاتلون ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حتى يظهر الإسلام ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ أي: ملامة لائم ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ يعني الإسلام ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ من خلقه فيكرمه به ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ لما يعطي، لا ينقص من ملكه وزن ذرة بالكسر من الإعطاء ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يصلح لذلك.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب الآية لعبد الله بن سلام وأصحابه، لأنهم شكوا مفارقة قومهم، فأنزل الله تعالى الآية يواسيهم بما أبدلهم من ولايته وولاية رسوله وولاية المؤمنين بعد ولاية اليهود^(١).

قوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ ويعطون في حال ركوعهم، قال الكلبي: نزلت ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ في علي، لأنه أعطى خاتمه وهو راكع^(٢).

فلما سمعوا الآية قال مسلمة أهل التوراة: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين ولياً^(٣).

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ أي: هو حزب الله تعالى، وحزب الله شيعته على دينه ﴿هُمْ الْغَالِبُونَ﴾ لأهل الأديان. وفي الآية دلالة فضيلة علي بن أبي طالب^(٤).

(١) وهو من رواية الكلبي، انظر: الكشف والبيان ١١ / ٣٩٠.

(٢) هذه القصة مختلفة، وقد بين ذلك علماء الإسلام، وقد غدت مثل هذه الروايات من الدخيل الذي يعكر صفو المأثور في التفسير، وينظر في ذلك: الفصل الذي عقدته في تفسير هذه الآية من كتاب: مشيخة الحافظ أبي القاسم الحسكاني الحاكم.

(٣) وهو من تنمة خبر الكلبي الذي صدر به سبب النزول، انظر: تفسير أبي الليث ١ / ٤٠٠.

(٤) فضائل علي بن أبي طالب كثيرة، وهو في غنى عن هذا الخبر الموضوع.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا [مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارًا]﴾ نزلت في مشركي العرب، عن الحسن ^(١).

وقيل: نزلت في كل كافر وعابد وثن وملحد، يعني الذين اتخذوا دين
الإسلام استهزاءً وسخرية ولعباً باطلاً؛ إذا صليتم ضحكوا، وإذا أذنتم هزؤوا؛
فلا تتخذوا هؤلاء من أهل الكتاب ولا من سائر الكفار ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: أجباء
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: مصدقين.

ثم زاد في نعتهم فقال: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا﴾ أي:
ضحكة واستهزاء ﴿ذَلِكَ﴾ الاستهزاء منهم ﴿يَأْتَهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا
يعقلون بأنهم سفهاء.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا﴾ استفهام بمعنى الجحد، أي: تكرهون منّا
ولا تنكرون علينا ﴿إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ أي: أقررنا لله ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن
﴿وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ﴾ من سائر الكتب ﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي: لا تكرهون منّا
إلا إيماننا وفسقكم، وأنتم تعلمون بأننا على الحق وأنتم على الباطل.

يقال: كيف يكون أكثرهم فاسقون، فإن كلهم فاسقون؟ قيل: فاسقون
بركوب الهوى، واتصف به بعضهم، والثاني: خارجون عن أمر الله حسداً على
النبوة، واختص به رؤساؤهم، ولأن أكثر الشيء يقوم مقام الكل.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ معشر اليهود ﴿بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ﴾ مما قلتم لنا، وهذا نزل جواباً
لقولهم: ما رأينا أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة من هؤلاء ^(٢)، فأجابهم الله

(١) سياق الآيات يقتضي أنها نزلت في أهل الكتاب، وهذا مروى عن ابن عباس من طريق محمد بن
أبي محمد بإسناده عنه، قال: كان رفاعة بن زيد بن تابوت وسويد بن الحارث قد أظهر الإسلام
ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يوادونهما، فأنزل الله فيهما الآية. (تفسير الطبري ١٠ / ٤٣٠).

(٢) البسيط ٧ / ٤٤٤.

تعالى: هل أنبئكم بشر مما قلتم وعبتم المؤمنين به ﴿مُتَوَبِّهٌ﴾ نصب على التفسير، يعني جزاء ثم بين ذلك: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ [مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ] هو في موضع الخفض لأنه بدل عن الشر، وتقدير الآية: ألا أخبركم معشر اليهود بحال هو أسوأ حالاً مما نسبتمونا إليه، وذلك الحال حال من لعنه الله: أي عذبه بالجزية ﴿وَعَصَبَ عَلَيْهِ﴾ وسخط عليه ﴿وَجَعَلَ﴾ طائفة ﴿مِنْهُمْ الْقَرْدَةَ﴾ في زمن داود ﴿وَالْخَنَازِيرَ﴾ في زمن عيسى^(١)، وجعل منهم ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ لقوله: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ أي: مَنْ يحرّفون.

وقرى: «وعبدوا الطاغوت» وهو جمع عبد أو عابد^(٢).

﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ أي: منزلة عند الله مما عبتم علينا ﴿وَأَصْلٌ﴾ منَّا ﴿عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٣) عن قصد سبيل الهدى.

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ بمحمد ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾ أي: مع الكفر ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ وهو كفر السر^(٤) ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْمُونَ﴾^(٥) من عدوانكم والكفر.

﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ﴾ يبادرون ﴿فِي الْأَثَمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المعصية والظلم ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ الرشوة في الحكم، يعني: كعباً وأصحابه ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٦) من استحلال الربا والرشوة.

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾ استفهام بمعنى التوبيخ، أي: هلا ينهاهم علماؤهم ونهوهم عن كذبهم على الله والافتراء ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ^(٧) من ترك النهي عن ذلك.

(١) قال المفسرون: القردة كفار السبت، والخنازير كفار المائدة (البسيط ٧/ ٤٤٦).

(٢) نسبت لابن مسعود، انظر: الكشف والبيان ١١/ ٤١٥، الكشف ١/ ٦٥٢.

(٣) تفسير السمعي ٢/ ٥٠.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ قيل: معناه رزقه مكفوف عنا، سلبنا ملكنا، وقر علينا في الرزق، وقيل: يد الله ممنوعة عن عذابنا^(١).

غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ: دعاء أي أُمِسَّتْ عن الإنفاق في الخير، فهم أبخل الناس^(٢).
﴿وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا﴾ عَذَّبُوا بِالْجَزِيَةِ بِمَقَالَتِهِمْ: يد الله مغلولة، ثم كَذَّبَهُمْ فَقَالَ ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ عَلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

ذكر اليد على الثنية، قيل: أراد به نعمة الدنيا والآخرة، وقيل: نعمة الدين والدنيا، وقيل: بالشواب والعقاب^(٣).

ولا تذكر الثنية ويراد بها^(٤) الجمع في قوله: ﴿وَأَنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، وقال: ﴿وَالْمَلَكُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أي: ظهراء^(٥).

(١) والمراد من الآية الأول، وهو وصفه بالبخل، عليهم لعنات الله، وظاهر الآية يدل عليه، ولذا لم يذكر ابن جرير غيره (تفسير الطبري ٤٥١/١٠) وذكر ابن الجوزي بقية الأقوال، وهي ضعيفة، زاد المسير ٥٦٥/١.

والقول الأخير الذي ذكره المصنف ذكره الثعلبي ونسبه للحسن (الكشف والبيان ٤٢٤/١١).

(٢) الكشف والبيان ٤٢٥/١١.

(٣) هذا تأويل لصفة اليدين، وقد يتوارد عليه كثير من المفسرين، يتبع كل واحد منهم أصله الذي بنى عليه، وكثير منهم ليس من أهل التحقيق في هذا الباب، فيذكر ما يذكر على غير جهة التحقيق.

(٤) في الأصل: به، والثنية مؤنث.

(٥) في هذه الجملة رد على القول السابق، وهي دليل على أن اليدين صفة لله عز وجل، ولا تفسر بالنعمة، ذلك لأن الواحد يؤدي عن الجنس، كما في الآيتين اللتين ذكر المصنف، لكن الثنية لا تؤدي عن الجنس، فلا يصح أن تقول: ما أكثر الدرهمين في أيدي الناس، فدل قوله بل يدها مبسوطتان - مع إخباره عبادة أن نعمه لا تحصى - على خطأ من فسر اليدين بالنعمة. وعلى صحة قول من قال: يد الله صفة له. وقد أطال ابن جرير تقرير ذلك في تفسيره ٤٥٦/١٠.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ يعني: يزداد كثير من اليهود بالقرآن طغياناً في النعمة، وكُفراً بالله عز وجل ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ يعني بين أهل الكتابين ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ أي: أجمعوا أمرهم على مكر محمد صلى الله عليه وسلم ردَّ الله مكرهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ وهو منعهم السَّفلة عن الإسلام ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٦٤).

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾ بتوحيد الله ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي: شرهم ومساوئ أعمالهم ﴿وَلَا دَخَلَتْهُمْ﴾ في الآخرة ﴿جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ (٦٥) يتنعمون فيها.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ أي: عملوا بما فيهما ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وهو القرآن ﴿لَا كَلُوا مِن فَوْقِهِمْ﴾ من مطر السماء ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ من نبات الأرض.

ثم أثنى على المؤمنين فقال: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ جماعة عادلة عاملة بالخير ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (٦٦) بس الشيء عملهم (١).

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ سبب نزول الآية: أن اليهود قالوا لرسول الله: إنا لذو عدد كثير فاحذرنا أن نقتلك إن لم ترجع، فكان بعد ذلك يحرس رسول الله مائة من المهاجرين، فأمره الله بتبليغ الرسالة وأمنهم عن مكر اليهود، فأخرج رسول الله رأسه من القبة وقال: يا معشر المسلمين، ارجعوا فقد

وقال السمعاني (في تفسيره ٥١/٢): وأما اليد: صفة لله - تعالى - بلا كيف، وله يدان، وقد

صح عن النبي أنه قال: كلتا يديه يمين. والله أعلم بكيفية المراد.

(١) تفسير الطبري ٤٦٦/١٠.

عصمني الله عن الناس^(١).

﴿وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ معناه: إن لم تبلغ شيئاً منه فقد بطل جميع ما كان قبل هذا من التبليغ ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ من اليهود حتى لن ينالوك بسوء أو أسر أو قهر، فكان رسول الله بعد ذلك يخرج وقت السحر إلى أودية المدينة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ من بني قريظة والنضير.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُتِمُّوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ بعد ما حرفتكم، وقيل: حتى عملتم^(٢) به ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ من نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ [مِنْ رَبِّكَ]﴾ من القرآن ﴿طُعِينَا وَكُفِّرْنَا﴾ أي: تجبراً وتكبراً ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لا تحزن إن لم يؤمنوا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالظاهر، وهم المنافقون^(٣) ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: مالوا ﴿وَالصَّابِغُونَ﴾ وهم الذين يعبدون الملائكة ﴿وَالنَّصَارَى مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ من آمن من هؤلاء الأربع ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

(١) القصة مشهورة دون ذكر اليهود، وقد روى نحوها ابن جرير عن جماعة ١٠ / ٤٧٠، وانظر: الكشف والبيان ١١ / ٤٣٥.

(٢) في الأصل: علمتم، وهو تصحيف، انظر: تفسير أبي الليث ١ / ٤٠٦.

(٣) وهو قول الزجاج في معاني القرآن ٢ / ١٩٤، والواحدي في البسيط ٧ / ٤٧٢، والسمعاني في التفسير ٢ / ٥٤، ويدل عليه أن السياق كان في المنافقين، فسامهم مؤمنين باعتبار أحكامهم الدنيوية.

وحمله ابن جرير على المؤمن الحقيقي، وأن المراد الثبات على الإيمان، وذلك في تفسير نظيرتها في سورة البقرة، آية: ٦٢ (تفسير ابن جرير ٢ / ١٤٨).

والصابئون رُفِعَ على تطاول الكلام، لأن العرب تعدل من الرفع إلى
النصب ومن النصب إلى الرفع إذا طال الكلام^(١).
كقول الشاعر^(٢):

وكل قوم أطاعوا أمرَ مُرْشِدِهِم إِلَّا نُمِيرًا أَطَاعَتْ أَمْرَ غَاوِيهَا
الظَّاعِنِينَ وَلَمَّا يُطْعَمُوا أَحَدًا والقائلونَ لمن دار نُخْلِيهَا

وقيل: إنه مرجوع على قوله: «آمنوا» والواو والألف فيه في موضع الرفع^(٣).
﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وهو عهد الله إليهم أن يبينوا بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا﴾ وهم ألف رسول ونبي ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ
رَسُولٌ﴾ من رسل الله ﴿بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: لا يوافق مرادهم ﴿فَرِيقًا﴾ من
الرسل ﴿كَذَّبُوا﴾ مثل عيسى ومحمد ﴿وَفَرِيقًا﴾ [يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾] قتلوهم مثل
يحيى وزكريا.

يقال: وعد الله النصر لأنبيائه بقوله ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ الآية، فكيف لم
ينصرهم حتى قُتِلُوا؟

قلنا: أصحاب الشرائع والكتب لم يصل أحدٌ إلى قتلهم، ووعد الله النصر
لرسل الذين يقاتلون في سبيل الله، والأنبياء غير المرسلين، كانوا يأمرُونَ
بالمعروف وينهون عن المنكر ويحثون على الطاعة لا غير^(٤).

(١) المفسرون يحيلون في هذه الآية إلى نظيرتها في سورة البقرة، انظر: التبيان في إعراب القرآن
٤٥٢/١، الدر المصون ٣٥٣/٤.

(٢) البيتان في معاني القرآن للزجاج ٤٤/١، والكشف والبيان ٣٤٩/٤، والجامع لأحكام القرآن
٢٢١/٢.

(٣) البسيط ٤٧٢/٧.

(٤) وهو جواب الزجاج، في معاني القرآن ١٩٥/٢.

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ أي: حسبوا أن يتركوا^(١) إذا قتلوا الأنبياء وآمنوا، وقيل: حسبوا أن لا يبتلوا بقتل الأنبياء^(٢) ﴿فَعَمَّوْا﴾ عن الدين والهدى ﴿وَصَمَّوْا﴾ أي: صاروا كالعميان، ترك التوبة والإيمان، صاروا أصم عن الحق ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بإرسال محمد إليهم، فأعلمهم أن الله يقبل توبتهم إن تابوا ﴿ثُمَّ عَمَّوْا وَصَمَّوْا﴾ بترك التوبة والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ وهم الذين لم يؤمنوا به.

رفع كثير منهم لأنه في المعنى: عمى وصم كثير منهم، فالكثرة صفة العمى والصم^(٣).

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(٦) عالم بهم وبأحوالهم.

ومذهب البصريين: الفعل إذا تقدم الاسم يجمع، وفي القرآن: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(٤).

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هم أهل نجران، وهم اليعقوبية، لأن بعض أحبارهم قالوا: هو الله نزل من السماء فأحيا ما أحيا، وأمات ما أمات، وتابعه قوم وهم اليعقوبية^(٥).

(١) في الأصل: يركنوا، وهو تصحيف فيما يظهر.

(٢) تفسير الطبري ١٠ / ٤٨٠، تفسير أبي الليث ١ / ٤٠٧.

(٣) الكشف ١ / ٦٦٣، التبيان في إعراب القرآن ١ / ٤٥٣.

(٤) وهي لغة: أكلوني البراغيث، وعلى هذا فكثير فاعل: عموا وصموا، الكشف ١ / ٦٦٣، التبيان في إعراب القرآن ١ / ٤٥٣.

(٥) هذا مذهب اليعقوبية كما قال المصنف، ومثله في تفسير الطبري (١٠ / ٤٨٤) وجعله الثعلبي: مذهب الملكانية (الكشف والبيان ١١ / ٤٤٩).

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِإِلَهِ﴾
 أي: مع الله شيئاً ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ أي: دخول الجنة ﴿وَمَأْوَاهُ
 النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ للمشركين ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ من عذاب الله عز وجل.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ وهم الملكانية^(١) من
 النصارى يقولون: نعبد أباً وابناً وروحاً قدساً، يعنون عيسى، ثم يقولون هم
 ثلاثة: اللاهوت، والناسوت، والروح الطيب، لعنهم الله بذلك^(٢).

﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ دخلت «مِنْ» في الكلام للتأكيد، يعني: ما
 إله إلا الله واحد ليس له شريك ولا شركاء لا واحد ولا أكثر من ذلك ﴿وَإِنْ لَّمْ
 يَنْتَهُوْا﴾ أي: لم يمتنعوا ﴿عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
 ﴿٧٣﴾ في الآخرة.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ ألف إنكار بمعنى الاستفهام، وقيل:
 أراد به الأمر^(٣).

وقيل: إنها أرجى آية في كتاب الله تعالى إذ دعاهم إلى التوبة مع قبيح
 فعلهم، وفيها دليل على أن التوبة غير الاستغفار لأنه فرّق بينهما^(٤).

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر للتائبين ويرحمهم.

﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أي: الآيات التي جاء
 بها من إبراء الأكمه والأبرص [وإحياء] الموتى؛ لأنه ليس إله، ولكنها آيات

(١) في الأصل: الملكية.

(٢) تفسير الطبري ١٠/ ٤٨٢، تفسير أبي الليث ١/ ٤٠٨، تفسير ابن كثير ٣/ ١٥٧.

(٣) وهو قول الفراء ٢/ ١٩٦، وانظر: تفسير أبي الليث ١/ ٤٠٩، البسيط ٧/ ٤٨٣، زاد المسير

٥٧٢/١.

(٤) تفسير الطبري ١٠/ ٤٨٢، تفسير أبي الليث ١/ ٤٠٨، تفسير ابن كثير ٣/ ١٥٧.

كآيات سائر الرسل^(١) ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ مبالغة في الصدق، صدّقت جبريل إذ قال لها ﴿أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ ﴿١٩﴾ فصدّقتها، ومنه قوله ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾.

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ وكيف يكون إله من يعيش بالطعام، وولדתه النساء، ذكر الطعام ونبه عن عاقبته وهو الحدث ليعلم العاقل أنه لا يصلح للربوبية^(٢).
﴿أَنْظُرْ كَيْفَ بُنِيَ لَهُمُ الْأَيَاتِ﴾ يعني آيات الربوبية ﴿ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يُصرفون من الحق إلى الباطل.

والإفك: في الأصل هو الكذب، لأنه مصروف عن الصدق.
قيل: ليست في القرآن آية أقطع من هذه الآية لخصومة النصارى.

(١) وهو من معاني القرآن للزجاج ١٩٦/٢.

(٢) البسيط ٤٨٧/٧.

وفيه عن ابن قتيبة قال: هذا ألطف ما يكون من الكناية، لأنه عبر عن الحدث بالطعام، لأن من أكل الطعام لا بد له من أن يحدث، فلما ذكر أكل الطعام صار كأنه أخبر عن عاقبته، والطعام والحدث ليسا من أوصاف الإلهية، وأنكر عمرو بن بحر [هو الجاحظ وتصحف في الأصل] أن يكون هذا كناية عما ذكر، وقال: كأنه لم يعلم أن في الجوع وما ينال أهله من الذلة والعجز والفاقة أدل دليل على أنهم مخلوقون، حتى ادعى على الكلام شيئاً قد أغناه الله عنه. (غريب القرآن لابن قتيبة ١٤٤).

قلت: وهذا الذي قاله الجاحظ قد قال مثله ابن جرير في التفسير ٤٥٨/١٠، والزجاج في معاني القرآن ١٩٧/٢، والزمخشري في الكشاف ٦٦٥/١، وهو بيان الآية، وقول ابن قتيبة قد نسبته الثعلبي في الكشف والبيان ٤٥٠/١١، لأهل المعاني، وقد قال به النحاس في إعراب القرآن ٢٧٨/١، وهو من قبيل التفسير باللازم. وما كان من هذا القبيل فإنه يفسر بظاهر ولا يمنع لازمه، إذا كان صحيحاً.

وينظر: مبحث الرازي (في مفاتيح الغيب ٤٠٩/١٢): «في بيان وجوه فساد قول النصارى».

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أيها النصارى ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ في الدنيا ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ في الآخرة ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولهم الشرك مع الله ﴿الْعَلِيمُ﴾ ﴿٧٦﴾ بعقوبتهم.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ الغلو تجاوز الحد إلى الزيادة، والتقصير خروج عن حده إلى النقصان، ودين الله بين الغالي والمقصر.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾ أي: مذاهبهم ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ ممن تبعهم ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ﴿٧٧﴾.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ] أي: مسخ بدعاء داود، وهم أصحاب السبب من أهله أيلة، صاروا قردة.

والذين مسخوا بدعاء عيسى: أهل المائدة، أكلوا من مائدة السماء، فأكلوا منها وأنكروا نبوة عيسى، فدعا عليهم فصيرهم الله خنازير بدعائه.

﴿ذَلِكَ﴾ المسخ لهم ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ [وَكَانُوا يَعْتَدُونَ] ﴿٧٨﴾ واعتدوا بأخذ السمك يوم السبت.

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: لا يمتنعون من استحلال صيد السمك وأخذ الرشوة وأكل الربا ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يظاهرون مشركي العرب على رسول الله ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ كلمة «أن» إذا لحقت بالفعل كان المراد منه المصدر، أي: بس ما قدمت لهم أنفسهم سخط الله عليهم ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ﴿٨٠﴾.

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أنه واحد لا شريك له ﴿وَأَلَنَّا﴾ محمد عليه السلام ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾ من القرآن ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: الكفار أولياء

﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: اليهود والمنافقين ﴿فَسِقُوتٌ﴾ (٨١) ناقضون للعهد مع كفرهم.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾ يعني يهود بني قريظة والنضير وفدك وخير^(١).

اللام: لام القسم، والنون للتأكيد، يقول: أشد الناس عداوة للمؤمنين. ومشركو أهل مكة أيضاً، وقيل: يعني به جملة اليهود ومشركي العرب جملة.

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بمحمد وأصحابه ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾ وهو النجاشي وأصحابه، وهم أربعون نفراً، اثنان وثلاثون من أرض الحبشة، وثمانية من رهابين أهل الشام^(٢).

﴿ذَلِكَ﴾ المودة ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهَبَانًا﴾ أي: متعبدين وأصحاب الصوامع ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٨٢) لا يتعظمون عن قبول الحق.

(١) قال الزمخشري (في الكشاف ١/ ٦٦٨): وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق ولين عريكة النصاري وسهولة ارعوائهم وميلهم إلى الإسلام، وجعل اليهود قراء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين، بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا، وكذلك فعل في قوله ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [سورة البقرة: ٩٦] ولعمري إنهم لكذلك وأشد. وعن النبي صلى الله عليه وسلم «ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما بقتله» وعلل سهولة مأخذ النصاري وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانا أي علماء وعبادا وأنهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم، واليهود على خلاف ذلك.

(٢) قول سعيد بن جبير، والسدي، ورواية علي عن ابن عباس على أنها في النجاشي، وقول قتادة أنها في قسيسين من النصاري (تفسير الطبري ١٠/ ٤٩٩) والمصنف نقل قول مقاتل والكلبي (كما في الكشف والبيان ١١/ ٤٦١).

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ﴾ أي: هم الذين سمعوا القرآن من جعفر ابن أبي طالب بالحبشة، وقيل: قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة.

﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ أي: تسيل ﴿مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: سالت دموعهم لمعرفة صفة محمد في كتابهم ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ أقرنا بوحدانيتك وكتابك ورسولك ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٨٢﴾ اجعلنا من أمة محمد؛ الذين شهدوا أن محمداً رسول الله.

فلما رجعوا إلى قومهم لأمهم قومهم، فقالوا ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ وهو الكتاب والرسول ﴿وَنُظَمِعُ أَنْ يَدْخُلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوِّمِ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ أي: نرجو من الله إدخال الجنة مع أصحاب محمد، وقيل النبيين.

﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ أي: جازاهم في الآخرة بإيمانهم ﴿جَنَّتِ تَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ الموحدين المخلصين.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وهم مشركو العرب والكافرون من النصارى ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٨٥﴾ وهي نار شديدة الانتقاد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ نزلت في جماعة من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود ومقداد وعثمان بن مظعون وغيرهم، تواتقوا في بيت عثمان بن مظعون أن لا يأكلوا ولا يشربوا إلا قوتاً، ولا يأكلوا لحماً ولا دسماً، ولا يأتوا النساء، وأن يجبوا أنفسهم، فنهاهم الله عن ذلك، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني أكل وأشرب وأكل اللحم والدسم، وأنام وأصلي، وآتي النساء وأصوم وأفطر، فمن رغب عن سنتي

فليس مني»^(١).

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ مما حدَّ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٨٧).

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الطعام والشراب إذا كان أصله من حلال
﴿حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في تحريم ما أحل الله لكم ﴿الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾
﴿مصدقون﴾^(٨٨).

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ إذ حلف القوم بما حلفوا^(٢)، نزلت
الآية.

واللغو في اللغة: ما لا يعتد به، قيل: هو يمين الظان، وقيل: ما يجري في
كلام الناس لا والله وبلى والله، معناه: لا يوجب الله الكفارة في لغو أيمانكم.

﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ أي: عزمتم عليه ﴿فَكَفَرْتُمْ﴾ أي:
كفارة الحنث ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ﴾ أي: أعدل ما
تطعمون ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ من الخبز ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ لكل مسكين ثوبًا كبيرًا أو صغيرًا ﴿أَوْ
تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ سليمة من الآفات.

وكلمة «أو» في الآية للتخيير لا للترتيب عند الجمهور^(٣).

﴿فَمَنْ لَمْ يُجِدْ﴾ ذلك أي: يعسر عليه ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ متتابعات^(٤)
﴿ذَلِكَ كَفَّرةٌ أَيْمَانِكُمْ﴾ ليستر وبال آثامكم ﴿إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ كيلا

(١) هذا مستخلص من مجموع روايات ذكرها ابن جرير وغيره، انظر: تفسير الطبري ١٠ / ٥١٤،

تفسير أبي الليث ١ / ٤١٣، الكشف والبيان ١١ / ٤٦٦. وأقرب الألفاظ إليه لفظ قتادة.

(٢) يعني الصحابة المذكورين في الآية السابقة، فإنهم كانوا حلفوا على فعل ذلك.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٢٧٥ حيث فصل في ذلك.

(٤) وفي ذلك خلاف مشهور ذكره القرطبي وغيره، انظر: الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٢٧٧.

تحشوا، وقيل: احفظوا كيلا تضيعوا كفارتها ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ يعني كفارة اليمين ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ نعمه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ أي: شرب الخمر واستعمال الميسر، فالميسر القمار، حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب.

وعن مجاهد: الميسر كعاب فارس وقداح العرب^(١).

والفعل منه: يسر يسر يسراً بجزم السين فهو يسرٌ ويسرٌ^(٢).

﴿وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَمُ﴾ ما تقدم شرحه في أول السورة ﴿رَجُسُ﴾ أي: هذا كله خبيث مستقذر من عمل الشيطان وإغرائه ﴿فَلَجَبْنَاهُ﴾ أي: عن الرجس ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ أي: تسعدون وتظفرون.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَوَّةَ﴾ في الظاهر ﴿وَالْبَغْضَاءَ﴾ في القلوب ﴿فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: يريد أن يصدكم عن ذكر الله، أي: طاعته ﴿وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ الخمس ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ ﴿٩١﴾ استفهام خرج مخرج التهديد، يعني: انتهوا عن هذه الحرمات، فلما نزلت الآية قالت الأنصار: «انتبهينا يا رب عن شربها»^(٣).

(١) رواه الطبري في التفسير ٥١٢/٩. وقد فسروا الكعاب بفص النرد (تاج العروس ١٤٩/٤).

(٢) تاج العروس ٤٥٩/١٤.

(٣) عن أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب، قال: لما نزل تحريم الخمر، قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء، فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ٢١٩] قال: فدعي عمر، فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء، فنزلت الآية التي في سورة النساء: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [سورة النساء: ٤٣]، فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادى: أن لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ فيما بين لكم من تحريم هذه الأشياء ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فيما أخبركم به ﴿وَأَحْذَرُوا﴾ أن تخالفوهما ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الطاعة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿٩٣﴾ عن الله بما أمر ونهى، أي: عليه البلاغ وعلينا الجزاء.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾ أي: إثم ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾ أي: شربوا الخمر قبل ^(١) تحريمها ثم ماتوا ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿وَوَءَامَنُوا﴾ أي: صدَّقوا بما أخبرهم من تحريم الخمر ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الفرائض والواجبات ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ يعني استحلال الخمر بعد تحريمها ﴿وَوَءَامَنُوا﴾ بتحريمها ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ شربها بعد تحريمها ﴿وَأَحْسَنُوا﴾ في الإمساك عنها ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٩٤﴾ الذين اتقوا الحرام وعظّموا نهي الله تعالى وأمره ^(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ﴾ هو لام القسم ونون التوكيد كما ذكرنا ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ في الحرم والإحرام، وذلك في عام الحديبية حين صدهم المشركون، وكانوا قد ضلوا طريقهم في ليلة ظلماء، ووقعوا بالحديبية، وكان

الخمر بيانا شفاء، فنزلت الآية التي في المائدة، فدعي عمر فقرئت عليه، فلما بلغ ﴿فَهَلْ أُنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ [سورة المائدة: ٩١] قال: فقال عمر: انتهينا، انتهينا.

رواه أحمد (٣٧٨) بإسناد صحيح. ورواه أبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٧).

(١) في الأصل: أي، وهو تصحيف.

(٢) في صحيح البخاري (٤٦٢٠) وصحيح مسلم (١٩٨٠) عن أنس بن مالك، قال: كنت ساقى

القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شراهم إلا الفضيخ: البسر والتمر، فإذا مناد ينادي، فقال: اخرج فانظر، فخرجت، فإذا مناد ينادي: «ألا إن الخمر قد حرمت»، قال: فخرجت في سكك المدينة، فقال لي أبو طلحة: اخرج فاهرقها، فهرقتها، فقالوا - أو قال بعضهم: - قتل فلان، قتل فلان، وهي في بطونهم، - قال: فلا أدري هو من حديث أنس -، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [سورة المائدة: ٩٣].

يغشاهم الصيد في رحالهم^(١).

﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ﴾ مثل بيض النعام وأفراخها ﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾ ظباء الحرم ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي: ليميز الله من يخاف عذابه ممن لا يخاف بالغيب.

والغيب: هو توارى الشيء بحيث لا يقع عليه الحس، معناه: يخاف الله فيما بينه وبين ربه فيمتنع عن المناهي^(٢).

﴿فَمَنْ أَعْتَدَى﴾ أي: تجاوز الحد بأخذ الصيد ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ البيان ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قيل في التفسير: يملأ ظهره وبطنه سوطاً، أي: يضرب^(٣).

﴿يَأْيَأُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ في الحرم، أو محرمين بالحج أو العمرة ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً﴾ بعد النهي ناسياً أو ذاكراً لإحرامه عمداً أو خطأ سواء ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ أي: فعليه جزاء مثل ما على قاتل النعم، أي: الإبل والغنم والبقر ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ أي: أهل ملتكم، رجلاً نقيهاً صالحاً ﴿هَذَا بِلَغِ الْكَعْبَةِ﴾ أي: يشترى هدياً يبلغ إلى الكعبة، وإن كان لا يبلغ قيمته الهدي يشترى بثمنه طعاماً يتصدق به، لكل مسكين نصف صاع ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ إن لم يجد طعاماً يصوم لكل مدين من الطعام يوماً ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهُ﴾ أي: جزاء ذنبه.

(١) لم أجده مسنداً، لكن ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٤٩٧/١١، والواحي في البسيط ٥١٥/٧، والزمخشري في الكشاف ٦٧٧/١، ولم يذكره الزيلعي في التخريج، وهو من مرويات مقاتل كما في تفسيره ٥٠٣/١.

(٢) تفسير الطبري ٥٨٥/١٠.

(٣) وهو من رواية الكلبي عن ابن عباس كم في تنوير المقباس ١٠١، والبسيط ٥١٧/٧. وهذا يدل على أنه عذاب دنيوي، وهو التعزير، أو الكفارة كما في تفسير أبي الليث ٤١٨/١، والصحيح أن المراد عذاب يوم القيامة، (انظر: تفسير الطبري ٥٨٥/١٠، تفسير ابن كثير ١٩٠/٣).

الوبال: ثقل الشيء من حمل المكروه^(١)، والوبيل: العصا الضخمة، وطعام وبيل غير مريء.

﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ في الجاهلية وبدء الإسلام قبل النهي ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ مستحلاً للصيد بعد التحريم ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ أي: يعذبه الله ويجازيه كجزاء قاتل النفس ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ ينتقم ممن يشاء وهو ﴿ذُو أَنْتِقَامٍ﴾ من أعدائه.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾ أي: السمك الذي حسر عنه الماء أو لفظه^(٢) ﴿مَتَعَا لَكُمْ﴾ أي: منفعة للمقيم ﴿وَاللَّيَّارَةُ﴾ أي: المسافرين، يعني السمك المالح ﴿وَحَرِّرَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ أي: محرمين، أو في الحرم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ اخشوه ولا تستحلوا الصيد في الحرم ﴿الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ أي: قبلة، وقيل: قواماً لمصالح دينهم ودنياهم، وأماناً لهم^(٣).

﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ أي: جعل هذه الثلاثة أمناً لهم ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكر ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لأنَّ الرجل إذا رأى قاتل أبيه أو أخيه في الحرم أو الشهر الحرام لا يتعرض له، ولولا ذلك لانسدت الطرق، والله تعالى منَّ عليهم بمراعات هذه المصلحة، لأنه يعلم غيب السموات والأرض، فكيف لا يعلم بصلاح هذا القول.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ بصلاحتهم وفسادهم.

(١) في الأصل: حملة، ولعل الذي أثبتته البق، انظر: تفسير الطبري ٤٧/١٠، البسيط ٥٢٨/٧.

(٢) تفسير الطبري ٥٧/١١، البسيط ٥٣٠/٧.

(٣) تفسير الطبري ٩١/١١، وقد قيل إن الناس هنا هم العرب خاصة، فيكون على هذا التفسير من الخاص الذي أريد به العام.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن استحل المحارم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ متجاوز عمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾ ١٨ ﴿إِذْ رَخَصَ لَهُ فِي التَّوْبَةِ﴾.

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَغُ﴾ من الله والإنذار للمكلفين ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ ١٩ ﴿أَي: تظهرون وتضمرون﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ قيل: لا يستوي الكافر والمؤمن، وقيل: لا يستوي المال الحرام والحلال^(١).

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ يا ابن آدم، أي: راقك ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ أي: الحرام ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ اخشوه ﴿يَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: ذوي العقول ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٢٠ ﴿تَنْجُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ أي: تظهر لكم ساءكم ذلك.

قيل: سألوا رسول الله عن وجوب الحج في كل عام، فكره رسول الله ذلك منهم، فأعادوا ثم أعادوا، ثم قال رسول الله: «ما يؤمنكم أن أقول في كل عام ولا تطيقونه»^(٢).

(١) قال الطبري (في التفسير ٩٦/١١): يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، قل يا محمد: لا يعتدل الرديء والجيد، والصالح والطالح، والمطيع والعاصي، ولو كثر أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم، لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلوا، دون أهل معصيته، وإن أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا، فلا تعجب من كثرة من يعصى الله فيمهل ولا يعاجله بالعقوبة، فإن العقبي الصالحة لأهل طاعة الله عنده دونهم

(٢) رواه مسلم في الصحيح (١٣٣٧) عن أبي هريرة، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو قلت: نعم لوجبت، ولما

﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ﴾ أي: تبد لكم حين ينزل القرآن ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ أي: عن مسألتكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٣﴾ قيل: نزلت في رجل سأل رسول الله عن نسب نفسه، واستقصى في ذلك، حتى أخبره رسول الله أنه ولد الزنا^(١).

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ﴾ [ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٣﴾] أي: قوم صالح، سألوا الناقة ثم كفروا بها، وقوم عيسى سألوا المائدة ثم كفروا بها، فلا تسألوا أنتم.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ وهي الناقة التي تشق أذنها شقاً واسعاً، كانت الناقة إذا نتجت خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها، وتركوا ركوبها وذبحها، فلا يطردوها عن الماء والمرعى، ولا يُشرب لبنها، فإذا ماتت يأكلها الرجال والنساء، وإن كان الولد الخامس أنثى نحروها، وكانت لا تمنع من ماء وكلاء، ويتنفع بها الرجال دون النساء، من لبنها ووبرها، فإذا ما ماتت أكلها الرجال والنساء^(٢).

استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». وليس في هذا الحديث أن القصة سبب النزول. وقد رواه ابن جرير من طرق أخرى فيها أن ذلك سبب النزول ١١/ ١٠٤.

(١) في صحيح البخاري (٤٦٢١) ومسلم (٢٣٠٩): عن أنس رضي الله عنه، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلاً قط، قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً»، قال: فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين، فقال رجل: من أبي؟ قال: فلان، فنزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْؤَلُكُمْ﴾. وانظر الروايات في ذلك في تفسير الطبري ٦/ ٥٤. وليس في شيء من ذلك انه نسبة للزنا.

(٢) البحر: الشق، انظر: مجاز القرآن ١/ ١٧٧، تفسير الطبري ١١/ ١٢٢، معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢١٣، الكشف والبيان ١١/ ٥١٩، البسيط ٧/ ٥٥٢، على خلاف ليس بالشديد.

﴿وَلَا سَابِغَةً﴾ والسابغة: ما سببها صاحبها للأصنام، أي: أرسلها وأطلقها وسلمها إلى السدنة ليفعلوا بها ما شاءوا في مصلحة الأصنام^(١).

﴿وَلَا وَصِيلَةً﴾ من الغنم التي وصلت أخاها وهي أنثى، ولدت معه في البطن السابع، كانت تترك مع أخيها فلا تُدْبَح، وكانت للرجال دون النساء [حتى] تموت^(٢)، فإذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء، وكان ولد الغنم في البطن السابع إذا كان ذكراً ذبحوه فأكله الرجال والنساء وإن كان أنثى لم ينتفع بها النساء حتى يموت فأكلوه كلهم رجالاً ونساءً^(٣).

﴿وَلَا حَامِرٍ﴾ وهو الفحل من الإبل الذي رُكب ولد ولده، يقال: حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من رعي ولا ماء، وأيماً إبل أتاها لم يحل بينه وبينها، فإذا مات أكله الرجال والنساء^(٤).

أول من وضع لهم هذه السُنَّة: جُنادة بن عوف الكناني، وغير الدين الحنيفة دين إبراهيم، ونصب الأصنام حول الكعبة^(٥).

(١) قال الزجاج (في معاني القرآن ٢/ ٢١٣): والسابغة: كان الرجل إذا نذر لقدم من سفر أو برء من علة أو ما أشبه ذلك قال: ناقتي هذه سائبة، فكانت كالبحية في أن لا ينتفع بها وأن لا تجلئ عن ماء ولا تمنع من مرعى، وكان الرجل إذا أعتق عبداً قال هو سائبة، فلا عقل بينهما ولا ميراث.

وانظر: تفسير الطبري ١١/ ١٢٣.

(٢) تنوير المقباس ١٠٢.

(٣) تفسير الطبري ١١/ ١٢٤، معالم التنزيل ٣/ ١٠٧.

(٤) استوعب ابن الجوزي الخلاف في بيان هذه المسميات في زاد المسير ١/ ٥٩٢، والذي ذكره المصنف - وإن اعتمد فيه على الكلبي - هو المشهور عند المفسرين.

(٥) لم أجد من ذكره في هذا الباب، بل المشهور أنه من النساء، والله أعلم.

وقيل: هو عمرو بن عامر بن لحي^(١). فأخبر الله تعالى أنه لم يأمر بشيء من هذه.

﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٣) أي: كلهم لا يفهمون أمر الله ونهيه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي: اعملوا به ﴿وَالْيَا رَسُولَ﴾ إلى ما بين الرسول من سنته أجابوا ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من الدين والمنهاج وهو الشرك ﴿أُولَئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١٤) إلى الإقرار بالحق فهم يقتدون بهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ أي: عليكم بحفظ أنفسكم وصلاحيها، لا تنقصكم جهالة من جهل من أهل مكة، حيث قالوا: إن محمداً شرط أن لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، وإنه قد قبل من مجوس أهل هجر، وحزن المسلمون بذلك^(٢).

(١) في الأصل: عمر بن عامر بن يحيى، تصحف على الناسخ، وهو عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي، في صحيح البخاري (٤٦٢٣) ومسلم (٢٨٥٦): عن سعيد بن المسيب، قال: البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء قال: وقال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، كان أول من سب السوائب» والوصيلة: الناقة البكر، تبرك في أول نتاج الإبل، ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم، إن وصلت إحداها بالأخرى ليس بينهما ذكر، والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعداد، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت، وأعفوه من الحمل، فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي.

(٢) وهذا من رواية الكلبي بإسناده عن ابن عباس، كما في الكشف والبيان ٥٢٨/١١، والبسيط ٥٥٩/٧.

ثم قال: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ المؤمن والكافر ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٥) ويجازيكم.

وقوله ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ أي: الزموا أنفسكم فإن الله لا يؤاخذكم بذنوب غيركم وهذا لا يوجب ترك الأمر بالمعروف^(١).

(١) انظر بيان ذلك بتوسع في: تفسير الطبري ١١/١٣٨، الكشف والبيان ١١/٥٢٥.

وقال الواحدي (في البسيط ٧/٥٦٠): ويقال: هل تدل هذه الآية على جواز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قيل: في هذا وجه:

أحدها: وهو الذي عليه أكثر الناس أن الآية لا تدل على ذلك، بل توجب أن المطيع لربه لا يكون مؤاخذاً بذنوب العاصي، فأما وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمعقول بالآيات في ذلك، وخطب أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ وتضعونها غير موضعها، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم ينكروه، يوشك أن يعمهم الله بعقاب».

الوجه الثاني في تأويل الآية: ما روي عن ابن مسعود وابن عمر أنهما قالَا: قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ يكون هذا في آخر الزمان.. ويؤكد هذا الوجه: ما روي أن أبا ثعلبة الخشني سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال: ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت دنيا مؤثرة، وشحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخويصة نفسك، وذرعواهم. الوجه الثالث في تأويل الآية: ما ذهب إليه عبد الله بن المبارك، فقال: هذه أوكد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الله تعالى خاطب بها المؤمنين جميعاً، وأغراهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ يعني: عليكم أهل دينكم ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ﴾ من الكفار.. وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء عنه..

الوجه الرابع: أن الآية نازلة في أهل الأهواء، لأنه لا ينفعهم الوعظ ولا يتركون هواهم بالأمر بالمعروف، فإذا رأيتهم أو كنت فيهم فعليك نفسك وذرعهم وما اختاروه لأنفسهم، فلن يضررك ضلالهم. وهذا الوجه يروى عن صفوان بن مخرز، ونحو ذلك قال الضحاک..

قال أبو عبيد: والذي أذن الله في إقراره والإمساك عن تغييره بقوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ إنما هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من أجل أنهم أهل ملل يدينون بها، فأما

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدُوا بَيْنَكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: شهادة خصومات بينكم، وقيل: أراد بالشهادة اليمين، يعني اليمين الذي يجب بالتنازع الواقع فيما بينكم.

وقال أبو سهل الأنماري رحمه الله: في الآية إضمار، معناه: إذا حضر أحدكم الموت وهو مسافر أو مقيم وحضر وصيته اثنان ذوا عدل منكم؛ واثنان من غيركم؛ فالحكم فيه سواء.

والقصة في ذلك أن عدي [بن بندي ويقال: ابن بداء]^(١) وتميم بن أوس الداري - وهما نصرانيان - خرجا في سفر مع بديل بن أبي مارية، مولى لعمر بن العاص، وكان مسلماً، فمرض بديل وأوصى إلى صاحبيه النصرانيين، وكتب أمتعته^(٢) في نسخة، ودس ذلك في بعض متاعه، فلما مات فتشأ متاعه وأخذ منه جاماً من فضة منقوشاً بالذهب، وأخذوا الوصيين، وطلبوا منهما، فأنكرا، فاختصموا إلى رسول الله فنزلت الآية^(٣).

الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام فلا يدخل في هذه الآية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان في أهل المعاصي من المسلمين على الأبد..

(١) في الأصل: تصحف عليه الاسم فكتبه على أشكال: عدي بن بند وين وابي ابن بد. وقد أثبت ما استظهرت أنه صواباً.

واختلف في اسم عدي، ففي الكشف والبيان ٥٣٠/١١: بن بندي، وفي تفسير الطبري ١٨٥/١١: بن بداء، وهو المشهور عند أهل التفسير والحديث، والله أعلم.

(٢) في الأصل أقرب في الصورة إلى: أقمشته، وهو تصحيف، وما أثبتته الصواب، بدليل آخر القصة.

(٣) الخبر مطولاً في تفسير ابن جرير ١٨٧/١١.

واختلف في اسم عدي، ففي الكشف والبيان ٥٣٠/١١: بن بندي، وفي تفسير الطبري ١٨٥/١١: بن بداء، وهو المشهور عند أهل التفسير والحديث، والله أعلم.

وذكر أمر السفر ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ للتجارة ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ أَلَمَوْتٌ﴾ محنة، وقيل: أراد به مصيبة الموت لأولياء الميت^(١) بموت صاحبهم بُدِيل ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾ وفيه إضمار، أي: اهتموا الوصيين احبسوهما، خبرٌ بمعنى الأمر ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ أي: صلاة العصر، لأن أهل الكتاب يعظمون وقت وجوب الشمس ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ الذي لا إله إلا هو ﴿إِنْ أُرَبِّبْتُمْ﴾ يا أولياء الميت في أمرهما، وقيل: يقول الوصيان ذلك في تمنيهما ذلك؛ إن شككتم يا أولياء الميت فبالله الذي لا إله إلا هو ﴿لَا نَشْتَرِي﴾ بهذا اليمين ﴿ثَمَنًا﴾ قليلاً من عرض الدنيا ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ الميت ﴿ذَا﴾ قرابة منّا في الرحم، ولا نفعل ذلك أيضاً.

﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ قرأ بعضهم: بتنوين «شهادة» وكسر «الله»، أي: لا نكتم الشهادة بالله، وكلمة «الله» يراد بها القسم في الكلام، لأن اليمين إذا سقط منها حرف القسم فإنه ينصب إلا اسم الله، فإنه يجوز فيه النصب والكسر^(٢). والقراءة: بغير التنوين، يقال: بأن الشهادة أضيفت إلى الله تعظيماً، وقيل: علم الله منّا^(٣).

﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ﴾ أي: العاصين.

فحلفهما رسول الله وتركهما، قال: ثم ظهر العجام عندهما بعد ذلك، وقالوا: كنا اشتريناه ولم يكن لنا بينة فلذلك أنكرنا، فاختصموا إلى رسول الله ثانياً، فأنزل الله:

﴿إِنَّا عِثْرٌ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا ثَمَنًا﴾ أي: اطلع على خيانة النصرانيين.

(١) في الأصل: الموت، وهو سبق قلم.

(٢) رواها ابن جرير في التفسير ١٧٧/١١ عن الشعبي، ونسبها في المحتسب ٢٢١/١ إلى جماعة آخرين، وانظر: الكشف والبيان ٥٣٦/١١، الكشف ٦٨٧/١.

(٣) والمعنى: لا نكتم شهادة الله عندنا (تفسير الطبري ١٧٧/١).

وأصل العثور: هو السقوط والوقوع^(١).

معناه: وقعا على شيء يستحقان الإثم بذلك، وهو الخيانة ﴿فَأَخْرَانِ﴾ من أولياء الميت؛ وهو: عمرو بن العاص، والمطلب بن أبي وداعة، ﴿يَقُومَانِ﴾ [مَقَامَهُمَا] مقام الوصيين النصرانيين في اليمين ﴿مَنْ الَّذِينَ أَسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ﴾ ومعناه: آخران أوليان بالميت، يقومان من الذين استحق عليهم الوصية، يحلفان به.

قرأ حفص عن عاصم: «استحق» بفتح التاء^(٢)، فالمعنى على هذه القراءة: الأوليان من أولياء الميت - أي: الأقرباء - يقومان مقام الوصي في اليمين.

وعلى قراءة غيره: آخران من أولياء الميت يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الوصية، والنصرانيان قد استحقا الوصية على أولياء الميت، والأوليان صفة لأولياء الميت^(٣).

﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا﴾ أي: يميننا أصدق من يمين الخائنين ﴿وَمَا أَعْتَدَيْنَا﴾ بهذا اليمين، [إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾] أي: ما قصدنا الظلم، ولو قصدنا ذلك لكننا من جملة الخائنين.

﴿ذَلِكَ﴾ الحكم الذي سبق ذكره ﴿أَدَّتِي أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِيهَا﴾ أي: أحرى وأقرب أن تقيموا الشهادة على الإناء^(٤) صادقين كما كانت ﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ

(١) تفسير الطبري ١١/ ١٨٠.

(٢) تفرد حفص بهذه القراءة، والباقون بضم التاء وكسر الحاء، وهكذا قيدها في الأصل (النشر ٢٥٦/٢).

(٣) انظر: تفسير أبي الليث ١/ ٤٢٦، الكشف والبيان ١١/ ٥٣٩.

(٤) لعلها هكذا في الأصل، يريد بالإناء الجار الذي فقد، وفي كتب التفسير: على وجهها كما كانت.

تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ ﴿١٧٨﴾ أي: يخاف الخائن أن ترد اليمين على أولياء الميت بعد ظهور خيانتهم، فلا يكذبوا، وقيل: يخاف أولياء الميت أن تظهر خيانتها كما ظهرت خيانة الأولين فيفتضحوا كما افتضح الأولون فلا يكذبون.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أيها الفريقين جميعاً أن تحلفوا كذباً ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ الوعظ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿١٧٩﴾ الخارجين عن أمر الله.

قال ابن عباس رضي الله عنه: نسخت هذه الآية بقوله ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾^(١).

وعند الحسن غير المنسوخة. من رجالكم^(٢).

(١) رواه الطبري في التفسير ٢٠٧/١١ من طريق العوفي عنه، وهي طريق ضعيف (تفسير الطبري تفسير ابن جرير ٣/٢١٥).

وفي رواية علي بن أبي طلحة عنه ما يشعر أنها محكمة، فقد روى ابن جرير من طريقه عنه أنه قال: ﴿أَوْ لَخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَرْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتُكُمْ مُصِيبَةً الْمَوْتِ﴾ فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين، فأمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين. فإن ارتيب في شهادتهما، استحلفا بعد الصلاة بالله: لم نشتر بشهادتنا ثمناً قليلاً (تفسير الطبري ١١/١٧٣). وممن قال بالنسخ: إبراهيم النخعي، كما في تفسير الطبري.

(٢) اختلف العلماء في حكم هذه الآية، هل هو منسوخ أم محكم، والجمهور على أنه محكم غير منسوخ. وهو قول الأكثرين الذي استصوبه الثعلبي وغيره (انظر: الكشف والبيان ١١/٥٤٢، الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ١٦٠، البسيط ٧/٥٧٥).

قال ابن جرير (في التفسير ٢٠٧/١١): الصواب من القول في ذلك أن حكم الآية غير منسوخ، وذلك أن من حكم الله تعالى الذي عليه أهل الإسلام، من لدن بعث الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، أن من ادعى عليه دعوى مما يملكه بنو آدم، أن المدعى عليه لا يبرئه مما ادعى عليه إلا اليمين، إذا لم يكن للمدعي بينة تصحح دعواه، ثم ذكر تأويل الآية، ثم قال: فإذا كان تأويل ذلك كذلك، فلا وجه لدعوى مدع أن هذه الآية منسوخة، لأنه غير جائز أن يقضى على حكم من أحكام الله تعالى ذكره أنه منسوخ، إلا بخبر يقطع العذر: أما من عند الله، أو من عند رسوله صلى الله عليه وسلم، أو بورود النقل

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ نصب، لأنه سيق على قوله: اتقوا [يوم] يجمع الله الرسل^(١) أي: يحشرهم ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ أي: ما أجابكم قومكم بما بلغتهم إليهم ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ قيل: هول المسألة نسوا ما أجيبوا، قيل: إن ذلك حين زفرت جهنم زفرة شوقاً إلى أهلها، فتطير قلوب الرسل حتى نسوا الجواب، ثم يجيبون بعد ذلك في مقام آخر^(٢).

﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ أي: ما غاب عن علم العباد.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ أي: عليك بالنبوة وعلى والدتك بالاصطفاء ﴿إِذْ أَيْدَتُكَ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ حين هموا بقتلك ﴿نُكِّلِمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ وقد فسرناه في أول آل عمران ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ بالقلم ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الفهم والعلم ﴿وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾ أي: تُقدِّرُ منه ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ الخفاش ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾ أي: في هيئة الخفاش ﴿فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ أحياء ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيَ إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ على رسالتك، وهي: إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(٣).

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ﴾ ألهمتهم^(٣) ﴿أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرُسُولِي﴾ عيسى ﴿قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون بالعبادة.

المستفيض بذلك. فأما ولا خبر بذلك، ولا يدفع صحته عقل، فغير جائز أن يقضى عليه بأنه منسوخ.

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٤٧٠.

(٢) تفسير الطبري ١١/ ٢١٠، وقيل: المقصود: أنت أعلم به منا.

(٣) تفسير أبي الليث ١/ ٤٢٩، الكشف والتبيان ١١/ ٥٤٧.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ] هل تقدر أن تسأل ربك، ومن قرأ بالياء ورفع الباء: معناه هل يقدر ربك^(١).

وإنما كان في ابتداء إيمانهم ولهذا نهاهم عيسى عن ذلك ف﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تشكوا في قدرته.

وقيل: معنى قوله «هل يستطيع» على وجه الإعظام، كمن يقول لرجل يعظمه: هل تستطيع أن تقوم معي في حاجة كذا، وإن كان يعلم أنه يستطيع، ولكن يقول ذلك تعظيماً لدى هذا^(٢).

وقول عيسى: «اتقوا الله» ليس بزجر، ولكن نهاهم عن الاقتراح على الله بما لم يسأله أحد، قيل: إن جماعة من قوم عيسى غير الحواريين سألوا الحواريين أن تسألوا عيسى أن يسأل ربه إنزال المائدة، وكان عيسى يسلك بالناس القرى والقفار، فنزل بهم قفرة من غير ماء وطعام، وهم يومئذ خمسة آلاف رجل، فلما جاعوا في القفر قالوا ذلك للحواريين^(٣).

وقيل: إنه على الظاهر، فقال عيسى: اتقوا الله ولا تكلفوا نبيكم فيما لا ينبغي لكم التجربة للأنبياء ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

(١) قرأ الكسائي: (تستطيع ربك)، وقرأ الباقون: يستطيع ربك (النشر ٢/ ٢٥٦).

(٢) تفسير الطبري ١١/ ٢١٩، وفيه: عن عائشة قالت: كان الحواريون لا يشكّون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة، ولكن قالوا: يا عيسى هل تستطيع ربك؟.

ثم بين ابن جرير أنه من قبيل سؤال الحاجات لا من سؤال الآيات، وقال: إنما كانت مسألتهم إياه ذلك على نحو ما يسأل أحدهم نبيه، إذا كان فقيراً، أن يسأل له ربه أن يغنيه وإن عرضت له حاجة، أن يسأل له ربه أن يقضيها، فليس ذلك من مسألة الآية في شيء، بل ذلك سؤال ذي حاجة عرضت له إلى ربه، فسأل نبيه مسألة ربه أن يقضيها له.

(٣) القصة في تفسير أبي الليث ١/ ٤٢٩.

اعتذروا: ﴿قَالُوا نُزِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ وهذا كما سأل إبراهيم الخليل إحياء الميت.

﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ فيما ادّعت وما جئنا به ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (١٣) إذا رجعنا إلى بلادنا.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ المائدة: مشتقة من الميد، وهو العطاء، يقال: ماد يُميد إذا أعطى، وهي فاعلة بمعنى مفعوله، كما يقال عيشة راضية^(١).

﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا﴾ نحن حتى نعظمه ﴿وَعَاخِرِنَا﴾ ولمن يكون خلفنا ﴿وَعَايَةً مِنْكَ﴾ أي: حجة لمن آمن على من كفر ﴿وَأَرْزُقْنَا﴾ أعطنا ما سألنا ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (١٤).

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ يعني المائدة ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ﴾ نزول المائدة ﴿مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾ في الدنيا ﴿لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (١٥) قيل: سأل عيسى بعض أصحابه، فجاء شمعون بخمسة أرغفة وسمكتين، فجعل عيسى صلوات الله عليه يقطع ذلك قطعاً صغاراً، ثم جعل القوم رفاقاً، كل رفقة عشرة، ثم قام ودعا الله، وجعل يلقي عند كل رفقة ما حمله أصابعه، ثم قال: كلوا بسم الله، فكان الطعام يزداد حتى بلغ ركبهم، فأكلوا ما شاء الله، وفضل خمس وثلاثون مكتلاً، وكان القوم خمسة آلاف ونيف، فقالوا جميعاً: نشهد أنك عبده ورسوله، ثم في اليوم الثاني، كذلك فرجعوا إلى قراهم ونشروا هذا الحديث، فضحكوا وقالوا: سحروا أعينكم، فمكثوا ثلاثة أيام ثم مسخوا خنازير^(٢).

(١) تفسير الطبري ١١/٢٢٣.

(٢) تحويل من كفر إلى خنازير مروي عن قتادة (تفسير الطبري ١١/٢٣٢).

وذكره الكلبي ومقاتل في سياق طويل (الكشف والبيان ١١/٥٦١).

وقيل: إن المائدة نزلت من السماء عليها جميع البقول إلا الخس^(١) والكراث^(٢).

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَي: يقول ماضي بمعنى المستقبل، وقيل: إنه كان حين رفع عيسى إلى السماء لأنه ذكر بكلمة إذ، وهي للماضي، ولكن الأصح أن كلمة إذ للتوقيت، وتستعمل في الماضي والعابر، كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾^(٣).

﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وهذا سؤال توبيخ للنصارى^(٤).

﴿قَالَ سُبْحَنَكَ﴾ براءة لك من سوء ﴿مَا يَكُونُ﴾ ما يجوز ﴿لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي من السر ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أَي: غيبك وما عندك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾^(٥).

(١) في الأصل: الانحس.

(٢) وقع اختلاف بين أهل التأويل هل نزلت المائدة أم لم تنزل، فمن قال نزلت - وهم الجمهور - فإنهم قالوا: نزلت من السماء، ولا شك أن ذلك هو الأليق بظاهر الآية، وبمعظم المعجزة، فإنها لو لم تكن نزلت لما كانت آية، ولما سميت سورة من القرآن العظيم باسمها، كما سميت سورة الإسراء لأن الإسراء آية عظيمة، وكذا سورة القمر. انظر: تفسير الطبري ٢٢٦/١١، الكشف والبيان ٥٥٩/١١.

(٣) قال ابن جريج أنه وقت الرفع، وقال سائر المفسرين: إنه يوم القيامة. واستدل له قتادة بأنه يقول بعده: «هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم». واختار ابن جرير أنه وقت الرفع (تفسير الطبري ٢٣٦/١١)، وانظر: الكشف والبيان ٥٦٦/١١.

(٤) وقيل: تحذيرا له من هذه المقالة، وإخبارا له أن قومه قالوها بعد رفعه (تفسير الطبري ٢٣٧/١١، الكشف والبيان ٥٦٨/١١).

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ من الدعوة إلى وحدانيتك وهو قولي ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بالبلاغ ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أي: بين أظهرهم ﴿فَلَمَّا تَوَقَّيْتَنِي﴾ رفعتني من الأرض ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ الحفيظ على أفعالهم ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ عالم.

﴿إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ولا تعذبهم كمن تاب وآمن، تفضلاً منك ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ العزيز في تعذيب من لقيك كافراً، الحكيم في غفران المؤمن.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ المبلغين رسالتهم.

قرأ نافع بنصب الميم «يوم» نصب على الظرف، أي: هذا السؤال يكون يوم القيامة^(١).

ومن رفع: فرفعه بهذا نفى الوحشة عن عيسى، أنه بقوله: ينفع الصادقين صدقهم، أي: ينفع لعيسى صدق مقالته أنه لم يأمرهم بعبادة نفسه^(٢).

﴿لَهُمْ﴾ أي: للأنبياء والصادقين والمؤمنين ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا [أَبَدًا]﴾ مقيمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بإيمانهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بالثواب والكرامة ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكر من الخلود والرضوان ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: المقدره والمملكة على أهل السماوات والأرض ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ من الملائكة والادميين ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) تفرد نافع بهذه القراءة (النشر ٢/ ٢٥٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري ١١/ ٢٤١، الكشف والبيان ١١/ ٥٧١، وقراءة الرفع تعين أن ذلك كان يوم القيامة.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه كلها: بلغنا عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في دار الدنيا عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات»^(١).



(١) حديث موضوع، وراه الثعلبي في الكشف والبيان ١١ / ١١١، والمستغفري في فضائل القرآن (١١٧٢).

سورة الأنعام

مكية، غير ست آيات مدنيات ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إلى ثلاث آيات، وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ إلى ثلاث آيات^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قال ابن عباس: حمد الله تعالى نفسه ودلّ بصنعه على الجاحدين من أهل مكة وغيرهم^(٢).

يعني: المحمود والمشكور من خلق السماوات والأرض.

ذكر السماوات بلفظ الجمع والأرض بلفظ الوجدان؛ لأنّ السماوات السبع منفردة بعضها عن بعض، والأرضون السبع مطبقة.

وقيل: أجناس السماوات مختلفة، وجنس الأرضين واحد.

ثم ذكر الظلمات بلفظ الجمع والنور وحداناً؛ لوقوع المقابلة بين الجمع والجمع، والواحد والواحد، وهو غاية البلاغة.

وقيل: الظلمات أراد به الليل، والنور أراد به النهار، وقيل: الظلمات الكفر وذلك أديان مختلفة، والنور الإسلام وهو دين واحد^(٣).

(١) انظر: الكشف والبيان ٧/١٢، البيان في عد آي القرآن ١٥١، وذكر الداني الخلاف في ذلك.

(٢) نحوه في تفسير أبي الليث ٤٣٣/١، دون نسبة لابن عباس، مما يدل على أنه من رواية الكلبي، فإن أبا الليث يعتمد عليه. وانظر: البسيط ٧/٨.

(٣) انظر هذه الأقوال وغيرها في الكشف والبيان ٢١/١٢، البسيط ٨/٨، الكشف ٣/٢، مفاتيح الغيب ٤٧٩/١٢، الجامع لأحكام القرآن ٣٨٦/٦.

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾^(١) به الأصنام، أي: يشركون.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ أي: آدم من طين وأنتم منه ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ من وقت ولادتهم إلى موتهم ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ أي: مقدار أجل القيامة عنده ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَمْتَرُونَ﴾^(٢) فيه، أي: تشكون فيه.

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ أي: هو المعبود فيهما، يألوه إليه أهلها ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ ضمير قلوبكم وعلا نيتكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾^(٣) من خير أو شر^(١).

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ مثل انشقاق القمر وغيره ﴿إِلَّا كَانُوا﴾ يعني أهل مكة ﴿عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾^(٤) مكذِّبين تاركين. والإعراض عن الشيء: هو ترك النظر فيه^(٢).

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي: بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٥) أي: ينزل بهم عقوبة استهزأ بهم ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أي: القرون الماضية ولم يعتبروا به ﴿مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أمهلتهم في الأولاد والعمر وأعطيناهم من ذلك.

﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ﴾ أي: لم نعطكم. التعدية تارة تكون باللام، وتارة بغيرها، كقوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّعْيَا﴾ وفي حذفها ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا﴾^(٣) وقوله ﴿تَتَّبِعُوا

(١) وقال ابن جرير: الله الذي هو في السماوات وفي الأرض يعلم سرركم وجهركم، فلا يخفى عليه شيء (تفسير الطبري ١١ / ٢٦١).

(٢) وهو الانصراف بالوجه عن الشيء، ثم يبنى عليه الانصراف بالفكر، (تفسير الطبري ٩ / ٢٦٨، البسيط ٨ / ١٧).

(٣) كذا، وبعدها: أوتو، ويظهر أنه تصحيف.

يَا لَذُنِينَ^(١).

﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾ أي: المطر ﴿عَلَيْهِمْ﴾ دائماً ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ في بساطينهم وزروعهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ لما كفروا النعم، وكذبوا الرسل ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ ﴿٦﴾ أسكناهم في مساكنهم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ أي: صحيفة، فعاینوه ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٧﴾

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ هلال أنزل عليه ذلك الملك الذي يزعم أنه يوحى إليه معينة حتى يخبرنا أنه حق ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما طلبوا ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾] أي: فرغ من عذابهم، لأنَّ الملك لا يأتي إلا للعذاب، وأنهم لا يقدرُونَ على رؤية الملك على صورته.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا﴾ أي: لو أنزلنا ملكًا كما طلبوا ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ على صورة آدمي؛ لأنهم لا يقدرُونَ النظر إلى الملك، ألا تراهم كيف تطير قلوبهم لو رأوا جنياً أو شيطاناً ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يُلَبْسُونَ﴾ ﴿٩﴾ أي: لشككناهم حينئذ عند رؤية الملك؛ كما يلبسون: لست بملك إنما أنت بشر مثلنا.

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ هذه الآية تعزية وتسلية لرسول الله^(٢)، لكي يصبر على استهزائهم، يعني سخر الكفار من الأمم ﴿وَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا

(١) مناسبة ذكر التعدية أن الآية ذكرت فعلاً مرتين، مرة بتعدية وأخرى بدونها: مكناهم، نمكن لكم. قال السمين (الدر المصون ٤/ ٥٣٧): والفرق بين قوله ﴿مَكَّنَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وقوله ﴿مَا لَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ﴾ أن مكنه في كذا أثبتته فيها...، وأما مكن له فمعناه جعل له مكاناً...، هذا قول الزمخشري. وأما الشيخ أبو حيان فإنه يظهر من كلامه التسوية بينهما...، وقال أبو عبيدة: مكناهم ومكناهم لهم: لغتان فصيحتان نحو: نصحته ونصحت له.

(٢) تفسير الطبري ١١/ ٢٧٢، الكشف والبيان ١٢/ ٣٨.

مِنْهُمْ ﴿١﴾ أَي: دار بهم، وقيل: نزل بهم جزاء استهزائهم.

والحقيق في اللغة: رجوع مكروه فعل الماكر، كقوله ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(١).

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا﴾ بالعبرة إلى قريات لوط وإلى الحجر
﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَهُ [الْمُكَذِّبِينَ]﴾^(٢) المذنبين منهم، أمرهم بالاعتبار لا
بالتيسير في الأرض.

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الخلق والعجائب، فإن أجابوك
ولا ف﴿قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ لمن تاب من الشرك، وقيل: الرحمة
هي الجنة يدركونها بفضل الله لا بأعمالهم.

﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: يجمعكم في البرزخ بعد
الموت حتى تقوم الساعة، ثم ابتداء فقال ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ ومنازلهم في
الجنة ورثها المؤمنون ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣) بالبعث.

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ذكر الساكن ولم يذكر المتحرك لأن
ما يعمهم السكون أكثر مما يعمهم الحركة، لأن كل متحرك قد يسكن، بعضها
بالليل وبعضها بالنهار، وبعضها ساكن بثقله من غير عمد واختيار^(٢).

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣) سميع بمقالة الخلق عليهم بهم.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخَذُ وَلِيًّا﴾ أي: ربًّا. وهو جوابًا لقولهم: نحن نعطيك من
المال فارجع عن مقالك والزم دين آبائك، فنزلت الآية^(٣).

(١) تفسير الطبري ١١ / ٢٧٢، البسيط ٨ / ٢٩.

(٢) قال السدي: السكون الاستقرار (تفسير الطبري ١١ / ٢٨٢).

(٣) ذكره أبو الليث في تفسيره ١ / ٤٣٧، والثعلبي في الكشف والبيان ١٢ / ٤٣ دون نسبة.

﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ﴾ يعني: الله فاطر السموات ﴿وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ أي: يرزق العباد ولا يرزقه أحد ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي: أخلص بالتوحيد لله من أهل زماني ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٤).

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ أي: أعلم إن عصيت ربي وعبدت غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٥).

﴿مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ عَذَابُهُ﴾ ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ وأدخله الجنة ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُتَيْنُ﴾ (١٦) النجاة والظفر الظاهر.

﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أي: ببلاء وشدة ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا دافع ولا مانع ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ﴾ أي: رخاء وعافية وغنى ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧) من الضر والخير.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ أي: الغالب على عباده، ومعنى فوق: الاستعلاء عليهم بالقهر حتى صاروا تحت تسخيرهِ (١).

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَبِيرُ﴾ (١٨) حكم لنفسه العلية، ويعلم حالهم.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ أعظم وأزكى، وكانوا يسألوا رسول الله: من يشهد على أنك رسول الله؟ فنزلت الآية (٢).

أي: قل لهم ذلك، فإن أجابوك وإلا ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِكُمْ﴾ أي: الله أكبر

(١) فوق عباده: أي علا عباده، من العلو، وهي تتضمن: فوقية العلو والقهر، كما قال أبو الليث (تفسير أبي الليث ١/٤٣٨).

قال السمعاني: وقوله: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ هو صفة الاستعلاء الذي لله تعالى الذي يعرفه أهل السنة (تفسير السمعاني ٢/٩٣).

(٢) وهو من رواية الكلبي، كما في (الكشف والبيان ١٢/٥١).

شهادة، وقوله أعدل ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ أي: ومن بلغه هذا القرآن فأنا منذره، حذف الهاء؛ كقوله ﴿هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ (١) أي: بعثه (١).

﴿إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ يا أهل مكة، استفهام بمعنى التحقيق، أي: إنكم تشهدون ﴿أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ﴾ يا محمد أنا لا نشهد ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (١٩) من الأصنام.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ محمدًا ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ الذين من (٢) أصلا بهم، ثم ابتداء فقال ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بذهاب الدنيا والآخرة، مثل كعب وذويه ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠) بمحمد صلى الله عليه وسلم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: كافر أظلم على نفسه ممن (٣) افتري على الله كذبًا أن له شريكًا ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ محمد والقرآن ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ﴾ أي: لا يسعد ﴿الظَّالِمُونَ﴾ (٢١).

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يوم نصب على الحال، لأنه بين حالهم بجمعهم العابد والمعبود ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنُ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٢٢) أنهم شركائي، وقيل: أين شفاعوكم على زعمكم والمراد به الأصنام.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي: لم يكن جوابهم ومعدرتهم، وسُمِّيتْ فِتْنَةً لأنها موجب الفتنة في الدنيا ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (٢٣) يجحدون شرهم.

(١) قال الفراء: والعرب تضم الهاء في الذي ومن وما، وتظهرها، وكل ذلك صواب (معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٧، الكشف والبيان ١٢/ ٥١، البسيط ٨/ ٤٨).

(٢) في الأصل: في، وهو تصحيف. (انظر: تفسير أبي الليث ١/ ٤٤٠، الكشف والبيان ١٢/ ٥٤).

(٣) في الأصل: فمن.

قال الله تعالى ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: تكذيبهم أنفسهم ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١) أي: ضل افتراؤهم، وبطلت دعاويهم؛ حيث نطقت الجوارح بما كتمت الألسن.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني قراءتك، وهو النضر بن الحارث من كفار مكة (١).

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ عقوبة لا اختيارهم الكفر لا يفقهوه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صممًا وثقلًا؛ كيلا يسمعوا الحق ﴿وَأَنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ﴾ طلبوا منك ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ أنها من الله ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ أي: يخاصمونك.

و«حتى» إذا قرن ب«إذا» يراد به الابتداء، كقوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾.

﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢) أحاديثهم وكذبهم، وقيل: أعاجيبهم مثل حديث رستم وإسفنديار (٢).

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ يمنعون الناس عن متابعتهم، يعني أبا جهل وذويه ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي: يبعدون عنه (٣).

(١) تفسير أبي الليث ٤٤١ / ١، الكشف والبيان ٥٥ / ١٢، وهو من رواية الكلبي.

(٢) البسيط ٦٥ / ٨.

وهذان ملكان من ملوك الفرس، كانت لهما أحوال، ولعل تخصيصهما بالذكر لكثرة ما نسج حولهما من أباطيل وترهات، انظر سيرتهما في تاريخ الطبري ٥٠٤ / ١، ٥٦٢.

(٣) تفسير الطبري ٣١١ / ١١، البسيط ٦٦ / ٨. ورجحه الزجاج في معاني القرآن ٢٣٨ / ٢ لأن الكلام متصل بذكر أهل الكتاب والمشركين، ورجحه ابن جرير لأنه القول على عموم الكافرين، لا على الخصوص.

وقيل: أراد به أبا طالب، يمنع الناس عن أذاه ولا يؤمن به^(١).

﴿وَأِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢) أن وبال ذلك راجع عيهم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ أي: أدخلوا النار، رأيت أسوء حال ترى وحسرة ما لها نهاية ﴿فَقَالُوا يَلَيْتَنَّا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا فنصدق بما كذبنا ﴿يَا أَيَّتُهَا رَبَّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ﴾ أي: ظهر لهم بشهادة الجوارح ﴿مَا كَانُوا﴾ [يُخْفُونَ] يسرونها ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ وقيل: ظهر لأتباع الغواية ما كان الغواية يخفون عنهم من أمر البعث^(٤). ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ أي: إلى ما نهوا من الشرك ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٥) في مقالتهم: لا نكذب بآياتنا.

﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ هذا ذكر إنكارهم القيامة ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾^(٦) بعد الموت.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ للمحاسبة، منكسة رؤوسهم من الخزي ﴿قَالَ﴾ الله لهم ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ يعني القيامة والعذاب ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا﴾ إنه لحق كما قالت الرسل ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٧) في الدنيا. ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ أي: شقي الذين كذبوا بالبعث ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة.

وسميت القيامة ساعة لأنها تقوم في ساعة^(٨)، والبغته وقوع شيء غير

(١) تفسير الطبري ١١/٣١٣، الكشف والبيان ١٢/٥٦، البسيط ٨/٦٦.

(٢) تفسير أبي الليث ١/٤٤٢، الكشف والبيان ١٢/٦١، البسيط ٨/٧٩، الكشف ٢/١٦، زاد المسير ٢/٢٠.

(٣) وقيل: يوم القيامة الساعة؛ لسرعة الحساب للجزاء فيها، كأنه قيل: ما هي إلا ساعة الحساب للجزاء حتى جعل أهل المنزلين في منازلهم من الجنة والنار (البسيط ٨/٨٣).

موهوم^(١).

﴿قَالُوا يَحْسَرْتَنَا﴾ والحسرة: ما يركب القلب من الندم حتى يبقى حسيراً.

وهذا نداء للحسرة، وهي لا تعقل النداء والإجابة، ولكن معناه: أيها الحسرة قد آن لك، وقيل: انتبهوا لحسرتنا^(٢).

﴿عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ أي: في الدنيا تركنا الإيمان، والتفريط التقصير ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ لأن كل من عمل عملاً صالحاً يصورها صورة حسنة تأتيه على رأس قبره، فما ينظر المؤمن إلى شيء يهوله إلا هونته هذه الصورة عليه، ثم يركبه المؤمن إلى الموقف، ومن عمل سيئاً يأتيه العمل على أقبح صورة يفزع به الكافر^(٣)، وما يرى شيئاً هائلاً إلا أفزعته منه هذه الصورة، ثم ركب هذه الصورة عاملها ويده مقمع يضربه به إلى الموقف، وهو معنى قوله ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾^(٤).

﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾^(٥) بئس ما يحملون.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ وزينتها ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أي: عبث وباطل ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ أضيفت الدار إلى الآخرة إضافة الشيء إلى نفسه، كقوله ﴿وَحَبَّ

(١) أي غير متوقع. (تفسير الطبري ٣٢٥/١١، معاني القرآن للزجاج ٢/٢٤١، الكشف والبيان ١٢/٦٢، البسيط ٨/٧٨).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/٢٤١، البسيط ٥/٨٤، زاد المسير ٢/٢١.

وبمثل هذا يستبين الفرق بين أهل التفسير وأهل اللغة، فالمفسرون يذكرون المراد، فيقولون: يا حسرتنا يا ندامتنا، وأهل المعاني يذكرون التفصيل الذي ذكره المصنف.

(٣) في الأصل: المؤمن، وهو سبق قلم.

(٤) نحوه عن السدي وعمرو بن قيس كما في تفسير الطبري ١١/٣٢٧، وانظر: تفسير أبي الليث ١/٤٤٣، الكشف والبيان ١٢/٦٤، الجامع لأحكام القرآن ١١/١٥١.

الْحَصِيدِ ﴿١﴾ و﴿دَيْنُ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿١﴾.

﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك والفواحش ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٨﴾ أن الآخرة خير.

﴿قَدْ نَعْلَمُ﴾ يا محمد ﴿[إِنَّهُ] لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ من التكذيب، حزني الأمر وأحزني بمعنى ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السر، لأنهم يعلمون صدقك ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: بمحمد والقرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ في الظاهر.

والجحود يكون بعد المعرفة.

ومن قرأ: «يُكذِّبُونَكَ» ﴿٢﴾؛ أي: لا يجدونك كاذبًا، يقال: أكذبت فلانًا إذا وجدته كاذبًا؛ كما يقال أبخلته وجدته بخيلًا ﴿٣﴾.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما كُذِّبَتْ ﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا﴾ في الله ﴿حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ إياهم ﴿وَلَا مُبَدَّل لِّكَلِمَتِ اللَّهِ﴾ حين وعد لهم النصر والظفر ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ في القرآن كيف أنجيناهم وأهلكنا قومهم، فاصبر أنت كصبرهم حتى يكون لك النصر والظفر.

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ أي: [عظم] ﴿٤﴾ ﴿فَإِنْ أَسْطَقَتْ﴾ أي: قدرت ﴿أَنْ تَتَّبِعِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: طريقًا نافذًا سرًّا كنفق اليربوع فتدخل فيه ﴿أَوْ سُلَّمًا﴾ أي: تطلب سبيلًا إلى صعود السماء ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بَيَاتَةٌ﴾ من عند الله،

(١) الكشف والبيان ٦٥/١٢

(٢) وهي قراءة نافع والكسائي، وقرأ الباقون بالتشديد (النشر ٢/٢٥٨).

(٣) الكشف والبيان ٦٧/١٢

(٤) ما بين الحاصرتين في الأصل كلام غير مستقيم صورته: تلك بيهم كك. ما أثبتته معنى: كبر باتفاق المفسرين.

وجواب الكلام محذوف، لأن فيه ما يدل عليه حذف جوابه، وجوابه: فافعل ذلك^(١).

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ لأكرمهم بالإسلام، ولكن لم يشأ، وقيل: طبعهم، وعند أكثر أهل التفسير عرّفهم حتى آمنوا^(٢).

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٣) بأنهم لا يخالفون مقدوري عليهم بجهدك.

قيل: رسول الله كان معصوماً عن الجهل، ولكن ذكر هذا ليُعلم أن العصمة لا ترفع الأمر والنهي.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أي: يجيبك إلى الهدى والتوحيد من يسمع كلامك سمع فهم وهو حي، والكافر ميت القلب.

﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ في القيامة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يَرْجَعُونَ﴾^(٤) عند المحاسبة.

ثم حكى عن الحارث بن عامر وروساء قريش^(٥) ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ يد كيد موسى، أو عصا كعصاه، أو حجر كحجره؛ ليعرف نبوته ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾ إن شاء، ولكن ينزل بهم العذاب على من جحد ذلك ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٦).

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ تدب وتتحرك ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ ذكرهما

(١) تفسير الطبري ٣٣٧/١١، معاني القرآن للزجاج ٢/٢٤٤، تفسير أبي الليث ٤٤٥/١.

(٢) تفسير أبي الليث ٤٤٥/١، قال السمعاني (في التفسير ١٠٠/٢): والصحيح: أن المراد به:

ولو شاء الله لطبعهم وخلقهم على الإيمان؛ فهذا أقرب إلى قول أهل السنة؛ لأن إيمان

الضرورة لا ينفع، وإنما ينفع الإيمان بالغيب اختياراً.

(٣) انظر: الكشف والبيان ١٢/٧١.

للتأكيد، والطيران لا يكون إلا بالجناحين، ولكن الطيران يعبر عن السرعة، فيقال: طر في حاجتي؛ أي: أسرع، فذكر الجناحين لإزالة الإيهام والله أعلم^(١).

﴿إِلَّا أُمُّ أَمْثَالِكُمْ﴾ أي: مخلوقون مثلكم يحتاجون إلى الطعام والشراب وفي الموت والبعث وطلب الغذاء والنسل والتوقي من المهالك، وقيل: يحتمل أمثالكم في معرفة الله^(٢).

﴿مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما تركنا من شيء تقع لك الحاجة إليه إلا قد بيناه في القرآن^(٣) ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي: الطيور والدواب، حتى يقتص بعضها من بعض ثم قيل لها كوني ترابًا.

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُومٌ وَبُكْرٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: هم في الضلالات، صم وبكم في منافع الدين أصحاب في منافع الدنيا ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ﴾ يُمِته على الكفر ﴿وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يثبت ويوفقه لذلك.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ يعني أرايتم أنفسكم ﴿إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ ومعناه قل لهم ما تقولون وما ترون أن آتاكم عذاب الله مثل يوم بدر وأحد والأحزاب ﴿أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ﴾ بغته وفجأة ﴿أَغَيَّرَ اللَّهُ﴾ من الآلهة ﴿تَدْعُونَ﴾ عند نزول العذاب ليكشف عنكم البلاء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن الله شريكًا.

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ بل كلمة استدراك وإيجاب بعد نفي، كما تدعونه في

(١) انظر: تفسير الطبري ٣٤٩/١١، معاني القرآن للزجاج ٢/٢٤٥، الكشف والبيان ٧١/١٢، البسيط ١١١/٨.

(٢) وقيل يفقه بعضهم بعضًا (الكشف والبيان ٧١/١٢، البسيط ٨/١١٤).

(٣) هذا القول شاذ في التفسير - وإن قال به بعض أهل العلم - والمعروف عندهم المروي عن ابن عباس وغيره، أن المقصود اللوح المحفوظ، وهو أم الكتاب (تفسير الطبري ٣٤٦/١١، تفسير أبي الليث ٤٤٦/١، الكشف والبيان ٧٣/١٢).

لجج البحار إذا هاجت ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ يعني الضر الذي تدعونه لأجله ﴿إِنْ شَاءَ﴾ كشفه ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تَشْرِكُونَ﴾ (٤١) أي: الأصنام، فلا يخطر ذكرها على قلوبكم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلاً فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ﴾ أي: الشدة ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ الأمراض والأوجاع؛ كما أخذنا أهل مكة بالجوع سبع سنين ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ (٤٢) يُخلصون لله بالتوحيد، ويجأرون، لأن الشدة ذريعة إلى التضرع.

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾ هلاً إذا جاءهم عذابنا: الخوف والجوع، يعني به أهل مكة ﴿تَضَرَّعُوا﴾ تابوا وأخلصوا ليرفع ذلك عنهم ﴿وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ييست واشتدت ﴿وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤٣) في كفرهم.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: تركوا ما وعظوا به ﴿فَتَحْنًا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاجون إليه ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ أي: أعطوا من الخصب والنعيم ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة بالعذاب ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (٤٤) متحسرون غاية الحسرة، آيسون من كل خير.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: استؤصلوا حتى قطع نسلهم، فلم يبق منهم باقية ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٥) على هلاك أعدائه، ونجاة أوليائه.
 قيل: أراد قطع أصول مكة يوم بدر^(١).

(١) لم أجد هذا القول عند أحد، وهو غريب، لأن بدر بعد الهجرة، وهذه السورة مكية.

وقال الزمخشري (في الكشاف ٢ / ٢٤): فيه إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم أهـ. فقال ابن المنير في حاشيته: ونظيرها قوله تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ (٥٨) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ؕ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٩) [سورة النمل: ٥٩] فيمن وقف هاهنا وجعل الحمد على إهلاك المتقدم

﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: ما تقولون ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ﴾ كيلا تسمعوا شيئاً ﴿وَوَخَّتُمْ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ كيلا تعقلوا شيئاً ﴿مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ أي: يرد إليكم ما أخذ الله منكم، فإذا كانت أصنامكم لا يقدرُونَ على ردها عليكم كيف تعبدونها ﴿أَنْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ﴾ الأمثال والحجج ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْهَوْنَ﴾ ﴿٤٦﴾ أي: يعرضون.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ فجأةً بالليل أو علانية بالنهار ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ أي: ما يهلك إلا أنتم.

﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ الإرسال الإطلاق، وسمي الرسول رسولاً لإطلاق لسانه فيما يحمل من الرسالة ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٤٨﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَسْتَهْزِهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ وحقيقة المس التقاء الشئين من غير فصل، ومس العذاب: دخول الألم بهم ولا يفارقهم حتى أهلكهم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ مفاتيح الرزق والأمطار، والخزن: وضع الشيء بحيث لا تناله الأيدي ^(١).

﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾ متى ينزل العذاب ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنْى مَلَكٌ﴾ نزلت من السماء ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ لا أعمل ولا أقول إلا بوحى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ يعني الكافر والمؤمن ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ أنهما لا يستويان

ذكرهم من الطاغين. ومنهم من وقف على المنذرين؛ وجعل الحمد متصلاً بما بعده من إقامة البراهين على وحدانية الله تعالى، وأنه جل جلاله خير مما يشركون، فعلى الأول يكون الحمد حتماً، وعلى الثاني فاتحة، وهو مستعمل فيهما شرعاً، ولكنه في آية النمل أظهر في كونه مفتتحاً لما بعده، وفي آية الأنعام ختم لما تقدمه ختماً، إذ لا يقتضى السياق غير ذلك.

(١) انظر: البسيط ٨/ ١٥٢، وفي الأصل: الأخزان، وهو تصحيف.

وقيل: أفلا تتفكرون في صني وعجائبي.

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أي: خوِّفهم بالقرآن، الذين يخافون أي: يعلمون^(١)
 ﴿أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ عند البعث ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: سوى الله ﴿وَلِيٌّ
 وَلَا شَفِيعٌ﴾ والشفيع: السائل في صاحبه ليلبغ منزلة أو يُعفى عنه في خطيئة.
 ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(٢) المعاصي.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قيل: إن أُمية بن خلف مع
 جماعة من الكفار حملوا رسول الله على طرد المؤمنين الضعفاء من عنده؛ مثل:
 عمار وبلال وصهيب وابن مسعود؛ ليرغب صناديدهم في الإسلام، فنزلت
 الآية^(٣).

أي: لا تبعد الذين يدعون الله في الصلاة الخمس في النهار ﴿يُرِيدُونَ
 وَجْهَهُ﴾ يطلبون رضاه ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ أي: مجازاة أعمالهم ﴿مَنْ
 شَاءَ﴾ وقيل: ما عليك من حساب رزقهم [من] شيء، وإن ابتلوا بالفقر، وقيل:
 ما عليك مؤنة رزقهم^(٣) ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ﴾ أي: رزقك على هذا التفسير ﴿عَلَيْهِمْ
 مَنْ شَاءَ فَتَطْرُدُهُمْ﴾ يحتمل جواب النهي، ويحتمل جواب النفي، فقوله ﴿وَمَا

(١) قال ابن جرير: وضعت المخافة موضع العلم (التفسير ٣٧٣/١١).

(٢) رواه ابن جرير من طرق عدة عن ابن مسعود وابن عباس وخباب وغيرهم (في التفسير ٣٧٥/١١).

وفي صحيح مسلم (٢٤١٣)، عن سعد، قال: «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر، فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: اطرده هؤلاء لا يجترئون علينا. قال وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾».

(٣) زاد المسير ٣٤/٢.

مِنْ حِسَابِكَ ﴿ فَتَكُونُ نَصَبًا مِنَ الْحَالِينَ ﴾ ﴿ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ الضارين
لنفسك.

﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ أي: ابتلينا العربي بالموالي، والشريف
بالوضيع، كما ابتلينا أهل مكة بهؤلاء من الموالي ﴿ لِيَقُولُوا ﴾ يعني: الأشراف
يقولوا ﴿ أَهْؤُلَاءِ ﴾ يعني الفقراء والضعفاء ﴿ مَتَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ يَدِّنَا ﴾ بالمعرفة
والإسلام ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ ﴿ ٥٣ ﴾ الموحدين، وقيل: الفقراء أشكر
لنعم الله من الأغنياء.

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾ يعني أبا بكر وعمر، جاءا إلى رسول الله
متعذرين فيما صدقا الكفار، وبلغا رسالتهم إلى رسول الله ^(١) ﴿ فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيَّ ﴾
أي: أمنكم الله وسلمكم من سخطه وعذابه.

والسلام: مصدر من قوله سلمت سلامًا.

﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ
مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ﴾ أي: هو جاهل بعاقبة أمره، يُغفر له أو لا يغفر؟ قيل: كل
من يعمل السوء لغلبة شهوة، أو لاعتماد على كرم الله بالعفو، أو يعمل على نية
التوبة، فهذه فعل سوء بجهالة ﴿ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ ﴾ العمل بالاستقامة
على التوبة ﴿ فَإِنَّهُ عَفُورٌ ﴾ لما سلف من الذنوب ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿ ٥٤ ﴾ رخص بالتوبة.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كلما رأى
أبا بكر وعمر بعد هذه الآية بدأهما بالسلام ^(٢).

(١) هذا قول الكلبي: أن عمر أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بتأخير الفقراء سنة (تفسير أبي
الليث ٤٥١/١، الكشف والبيان ٩٠/١٢، زاد المسير ٣٤/٢).

وعن عكرمة وابن زيد نحوه، رواه ابن جرير في تفسيره ٣٩١/١١.

(٢) لم أجد هكذا، لكن من تنمة خبر الكلبي عن عمر نحوه (تفسير أبي الليث ٤٥١/١).

وقيل: أمر بالسلام على بلال وصهيب وهؤلاء الفقراء، فكان يسلم عليهم ويقول: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر معهم وأبدأهم بالسلام»^(١).

﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾ نبيّن الآيات والدلالات ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٥٥) أي: لتعرف أنت يا محمد وتظهر الطريق.

والسبيل: يذكر ويؤنث، كقوله ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾، يعني به: سبيل المؤمنين والمجرمين، فاختصر بأحدهما، لأن الآيتين إذا ميز أحدهما تبيّن الآخر ضرورة، وكقوله ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ وحذف البرد^(٢).

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: سوى الله، وذلك حين دعوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى لزوم دين عبد المطلب، فقال لهم: ﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا﴾ إن اتبعت أهواءكم، وضللت بفتح اللام أفصح^(٣) ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾^(٥٦) أي: النبين.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ أي: بيان وبصيرة من أمر ربي ﴿وَكَذَبْتُمْ بِهِ﴾ أي: جحدم بالقرآن، وقيل: بربكم ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب والآفات ﴿إِنَّ الْحُكْمَ﴾ أي: ما الحكم وما القضاء بنزول العذاب ﴿إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ﴾^(٤) أي: يحكم بالعدل ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِينَ﴾^(٥٧) القاضين.

(١) رواه أبو داود في السنن (٣٦٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري مطولا، وإسناده ضعيف.

(٢) من معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٥٥.

(٣) كما في تفسير الطبري ١١/ ٣٩٧.

(٤) في الأصل: «يقضي الحق» وعلى هذه القراءة جاء تفسير المصنف، فإن يقضي بمعنى: يحكم، وهذه قراءة وأبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف.

وقرأ: أبو جعفر ونافع وابن كثير وعاصم: يقص الحق، أي يقول ويحكمه (النشر ٢/ ٢٥٨).

﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب، أي: بيدي ﴿لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: فرغ من عذابكم، لأنني آيست من إيمانكم، فالله أرحم بكم مني ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ أي: بعقوبة الكافرين.

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ روي في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مفاتيح الغيب خمسة» ثم ^(١) قرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ ^(٢).

فالمفاتيح: جمع مفتاح ^(٣)، والمفاتيح: جمع مفتاح.

والغيب: هو علم شيء لا دليل عليه يستدل به، ولا أعلمك به أحد، يعني خزائن الغيب عنده ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ من الخلق والعجائب؛ من اختلاط قطرات الماء بعضها ببعض، ويعلم لو انفصل بعضها عن بعض كم تصير من الأقطار ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ ويعلم سبب سقوطها ودورانها في الهواء ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ﴾ أي: في بطنها من أنواع الحبوب الساقطة في الأرض إلا يعلمها، ويعلم عددها... ^(٤).

﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ قيل: الرطب الخضر واليابس الحجر والمدر، وقيل: الأحياء والأموات، وقيل: الأجساد النامية

وانظر: تفسير الطبري ١١/ ٤٠٠، والكشف والبيان ١٢/ ٩٥، والبسيط ٨/ ١٨٥.

(١) في الأصل: لمن، وهذا تصحيف تكرر نحوه.

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٤٦٩٧): عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله».

(٣) بالفتح والكسر في أوله (تفسير الطبري ١١/ ٤٠١، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٣، البسيط ٨/ ١٨٨).

(٤) هاهنا كلمة مصحفة لم أهتد لصوابها، صورتها: وفدنها.

والخامدة ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّيِّنٍ﴾ ٥٩ أي: علم ذلك في اللوح المحفوظ، مكتوب لأجلكم لا لأجلي.

والفائدة في الكتابة: لا لخوف النسيان، بل - ما أخبر الله تعالى في آية أخرى - تسلية لعباده ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ] ٢٢ ثم قال ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ إذا علمتم أنه كتب لغيركم ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ إذا علمتم أنه كتب لكم في الأزل^(١).

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ يقبض أرواحكم التي بها تميزون.

والتَّوَفَّى: هو قبض الشيء بتمامه^(٢)، وقيل: إن الروح روحان، مميز وغير مميز، فبالنوم يذهب الروح المميز ويبقى غير المميز، وبالموت يذهبان جميعاً^(٣).

﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ فيه تقديم وتأخير، أي: يبعثكم بالنهار على علم ما تجترحون فيه، أي: تكسبون ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: أجل الموت في

(١) ما ذكره المصنف حسن جداً، لأنه مستنبط من القرآن نفسه، وانظر لمبحث الحكمة في الكتابة في: تفسير الطبري ٤٠٣/١١، الهداية إلى بلوغ النهاية ٢٠٤٤/٣، البسيط ١٩٣/٨، زاد المسير ٣٨/٢، لباب التأويل للخازن ١١٩/٢.

ولابن الأنباري ثلاثة أجوبة، ذكرها الواحدي -نصاً- ولخصها ابن الجوزي: أحدها: أنه أحصاها في كتاب، لتقف الملائكة على نفاذ علمه. والثاني: أنه نبه بذلك عباده على تعظيم الحساب، وأعلمهم أنه لا يفوته ما يصنعون، لأن من يثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب، فهو إلى إثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع. والثالث: أن المراد بالكتاب: العلم فالمعنى: أنها مثبتة في علمه.

(٢) وعبرة بعضهم: استيفاء العدد (تفسير الطبري ٤٠٥/١١).

(٣) تفسير أبي الليث ٤٥٤/١، تفسير السمعاني ١١١/٢.

انقضاء أعماركم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ في الدنيا.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ على مستصعب الأمور، وقيل: فوق زيادة والمعنى هو القاهر والغالب لعباده بجبروته.

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ من الملائكة يحفظون أعمالكم، ملكان بالليل وملكان بالنهار ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: حضره الموت ﴿تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا﴾ قبض روحه ملك الموت وأعوأه ﴿وَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٦١﴾ أي: لا يعصون^(١) فيما أمروا ولا يغفلون.

﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾ أي: ردوا من الدنيا إلى الله الحق ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ في عباده ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ ﴿٦٢﴾ قيل: الحساب يقع في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا^(٢)، والمدة الطويلة في القصاص وعقد الألوية والجواز على الصراط.

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾ استفهام بمعنى التقرير، أي: الله ينجيكم ﴿مَنْ ظَلَمْتَ الْأَبْرَ وَالْبَحْرَ﴾ وأهوالهما ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ علانية وسراً ﴿لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ﴾ أي: خلصتنا وأنقذتنا من هذه الأهوال ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٦٣﴾ المعترفين بالنعمة وهو التوحيد.

(١) في الأصل: يعصرون، وهو تصحيف.

(٢) لم أقف على هذا القول، والمشهور أنه نصف يوم من أيام الآخرة، لكن لعل المصنف يشير إلى حديث أبي سعيد الخدري قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يوما كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي بيده، إنه ليخفف على المؤمن، حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا» رواه أحمد (١١٧١٧) وهو حديث ضعيف.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ أي: غم وشدة ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ به الأصنام بعد النجاة. ﴿٦٤﴾

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ الرجم والظوفان ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ الخسف ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا﴾ يخلط أمركم ويجعلكم فرقا، ذات أهواء مختلفة، يعني خلط اضطراب لا خلط اتفاق ﴿وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالقتل والهرب ﴿أَنْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ نَصَرَفُ الْأَيَّاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ وعده ووعيده، قيل في الخبر: أن رسول الله دعا الله أن يحفظ أمته عن هذه الأربع، فأخبره جبريل أنه استجيب في اثنين: عذابا من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، فأجارهم عن هذين، ولم يجرحهم عن اثنين: أن يلبسهم شيْعًا، ويذيق بعضهم بأس بعض^(١).

انظر يا محمد كيف نصرّف الآيات تنبيهاً لقوم يفقهون وعده ووعيده.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ أي: بالقرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿٦٦﴾ بمسلط أجبركم على الإيمان، وهذا منسوخ بآية السيف.

﴿لِّكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: لكل خبر حقيقة يأتي في وقته وله أجل ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ إذا نزل العذاب بكم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ الخوض: هو الدخول في الشيء على تلوث، وأصله الخوض في الماء لا يخلوا من اللوث. يعني: يستهزؤون بك وبالقرآن ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ اترك مجالستهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ أي: في

(١) في صحيح البخاري (٤٦٢٨): عن جابر رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعوذ بوجهك»، قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هاتان أهون أو أيسر».

غير القرآن ﴿وَمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ أي: يوقعك في النسيان بعد النهي فجالستهم ناسياً ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ المشركين إذا ذكرت.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ أي: حساب^(١) الخائضين ﴿مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرِي﴾ أي: عليهم أن يُذكروهم ذكرى بالقرآن^(٢) ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الاستهزاء.

قال السدي: نُسخَت الآية بقوله: ﴿نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾ إلى الآخر، وقال غيره لم تُنسخ^(٣).

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ﴾ أمرٌ بمعنى التهديد، وقيل: منسوخ بآية السيف^(٤).

قيل: أراد به يوم العيد، دينهم: أي عيدهم فرحاً ولعباً، فكل أهل دين يفعلون ذلك إلا أمة محمد، اتخذوا عيدهم للصلاة^(٥).

وقيل: أراد به سائر أمر الدين يستخفون بها^(٦).

﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ أي: عِظْ بالقرآن ﴿أَنْ بُسِّلَ نَفْسٌ﴾ أي: من قبل أن تُحبس وترهن النفس في النار ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من عذاب الله ﴿وَلِيٌّ﴾ قريب يمنع العذاب عنها ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لها ﴿وَإِنْ

(١) في الأصل: حسنات، وهو تصحيف.

(٢) الكشف والبيان ١٢ / ١١٠.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ١١ / ٤٤٠.

(٤) وهو قول عدد من أهل التفسير (تفسير الطبري ١١ / ٤٤٢).

(٥) وهو قول الكلبي كما في تفسير أبي الليث ١ / ٤٥٨، البسيط ٨ / ٢١٤، وهذا قول شاذ.

(٦) وهو قول ابن عباس وسائر أهل التفسير، كما في البسيط ٨ / ٢١٤.

تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ [لَا يُؤْخَذُ] إِنْ تَفِدِ النَّفْسَ بِجَمِيعِ مَا فِي الدُّنْيَا لَا يَقْبَلُ ﴿مِنْهَا﴾^١
 أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ﴿أَسْلَمُوا إِلَى النَّارِ بِشْرِكِهِمْ﴾ ﴿لَهُمْ شَرَابٌ
 مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء حار قد انتهى حره، يغلي في البطون ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
 يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٧﴾^(١).

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ وكان كفار مكة أجبروا
 نفرًا من المسلمين على الكفر فنزلت الآية.

أي: لا تنفعنا عبادته ولا يضرنا ترك عبادته ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ أي: نرجع
 إلى الكفر كمن يمشي وراء ظهره لا يرى ما خلفه ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ﴾ أي:
 أكرمنا بمعرفته ﴿كَالَّذِي أُسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: دعت الغيلان
 فنادته باسمه واسم أبيه حتى يتعسف المنهاج ﴿حَيْرَانَ﴾ منصوب على الحال
 ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا﴾ أي: للمؤمن أصحاب وهم
 المؤمنون والملائكة؛ يدعونه إلى الهدى، وللكافر أصحاب وهم الشياطين؛
 يدعونه إلى الردى ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ وهو الإسلام لا ما ظننتموه
 هدى ﴿وَأَمْرًا لِلنَّبِيِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧﴾ والتسليم: هو ترك التدبير والرضى
 بجاري القضاء.

وقوله «لنسلم» معناه: أن نسلم، ولام كي وحرف أن يتعاقبان، كقوله
 ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾^(٢).

﴿وَأَنْ أَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: أمرنا لنسلم وبإقام الصلاة والتقوى ﴿وَهُوَ
 الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ بعد الموت.

(١) تفسير أبي الليث ٤٥٨/١.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/٢٦٢، البسيط ٨/٢٢٦.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: للاستدلال على الحق ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ أي: خلق يوم يقول للبعث مرة واحدة ﴿كُنْ﴾ مرة واحدة ﴿فَيَكُونُ﴾ من غير أن يثني القول مرتين ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ أي: ما يقول لكم في أمر الآخرة حق ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ له المقدرة والقضاء...^(١)، وإنما خص به يوم القيامة مع أن له الملك في سائر الأوقات لأن أحداً لا يدعي الملك فيه، [كـ] قوله: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ وهو قرن ينفخ فيه نفختان، نفخة للفناء ونفخة للإنشاء، وذلك علامة الابتداء والانتهاء.

وقيل: الصور جمع الصورة، يعني ينفخ فيها الأرواح^(٢).

(١) هاهنا في الأصل كلمتان يظهر أنهما مقحمتان مصحفتان، صورتهما: والمغفر والعد. وقد صدر المصنف عن معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٦٤، وليس فيه هذا.

(٢) وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ١٩٦، وقد أنكر عليه ذلك، إلا الزجاج فإنه جوزّه (معاني القرآن ٢/ ٢٦٤).

قال أبو الهيثم: اعترض قوم فأنكروا أن يكون الصور قرناً، كما أنكروا العرش والميزان والصراط، وادعوا أن الصور جمع الصورة كما أن الصوف جمع الصوفة والثوم جمع الثومة، ورووا ذلك عن أبي عبيدة، قال أبو الهيثم: وهذا خطأ فاحش وتحريف لكلم الله عن مواضعه؛ لأن الله قال: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [سورة غافر: ٦٤] وقال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [سورة الكهف: ٩٩] فمن قرأها: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ» وقرأ: «فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ» فقد افترى الكذب وبدل كتاب الله، وكان أبو عبيدة صاحب أخبارٍ غريب ولم يكن له معرفة بالنحو.

قال الفراء: كل جمع على لفظ الواحد المذكر سبق جمعه واحده فواحدة بزيادة هاء فيه، وذلك مثل الصوف والوبر والشعر والقطن والعشب، فكل واحد من هذه الأسماء اسم لجميع جنسه، فإذا أفردت واحده زيدت فيها هاء؛ لأن جمع هذا الباب سبق واحده، ولو أن الصوفة كانت سابقة للصوف لقالوا: صوفةٌ وصُوفٌ وبُسُره وبُسُر، كما قالوا: عُرفةٌ وعُرفٌ بالنحو.

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٧٣) بأعمال خلقه.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرٌ﴾ قيل: إن آزر اسم أبيه^(١) بالعربية، وبالعبرانية تارخ، وآزر لا ينصرف، وقيل: إن آزر بلغتهم مذمة، كأنه قال يا مخطئ^(٢).

﴿اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ أي: تعبد الأصنام من دون الله ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٧٤) وقيل: اسم تارخ، ولقبه آزر، وقيل: آزر اسم صنم، ومعناه: اتَّخِذْ آزر إلهاً وأصناماً آلهة^(٣).

﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ معناه: كما ألهمنا إبراهيم خطأ أبيه فأريناه ملكوت السماوات والأرض.

والملكوت: الملك زيدت الواو والتاء، وهو ما رأى من الشمس والقمر والسماء والأرض. ﴿وَلْيَكُونِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٥) أي: يستدل به فتزول عنه الشكوك^(٤).

وَزُلُفَةٌ وَزُلْف. وأما الصور: القرن فهو واحد لا يجوز أن يقال: واحدتها صورة، وإنما تجمع صورة الإنسان صوراً لأن واحدته لسبقت جمعه.

قال الأزهري: قد احتج أبو الهيثم فأحسن الاحتجاج، ولا يجوز عندي غير ما ذهب إليه، وهو قول أهل السنة والجماعة، والدليل على صحة ما قال؛ أن الله تعالى إذا بعث الأموات ينشئهم كيف شاء، ومن ادعى أنه يصورهم ثم ينفخ فيهم فعليه البيان.

(انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٤٠، معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٦٤، تهذيب اللغة للأزهري ٢/ ١٩٦٠، وعنه الواحدي في البسيط ٨/ ٢٣٢).

وانظر: رد ابن جرير على قول أبي عبيدة في التفسير (١١/ ٤٦٣).

(١) في الأصل: الله، واستغفر الله عن هذا التصحيف.

(٢) وقيل: معوج، انظر: تفسير الطبري ١١/ ٤٦٧، تفسير أبي الليث ١/ ٤٦٠، الكشف والبيان ١١٩/ ١٢.

(٣) وهو قول مجاهد والسدي، وهو شاذ (تفسير الطبري ١١/ ٤٦٧).

(٤) تفسير الطبري ١١/ ٤٧٠، معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٦٥، الكشف والبيان ١٢/ ١٢٠.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أي: أظلم وغطاه بسواده وهو في السرب ﴿رَأَى كَوْكَبًا﴾ أشرف على الباب فنظر فرأى الزهرة ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ قيل: ذاك على وجه الاستفهام، فلم يزل يقول هذا ربي حتى توارى عنه ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ [فألهمه الله أنه ليس برب ف ﴿قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾ (٧٦) أي لا أعبد ربًّا يغيب ولا يدوم. ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾ طالعًا في آخر الليل ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ حتى أعرفه ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (٧٧).

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ﴿مِمَّا رَأَيْتَ﴾ ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ قَالَ يَقُومُ إِلَيَّ بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿(٧٨)﴾ من هذه الكواكب والأصنام، قال ذلك بأعلى صوته حين عرف ربه بالدلائل.

قيل: إنه لم يبطل إبراهيم ربوبية الكواكب لانتقالها وغيوبتها؛ إذ لو كان كذلك لأثبت الربوبية للجبال لعدم هذين الوصفين، ولكن أبطل ربوبية الكواكب لأنها متى غابت انمحت آثارها، والله تعالى غائب عن الأبصار ولكن دلائل ربوبيته قائمة بأعيننا^(١).

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ أَخْلَصْتُ دِينِي وَعَمَلِي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ نصب على الحال^(٢)، والحنيف: صحيح الميل إلى الإسلام ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩).

﴿وَحَاجَّهٖ قَوْمُهُ﴾ خاصمه ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿أَتَحْجُونَنِي﴾ أخاصمونني ﴿فِي﴾ دين ﴿اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي﴾ عَرَّفَنِي دِينَهُ ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تَشْرِكُونَ بِهِ﴾ وكانوا خوفوه بشيء من الخبل بشتم الأصنام ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ أي: إلا أن يضلني

(١) انظر: الكشف ٢/ ٤٠، وحاشية ابن المنير عليه.

(٢) الدر المصون ٥/ ١٥.

ربي فأخاف حينئذ آلهتكم ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: عالمًا لكل شيء، نصب على التمييز^(١) ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُ﴾ بالله، على وجه التهديد ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَا كُفِّرَ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾ أي: لا تخافون حين أشركتم بالله، أي: لا تخافون الله وقد أشركتم به ﴿مَا لَمْ يُنَزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حجة وعذرًا من الله ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ من عذاب الله نحن أو أنتم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عواقب الأمور.

فأجابه الله وقال ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: لم يخلطوا إيمانهم بشرك ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ من عذاب الله ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ من الضلالة. ﴿وَلِلَّكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ ليحجج بها^(٢) قومه ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ بالعلم، والحكمة.

الحجة: إظهار برهان يدحض به حجة الخصم^(٣).

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ بإلهام الحجة ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يصلح للنبوة. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ ولدًا ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ولد الولد ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ أي: هديناهم للنبوة والإسلام ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ هؤلاء ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: ذرية نوح^(٤) ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ أكرمنا جميعًا بالنبوة والإسلام ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ الموحدين.

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٥١٣.

(٢) في الأصل: ليحتج به، وهو تصحيف.

(٣) قال الحسين بن الفضل: يعني: مراتبهم بالعلم والفهم والفضيلة والعقل (البيضاوي ٨/ ٢٥٧).

(٤) رجح ابن جرير والثعلبي وغيرهما عود الضمير إلى نوح لأن لوطا ليس من ذرية إبراهيم

(تفسير الطبري ١١/ ٥٠٧، الكشف والبيان ١٢/ ١٣٨).

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٨٥) أي: المرسلين.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ وقرئ: «وَالْيَسَعَ» (١) ﴿وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ

الْعَالَمِينَ﴾ (٨٦) بالنبوة.

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ﴾ مثل آدم و شيث وإدريس ﴿وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ قيل: إنهم

إخوة يوسف، وقيل: من آمن معهم وبهم ﴿وَأَجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ استخلصناهم بالنبوة،

وقيل: بالتوحيد ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٨٧).

﴿ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ﴾ مَن كَانَ أَهْلًا لِّذَٰلِكَ ﴿وَلَوْ

أَشْرَكُوا﴾ أي: هؤلاء الأنبياء لو أشركوا طرفة عين ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿مِنَ الْحَسَنَاتِ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ أي: العلم والفهم ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾

والحكم: فصل الأمر على موافقة الحق ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾ يعني: بآياتنا

والنبوة، يعني أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ أي: وفقناهم، وهم أهل المدينة

﴿لِّيُؤْثِرُوا بِهَا الْكَافِرِينَ﴾ (٨٨) وقيل: إن تكفر بها قريش فقد وكلنا بها النبيين الثمانية

عشر الذين تقدم ذكرهم (٢).

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمُ اللَّهُ﴾ وأكرمهم بالأخلاق الحسنة ﴿فَهَدَيْنَاهُمُ اقْتَدَاءً﴾

أي: بأخلاقهم الحسنة اقتد يا محمد، بشكر نوح، وحلم إبراهيم، وصلابة

موسى، وتواضع سليمان، وعبادة داود، وصبر أيوب، وزهد عيسى.

والاقتداء: طلب موافقة الثاني للأول، والهاء في اقتده هاء الوقف (٣).

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف (النشر ٢/ ٢٦٠).

(٢) وهو قول قتادة، كما في تفسير الطبري ١١/ ٥١٨، والكشف والبيان ١٢/ ١٤٢، وهو اختيار

ابن جرير.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٠، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١، التبيان ١/ ٥١٧.

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: على تبليغ الرسالة جُعلاً ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: عِظَةٌ بليغة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني: القرآن، والعالمين هاهنا الجن والإنس.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عَظَّموا الله حق تعظيمه، عن الحسن وغيره. وقيل: ما عرفوه حق معرفته^(١).

قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَعِظَّمَ اللَّهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ؟ أَوْ يَعْرِفَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ؟ أَوْ يَعْبُدَهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ؟ وَالْمَلَائِكَةُ يَقُولُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: سُبْحَانَكَ مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، مَعَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، قَالَ: وَلَكِنْ تَأْوِيلُهُ مَا عَرَفُوا اللَّهَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي تُعْرَفُ بِالْإِسْتِدْلَالِ، وَمَا عَظَّمُوهُ حَقَّ الْعِظْمَةِ الَّتِي تُعْظَمُ بِالْإِسْتِدْلَالِ^(٢).

﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ أي: كتاب.

قيل: إِنَّ مَالِكَ بْنَ الصَّيْفِ دَخَلَ مَكَّةَ وَكَانَ أُسْقِفَ الْيَهُودِ، وَكَانَ سَمِينًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ يَا مَالِكُ، أَتَجِدُ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْحَبْرَ السَّمِينِ» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ لَهُ: «أَنْتَ الْحَبْرُ السَّمِينُ، سَمَنْتَ مِنْ مَأْكَلَتِكَ الَّتِي يَطْعَمُكَ الْيَهُودُ» وَضَحِكَ الْقَوْمُ عَلَى مَالِكٍ، فَغَضِبَ وَقَالَ: مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ أَي: كِتَابٍ^(٣).

(١) تفسير أبي الليث ١/٤٦٦، الكشف والبيان ١٢/١٤٢.

(٢) تأويلات القرآن لأبي منصور الماتريدي ٤/١٦٥.

(٣) روي ذلك عن سعيد بن جبير مرسلًا، كما في تفسير الطبري ١١/٥٢١، وقال عكرمة: نزلت في مالك بن الصيف، وهو مرسل كذلك، ولم يذكر أن ذلك كان بمكة. وعن مجاهد: قائل ذلك المشركون من أهل مكة، وهكذا هو من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فهكذا اختلف أصحاب ابن عباس، ولو كان عن ابن عباس شيء من ذلك لما اختلفوا فيه.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى﴾ وهو التوراة ﴿وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ من الضلالة ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ بُدُونَهَا﴾ أي: تجعلونه صحفًا تظهرون منها ما تحبون من القصص وصفة الجنة ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ أي: تكتُمون نعت ومحمد وصفته وآية الرجم ﴿وَعَلَّمْتُمْ﴾ من الأحكام ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ قبل التوراة ﴿أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ فَإِنْ أَجَابُوكَ وَإِلَّا ف ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أنزل ذلك الكتاب ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ﴾ اتركهم ﴿فِي خَوْضِهِمْ﴾ أي باطلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي: لاعبين. ليس بجواب الأمر لقوله: ذرهم يخوضوا ويلعبوا، ولكنه مستقبل بمعنى الحال، كقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ﴾ أي: قائلين^(١).

قيل: هو منسوخ بآية السيف^(٢).

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ﴾ على من عمل به وآمن ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: ما تقدمه من الكتب والرسل ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ أراد به مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من البلدان ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: بالقرآن ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أوقاتها.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أراد به مسيلمة الكذاب^(٣) ﴿وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وهو عبد الله بن سعد ابن أبي سرح.

والراجح أنه من قول المشركين، لأن السورة مكية، وهو اختيار ابن جرير، والله أعلم.

(١) البسيط ٨/ ٢٨٠، الكشاف ٤٤/ ٢، التبيان في إعراب القرآن ١/ ٥١٩.

(٢) البسيط ٨/ ٢٨٠، أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٢١٢.

(٣) هذا قول قتادة وعكرمة، وفيه نظر من جهة أن مسيلمة كانت قصته في المدينة، في حين أن السورة مكية، نزلت جملة واحدة.

ثم وصف حالهم عند الموت فقال ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ أي: الكافرون ﴿فِي عَمْرَاتِ الْمَوْتِ﴾ أي: سكرات الموت ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ لنزع أرواحهم، وهذا محذوف الجواب، ومعناه: لو رأيت ذلك لرأيت عجباً.

﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ أي: قيل لهم موتوا، أو خلصوا أرواحكم من أيديهما، ثم ابتداءً فقال ﴿الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ تكافؤون عذاباً تهانون فيه ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أن له شريكاً ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٣).

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ أي: قيل لهم يوم القيامة لقد آتيتمونا ﴿فُرْدَى﴾ وحيداً ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وحيداً ليس معكم شيء ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ﴾ أي: خلفتم ما أعطيناكم ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ خلفكم في الدنيا ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ (أنهم) ﴿فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ شفعاء لكم، وقيل لهم: أين اللات والعزى؟ وأين عزيز وعيسى؟

﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: وصلكم (١)، وقيل: ما بينكم من الأسباب والأرحام. ﴿وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (١٤) أنهم شفعاءكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ الفلق: الشق، يعني: يشق جوف الحنطة في السنبلة، وجوف النواة في داخل الثمر (٢).

وعن السدي: أنه عبد الله بن أبي السرح، كان كاتباً للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد، والله أعلم (الكشف والبيان ١٢/١٤٧، البسيط ٨/٢٨٥).

(١) ضبطها في الأصل: بينكم، بضم النون، وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وحمزة وخلف ويعقوب وشعبة، والتفسير على هذه القراءة.

وقرأ الباقر: بينكم، كما أثبت، وتفسيرها القول الثاني الذي أورده (النشر ٢/٢٦٠).

(٢) النوى لكل ثمرة فيها نوى، كالشمش والخوخ والإجاص وليس خاصاً بالتمر (تفسير أبي الليث ١/٤٦٩).

وقيل: الفالق هو الخالق^(١).

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ وقد سبق تفسيره في أول سورة آل عمران ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾^(٢) أي: تصدفون عن الحق.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ أي: شاق عمود الصبح عن سواد الليل ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾^(٣) لتسكنوا في ظلمته ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ يجريان بحساب معدودة، ومنازل معلومة.

والشمس والقمر منصوبان عطفاً على الليل، الذي هو في محل نصب، فانتصب على معناه وموضعه^(٤).

﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ المنيع في سلطانه العليم بتدبيره.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ في السماء ﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ أي: لتعرفوا الطريق فيها ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ بينا العلامات ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون أمر الله.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ أي: لكم مستقر في أرحام الأمهات، ومستودع في أصلاب الآباء.

وعن ابن عباس: المستقر ما قد خلق، والمستودع عند الله ما لم يخلق^(٥).

﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ الدلالة على وحدانيتنا ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾^(٦) أمرنا.

(١) وهو قول الضحاك، وهو ضعيف لغة (تفسير الطبري ١١ / ٥٥٢).

(٢) كتبها في الأصل: وجاعل، وهي قراءة من سوى الكوفيين (النشر ٢ / ٢٦٠).

(٣) التبيان في إعراب القرآن ١ / ٥٢٣، الدر المصون ٥ / ٦١.

(٤) وهي رواية عنه، وعنه رواية كالقول الأول (تفسير الطبري ١١ / ٥٦٥) وذهب ابن جرير إلى أن الآية تحتمل كل هذه الأقوال.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: مطراً ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ أي: أنبتنا بالمطر ﴿نبات كل شئ﴾ أي: صنف من النبات ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ في السنبلة ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ أي: أخرجنا من النخل ﴿مِنْ طَلْعِهَا﴾ وهو الكُفْرَى^(١) ﴿قَتَوْنَا﴾ أي: عروق^(٢) ﴿ذَاتِيَّةً﴾ قريبة المتناول، وقيل: يراد به دانية وقاصية، فاكفئ بذكر أحدهما كقوله: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا﴾ أي: وأخرجنا جنات ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ أي: بساتين كروم ﴿وَالزَّيْتُونِ وَالرَّيْحَانِ﴾ أي: أخرجنا شجرة الزيتون والريمان ﴿مُشْتَبِهًا﴾ في المنظر وورقهما ﴿وغير مُشْتَبِهٍ﴾ في الثمر ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ أي: نضجه إذا نضج وظهر فيه اللون، أي: تفكروا عبيدي في الأشجار والأثمار واعتبروا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ﴾ أي: في اختلاف ألوان الثمار وطعمهم ﴿لَّآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ نصب الجن لأنه بدل عن شركاء، وقيل: مفعول ثانٍ، وتقديره: ووصفوا لله الجن شركاء^(٣).

ابن عباس قال: إن الزنادقة قالوا بين إبليس وبين الله نسبة الإخوة، لعنهم الله مع إبليس^(٤).

وقيل: [نزلت] في جهنمة وخزاعة وبني سلمة، قالوا: إن جنًا من الملائكة يقال لهم الجن بنات الرحمن^(٥).

(١) الكُفْرَى والكُفْرَى - مثلثة الكاف والفاء - واحد، وهو وعاء طلع النخل وقشره الأعلى (تاج العروس ٥٩/١٤).

(٢) وهو العذق (الكشف والبيان ١٦٢/١٢).

(٣) الوجهان في معاني القرآن للفراء ٣٢٦/٨، وتفسير الطبري ٧/١١، والتبيان ٥٢٦/١.

(٤) وهو من رواية الكلبي، كما يظهر من تفسير أبي الليث ٤٧٢/١، الكشف والبيان ١٦٥/١٢.

(٥) وهو قول مقاتل، كما في تفسير أبي الليث ٤٧٢/١.

﴿وَحَرِّقُوا لَهُ﴾ أي: كذبوا في مقالتهم بأن له ﴿بَيْنَ وَبَيْنَ بَغِيرَ [عَلَمٍ]﴾ بيان ولا حُجَّة ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: يقولون، ومعناه الأمر، أي: سُبْحُوهُ عما يقول عليه الجاهلون، وبرئوه أيها المؤمنون.

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما ومنشئهما من غير شيء ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ أي: زوجة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من الذكور والإناث والجن والإنس وأفعالهم، رغمًا للمعتزلة ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ﴾ أي: وجَّهوا شكر نعمه إليه ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ كفيل برزق كل دابة.

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ بكيفيته ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ بحقائقها، وفيه إعلام أن الخلق لا يعرفون حقيقة البصر؛ وما الشيء الذي صار الإنسان به بصيرًا حتى يبصر من عينيه دون سائر أعضائه، فأعلم الله تعالى أن أحدًا من مخلوقاته - وإن كان عالمًا - لا يدرك كنه شيء من المخلوقين ولا من نفسه؛ فكيف من رب العالمين^(١).

وليس للمعتزلة في الآية حجة على نفي الرؤية، لأن الله تعالى نفى الإدراك، ونفى الإدراك لا يدل على نفي الرؤية، لأن الرؤية غير، والإدراك غير، قال الله تعالى في قصة موسى ﴿تَرَى الْجَمْعَانَ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ قَالَ كَلَّا أَتَيْتُ الرُّؤْيَا بِقَوْلِهِ: تراءى، أي: ثم نفى الإدراك بقوله: كلا.

وفيه دليل على إثبات الرؤية؛ لأنه نفى الإدراك، فلو لم يحتمل الرؤية لم يكن لنفي الإدراك معنى، لأن الإدراك فيما يدرك بعد الرؤية، ونفي الإدراك فيما

لا يحتمل الرؤية لا يليق بحكمة الحكيم، فدل نفي الإدراك ^(١) في قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [أن] هناك رؤية، لكن لا يدرك ولا يحاط ^(٢).

وقال بعضهم: أراد بالأبصار بصر القلب، لأنه قال في آخره ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ^(٣) بخفيات الأسرار، الخبير بطواهرها.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: بيان ودلائل في القرآن ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ البيان وعلم وآمن به ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ أي: له نفعه ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ أي: جهل وتغافل ﴿فَعَلَيْهَا﴾ ضرورة ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ^(٤) مسلط حتى أجبركم على الإيمان، منسوخ بآية السيف.

﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نبيّنها ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ ^(٥) واللام لام العاقبة، أي: صار عاقبة ذلك إلى أن يقولوا: درست، أي: تعلمت من أهل الكتاب وليس بوحى ^(٦).

وقرئ: «دَرَسْتَ» بفتح السين وتسكين التاء، أي: أخبار من ^(٧) مضى وانمحي، كمثل خبر رستم وإسفنديار، فأحيها محمد. وقيل: «لا» في الكلام مضمرة: لئلا يقولوا درست ^(٨).

(١) هنا كلمتان لا معنى لهما، وهما: على نفي، والظاهر أنه من تداخل الكلمات على الناسخ.

(٢) يتوارد المفسرون من أهل السنة على نحو هذا، انظر: تفسير الطبري ١٢/١٤، الكشف والبيان ١٢/١٦٦، تفسير السمعاني ٢/١٣٢، معالم التنزيل ٣/١٧٤، البسيط ٨/٣٣٠، وأطال ابن كثير في إثبات الرؤية يوم القيامة ٣/٣٠٩.

(٣) في الأصل: دارست، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ ابن عامر ويعقوب: درست، وقرأ الباقر كما أثبت (النشر ٢/٢٦١).

(٤) وهذا تأويل القراءتين اللتين من المداينة، بمعنى التعليم.

(٥) في الأصل: قد، وهي قريبة التصحيف من: من.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٢/٢٧٩، البسيط ٨/٣٣٩.

﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١٥) ويتنفعون بعلمهم: محمد وأصحابه.

﴿أَتَتَّبِعُ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦)

نُسِخَتْ بآية السيف.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا يَشْرِكُوا﴾ (١٧) ﴿مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا

وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١٨) نُسِخَتْ بآية السيف (٢).

﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني الأصنام ﴿فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا

بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: عدوانًا، تجاوز الحد ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾ القبيح امتحانًا

منَّا، وزينًا للمشركين شركهم ابتلاء ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَنُنَبِّئُهُمْ

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩).

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: اجتهدوا في مبالغة اليمين ﴿لَإِنْ جَاءَ تَهُمَّ

ءَايَةٌ لِّيُؤْمِنَنَّ بِهَا﴾ أي: علامة مثل عصا موسى وحجره ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا

الْأَيْتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ بحكم الله ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ﴾

أي: لعلها إذا جاءت ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠).

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ عن الاتعاظ بالآيات ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ

أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وهو عند انشقاق القمر، وكان في أول مبعث رسول الله، وقيل: كما لم

يؤمن به أوائلهم من الأمم الماضية، رأوا الآيات بعد سؤالها فأنكروها، ولم

يؤمنوا بها.

وقيل: لم يؤمنوا به يوم الميثاق (٣).

(١) في الأصل: أشركوا، والتصحيح من تفسير الكلبي.

(٢) الكشف والبيان ١٢/١٧٣.

(٣) تفسير الطبري ١٢/٤٤، الكشف والبيان ١٢/١٨١.

﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١١) أي: في عتوهم يترددون.

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ﴾ من السماء معاينة ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ أي: أحيت الموتى - كفعل المسيح - بدعائك وتشهد على نبوتك ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبْلًا﴾ عياناً، وقيل: «قُبْلًا»^(١) جمع قبيل، أي: قبائلاً مع الملائكة والموتى والطير والوحش والسباع والبهائم وخلق البحار وأهل السماء؛ ناطقتهم هذه الأشياء بأن محمداً رسولي وما أتاكم به حق، مشافهة وعياناً^(٢) ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إلا بمشيئة الله لهم الإيمان.

ويجوز أن يكون القُبْل^(٣) جمع قبيل، وهو الكفيل كقوله ﴿أَوْ تَأْتِي بِلَا إِلَهٍ وَالْمَلَكَةِ قَبِيلًا﴾ (١٢) أي: كفيلاً ضميناً ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ (١٣) أنه حق. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي: كما جعلنا لك ولأمتك من الشياطين والإنس أعداء؛ كذلك جعلنا لمن تقدمك من الأنبياء والأمم أعداء ﴿شَيْطَانٍ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ أي: مردتهم من الكفار، والشياطين: كل عاتٍ متمرّد جنياً كان أو إنسياً.

وقيل: إن إبليس جعل شياطينه فريقين؛ فريقاً يوسوس الجن، وفريقاً يوسوس الإنس، فإذا لقي الشيطان الذي يوسوس الإنس الشيطان الجن قال: إني أضللت صاحبي بكذا فافعل أنت بصاحبك كذا حتى تضله فهذا شياطين الإنس^(٤).

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أي: يلقن بعضهم بعضاً ﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ كلاماً مزخرفاً مزيناً بالغرور الباطل ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: منعهم عن

(١) وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن عامر (النشر ٢/ ٢٦٢).

(٢) ولذا قال بعض العلماء إن المعنى على القراءتين واحد (البيسط ٨/ ٣٦٣).

(٣) أي على القراءة الأولى.

(٤) ذكره في الكشف والبيان ١٢/ ١٨٥.

ذلك ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١١٣) ﴿أي: دعهم وافتراؤهم علي، أنا أنفرد بهلاكهم.

﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ﴾ لكي يميل الزخرف والغرور^(١) ﴿أَفِدَّةُ﴾ [الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ] الكفار ﴿وَلِيَرِضُوهُ﴾ لكي يختاروا حين مالت إليه قلوبهم ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ أي: يكتسبوا بالزخرف والغرور من الشرك والافتراء ﴿مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾ (١١٤) ﴿أي: يكتسبون، وقيل: إنها لام الأمر^(٢).

﴿أَفْغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَىٰ حَكَمًا﴾ أي: أطلب حكماً رباً ومعبوداً؛ لأنهم: قالوا اجعل يا محمد بيننا وبينك حكماً من اليهود ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ بالحلال والحرام ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ علم التوراة: عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (١١٥) من الشاكين بأنهم لا يعلمون^(٣)، قيل: إن الخطاب لرسول الله والمراد أمته.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾^(٤) وجبت عدة ربك فيما قال لأوليائه صدقاً فيما قال، وعدلاً فيما حكم، وقيل: صدقاً في الأنباء وعدلاً في الأحكام.

(١) الصغو: الميل، صغى إلى كذا يصغي أي يميل (البسيط ٨ / ٣٧٨).

(٢) أي: اللفظ لفظ أمر، والمعنى هو التهديد، كذا ذكر الزجاج (في معاني القرآن ٢ / ٢٨٥) والأول: هو الأثبت في اللغة (كما في البسيط ٨ / ٣٨٣).

وقد قرئ بإسكان اللام في الشاذ، ومع ذلك فقد أبى ابن جني أن تكون من لام الأمر (المحتسب ١ / ٢٢٨).

(٣) أي لا يعلمون أنه منزل من الله، ما في معاني القرآن للفراء ١ / ٣٥١.

(٤) في الأصل: كلمات، بالجمع، وهي قراءة من سوى الكوفيين ويعقوب، حيث قرؤوا بالإنفراد (النشر ٢ / ٢٦٢). وهما بمعنى واحد، قال أهل المعاني: الكلمة والكلمات معناها: ما جاء من وعد ووعد وثواب وعقاب، فلا تبديل فيه ولا تغيير له، كما قال تعالى: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [سورة ق: ٢٩] والتقدير: وتمت ذوات الكلمات -أي: يخبر بها عنها- فمن قرأ

﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتَيْهِ﴾ لا مغير لوعده، وقيل: لا ينقض بعضه بعضاً ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١١٥﴾ لما قال الكفار عليم بعقوبتهم.

﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ حيث دعوك إلى ملة آبائك ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ ما يعبدون الأصنام إلا بالظن ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ وما هم إلا كاذبون.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: هو أعلم أي الناس يضل عن سبيله ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿١١٧﴾ لدينه من أمتك إلى يوم القيامة.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند ذبحه، أمر بإباحة ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْهُ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٨﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ أي شيء لكم معشر الكفار ﴿أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند ذبحه ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في سورة المائدة من الميتة والدم ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ إلى أكله ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ﴾ أي: يصرفون الناس عن أكله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ الذين يجاوزون الحد، ولا يرضون لحلال الله وحرامه.

نزلت الآية في مالك بن عوف وأصحابه حيث قالوا للمؤمنين: إنكم تأكلون ما أمتموه، ولا تأكلون ما أماته الله، فمقتولكم خير من مقتول الله^(١).

«كلمات» بالجمع قال: لأن معناها الجمع، فوجب أن يجمع في اللفظ، ومن قرأ على الواحدة فلائهم قد قالوا: الكلمة يراد بها الكثرة.. (الحجة لأبي علي ٣/ ٣٨٨، الكشف والبيان ١٢/ ١٩١، الهداية ٣/ ٢١٦٠، البسيط ٨/ ٢٨٦)

(١) مراده هذه الآية مع الآيتين بعدها، وهذا القول في تفسير الطبري ١٢/ ٧٧، تفسير أبي الليث ١/ ٤٧٩، الكشف والبيان ١٢/ ١٩٧.

قيل: إن المقصود هو عمرو بن لحي لأنه بدل شريعة إبراهيم (البسيط ٨/ ٣٩٧).

ثم قال ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ الظاهر: الزنا، والباطن: المخالة^(١)، وقيل: الظاهر المعصية بالجوارح، والباطن محبة المعصية والفرح بها، وقيل الظاهر الخمر والباطن الزبيّة والتمرية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ﴾ أي: يعلمونها ﴿سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾^(٢) يكتسبون.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند ذبحه ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ حرام ومعصية ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ أي: يوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ﴿لِيَجْذِلُوكُمْ﴾ ليخاصموكم، ويقولون: ما قتله الله أولى بالأكل مما قتلتم ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(٣) إذا أطعتموهم في استحلال أكل الميتة.

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا﴾ بالشرك ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بالإيمان، أي: ليس من كان ميتًا بقلبه كافرًا بربه فأحييناه بنور الهدى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ﴾ [فِي النَّاسِ] بين المؤمنين إلى الطاعات ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ كحال من يكون في الضلالات والشبهات من الكفر، وهو أبو جهل ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ أي: من تلك الضلالات يموت عليها، قال الضحاك: نزلت في عمر وأبي جهل^(٤).

﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥) من القبائح^(٦).

(١) أي: اتخاذ الخليفة، وهو تفسير الكلبي، كما في الكشف والبيان ١٢/ ١٩٥.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ١٢/ ٨٩.

(٣) قال ابن جرير في التفسير ١٢/ ٩٢: «كما خذلت هذا الكافر الذي يجادلکم عن الحق، فزينت له سوء عمله فرآه حسنًا، ليستحق به ما أعددت له من أليم العقاب، كذلك زينت لغيره ممن كان على مثل ما هو عليه من الكفر بالله وآياته، ما كانوا يعملون من معاصي الله، ليستوجبوا بذلك من فعلهم، ما لهم عند ربهم من النكال، وفي هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوّض الأمور إلى خلقه في أعمالهم، فلا صنع له في أفعالهم، وأنه قد سوّى بين جميعهم في الأسباب التي بها يصلون إلى الطاعة والمعصية. لأن ذلك لو كان كما قالوا،

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا﴾ أي: جعلنا في كل قرية رؤساءها وجابرتها: مجرميها، كما جعلنا في قريتك.

والأكابر جمع أكبر ﴿لِيَمَّكُرُوا فِيهَا﴾ أي: ليعلموا فيها بالمعاصي وقتل الأنبياء، واللام لام العاقبة ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لأن وبال ذلك راجع إليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٢٣) ذلك.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ عَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾ يعني عبد الله بن أمية (١) ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ مثل موسى وعيسى وسليمان ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ومن هو أهل للرسالة، وهذا جواب للولد بن المغيرة تمنى أن يكون نبياً، فأجابه الله تعالى.

﴿سَيَصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿صَعَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: مذلة ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٤) أي: بمكرهم وكفرهم.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ بالمعرفة ﴿يُشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ أي: يوسع قلبه لقبول الإسلام، مثل محمد وأصحابه، وهو عمار وأمثاله ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ أي: يتركه في الضلالة ويخذله ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ لا يتسع فيه الإيمان، أي: شاكاً، وقيل: الحرج الشجر الملتفت (٢).

كان قد زين لأنبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر، نظير ما زين من ذلك لأعدائه وأهل الكفر به، وزين لأهل الكفر به من الإيمان به، نظير الذي زين منه لأنبيائه وأوليائه. وفي إخباره جل ثناؤه أنه زين لكل عامل منهم عمله، ما ينبئ عن تزوين الكفر والفسوق والعصيان، وخص أعداءه وأهل الكفر، بتزوين الكفر لهم والفسوق والعصيان، وكره إليهم الإيمان به والطاعة. (١) وفي تفسير أبي الليث ١/ ٤٨٠، والكشف والبيان ١٢/ ٢٠١ أن القائل: الوليد بن المغيرة، وأبو مسعود الثقفي. وكذا هو في تفسير الكلبي ١١٨.

(٢) وروي في ذلك عن عمر بن الخطاب قصة، فقد روى ابن جرير ١٢/ ١٠٤ عن أبي الصلت الثقفي: أن عمر بن الخطاب رحمة الله عليه قرأ هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ أي: يكلف أن يصعد إلى السماء بغير آلة، وذلك في غاية نبوّ قلبه عن الإيمان وبعده منه ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ أي: اللعنة والعذاب، وقيل الإثم ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٢٥] قلوبهم، كما ضيقنا قلوبهم.

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ أي: هذا القرآن، وقيل: الدين سبيل ربك العدل الواضح، نصب على الحال ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ أي: بيّنا العلامات ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [١٢٦] يتعظون.

﴿لَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: دار السلامة من كل آفة، وقيل: السلام هو الله، وداره جنته عند ربهم يكرمهم^(١).

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ بالكرامة والثواب ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٢٧] من الخيرات.

﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ﴾ أي: نبعثهم^(٢) ﴿جَمِيعًا﴾ كفار الجن والإنس ﴿يَكْمَعَشَرُ الْجِنِّ﴾ أي: نقول لهم يا معشر الجن ﴿قَدْ أَسْتَكْرَثْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ أي: أضللتكم كثيرًا من الإنس، أي: بني آدم.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَائُهُم مِّنَ الْإِنْسِ﴾: وقال أولياء الجن من الإنس ﴿رَبَّنَا

صَيِّقًا حَرَجًا﴾ بنصب الرء، قال: وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صَيِّقًا حَرَجًا»، قال صفوان: فقال عمر: ابغوني رجلاً من كنانة واجعلوه راعياً، وليكن مُدْلَجِيًّا. قال: فأتوه به. فقال له عمر: يا فتى، ما الحرجة؟ قال: الحرجة فينا، الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء. قال: فقال عمر: كذلك قلبُ المنافق لا يصل إليه شيء من الخير.

(١) الكشف والبيان ١٢/٢٠٩.

(٢) في الأصل: نحشرهم، وعليها جاء التفسير، وهي قراءة الكل، سوى حفص وروح (النشر ٢/٢٦٢).

أَسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أي: انتفع الجن بالإنس والإنس بالجن، أما انتفاع الجن بالإنس قبول قولهم والامثال بغرورهم، وانتفاع الإنس بالجن تلذذهم بالشهوات بإغوائهم ووسوستهم ﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ أي: وقتت لنا؛ الموت والحشر ﴿قَالَ﴾ الله ﴿النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ﴾ مقامكم ومأواكم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ دائمين ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يزيدهم على الخلود من سائر العذاب، كقوله: ﴿رَدَّوهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾.

وقيل: الاستثناء في إخراج أهل التوحيد من النار^(١).

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ بالخلود ﴿عَلِيمٌ﴾ بعقوبتهم.

﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ أي: نسلط بعضهم على بعض حين يُنتَقَمُ منهم، ثم ينتقم الله من الجميع، أي: كما وصفنا من تسليط الجن على الإنس؛ كذلك نسلط بعض الظالمين على بعض لانتقام بعضهم من بعض^(٢).

وقال ابن عباس: نولي أي نقرن الشيطان مع الآدمي في سلسلة، ويقرن الجني مع شيطانه الذي يوسوسه في سلسلة^(٣).

﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ في الدنيا من المعاصي.

(١) انظر: تفسير أبي الليث ٤٨٢/١، الكشف والبيان ٢١٣/١٢.

(٢) قال السمرقندي (في تفسيره ٤٨٢/١): وهذا كلام لتهديد الظالم لكي يمتنع عن ظلمه، لأنه لو لم يمتنع يسلط الله عليه ظالماً آخر، ويدخل في الآية جميع من يظلم، ومن ظلم في رعيته، أو التاجر يظلم الناس في تجارته، أو السارق وغيرهم.

وقال فضيل بن عياض: إذا رأيت ظالماً ينتقم من ظالم فقف وانظر فيه متعجباً. وقال ابن عباس: إذا رضي الله عن قوم ولّى أمرهم خيارهم، وإذا سخط الله على قوم ولّى أمرهم شرارهم بما كانوا يكسبون، ثم تلا قوله ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ أهد. والخبر عن ابن عباس من رواية الكلبي كما في الكشف والبيان ٢١٥/١٢.

(٣) لم أجده من قول ابن عباس، وعلى كل فالمصنف يصدر عن تفسير الكلبي.

ثم يقال لهم: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ لماذا عصيتم ربكم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ من الإنس خاصة، عمومٌ أريد به الخصوص.

وقيل: كان رسل الحق إلى غيرهم من الجن، كما قال في آية أخرى ﴿وَلَوْأ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾^(١).

قال ابن عباس: كانت الرسل قبل مبعث رسول تبعث إلى الإنس، ورسول الله بعث إلى الإنس والجن جميعاً^(٢).

﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ عَآئِتِي﴾ بالأمر والنهي ﴿وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: يحذرونكم عذاب هذا اليوم ﴿قَالُوا﴾ جميعاً ﴿شَهِدْنَا﴾ يا رب ﴿عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾ أنهم بلغوا الرسالة وأنكرنا، قال الله تعالى: ﴿وَعَزَّزْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ بما فيها من النعيم والزهرة فاغتروا بها، وتركوا متابعة الأنبياء به ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ﴾^(٣).

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إرسال الرسل ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ يشرك منهم قبل إرسال الرسل إليهم ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾^(٤) عن الأمر والنهي.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ﴾ لأهل الجنة درجات بالفضائل، ولأهل النار درجات بمعاصيهم ﴿مِّمَّا عَمِلُوا﴾ في الدنيا ﴿وَمَا رَّبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^(٥).

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ أي: ذو الغنى عن طاعة العباد وإيمانهم، ذو الرحمة والشفقة بتأخير العذاب عن الكفرة ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يهلككم ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَأْ﴾ أي: قوماً أطوع منكم ﴿كَمَا

(١) كذا في الأصل، وهو قول مجاهد، وفي الكشف والبيان ٢١٧/١٢ عنه: الرسل من الإنس، والنذر من الجن، ثم قرأ الآية.

(٢) تفسير أبي الليث ١/٤٨٣، وهو من رواية الكلبي كما في الكشف والبيان ٢١٧/١٢.

أَنْشَأَكُمْ أَي: خَلَقَكُمْ ﴿مَنْ ذُرِّيَّةَ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ ﴿١٣٢﴾ أولاد نوح صلوات الله عليه.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ أَي: مَا تَخَوَّفُونَ مِنَ الْبَعْثِ وَالْعَذَابِ لَكَائِنْ ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ اللهُ عَنْ ذَلِكَ، وَلَا بِفَائِتِينَ اللهُ بِأَعْمَالِكُمُ الْخَبِيثَةِ.

﴿قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا كَانْتُمْ إِلَىٰ عَامِلِينَ﴾ أَي: طَرِيقَتِكُمْ، أَمْرٌ تَهْدِيدٌ، يَعْنِي: اثْبَتُوا عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ إِذَا رَضِيتُمْ أَنْ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إِذَا نَزَلَ بِكُمْ الْعَذَابُ ﴿مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أَي: سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ لَهُ عَاقِبَةُ دَارِ الْجَنَّةِ، لَنَا أَوْ لَكُمْ ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١٣٥﴾.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ أَي: جَعَلُوا لَهُ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ نَصِيبًا، وَلِلْأَصْنَامِ نَصِيبًا ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ﴾ أَي: قَوْلُهُمْ ﴿وَهَذَا﴾ النَصِيبُ ﴿لشُرَكَائِنَا﴾ إِلَهَتُنَا وَأَصْنَامُنَا ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ﴾ أَي: نَصِيبَ إِلَهَتِهِمْ ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾ أَصْنَامُهُمْ ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿١٣٦﴾ أَي: بِئْسَ مَا يَحْكُمُونَ.

وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ سَمَّوْا بَعْضَ الْأَمْوَالِ: مَالِ اللَّهِ، فَيَنْفَقُونَ مِنْهُ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَبَعْضَ الْأَمْوَالِ: مَالِ الْأَصْنَامِ، وَاسْلَمُوا ذَلِكَ إِلَى السُّدَنَةِ؛ مِنَ الْحَرْثِ وَالْحَبُوبِ وَالِدَوَابِّ، فَمَتَّى وَقَعَتْ سَنْبَلَةٌ أَوْ ثَمَرَةٌ مِنْ نَصِيبِ الْأَصْنَامِ فِي نَصِيبِ اللَّهِ لَقَطُوهُ وَرَدُّوهُ إِلَى مَوْضِعِهِ، وَلَوْ وَقَعَتْ مِنْ نَصِيبِ اللَّهِ فِي نَصِيبِ الْأَصْنَامِ تَرَكُوهُ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ وَالْأَصْنَامُ فَقَرَاءٌ، وَلَوْ سَالَ الْمَاءُ فِي نُوبَةِ الْأَصْنَامِ فِي زَرْعٍ هُوَ لِلَّهِ حَبْسُهُ عَنْهُ، وَلَوْ سَالَ فِي نُوبَةِ اللَّهِ فِي زَرْعِ الْأَصْنَامِ تَرَكُوهُ، وَفِي الْأَنْعَامِ لَوْ ضُرِبَ فَحْلُ الْأَصْنَامِ نُوقًا هُوَ لِلَّهِ مَنَعُوهُ، وَلَوْ ضُرِبَ فَحْلُ

هو الله في نوق الأصنام تركوه، وقالوا: هو غير محتاج إليه، الله أعلم بذلك^(١).

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ﴾
أي: زين قُرناءهم من الشياطين دفن بناتهم أحياء ﴿لِيُرَدُّوهُمْ﴾ أي: يهلكوهم
بذلك التزيين ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ أي: يخلطون عليهم دين إسماعيل
النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ﴾
(٣٧) أي: افتراءهم الكذب على الله، ثم نسخ بعد ذلك^(٢).

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَفْعَمُ﴾ يعني: البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿وَحَرْتُ حِجْرٌ﴾ أي: حرام ﴿لَّا يَطْعَمُهَا﴾ أي: الأنعام والحرث ﴿إِلَّا مَن نَّشَاءُ﴾ من
الرجال دون النساء ﴿بِرَعْمِهِمْ﴾ أي: قولهم ﴿وَأَنعَمُ حُرِمَتْ ظُهُورُهَا﴾ أي:
ركوبها وهي الحام ﴿وَأَنعَمُ لَّا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ﴾ عند الذبح ذبحوها
لأصنامهم ﴿أَفْتَرَاءَ [عَلَيْهِ]﴾ على الله أنه أمرهم، وكذبوا ﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾ يعاقبهم
﴿بِمَا كَانُوا يُفْتَرُونَ﴾ (٣٨) على الله.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ أي: رجالنا
﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَيَّ [أَزْوَاجًا]﴾ نسائنا ﴿وَأَن يَكُنَّ﴾ الولد ﴿مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ﴾
شُرَكَاءُ ﴿يَشْرِكُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فِي أَكْلِهِ﴾ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ ﴿أي: بوصفهم﴾
وكذبهم ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ بتحليل الأشياء ﴿عَلِيمٌ﴾ (٣٩) بما أحلَّ وحرم.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ دفنوا ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ أي: بناتهم أحياء ﴿سَفَهًا بِغَيْرِ

(١) وهو مروي عن ابن عباس من طرق، انظر: تفسير الطبري ١٢/١٣٢، تفسير أبي الليث
١/٤٨٥، الكشف والبيان ١٢/٢٢٢، البسيط ٨/٤٥٣.

(٢) وذلك على أن المقصود ترك قتالهم، ومن ثم قال قوم هو منسوخ بأية السيف (زاد المسير
٨٢/٢) ويظهر أن ذلك من قول الكلبي، ولم أجد هذا القول لا في تفسير الطبري ولا تفسير
أبي الليث ولا الكشف والبيان ولا البسيط ولا معالم التنزيل، فالله أعلم.

عَلِمُوا أَي: جهلاً بلا حجة ﴿وَحَرَّمُوا﴾ على أنفسهم ﴿مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا﴾ عن الهدى ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿١٦٠﴾ إلى الصواب.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ﴾ أي: الذي كذبوا عليه افتراءً هو الذي أنشأ ﴿جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾ أراد به الكروم والقثد^(١) والقثاء والقرع ﴿وَعَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ سائر الأشجار ﴿وَالَّتِي خُلِيَ فِيهَا الْوَرْدُ وَالْزَّرْعُ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾ أي: ثمره ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتُ مُتَشَابِهَاتٍ﴾ في المنظر ﴿وَعَيْرَ مُتَشَابِهَةٍ﴾ في الطعم ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ أي: أدرك ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قيل: نزلت قبل آية الصدقة وهو قول ابن عباس، وكانوا يعطون قليلاً قليلاً بعد الحصاد من الثمار والزروع، نسختها آية الزكاة^(٢).
وقيل: أعطوا زكاته يوم كيّله^(٣).

﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ في المعاصي والإنفاق في غير طاعة الله ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿١٦١﴾.

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ﴾ أي: ما يحمل عليها من الإبل والبقر والبغال والحمير ﴿وَفَرَشَاتٌ﴾ الغنم عن ابن عباس^(٤).

(١) القثد: نوع من القثاء، أو هو المدور منه، أو يشبهه (تاج العروس ٩/٩).

(٢) رواه مقسم عن ابن عباس، قال: نسخها العشر ونصف العشر، كذا في تفسير الطبري ١٦٨/١٢، وفي كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ٤٣ من طريق أخرى قال: نسخة الزكاة كل نفقة في القرآن. وهناك قول ثالث ذكره ابن جرير، وهو أنه حق في المال سوى الزكاة، وهو قول جماعة كعطاء وحماد والحكم، (تفسير الطبري ١٦٢/١٢، الكشف والبيان ٢٣٦/١٢). ورجح ابن جرير القول: بأنه كان ذلك مفروضاً عليهم في الطعام والثمار ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة (تفسير الطبري ١٧٠/١٢).

(٣) وهو مروي عن ابن عباس من طرق، وأن المقصود هو الزكاة المفروضة، وهو قول أنس والحسن وقتادة وطاوس وغيرهم، كما في تفسير الطبري ١٥٨/١٢، الكشف والبيان ٢٣٥/١٢.

(٤) من رواية علي بن أبي طلحة عنه (تفسير الطبري ١٨٠/١٢).

وقيل: الحمولة ما يحمل عليها من الإبل والفرش صغارها^(١).

﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من لحوم هذه الأنعام ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزيينه في تحريم الأنعام؛ وأثار الشيطان ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(١٤) ظاهر عداوته.

﴿ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾ نصب لأنه معطوف على قوله: «أنشأ»^(٢)، يقال للواحد من الشفع زوج ولل اثنين زوج^(٣).

﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿قُلْ أَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾ ألف استفهام دخلت على ألف الوصل، وجعل بينهما مدّة^(٤).

﴿أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ ومعنى الكلام: أنكم تقولون أن ولد الضأن أو المعز في البطن السابع أو البطن الخامس على حسب الاختلاف حرام

(١) وهو قول ابن مسعود، ورواية عن ابن عباس (تفسير الطبري ١٢/١٧٨).

(٢) في نصبه ستة أقوال، أشهرها الذي ذكره المصنف، انظر: إعراب القرآن للنحاس ٣٦/٢، التبيان ٥٤٤/١.

(٣) قال الفراء: الذكر زوج، والأنثى زوج، وهو قول ابن عباس: يريد: بالزوج الواحد الذكر زوج، والأنثى زوج.

وقال ابن قتبية: والثمانية الأزواج: الضأن، والماعز، والإبل، والبقر، وإنما جعلها ثمانية وهي أربعة؛ لأنه أراد ذكراً وأنثى من كل صنف، فالذكر زوج، والأنثى زوج، يقع على الواحد وعلى الاثنين، ألا ترى أنك تقول للرجل: زوج وهو واحد، وللمرأة زوج وهي واحدة، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾^(١٥) [سورة النجم: ٤٥] (البسيط ٨/٤٩٠، وانظر: تفسير الطبري ١٢/١٨٣، معاني القرآن للزجاج ٢/٢٩٩، تفسير أبي الليث ١/٤٨٩، الكشف ٢/٧٣).

(٤) والاستفهام للإنكار، (الكشاف ٢/٧٤).

على النساء دون الرجال، وبعضها حلال على الكل بعد الموت، حرام قبله، قل لهم يا محمد؛ لأبي الحوص مالك بن عوف ناظر رسول الله فيها، قل: الذكـرين حرم، أي: قل له التحريم جاء من قبل الذكـرين؛ ولد الضأن والمعز؛ أم من حيث الأنثيين أنهما أنثيان؟ فإن كان من قبل الذكـرين فالعقل يقتضي أن كل ذكر حرام، وإن كان من حيث الأنثيين فالعقل يقتضي أن كل ما يشتمل عليه الأرحام حرام؛ لأن الأرحام لا تشتمل إلا على ذكر أو أنثى، فمن أين اختصاص البطن الخامس أو السابع؟ وتخصيص الذكر دون الأنثى؟ أو الأنثى دون الذكر؟

فيجيب مالك بن عوف ولم يحضره سوى قوله: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾^(١).

﴿نَبْعُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١١٣) أن الله حرم عليكم ذلك.

ثم قال ﴿وَمَنْ أَلْبِلْ أُنثَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالْذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإُنثَيْنِ أَمْ أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإُنثَيْنِ﴾ من أين جاء التحريم؟ من قبل الذكر أو قبل الأنثى؟ أم من جهة اشتمال الأرحام بهما؟ ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضوراً يا أهل مكة ﴿إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا﴾ إذ أمركم الله بهذا التحريم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ﴾ عن دين الله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أتاه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١١٤) أي: لا يرشدهم إلى الحجة في مقابلة الحق.

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ أي: أكل يأكله ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ﴾ الشيء ﴿مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ جارياً ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ﴾

(١) القصة في تفسير أبي الليث ١/ ٤٩٠، والكشف والبيان ١٢/ ٢٤٥، وهي كما يظهر من هذه المصادر أنها من رواية الكلبي فهو الذي سمى مالك بن عوف (تنوير المقباس ١٢١)، والمفسرون يذكرون نحو هذا ولكن لا ينسبونه للرسول صلى الله عليه وسلم (تفسير الطبري ١٢/ ١٨٥).

رَجَسٌ أَوْ فَسَقًا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ» فيه تقديم وتأخير، معناه: ميتة أو دمًا أو لحم خنزير أو فسقًا أهلٌ لغير الله به، أي: عند ذبحه غير اسم الله، فإنه فسق.

والرجس: اسم لما يستقذر وهو الحرام في هذه الموضع.

﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾ أي: أجهد ضرورةً إلى أكل هذه المحرمات ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ غير باغ: يستحل ما حرم الله، ولا عاد مجاوز القصد بقدر الحاجة ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ﴾ إذا أكل ما يسد جوعه ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٥﴾ رخص له ذلك.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ مالوا عن الإسلام ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ ما ليس بمنفرج الأصابع، مثل النعام والبط والإبل، عن ابن عباس وابن جبير ومجاهد^(١).

وقال الضحاك: النعام وحمار الوحش.

مقاتل: كل ذا خفٍ وظفر من الدواب والطيور؛ عن الإبل والنعام والبط^(٢).

وكل ذي مخلب من الطير، وكل ذي ناب من السباع، عن الكلبي ومن الدواب كل ذي ظفر ليس بمنشق مثل البعير والأرنب^(٣).

﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ شحوم الثروب^(٤) ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ من الشحم ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ أي: ما كان على الماعز من الشحم عن ابن عباس^(٥).

(١) تفسير الطبري ١٢/ ١٩٨، الكشف والبيان ١٢/ ٢٤٧، البسيط ٨/ ٥٠٢، زاد المسير ٢/ ٨٨.

(٢) تفسير مقاتل ١/ ٣٧٦.

(٣) تنوير المقباس ١٢١.

(٤) الثروب: الشحم المبسوط على الأمعاء والمصارين والكرش (لسان العرب ١/ ٤٥٧).

(٥) كذا في الأصل، ويظهر أن مراده من قول ابن عباس هو تفسير: ما حملت الظهر، لا الحوايا.

﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ نحو شحوم الألية ﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾
بذنوبهم ﴿وَأَنَّا لَصَدُوقُونَ﴾ (١٦٦).

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ أي: اليهود فيما أخبرتهم عن التحريم ﴿فَقُلْ﴾ لهم
﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسَعَةٍ﴾ بتأخير العذاب عنكم وألا يعذبكم ﴿وَلَا يُرَدُّ
بِأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٦٧) أي: اليهود.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من كفار مكة ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن لا نشرك به ﴿مَا
أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ من قبلنا ﴿وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ من الحرث والأنعام،
ولكنه شاء لنا ذلك وأمرنا بتحريمه ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: هكذا ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَاسَنَا﴾ عذابنا ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ بيان
وحجة بأن الله أمركم به ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ أي: تبيّنوه لنا ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ ما تقولون
﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ الشك ﴿وَأَنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ ما أنتم إلا تكذبون.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾ الوثيقة على خلقه في التحليل والتحريم والتأديب
﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٦٨).

﴿قُلْ هَلَمْ شُهِدَآكُمْ﴾ أي: هاتوا شهداءكم ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾ ليشهدوا
﴿أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ أن هذه الأشياء حرام حرّمها الله في الكتاب ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾
بذلك ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالقرآن ﴿وَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: البعث ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١٦٩) الأصنام.

فإن رواية علي بن أبي طلحة عنه: ما حملت ظهورهما: ما علق بالظهر من الشحوم،
والحوايا: المبعر (تفسير الطبري ١٢/٢٠٢). ولا خلاف في تفسير الحوايا بالمباعر.
قال ابن جرير: الحوايا: جمع، واحداها حاوية وحوية، وهي ما تحوى من البطن
فاجتمع واستدار، وهي بنات اللبن [الأمعاء الدقيقة]، وهي المباعر، وتسمى: المرابض،
وفيهما الأمعاء.

﴿قُلْ يَا مُحَمَّدٌ﴾ [تَعَالَوْا] أَتَلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴿فِي الْكُتُبِ﴾ ﴿أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ أَوْصَاكُمْ بِتَرْكِ الشَّرْكِ؛ لِأَنَّ مِنْ حَرَمٍ شَيْئًا فَقَدْ وَصَاكُمْ بِتَرْكِه ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أَوْصَاكُمْ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، أَي: بِرًا بِهِمَا وَعُطْفًا عَلَيْهِمَا ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ﴾ مَخَافَةَ الْفَقْرِ ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ الزَّنا، وَقِيلَ: الشَّرْكَ، وَيَحْتَمِلُ جَمِيعَ الْمَعَاصِي ﴿وَمَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ كَانَتِ الْحَوَانِيتُ بِمَكَّةَ مَعْرُوفَةً، فَذَلِكَ مَا ظَهَرَ، وَمَا بَطَنَ هِيَ الْمَخَالَةُ فِي السَّرِّ^(١) ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ الْمُؤْمِنَةُ ﴿الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ بِالْعَدْلِ، بِالْقَصَاصِ وَالرَّجْمِ وَالْإِرْتِدَادِ [ذَلِكَكُمْ] هَكَذَا ﴿وَصَبَّحْنَا بِهٖ﴾ أَمْرَكُمْ وَنَهَاكُمْ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٥٢﴾.

﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ أَي: لَا تَأْكُلُوا مَالَهُ ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بِالْقَرْضِ، وَقِيلَ: لَا تَقْرُبُوا إِلَّا لِلْحِفْظِ^(٢) ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ يَعْنِي الْحِلْمَ وَالرَّشْدَ^(٣) ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ﴾ أَوْفُوا بِمِيزَانِ الْفَيْسِطِ ﴿أَي: الْعَدْلِ﴾ لَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ أَي: اصْدُقُوا، قِيلَ: إِذَا شَهِدْتُمْ وَحَكَمْتُمْ فَاعْدِلُوا^(٤) ﴿وَلَوْ كَانَتْ ذَا قُرْبَىٰ﴾ وَإِنْ كَانَ الْمَشْهُودُ عَلَيْهِ ذَا قُرْبَىٰ مِنْكُمْ ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ أَي: أَوْفُوا فَرَائِضَ اللَّهِ ﴿ذَلِكَكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ نَصَبَ عَلَى الْحَالِ، وَأَنَّ بِنَصْبِ الْأَلْفِ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: أَلَا تُشْرِكُوا^(٥) ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ فَالْزَمُوهُ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾

(١) فِي الْأَصْلِ: الْمَخَالَفَةُ فِي الشَّيْءِ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ، وَكَذَا هُوَ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: لِلْحِظِّ، وَالتَّصْحِيحُ مِنْ تَنْوِيرِ الْمُقْبَاسِ، وَتَفْسِيرُ السَّمْرِ قَنْدِي فَقَدْ صَدَرَ عَنِ الْكَلْبِيِّ.

(٣) الْكُشْفُ وَالْبَيَانُ ٢٥٧/١٢.

(٤) الْكُشْفُ وَالْبَيَانُ ٢٥٩/١٢.

(٥) التَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ٥٤٩/١.

اليهودية وسائر الملل ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: يضلكم عن دينه الحق ﴿ذَلِكَ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣) عن سائر الملل.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ مبني على قوله: ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾؛ مع ما حرمت: آتينا موسى الكتاب^(١) ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ أي: تمامًا على الوجه الذي هو أحسن^(٢)، وقيل: الذي بمعنى ما؛ أي: تمامًا على ما أحسن من العلم والحكمة وكتب الله المتقدمة^(٣)، وقيل: تميمًا من إحسانه على من أحسن منهم؛ أي: المحسنين^(٤).

﴿وَنَقْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ تفصيلاً: بيان الحرام والحلال، وهدى: من الضلالة، ورحمة: من العذاب لمن آمن بها. وانتصبت الكلمات نسقاً على قوله: «تماماً».

﴿لَعَلَّهُمْ يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ﴾ أي: البعث ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ (١٥٤).

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ يعني القرآن ﴿مُبَارَكٌ﴾ دائم خيره على من آمن به ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ بما فيه من الحلال والحرام ﴿وَاتَّقُوا﴾ سخط الله ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٥٥).

﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ معناه: اتقوا ألا تقولوا ذلك: أنزل الكتاب ﴿عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قوم موسى وعيسى ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ﴾

(١) أي أنه معطوف على ما قبله، فكما أمره الله أن يقص عليهم ما حرم عليهم، أمره أن يقول: وأعطيت موسى التوراة.. (انظر: تفسير الطبري ١٢/٢٣٢، تفسير أبي الليث ١/٤٥٩، الكشف والبيان ١٢/٢٦١).

(٢) وهو قول ابن زيد، كما في تفسير الطبري ١٢/٢٣٦.

(٣) وهو قول الربيع وقتادة، كما في تفسير الطبري ١٢/٢٣٥.

(٤) وهو قول مجاهد، كما في تفسير الطبري ١٢/٢٣٣.

﴿١٥٦﴾ أي: ما كنا عن تلاوة كتابهم إلا غافلين، لم نعقل ما فيها، فهذا الكتاب نزل بلغتكم حجة عليكم.

﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ كيلا تقولوا ﴿لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ﴾ بلغتنا ﴿لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ أي: أسرع إجابة ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: الكتاب والرسول ﴿وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ معطوفاً على بينة، لا على الحال ﴿فَمَن أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ [بِآيَاتِ اللَّهِ]﴾ على الله بمحمد والقرآن ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أي: أعرض عنها ﴿سَنَجْزِي﴾ نعاقب ﴿الَّذِينَ﴾ يعرضون عنها ﴿يَصْدِفُونَ عَنَّا آيَاتِنَا سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ أي: أشده ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ يعرضون.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ إتيان ملك الموت وأعوانه ^(١) ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾ هذا وعيد، أوعده الله لأهل مكة، وأراد به عذابه، ومن وصف الله بالتحويل وجوز ذلك فقد عظم جرمه، وافترى على الله كذباً عظيماً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ^(٢).

(١) تفسير الطبري ١٢/ ٢٤٥، الكشف والبيان ١٢/ ٢٦٦.

(٢) هذا تأويل لصفة المجيء، فحمل المصنف الآية على المجاز، وعلى أن المراد عذاب الدنيا، فخالف المفسرين في ذلك، فإنهم قالوا: المراد يوم القيامة، والذي يجيء هو الله بلا تشبيه بمجيء خلقه، وبإياس عن معرفة كيف يكون ذلك. ولذا لا يقال: كيف يجيء. قال مجاهد وقتادة وابن جريج: يأتي ربك يوم القيامة (تفسير الطبري ١٢/ ٢٤٦)، ومثله قال مقاتل بن حيان (تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٢٧)، وقال مقاتل بن سليمان: يأتي ربك يوم القيامة في ظلل من الغمام (تفسير مقاتل ١/ ٣٨٠)، قال الكلبي: يأتي ربك يوم القيامة بلا كيف (تنوير المقباس: ١٢٣) ومثله قال ابن قتبية (في غريب القرآن ١٤١)، وقال الثعلبي: بلا كيف، لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة (الكشف والبيان ١٢/ ٢٦٦)، وقال مكي: أي: لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة (الهداية ٣/ ٢٢٥٢)، ومثله قال السمعاني في تفسيره ٢/ ١٥٩، والبغوي في معالم التنزيل ٣/ ٢٠٧، وابن كثير في تفسيره ٣/ ٣٧١.

وقد يراد إتيان الله والمراد عذابه، كقوله: ﴿فَأَتَى اللَّهَ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾، وفي موضع آخر ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ أي: أهلكهم^(١).
 ﴿أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أي: طلوع الشمس من مغربها ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ طلوعها من مغربها أو خروج دابة الأرض^(٢).

﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ تلك الآية، لأن تلك الآية متصلة بالساعة، فهو بمنزلة التوبة بعد رفع الحُجُب ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ قيل: آمنت باللسان ولم تخلص بالقلب، والصحيح: أن المراد بقوله ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ أراد الصبيان إذا ولدوا على الفطرة قبل طلوع الشمس من مغربها، ثم أدركوا بعد طلوعها وآمنوا عند الإدراك، كان لهم حكم الإيمان^(٣).

(١) نحوه في معاني القرآن للزجاج ٣٠٧/٢، فلعل المصنف صدر عنه.

(٢) في صحيح البخاري (٤٦٣٥) ومسلم (١٥٧) هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ».

وفي صحيح مسلم (١٥٩) عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما: «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخرج ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخرج ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتدرون متى ذاكم، ذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا».

(٣) هذا قول الكلبي في تفسيره (تنوير المقباس ١٢٣) وهو قول غريب، غير معروف في كتب التفسير، ولا ذكره من يعتني بجمع الأقوال، انظر: النكت والعيون ١٩١/٢، زاد المسير ٩٦/٢.

وقوله ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾^١ يعني: قد آمن قبل طلوع الشمس من مغربها وعمل من الأعمال الصالحة قبلها، فإنه ينفعه الإيمان، وفي غير هذين لا ينفعه الإيمان، فالكافر إذا آمن بعد ذلك لا يقبل إيمانه وتوبته.

﴿قُلِ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾^٢ أي: انتظروا الموت والعذاب، إِنَّا مُنْتَظِرُونَ: إلينا رجعتم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ تركوا الإسلام ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ صاروا فرقا مختلفة^(١) ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ كلمة تقتضي التباعد جدا، أي: لا يجمعهم وإياهم سبب، وقيل: ليس عليك قتالهم، وهذا منسوخ بآية السيف^(٢).
وقيل: ليس بيدك توفيقهم وخذ لانهم.

(١) جمهور المفسرين أن المراد اليهود والنصارى، وهم الذين فرقوا دينهم (البسيط ٨ / ٥٥٠)، وقيل إنهم المشركون.

(٢) وهذا على قول الكلبي والسدي، أن معنى لست منهم في شيء أي لست من قتالهم في شيء ولم تؤمر به (البسيط ٨ / ٥٥٤).

ولكن الصحيح أن المعنى: أنت بريء منهم، وهذا مروى عن بعض السلف (تفسير الطبري ١٢ / ٢٧٢) والبراءة لا يدخلها النسخ.

قال ابن الأنباري: معنى ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أنت منهم بريء، وهم منك برآء لم تلتبس بشيء من مذاهبهم، والعرب تقول: إن كلمت فلانا فلست منك ولست مني، يريدون: كل واحد منا بريء من صاحبه.

قال ابن جرير: قوله ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ إعلام من الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أنه من مبتدعة أمته الملحدة في دينه بريء، ومن الأحزاب من مشركي قومه، ومن اليهود والنصارى. وليس في إعلامه ذلك ما يوجب أن يكون ناه عن قتالهم...، وإذا كان غير مستحيل اجتماع الأمر بقتالهم، وقوله: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ؛ ولم يكن في الآية دليل واضح على أنها منسوخة؛ ولا ورد بأنها منسوخة عن الرسول خبر؛ كان غير جائز أن يُقضى عليها بأنها منسوخة (تفسير الطبري ١٢ / ٢٧٣).

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: مجازاتهم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١) من الكفر في الدنيا.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ من سَبَّح أو هَلَّل أو عمل شيئاً من الطاعات فله عشر أمثالها في التضعيف، إلى ما لا يحصى.

وقيل: يجازى بكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة يضعف كل عشرة منها بعشرة، فتصير الحسنة الواحدة مائة في ميزانه^(٢).

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أي: الشرك ﴿فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمْثَلَهَا﴾ أي: النار. وقيل: معصية بواحدة.

﴿وَهُمْ لَا يُظَلَّمُونَ﴾^(٣) أي: لا يعاقبون بأكثر مما استوجبوا.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: أرشدني إلى دين قائم فأجبتة ﴿دِينًا قِيمًا﴾ جواباً^(٤)، نصب على البدل^(٥) ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٦) بالله في تليته كما تفعلون أنتم.

﴿قُلْ إِنِّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ ديني وعبادتي، وقيل: ذبيحتي وقرابيني^(٧) ﴿وَمَحْيَايَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَمَاتِي﴾ أي: جميع طاعاتي وما يلحقني من أعمال أمتي التي سننتها، كلها ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٨).

(١) انظر: الكشف والبيان ١٢/ ٢٨١، البسيط ٨/ ٥٥٥.

(٢) وليس هذا تفسير لـ «قياما»، إنما هو من تكملة كلامه، ومعناها القويم المستقيم (الكشف والبيان ١٢/ ٢٨٣).

(٣) استوعب الثعلبي خلاف النحاة في أوجه انتصابه (الكشف والبيان ١٢/ ٢٨٣، وانظر: البسيط ٨/ ٥٥٩).

(٤) تفسير الطبري ١٢/ ٢٨٤.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُٗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ أي: بالتوحيد والإخلاص ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من أهل زماني^(١).

وقيل: من أهل مكة، وقيل: أنا أول من أجاب الله ببلى يوم الميثاق^(٢).

﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبْنِي رَبَّكَ﴾ أي: أطلب معبودًا ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ومالكة ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من الذنوب ﴿إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي: لا يؤخذ بريء بذنوب غيره، ولا تحمل حاملة ذنب أخرى طوعًا، لأنهم قالوا: لو رجعت إلى دين آبائك فكل وزر يحصل لك فهو علينا، فأجابهم الله بذلك.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ﴾ منقلبكم ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(١٦٤) في الدنيا من أمر الدين.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ أي: سكانًا للأرض خلفاء من الجان، وقيل: أراد أن أمة محمد خلفاء الأمم الماضية ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ أي: فضائل في العلم والشرف ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ كيف صنيعكم في ما خولكم الله.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ بمن كفر ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(١٦٥) لمن تاب من الشرك.

قال عبد الحميد الحاکمي: «بلغنا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: نزلت سورة الأنعام ومعها سبعون ألف ملك، قائدهم جبريل، لهم زجل بالتسبيح والتهليل، طبقوا ما بين السماء والأرض، ثم قال: يا محمدًا من قرأها

(١) وهو قول الكلبي، كما في تنوير المقباس ١٠٦.

(٢) تفسير الطبري ١٢ / ٢٨٥، الكشف والبيان ١٢ / ٢٨٥.

من أمتك إيمانًا واحتسابًا صَلَّى عليه السبعون ألف ملك الذين شِيعُوا بها إليك،
فخرَّ النبي صَلَّى الله عليه وسلم ساجدًا، وقال: سبحان الله»^(١).
والله أعلم بمعاني كلامه.



(١) رواه ابن الضريس في فضائل القرآن ٢٠١، والمستغفري في فضائل القرآن (٧٨٢) وذكره
الثعلبي في الكشف والبيان ٩/١٢.
وهو حديث منكر، تفرد به أبان بن أبي عياش، وهو متروك.
والحديث في الأصل جزء من حديث أبي بن كعب الطويل الموضوع في فضائل سور القرآن
سورة سورة، كما في فضائل القرآن للمستغفري (١١٧٣).

فهرس الموضوعات

المقدمة	٥
التعريف بالمصنف	٧
التعريف بتفسير الحاكمي	١٢
مصادر الحاكمي في تفسيره	١٤
الأصل الأول: «تهذيب جامع العلوم»	١٥
الأصل الثاني: «الموضح في التفسير»	١٨
الأصل الثالث: «كتاب التنزيل»	٢١
الأصل الرابع: «معاني القرآن»	٢٢
الفروع	٢٣
فضائل القرآن في تفسير الحاكمي	٢٦
منهج الحاكمي في التفسير	٢٩
التعريف بالنسخة الخطية:	٣٤
بسم الله الرحمن الرحيم	٤٥
سورة الفاتحة	٥٣
السورة التي تذكر فيها البقرة	٥٧
سورة آل عمران	٢٢٣
سورة النساء	٣٠٥
السورة التي يذكر فيها المائدة	٣٧١
سورة الأنعام	٤٣٥

